الشيخ قطب الدين موسى بن محمد اليونيني
المتوفى سنة ٧٢٦ ﻫ/ ١٣٢٦ م

ذيل مرآة الزمان

المجلد الثانى

من وقائع سنة ٦٥٨ الى سنة ٦٧٠ هجرية

صحح
عن النسختين القديمتين المحفوظتين فى اكسفورد و استانبول
تحت اعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية



الطبعة الأولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند

١٣٧٥ ﻫ/ ١٩٥٥ م



(١) ذكر سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى

لما وصل الملك المظفر الى القُصَيِّر و بينه و بين الصالحيـــة مرحلة واحدة و رحل العسكر طالبا الصالحية و ضُرب الدهليز السلطانى بها وكان جماعة قد اتفقوا مع الامير ركن الدين على قتله منهم سيف الدين انص من غلمان الرومى الصالحى و علم الدين صنغلى و [سيف الدين بلبان] (٢) الهارونى و غيرهم وكان الامير ركن الدين قد طلب من الملك المظفر لما ملك الشام أن يستنيبه بحلب فلم يجبه فأثّر ذلك عنده و اتفق عند القصير أن ثارت ارنب فساق الملك المظفر عليها و ساق هؤلاء المتفقون على قتله معه، فلما بعدوا (٣) و لم يبق معه غيرهم تقدم اليه الامير ركن الدين و شفع اليه فى انسان فأجابه فأهوى ليقبّل يده و قبض عليها و حمل انص عليه وقد اشغل الامير ركن الدين يده و ضربه انص بالسيف و حمل الباقون عليه و رموه عن فرسه و رشقوه بالنشاب فقتلوه ثم حملوا على العسكر و هم

٣/ب

---

(١) اصله نسخة مكتبة بو دلين، اكسفورد، بسماع المؤرخ البرزالى على المؤلف ناقصة الاوائل رقم [ا ، ٧٠٠] و ارقام اوراقها أمام السطور فى الحاشية ، بخط المستشرق كرنكو (ك) (٢) من النجوم الزاهرة (٣) فى النجوم « ابعدوا » .

شاهرون سيوفهم حتى وصلوا الى الدهليز السلطانى فنزلوا ودخلوا والاتابك (١) على باب الدهليز فأخبروه بما فعلوا فقال من قتله منكم فقال الامير ركن الدين انا فقال يا خوند اجلس فى مرتبة السلطنة فجلس واستدعيت العساكر للحلف وكان القاضى برهان الدين (٢) قد وصل الى العسكر ملتقيا للملك المظفر فاستدعى وحلف العسكر للملك الظاهر ركن الدين واستقرت قدمه فى السلطنة واطاعته العساكر ثم ركب وساق فى جماعة من اصحابه ووصل الى القلعة ففتحت له واستقرّ ملكه واحسن الى الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى وكان البلدان قد زينا لقدم الملك المظفر فاستمرت الزينة واحسن الى خشداشيته البحرية وأمّر اعيانهم ،وكانت هذه الواقعة فى ذى القعدة ولما استقر فى المملكة نفى الملك المنصور نور الدين على بن المعز وأمه واخاه نصر الدين قاآن الى بلد الاشكرى وكانوا معتقلين بالقلعة .

وكان الملك الظاهر لما ملك لقب نفسه الملك القاهر وكان الوزير بمصر زين الدين بن الزبير (٣) وكان فاضلا فى الادب والترسل وعلم التاريخ فأشار بتغيير هذا اللقب وقال ما لقب به احد فأفلح لقب به القاهر بن المعتضد فلم تطل ايامه وخلع وسمّل ولقب به الملك القاهر

(١) هو فارس الدين اقطاى المستعرب كما فى هامش النجوم (ج ٧ ص ٨٤) (٢) هو الخضر بن الحسن بن على السنجارى مات فى رجب سنة ٦٨٦ — ك (٣) هو يعقوب بن عبد الرفيع وزر لقطز فى ذى القعدة سنة ٦٥٧ فعزل فى ربيع الآخر سنة ٦٥٩ وتوفى سنة ٦٦٨ — ك .

ابن

ابن صاحب الموصل فسمّ فلم تزد ايامه فى المملكة على سبع سنين فأبطل الملك الظاهر اللقب الاول و لقب نفسه الملك الظاهر .

و اما حوادث الشام ففى العشر الأخر من ذى القعدة امر الامير علم الدين الحلبى بتجديد عمارة قلعة دمشق و زفت بالمغانى و الطبول ٤ / الف و البوقات و فرح اهل دمشق بذلك و حضر كبراء الدولة و خلع على الصناع و النقباء و عمل الناس فى البناء حتى النساء وكان يوم الشروع فى تجديد عمارتها يوما مشهودا .

و فى العشر الاول من ذى الحجة دعا الامير علم الدين الحلبى الناس بدمشق الى الحلف له بالسلطنة فأجابوه و حضر الجند و الاكابر و حلفوا له و لقب الملك المجاهد و خطب له على المنابر و ضربت السكة باسمه وكاتب الملك المنصور صاحب حماة ليحلف له فامتنع وقال انا مع من يملك الديار المصرية كائنا من كان .

ذكر دخول التتر الى الشام

و اندفاع عسكر حلب وحماة بين ايديهم

و لما صح عند التتر قتل الملك المظفر رحمه الله وكان النائب بحلب ابن صاحب الموصل و قد اشرنا الى سوء سيرته مع الجند و الرعية فاجمع رأى الامراء بحلب على قبضه و اخراجه من حلب و تحالفوا على دلك و عينوا للقيام بالامر الامير حسام الدين الجوكندار العزيزى فبيناهم على ذلك وردت عليهم بطاقة و الى البيرة يخبرأن التتر قد قاربوا البيرة لمحاصرتها و استصرخ بهم لينجدوه بعسكر وكان التتر قد

هدموا ابراج البيرة و اسوارها و هي مكشوفة من جميع جهاتها فجرد
الملك السعيد عسكرا اليها و قدم عليهم الامير سابق الدين امير مجلس
الناصري فحضر الامراء عنده و قالوا له هذا العسكر الذى جردته لايمكنه
رد العدوّ و نخاف ان يحصل النشب بيننا و بين العدوّ وعسكرنا قليل فيصل
العدو الى حلب و يكون ذلك سببا لخروجنا منها فلم يقبل فخرجوا من
عنده وهم غضبانون وسار العسكر المسير الى البيرة من حلب فلما وصلوا
الى عمق البيرة صادفوا التتر بجموعهم فوقع النشب معهم فتراءت الفئتان
فلم يمكن سابق الدين لقاءهم فقصد البيرة واتبعه التتر و قتلوا من اصحابه
٤ / ب جماعة كثيرة و ما سلم منهم الّا القليل ، و ورد الخبر بذلك الى حلب فجفل
اهل حلب الى جهة القبلة ولم يبق بها الّا القليل من الناس و ندم
الملك السعيد على مخالفة الامراء فيما اشاروا به عليه وقوى بسبب ذلك
غضبهم عليه و قاطعوه و باينوه و وقعت بطاقة من البيرة فيها ان طائفة
من التتر توجهوا الى جهة منبج وهم على عزم كبس العسكر بحلب
فانثنى عزم الامراء عن القبض عليه لئلا يطمع العدو فيهم و أخذ
يتبذلك (١) للامراء و يعتذر اليهم مخالفتهم وطلب ان يشيروا عليه بما
يعتمده فأشاروا عليه بالخروج الى جهة التتر و ان يضرب دهليزه يبابلا
وهى شرقى حلب وان يكون العسكر حوله و ان يجمع اليه العرب
و التركمان ويكون على اهبة لقائهم فأجابهم الى ذلك وضرب دهليزه
ببابلا و نزل العسكر حوله و اخذ فى تجهيز عُصَيّة (٢) و هو احد امراء

(١) اى يمزح - ك (٢) بصيغة التصغير - ك .

العرب الى منبج للكشف و استطلاع اخبار العدو فوقع التتر عليه و قاتلوه فقتلوه و ورد الخبر بذلك الى حلب فاشتد خوف الملك السعيد من غائلة هذا الأمر و بعد يومين وصل الامير بدر الدين ازدمر الدوادار العزيزى ٠

و كان قطز رحمه الله قد رتبه نائبا باللاذقية و جبلة فقصد خشداشيته بحلب فلما قرب منها ركبت العزيزية و الناصرية و التقوه فأخبرهم ان الملك المظفر قتل و ان ركن الدين البندقدارى ملك الديار المصرية و تلقّب بالملك الظاهر و ان الامير علم الدين الحلبى قد خطب له بالسلطنة فى دمشق و صار مالكا لها و لبلادها ، قال و نحن نعمل ايضا مثل عمل اولئك و نقيم واحدا من الجماعة مقدما و نقبض على هذا المدبر يعنى ابن صاحب الموصل و نقتصر على حلب و بلادها مملكة استاذنا فأجابوه الى ذلك و تقرر بينهم ان حال وصولهم الى المخيم تمضى اليه الامراء حسام الدين الجوكندار و سيف الدين بكتمر الساقى و بدر الدين ازدمر الدوادار وكان الملك السعيد نازلا بابلا فى دار القاضى بهاء الدين (١) ابن الاستاذ قاضى حلب و هو فوق سطحها و العساكر حوله وكانت ٥ / الف الاشارة بين هؤلآء الامراء و بين باقى الامراء انهم متى شاهدوا هؤلآء المذكورين معه على السطح يشرعون فى نهب وطاقه و الذين عنده

(١) لعل الصواب كمال الدين وهو احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الملقب بابن الاستاذ الذى كان قاضى قضاة حلب حينئذ توفى سنة ٦٦٢ و له ترجمة فى هذا الكتاب وفى طبقات السبكى ج ٥ ص ٨ ــ ك .

يقبضون عليه ، فلما حضر المذكورون بابه و طلبوا الإذن للدخول عليه اذن لهم فلما حضروا عنده على السطح و اعين الباقين من الخشداشية ممتدة اليهم شرعوا فى نهب وطاقه و خيله و اصحابه فسمع الضجة فاعتقد ان التتر قد كبست العسكر ثم شاهد نهب العزيزية و الناصرية لوطاقه و وثب الامراء الذين عنده ليقبضوا عليه فطلب منهم الأمان على نفسه فأمنوه و شرطوا عليه ان يسلم اليهم جميع ما حصله من الاموال ثم نزلوا به الى الدار و قصدوا الخزانة فما وجدوا فيها طائلا فتهددوه و قالوا اين الاموال التى حصلتها و طلبوا قتله او المال فقام الى ساحة بستان فى الدار المذكورة و حفر تحت اشجار نارنج هناك و اخرج اموالا كثيرة ذكر انها كانت تزيد على اربعين الف دينار ففرقت على الامراء على قدر منازلهم و رسموا عليه جماعة من الجند و سيروه الى شغروبكاس(١) معتقلا و بقى فى الاعتقال اياما ثم اخرجوه بعد ان اندفعوا بين يدى التتر كما سنذكره إن شاء الله ، و بعد ايام دهم العدو حلب فاندفع الامير حسام الدين الجوكندار المقدم بمن معه من العسكر الى جهة دمشق فلما اندفعوا دخلت التتر حلب و ملكوها و اخرجوا من فيها من المسلمين الى قرنبيا (٢) قهرا بعيالاتهم و اولادهم و احاط التتر بهم فى ذلك المكان

(١) الشغر (بضم الشين) و بكاس قلعتان قريبتان حصينتان من النواحى الغربية من حلب و الشغر قلعة صغيرة قريبة من بكاس يعبر من احديهما الى الاخرى بجسر وهما على جانب نهر الارند - الدر المنتخب ص ١٧٥ - ك (٢) قال فى الدر المنتخب فى شرقى حلب مشهد قرنبيا بفتح القاف والراء وسكون النون كان يعرف قديما بمقر الانبياء فحرفته العامة - ك .

و وضعوا

و وضعوا السيف فى بعضهم فأبادوهم و اطلقوا الباقين فدخلوا حلب فى اسوأ حال .

و وصل الامير حسام الدين الجوكندار و من معه من العسكر الى حماة و بها صاحبها الملك المنصور فنزلوا ظاهرها من جهة القبلة و قام ضيافتهم و هو مستشعر منهم ثم تقدم التتر الى جهة حماة فلما قربوا منها رحل الجوكندار و الملك المنصور بعسكريهما الى حمص و وصلت التتر الى حماة و نازلوها فغلقت ابوابها فطلبوا منهم فتح الابواب و انهم ٥/ب يؤمنوهم كالمرة الاولى فلم يجيبوهم ولم يكن مع التتر خسروشاه ولم يكن اهل حماة يثقون الّا اليه و اخرجوا لهم شيئا من المأكول و اندفعوا عن حماة طالبين لقاء العسكر و جفل الناس بين ايديهم و خاف اهل دمشق خوفا شديدا .

فصل

فيها توفى ابراهيم (١) بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد بن موسى ابن احمد بن محمد بن اسحاق بن محمد ابو اسحاق الشيبانى الوزير مؤيد الدين المعروف بابن القفطى و مولده بالقدس فى رابع عشر المحرم سنة اربع و تسعين و خمسمائة (٢) سمع من ابى هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمى (٣) وغيره وحدث بحلب و دمشق ووزر بحلب بعد اخيه القاضى الاكرم مدة

(١) هو على بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد توفى سنة ٦٤٦ له ترجمة فى فوات الوفيات (٢/١٢١) والشذرات (٥/ ٢٣٦) ـ ك (٢) و فى الفوات (ج ٢ ص ١٩٢) وهامشه خلاف ذلك فراجعه (٣) توفى سنة ٦١٦ ـ ك .

الى ان انقضت الدولة الناصرية و ملك التتر حلب فأمروه بالاستمرار
فى تنفيذ الاشغال و هو متمرض فباشر على كره منه و توفى عقيب ذلك
فى احد الربيعين بحلب و كان من الصدور الرؤساء الفضلاء الاعيان
رحمه الله .

ابراهيم بن ابى بكر بن ابى زكرى الامير مجير الدين كان من
اعيان الامراء الأكابر كثير الخير و الدين و المعروف عظيم القدر
جوادا شجاعا ممدحا من بيت كبير فى الاكراد خدم الملك الصالح
نجم الدين و هو بالشرق و قدم معه الى الشام و اعتقله الملك الصالح
عماد الدين اسماعيل لما امسك الملك الصالح نجم الدين و اعتقل بالكرك
ثم افرج عنه فكان فى خدمة الملك الصالح نجم الدين بالديار المصرية
و غيرها الى ان توفى و قتل ولده الملك المعظم ثم اتصل بخدمة الملك
الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله و حج بالناس من دمشق سنة
ثلاث و خمسين و فعل من البر و المعروف و الانفاق فى سبيل الله تعالى
فى تلك الحجة ما هو مشهور و مذكور، و لما ضرب البحرية و عسكر الملك
المغيث فتح الدين عمر صاحب الكرك المصافّ مع بعض عسكر الملك
الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله امسكوه و امسكوا معه الامير
نور الدين على بن الشجاع الاكتع فاعتقلا بالكرك مدة ثم افرج عنهما
٦/ الف عند ما تقرر الصلح بين الملك الناصر و الملك المغيث و جعله الملك الناصر
بعد ذلك بنابلس و امر تلك الناحية و ما حولها من البلاد عائد اليه، ثم
جعل عنده قطعة من العسكر بنابلس منهم الامير نور الدين على بن

الشجاع الاكتع عند ما رحل الملك الناصر رحمه الله عنها الى غزة فى هذه السنة فقدم عليه جمع عظيم من التتر فهجموا نابلس فتلقاهم بوجهه وقاتلهم قتالا شديدا وقتل منهم بيده جماعة كثيرة وانكى فيهم نكاية عظيمة واستشهد رحمه الله تعالى مقبلا غير مدبر وكذلك استشهد معه الامير نورالدين على بن الشجاع الاكتع وكان بينهما اشتراك فى الكردية والإمرة وخدمة الملك الناصر والدين والفضيلة والكرم والشجاعة وأمسكا جميعا واعتقلا بالكرك وافرج عنهما معا وجرّدا فى نابلس واستشهدا فى يوم واحد وكان بينهما مصافاة واتحاد جمع الله بينهما فى الفردوس الأعلى وتغمدهما برحمته ورضوانه.

وكان الامير مجير الدين من حسنات (١) الدهر وعلى ذهنه جملة كثيرة من الشعر وعنده فضيلة حسن المحاضرة والمذاكرة كريم العشرة كثير الادب يصل بره الى الفقراء والاغنياء، قال القاضى جمال الدين بن واصل (٢) انشدنى فى الديار المصرية مقطعات حسنة لبعض الشعراء فمنها:

دنف نأى عن من يحب فشاقه اطلاله سحرا على اطلاله

سأل الحمى عنه وأصغى للصدى كيما يجيب فقال مثل مقاله

ناداه اين ترى محطّ رحاله فاجاب اين ترى محطّ رحاله

قلت انشدنى الفقيه نجم الدين (٣) موسى بن ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم الشقراوى للامير مجير الدين ابراهيم المذكور رحمه الله:

(١) الاصل «جنات» خطأ (٢) هو ابو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل توفى سنة ٦٩٧ ـ ك (٣) توفى سنة ٧٠٢ الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٣٧١) ـ ك.

جعل العتاب الى الصدود سبيلا لما رأى سقمي عليه دليلا
و ظللت اورده حديث مدامعي عن شرح جفني مسندا منقولا

من ابيات و انشدني نجم الدين للامير مجير الدين المذكور رحمه الله :

قضى البارق النجدى فى حالة اللمح بفيض دموعى اذ تراءى على السفح

و منها :

٦/ب ذبحت الكرى مابين جفنى و ناظرى فمحمرّ دمعى الآن من ذلك الذبح

من ابيات وكان مقتله رحمه الله فى احد الربيعين من هذه السنة بنابلس شهيدا على ايدى التتر .

احمد بن يحي بن هبة الله بن الحسن بن يحي بن محمد بن على بن يحي ابن صدقة بن الخياط ابو العباس صدر الدين التغلبى الد مشقى الشافعى قاضى القضاة بدمشق و اعمالها المعروف بابن سنى الدولة و سنى الدولة هو الحسن ابن يحي الكاتب كان كاتب درج لملك دمشق فى ذلك الوقت و له نعمة ظاهرة و قف من عرضها اوقافا على ذريته و هى مشهورة بدمشق و اعمالها بيد اربابها الى الآن و تاريخ وقفه الاوقاف المذكورة فى العشر الاول من شهر ربيع الاول سنة ثمان و عشرين و خمسمائة ، و الشاعر المشهور المعروف بابن الخياط (١) وهو ابوعبدالله احمد بن محمد بن على بن يحي ابن صدقة التغلبى هوعم سنى الدولة اخو والده كان كاتبا شاعرا طاف

(١) بلانقط فى الاصل ذكر ابن خلكان فى ترجمة ابن حيوس ان الشاعر المعروف بابن الخياط هو ابو عبد الله احمد بن محمد و انه وصل حلب سنة ٤٧٢ فلقى ابن حيوس ، و توفى ابن الخياط سنة ٥١٧ له ترجمة فى الوفيات (ج ١ ص ١٥ –) ك .

البلاد

البلاد و امتدح الناس و دخل بلاد العجم و لما اجتمع بأبي الفتيان بن حيوس الشاعر المشهور بحلب و عرض عليه شعره قال قد نعانى هذا الشاب الى نفسى فقلّما نشأ ذو صناعة و مهر فيها الآ وكان دليلا على موت الشيخ من ابناء جنسه و دخل مرة حلب و هو رقيق الحال فكتب الى ابن حيوس المذكور :

لم يبق عندى ما يباع بحبة   وكفاك منّى (١) منظرى عن مخبرى

الا بقيـة ماء وجـه صنتها   عن ان تباع و اين اين المشترى

فلما و قف عليهما ابن حيوس قال لو قال و انت نعم المشترى لكان احسن و ديوانه مشهور، و من مشهور شعره قوله :

خذا من صبا نجـد أمانا لقلبه   فقـد كاد ريّاها يطـير بلبه

و اياكما ذاك النسيم فانـه   اذا هبّ كان الوجد ايسر خطبه

خليلى لو احببتما (٢) لعلمتما   محل الهوى من مغرم القلب صبّه

تذكّر والذكرى تشوق وذوالهوى   يتوق و من يعلق به الحبّ يُصبه

غرام على يأس الهوى و رجائه   و شوق على بعد المزار و قربه   ٧/الف

وفى الركب مطوىّ الضلوع على جوىً   متى يدعه داعى الغرام يُلبِّـه

اذا خطرت من جانب الرمل نفحة   تضمن منها داؤه دون صحبـه

و محتجب بين الأسنة معرض   و فى القلب من اعراضه مثل حجبه

أغارُ اذا آنستُ فى الحىّ أنـةً   حذارا و خوفا ان تكون لحبّه

و هى طويلة و من شعره ايضا :

---

(١) الوفيات (ج ١ ص ١٢٨) «عنا» (٢) كذا فى الوفيات و فى الاصل «احببتما» خطأ.

سلوا سيف الحاظه الممتَشق أعند القلوب دم للحدق
اما من معين ولا عاذر اذا عنّف الشوق يوما رفق
تجلّى لنا صارم المقلتين مضنى الموشّح والمنتطق
من الترك ما سهمه اذ رمى بأفتك من طرفه اذ رمق
وليلةَ وافيته زائرا سمير السهاد ضجيع القلق
دعتنى المخافة من فتكه اليه وكم مقدمٍ من فرق
وقد راضت الكأس اخلاقه ووقر بالسكر منه النزق
وحق العناق فقبلته شهى المقبل والمعتنق
وبت اخالج فكرى به أزورٌ طرا ام خيال طرق
افكر فى الهجر كيف انقضى واعجب للوصل كيف اتفق
وللحب ما عزمنى وهان وللحسن ما جلّ منه ودق

وقال يعتب على اهله واصحابه :

يا من بمجتمع الشطين ان عصفت بكم رياحى فقد قدمت أعذارى
لا تنكُرنّ رحيلى عن دياركم ليس الكريم على ضيم بصبّار

وله ايضا :

أتظننى لا استطيع احيل عنك الدهر ودّى
من ظن ان لا بد منه فان منه الف بدِّ

وله من جملة قصيدة :

وبالجزع حىٌّ كلما عنّ ذكرهم امات الهوى منى فؤادا واحياه
٧/ب تمنيتهم بالرقتين ودارُهم بوادى الغضا يا بعد ما أتمناه

 كانت

كانت ولادته سنة خمسين واربعمائة بدمشق وتوفى بها فى
حادى عشر شهر رمضان المعظم سنة سبع عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى
وقيل مات سابع عشر شهر رمضان ومولد القاضى صدر الدين سنة
تسع وثمانين وخمسمائة وقيل تسعين وخمسمائة سمع من ابى طاهر بركات
بن ابراهيم الخشوعى (١) وابن طبرزد (٢) وحنبل وابى المعالى محمد بن
على القرشى وابى اليمن زيد بن الحسن الكندى وابى الفضل عبدالصمد
ابن محمد الحرستانى (٣) وغيرهم واجازله جماعة كثيرة من بلاد عديدة
وحدث ودرس فى عدة مدارس وافتى وكان فقيها اماما عالما عارفا
بالمذهب مشكور السيرة فى ولاياته لين الجانب دمث الاخلاق كثير
المداراة والصفح والاحتمال تنقلت به الاحوال فولى وكالة بيت المال
بدمشق ثم ناب فى الحكم بها مدة ثم ولى القضاء بها وباعمالها استقلالا
لما فتح عماد الدين بن شيخ الشيوخ دمشق للملك الصالح نجم الدين (٤)
ولم ينتقد عليه فى حكم من احكامه فى جميع ولاياته ولم يزل مستمرا
فى الحكم الى حيث انقضت الدولة الناصرية ففوض هولاكو الحكم
بالشام وغيره الى القاضى كمال الدين التفليسى (٥) رحمه الله وكان
ينوب عن قاضى القضاة صدر الدين المذكور بدمشق فتوجه صدر الدين

(١) توفى سنة ٥٩٨ ـ ك (٢) توفى سنة ٦٠٩ هو عمر بن محمد ابن معمر ـ ك
(٣) توفى سنة ٦١٤ ـ ك (٤) سنة ٦٢٦ عماد الدين هو عمر بن محمد بن عمر بن على
الجوينى احد الاخوة الاربعة القواد ـ ك (٥) هو عمر بن بندار بن عمر توفى
سنة ٦٧٢ ـ ك .

صحبة القاضى محى الدين ابى الفضل يحيى بن الزكى (١) الى هو لاكو واجتمعوا به ففوض هولاكو القضاء بالشام الى القاضى محى الدين وعاد القاضى صدر الدين صحبته على غير شىء من الولايات فلما وصل حماة تمرض فركب فى محفة ووصل الى بعلبك وهو مثقل بالمرض فأنزلته فى منزلى لقرابة كانت بينه وبين والدى فانه ابن عمها وابن خالتها وزوج اختها فبقى يومين فى منزلى وتوفى الى رحمة الله تعالى وحضر والدى رحمه الله غسله فغسله الشيخ زكى الدين ابراهيم بن المعرى وصلى عليه والدى ودفن بالقرب من ضريح الشيخ عبد الله اليونينى الكبير قدس الله روحه قبلىّ مدينة بعلبك وكانت وفاته يوم الاحد ٨/الف عاشرجمادى الآخرة وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف يحبه ويثنى عليه كثيرا وكذلك الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن الملك العادل يثنى على والده قاضى القضاة شمس الدين ابى البركات يحيى (٢) لما كان متوليا القضاء بالشام فى ايامه ويقول عنه ما ولى دمشق مثله رحمهم الله اجمعين .

الملك السعيد نجم الدين ايل غازى بن الملك المنصور ناصرالدين ابى المظفر ارتق ارسلان بن نجم الدين ايل غازى بن البى بن تمرتاش ابن ايل غازى بن ارتق ابوالفتح صاحب ماردين كان ملكا جليلا كبير المقدار شجاعا جوادا حازما ممدحا وتوفى فى ذى الحجة من هذه السنة

(١) هو يحيى بن محمد بن على بن ابى المعالى توفى سنة ٦٦٨ ـ ك (٢) مات سنة ٦٣٥ ـ ك .

وقيل فى سادس عشر صفر سنة تسع وخمسين والاول اصح وسبب موته وباء وقع فى اهل القلعة فاهلك اكثرهم ووصل الخبر الى التتر بموته من رجل يسمى احمد بن الفارس على الشافصى (١) رمى بنفسه من القلعة اليهم فبعثوا الى ولـده الملك المظفر رسولا وطلبوا منه الدخول فى الطاعة وكان قد قام مقام ابيه فاجابهم جوابا ارضاهم واظهر لهم الدخول فى طاعتهم والعمل على مداراتهم .

توران شاه بن يوسف بن ايوب بن شاذى ابوالمفاخر وقيل ابومنصور فخر الدين الملك المعظم بن السلطان الكبير الملك الناصر صلاح الدين ابى المظفر رحمه الله وقد تكرر ذكره فى مواضع من هذا الكتاب وكان قد بقى كبير البيت الأيوبى وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله يعظمه ويحترمه ويثق بـه ويسكن اليه كثيرا لعلمه بسلامة جانبه وانه لا تحدثه نفسه بالتوثب عليه فكان عنده فى اعلى المنازل يتصرف فى قلاعه وخزائنه وعساكره وغلمانه ، ولما استولى التتر على مدينة حلب اعتصم بقلعتها ثم نزل منها بالأمان على ما شرحنا ومولده بالديار المصرية فى شهر ربيع الاول سنة سبع وسبعين وخمسمائة سمع من ابى عبد الله محمد بن على بن صدقة الحرانى (٢) وغيره وحدث وخرج له الحافظ ابومحمد التونى مشيخة فى جزء حديثى وكانت وفاته بحلب فى السابع والعشرين من ربيع الاول ودفن بدهليز داره رحمه الله تعالى .

---

(١) بفتح الفاء وسكون الصاد ـ ك (٢) توفى سنة ٥٨٤ ـ ك .

٨/ب الحسن بن عثمان بن ابى بكر محمد بن ايوب بن شاذى الملك السعيد بن الملك العزيز بن الملك العادل كان والده الملك العزيز عماد الدين عثمان قد توفى فى سنة ثلاثين و ستمائة و ملك بانياس و الصبيبة و مامعها مما كان بيده من البلاد ولده (١) الملك الظاهر فلم تطل مدته و توفى بعد اشهر يسيرة دون السنة فملك بلاده اخوه الملك السعيد حسن المذكور ولم تزل فى يده الى ان ملك الملك الصالح نجم الدين الديار المصرية و الشام فانتزعها من يده و اعطاه خبزا بالديار المصرية و بقى فى خدمته الى ان مات و ملك ولده الملك المعظم و قتل على ماهو مشهور فلا حاجة الى شرحه فعند ذالك هرب الملك السعيد الى غزة و اخذ ما فيها من المال و قصد قلعة الصبيبة فسلمها اليه نواب الملك الصالح نجم الدين فملكها و لما وصل الخبر بذلك الى القاهرة احتيط على داره بها و ما فيها من الاثاث الذى لم يمكنه استصحابه معه فلما ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف الشام اخذ منه الصبيبة و جرت منه اسباب اوجبت اعتقاله فى بعض القلاع ثم نقله الى قلعة البيرة فلما ملكها التتر فى هذه السنة اخرجوه من الاعتقال و حضر عند هولاكو بقيده فرق له و افرج عنه و خلع عليه قباء زربفت (٢) و سراقوج (٣) ، و من عادة التتر انهم اذا خلعوا سراقوج على احد من غيرهم يلبسه يومه ثم يقلعه و يلبس العمامة فامتنع الملك السعيد من قلعه و لزم لبسه دائما و مال اليهم بظاهره و باطنه

(١) كذا فى الاصل و لعله من بلاد والده (٢) كلمة فارسية معناها نسيج الذهب ـ ك (٣) السراقوج قبعة مغلية ـ ك .

وكان يقع فى الملك الناصر صلاح الدين يوسف عندهم ويحرّضهم عليه وعلى استئصال شأفته فأمر هولاكو لكتبغا نوين باستصحابه معـه الى الشام و تسليم بلاده اليه فاستصحبه معه و سلم اليه بلاده و بقى مع كتبغا (١) لايفارقه و شهد معه سائر وقائعه وحصاراته فى هذه السنة و رأيته معه ظاهر بعلبك وعليه السراقوج وحضر معه المصاف بعين جالوت و قاتل قتالا شديدا وكان شجاعا مقداما، فلما منّ الله تعالى بنصرة الاسلام ٩ / الف احضر بين يدى الملك المظفر سيف الدين قطز رحمه الله فامربه فضربت رقبته صبرا بين يديه ولم يقله عثاره واخذت بلاده وحواصله، وكان قتله يوم المصاف بعين جالوت وهو نهار الجمعة خامس عشرى شهر رمضان المعظم اوثانى يوم المصاف .

الحسين بن على بن القاسم بن على بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله ابن الحسين ابوحامد الدمشقى الشافعى المعروف بابن عساكر الملقب بالحافظ ومولده فى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الاولى سنة عشر وستمائة بدمشق وسمّعه ابوه الكثير من جماعة كثيرة واستجاز له فى رحلته الى العجم الجم الغفير وحدث بدمشق ومصر وابوه سمع الكثير ببلده ورحل الى بلاد عديدة وحصل كثيرا وكان فاضلا حافظا وتوفى ولم يبلغ الاربعين وجدّه القاسم سمع الكثير وحدث به وكان حافظا مشهورا، وله تخاريج وجموع وجدّ ابيه علىّ احد الائمة المشهورين صاحب

(١) لعله كتبغا نوين المتقدم و كتبغا هو الملك العادل .... المغلى وفيات (ج ٢ ص ٢٨٢) .

التصانيف والفوائد من جملتها تاريخ دمشق الذى لم يسبق الى مثله وله الرحلة الواسعة والتصانيف النافعة وكانت وفاة ابى حامد المذكور فى شهر شعبان من هذه السنة بنابلس وهو متوجه من مصر الى دمشق رحمه الله .

رسلان شاه بن داود بن يوسف بن ايوب بن شاذى الامير اسد الدين كان جميل الاوصاف حسن الشكل شجاعا كريما واسع الصدر عالى الهمة ووالده الملك الزاهر مجير الدين داود كان صاحب البيرة وجدّه السلطان الملك الناصر صلاح الدين الكبير رحمه الله واستشهد الامير اسد الدين المذكور بايدى التتر فى ثانى صفر من هذه السنة ببواشير حلب رحمه الله تعالى ، وكان والده الملك الزاهر مجيرالدين داود يحب الفضلاء واهل العلم ويقصدونه من البلاد ولما ولد بالقاهرة لسبع بقين من ذى القعدة او ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة كان والده السلطان صلاح الدين رحمه الله بالشام وكان الثانى عشر من اولاده فكتب اليه ٩/ب القاضى الفاضل رحمه الله رسالة يبشره بولادته من جملتها ، وهذا المولود المبارك هو الموفى لاثنى عشر ولدا بل لاثنى عشر نجما متّقدا فقد زاد الله سبحانه فى انجمه عن انجم يوسف عليه السلام نجما ورآهم المولى يقظة ورأى تلك الانجم حلما ورآهم المولى ساجدين له ورأينا الخلق لهم سجودا ، وهو تعالى قادر ان يزيد فى حدود المولى الى ان يراهم آباءً وجدودا .

وحكى عن الملك الزاهر جماعة انه كان يقول من اراد ان يبصر صلاح الدين فليبصرنى فانا اشبه اولاده به وكان الزاهر شقيق الملك

الظاهر صاحب حلب رحمه الله و توفى بالبيرة فى ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين و ثلاثين و ستمائة و لما وصل نعيه الى حلب توجه(١) الملك العزيز ابن الملك الظاهر الى قلعة البيرة و ملكها :

عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن ابن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين بن على بن ابى طالب شرف الدين الكرابيسى الحلبي الشافعى المعروف بابن العجمى سمع من ابن طبرزد و غيره وكان من الرؤساء المشهورين معروف بجلالة القدر و مكارم الاخلاق و له بر ومعروف و انشأ بحلب مدرسة حسنة و وقف عليها وقفا جيدا و دفن بها لما مات وكانت وفاته فى الرابع و العشرين من صفر بعد وقعة التتر ، قال قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه الله لما هجم التتر حلب عذبوه فى الشتاء بان صبوا عليه الماء البارد ليدفع لهم المال فتشنج و اقام اياما ثم مات رحمه الله ، وكان يدرس بالمدرسة الظاهرية خارج حلب و مولده فى سنة تسع و ستين و خمسمائة بحلب و بيته مشهور بالتقدم و الجلالة و السنة و العلم و الحديث رحمه الله .

عبد العزيز بن عبد القوى بن عبد العزيز بن الحسين (٢) بن عبد الله ابو المعالى محى الدين ابن القاضى الاسعد ابى البركات بن القاضى الجليس ابى المعالى التميمى السعدى الأغلبى المصرى المعروف بابن الحبّاب مولده ١٠ / الف سلخ شهر رمضان سنة خمس و تسعين و خمسمائة سمع من جماعة من

---

(١) حاشية الاصل « وفاة نور؟ الدين الشهيد رحمه الله يوم الاربعاء حادى عشر شوال سنة شسط » ـ ك (٢) البداية (ج ١٢ ص ٢٥١) « الحسن » .

الشيوخ وكتب بخطه وحصل جملة من الكتب وحدث وكانت وفاته فى تاسع عشر ذى القعدة بمنية ابن خصيب(٢) من صعيد مصر رحمه الله وبيته مشهور بالرياسة والتقدم .

عبد الله بن بركات بن ابراهيم بن طاهر بن بركات بن ابراهيم ابن على بن محمد بن احمد ابن العباس بن هاشم ابو محمد القرشى الدمشقى المعروف بابن الخشوعى سمع جماعة وحدث هو وابوه وجدّه وجدّ ابيه وهو من بيت الحديث والرواية وابوه ابو طاهر بركات ابن ابراهيم احد مشايخ الشام وعنه يروى معظم المحدثين والطلبة وكان عالى السند رحمه الله وكانت وفاة ابى محمد عبد الله المذكور بدمشق فى الثامن والعشرين من صفر رحمه الله .

عثمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر بن أبى عصرون ابو عمرو شرف الدين التميمى الدمشقى الشافعى مولده بدمشق فى ثامن عشر ذى الحجة سنة احدى وثمانين وخمسمائة كان رئيسا جوادا كبير الهمة مفرط الكرم يستقل الكثير فى العطاء وانفق من الاموال جملا عظيمة طائلة وتوفى وهو فقير من فقراء المسلمين لم يخلف الّا ما قام بمؤونة تجهيزه ودفنه وهو مركوبه وثياب بدنه لا غير ، وكانت وفاته فى العشر الاول من صفر هذه السنة وهو فى عشر الثمانين ولما حضر نعشه الى جامع دمشق للصلاة عليه وضع شمالىّ مقصورة الخطابة واتفق

(١) فى معجم البلدان لياقوت « منية ابى الخصيب بالضم ثم السكون ثم ياء مفتوحة» .

فى

فى ذلك الوقت حضور نواب التتر الى الجامع لقراءة الفرامـين (١) الواردة من هولاكو المتضمنة الأمان لأهل دمشق فقرئت و جنازته موضوعة ثم صلى عليه و دفن رحمه الله سمع من أبى الفضل محمد بن يوسف الغزنوى (٢) و غيره واجازله جماعة من الشيوخ البغداديين وحدث ويحكى عنه فى تكرمه و سعة صدره غرائب من جملتها انه توجه الى الديار المصرية مرة و معه هدية جليلة نفيسة لأولاد شيخ الشيوخ ١٠ / ب و لغيرهم وكان بينه وبين اولاد شيخ الشيوخ قرابة فان والدتهم ابنة عمه فلما سير للامير فخر الدين نصيبه من الهدية استعظمها و قال بما نقابل هذا الرجل و اتفق حضور سكر مكرر غال عمل للامير فخر الدين بالقصد من بعض الاماكن الجارية فى اقطاعه فسير له منه حمـلا و قال هذا يشربوه غلمان الشيخ شرف الدين فلما جاءه السكر عمله جميعه حلوى منوعة وكان فى خدمته حلاوى من الشام ماهر فى صناعته و سير الحلوى للامير فخر الدين فلما أكل منها اعجبته اعجابا كثيرا و رأى لها طعما غريبا لم يعهد فى غيرها فأحضر الحلاوى الذى فى مطبخ نفسه و اطعمه من تلك الحلوى ورام منه ان يعمل مثلها فقال ما ادرى ما هذه و لا اعرف كيف عملت ثم سأل لمن ساعد حلاوى شرف الدين على عملها عن كيفيتها فذكر انها ليست بشيرج وانما هى بدهن لوز استخرج و طبخت به مع كثرة الفستق و المسك وغيره ولعلها ارادت (٣) ارادب عدة

(١) جمع فرمان كلمة فارسية بمعنى المنشور الرسمى ـ ك (٢) توفى سنة ٥٩٩ ـ ك
(٣) لعله ازدردت .

قلب لوز فأخبر الحلاوىّ الامـــير فخر الدين بذلك فاستهالها وقال هذا جنون .

وحكى لى العماد مظفر ابن سنى الدولة رحمه الله ما معناه قال خرجت معه الى عيون الفاسريا (١) فى زمن البطيخ وكانت له فتقدم الى اصحاب المقاث ان يجمعوها ثم جمعوها فجاءت شيئا كثيرا فأمر ان ينقى الفجل الجيد الذى فى المجموع فجاء قريب اربعمائة حمل فكتب ورقة بتفرقة ذلك جميعه على الأعيان والمعارف بدمشق وقال لى تركب وتروح الى الدار تستدعى بالغلمان وتقف ظاهر البلد ومعك الورقة وتسير لكل انسان ما عين باسمه فقلت يامولانا هذا يساوى اكثر من سبعة آلاف درهم فقال واذا اطعمنا اصحابنا بطيخ بسبعة آلاف درهم ماهو كثير ففعلت ما قال ثم ان شرف الدين المذكور اباع عيون الفاسريا (٢) وانفق ثمنها وكان يدعى النظر على الاوقاف النورية بحلب وحماة وحمص وبعلبك وغيرها وقد اثبت مال ذلك اليه فقال بعض الناس من يبيع العيون مايستحق النظر .

حكى لى الجمال نصر الله رحمه الله وكان فى خدمته ما معناه قال خلف له والده من الاموال والاثاث والقماش والخيول والبغال والجمال والمماليك والجوارى والخدام ما لايحصى كثرة ومن الاملاك كذلك الف / ١١

(١) كذا بلا نقط للياء وفى النجوم (ج ٩ ص ١٠٥) « الفارسنا » وعلق عليه « كذا فى الاصلين وفى المنهل الصافى « الفارسيا » وفى فوات الوفيات « بعيون الفاسها » وكذا فيما يأتى (٢) تقدم آنفا .

وخلف له سطل بلور اكبر من المدّ الشامى له طوق ذهب وعلاقة ذهب وهو ملآن جواهر نفيسة لو وضع عليها حبة واحدة سقطت فاذهب الجميع بيعا وهبة وكان فى آخر عمره قد نفد ما معه من المال والاملاك وغيرها ولم يبق له الّا ما يتناوله على سبيل النظر من الاوقاف النورية ومع هذا فنفسه وسعة صدره على ما يعهد منه لم يغيره الاقلال وخلف من الورثة ولدين احدهما يقال له كمال الدين محمد ويلقب الجنيد ومولده فى رابع عشر صفر سنة اثنتين وستمائة وكان شيخا فى حياة والده وكان والده كثير الانحراف عنه لا يلم به ويسمّيه الولد العاق وكان الكمال المذكور يسمى والده الشيخ الضال وبلغ ذلك الصاحب شرف الدين عبد العزيز (١) رحمه الله وزير حماة فقال على سبيل المداعبة كلاهما صادق واتفق ان كمال الدين اثبت بعد وفاة والده انه اسند النظر اليه فى الاوقاف النورية وغيرها وتحدث فى ذلك ثم ادعى انه اطلع على مطالب مدفونة بالديار المصرية واتصل ذلك بالملك الظاهر ركن الدين بيبرس رحمه الله فطلبه على البريد فلما وصل ذكر انها فى اماكن يحتاج فى استخراجها الى خراب آدر عظيمة وبنايات كثيرة فعزم الملك الظاهر على خراب ذلك لما ابداه له الكمال من عظم المال المدفون وجلالة قدره وشرع فى ذلك فعُدم الكمال عند الشروع فيه ولم يطلع له على خبر فيقال على سبيل الحدس ان بعض ارباب تلك الاملاك عمل على اغتياله والله اعلم .

---

(١) هو ابن محمد بن عبدالمحسن توفى سنة ٦٦٢ ـ ك .

وكان فقده وانقطاع خبره فى اواخر سنة ستين وستمائة وخلف ابنة واحدة كانت زوجة تاج الدين عبد القادر بن السنجارى الحنفى(١) وله منها اولاد فأثبت ان كمال الدين كان اسند اليه النظر فى الاوقاف النورية وغيرها وباشر التناول منها من ذلك الوقت واما ولد شرف الدين الصغير كان يلقب شمس الدين وكان يشهد فى مركز العصرونية وتوفى الى رحمة الله تعالى وخلف ولدا ذكرا وهو الآن فى حدود العشرين سنة عند كتابة هذه الأسطر وذلك فى سنة تسعين وستمائة . ١١ / ب

علىّ بن (٢) يوسف بن محمد بن عبد الله بن شيبان بن الحسن بن عامر بن عبد الله ابو الحسن جلال الدين النميرى الماردينى المعروف بابن الصفار ولد بماردين سنة خمس وسبعين وخمسمائة كان شاعرا مجيدا وله معرفة بالعربية ويستعمل المعانى الغريبة ومن شعره :

تعشقته (٣) زاهىّ حسن فما له ... اتى بكتاب ضمنه سورة النمل

ومالى والمجنون (٤) فيه وشعره ... اذا مرّ بالكثبان خطّ على الرمل

وله فى غريق :

يا ايها الرشأ المكحول ناظره ... بالسحر حسبك قد احرقت احشائى

ان انغماسك فى التيار حقق انّ الشمس تغرب فى عين من الماء

وله فى المغنى :

(١) هو ابن محمد بن ابى الكرم توفى سنة ٦٩٦ - ك (٢) نقل هذه الترجمة صاحب فوات الوفيات (٢/٢٢١) باختلاف - ك (٣) كذا فى الفوات وفى الاصل « تعلقته ى حسن » (٤) كذا فى الفوات وفى الاصل « ومالى انا »

غريق كأن الموت رق لحسنه فلان له فى صفحة الماء جانبه
ابى الله ان يسلوه قلبي فانـه توفاه فى الماء الذى انا شاربه

و له :

واعجب شيء أن ريقك ماؤه يولد درّا وهو عذب مروّق
وانك صاحٍ وهو فى فيك مسكر وانت جديد الحسن وهو معتق

و له فى فهد :

و مشتهر بالفتك يوم اكتسابه على ظفره اثر الدماء و نابـه
كأن مهاة الفلك لما انتهى به مداه الى سرب المها وانتهابه
رمته بشهب الجوّ خوف انتقابه فاطفأها فى عسجد من إهابـه

و له [فى فحم يوقد] (١) :

كأن وقيد الفحم خوف شراره اذا النار مست (٢) جرمه فتلونا
تذكر ايام الشباب (٣) الذى جرى (٤) بمنبتـه لما ترنّح اغصنا
فأزهر منه الآبنوس بنفسجا واثمر عنّابا واورق سوسنا

و له من ابيات :

فمتى تقوم قيامتى بوصاله ويضم شملينا معاد شامل ١٢/ الف
واكون من اهل الخطايا خدّه نارى و صدغاه (٥) علىّ سلاسل

و له فى مليح اسمه اسماعيل :

لحاظك اسماعيل فى القلب اسهم فلا مفصل الا وفيها له (٦) فعل

(١) من ايا صوفيا ص ٤١٨ (٢) فى الاصل «صبت» خطأ (٣) فى الاصل «السحاب» خطأ (٤) ايا صوفيا « مضى » (٥) الاصل « ضدعاه » خطأ (٦) لعله وفيه لها .

وكيف يرجى البرء من سيف لحظه وشيعته قد حلّ عندهم القتل

و له فى قصر النهار :

ويوم حواشيه ملمومة علينا تُحاذر ان تفرجا

قصصت غزالته والتفـ ـتّ اريد اختها فاحتمت بالدجى

و له :

اذا هبّ النسيم بطيب نشر طربت وقلت : ايه يا رسول

سوى انى اغار لأن فيه شذاك وانه مثلى عليل

و له :

افدى الخيال الذى اسرى على وجل فصادف الحرب بين النوم والمقل

يلقى الرقاد على الاجفان كلكله فيلتقيه من الاهداب بالاسل

عوامل من جفونى ربما قطرت دما فهل احدثت فى النوم من عمل

مازال يخطر بين العسكرين الى ان خالط القلب فعل الفارس البطل

وراح بالسبى من يريهما غزلا محال بين نشاط الجفن والكسل (١)

ومرسل صدغه فى جاهليتنا مؤيد دعوة الاوثان بالرسل

سنّ الهوى حسنه للناس فاتبعوا ما سنّ وانتقلوا عن سنة العذل

حتى اذا اخضرّ من ماء الشباب عذا راه كما احمرّ خداه من الخجل

خافت زمرد خطيه ذؤابته فاستخبأت خلفه فهى ابنة الجبل

و قال :

من لم يكن ناسيا هوى ذاكره ما ينكر أن يصد عن عاذره

(١) كذا .

فى

في الصد (١) اشارة له تخبرني من حالى انى عــلى خاطره

و قال :

اسرار هواك كلها فى ظى منك انكشفت الى الورى لامنّ
ما فهت بذكرهــا ولكن فطنوا من حيث تصدون (٢) غيرى عى ١٢ / ب

و ذكر قاضى القضاة شمس الدين (٣) رحمه الله صاحب (٤) هذه الترجمة فى بعض مجاميعه و ســاق نسبه كما ذكر وقال هو من بنى كلاز بن خليد بن عبد الله بن نمير بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان نشأ بماردين و حفظ القران الكريم و نظر فى علم العربية وكتب الانشاء للملك المنصور ناصر الدين ابن ارتق صاحب ماردين ثم عزل عن الكتابة و تولى الاشراف بديوان دنيسر ثمانى عشرة سنة و هو شاعر فى فنه بارع له المعانى الغريبة و الالفاظ الرائقة ووصل الى إربل فى اواخر ذى الحجه سنة سبــع و عشرين و ستمائة مرتزقا قلت و من شعره :

بعى بأغلى ثمن نظرة احيا بها يا طلعة المشترى
امن هلال انت يا وجهه الـ ــبادى بهذا المنظر المقمر

وكانت وفاته فى شهر ربيع الآخر هذه السنة و قيل فى رجب منها فى سابع عشره قتله التتر لما دخلوا ماردين رحمه الله .

عمر بن احمد اوحد الدين الدوينى قاضى منبج كان من العلمــاء

---

(١) فى الاصل «فى الصدا»(٢) الاصل « تصدودون»خطأ (٣) اى ابن خلكــان
(٤) الاصل « لصاحب » .

الفضلاء الأعيان المتبحرين فى العلوم و اشتغل عليه جماعة كثيرة و انتفعوا به وكانت وفاته بحلب عقيب اخذ التتر لها فى العشر الاوسط من صفر هذه السنة و هو فى عشر التسعين رحمه الله تعالى .

عيسى بن موسى بن ابى بكر خضر بن ابراهيم بن احمد بن يوسف ابن جعفر بن عرفة بن المأمون بن المؤمل بن قاسم بن الوليد بن عتبة ابن ابى سفيان الامير شهاب الدين بن شيخ الاسلام القرشى الاموى الهكارى درس بدمشق مدة بالمدرسة الجاروخية وكان عالما فاضلا شجاعا صالحا متزهدا متدينا حدث بفوائد جمة و جدّه ابو بكر هو ابن اخى شيخ الاسلام و كانت وفاة الامير شهاب الدين المذكور فى ليلة الثامن و العشرين من جمادى الاولى بقرافة مصر الصغرى و دفن بها من الغد رحمه الله .

١٣/ الف   قطز بن عبد الله الملك المظفر سيف الدين رحمه الله كان اخص مماليك الملك المعز عزالدين ايبك التركمانى رحمه الله بـه و اقربهم اليه و اوثقهم عنده و هو الذى قتل (١) الامير فارس الدين اقطاى الجدار و كان الملك المظفر بطلا شجاعا مقداما حازما حسن التدبير ولم يكن يوصف بكرم ولاشحّ بل كان متوسطا فى ذلك و قد ذكرنا استيلاءه على السلطنة يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة سبع و خمسين و ستمائة فلك سنة واحدة و خروجه للقاء التتر و هو اول من اجترأ (٢) عليهم بعد علاء الدين خوارزم شاه و ضرب معهم مصافّا فكسرهم كسرة عظيمة

(١) قتله سنة ٦٥٢ – ك (٢) الاصل « اجتبر » .

مشهورة جبر بها الاسلام فرحمه الله و رضى عنه .

ومماحكى عنه انه قتل جواده فى يوم المصاف بعين جالوت ولم يصادف فى تلك الساعة احدا من وشاقيته الذين معهم جنائبه فبقى راجلا و رآه بعض الامراء الأكابر الشجعان المشهورين فترجل من حصانه وقدمه له ليركبه فامتنع و قال مامعناه ما كنت لآخذ حصانك فى هذا الوقت و امنع المسلمين الانتفاع بك و اعرضك للقتل و حلف عليه ان يركب فرسه فامتثل امره و وافاه الوشاقية بالجنائب فركب فلامه بعض خواصه على ذلك و قال يا خوند لوصادفك و العياذ بالله بعض المغل و انت راجل كنت رحت و راح الاسلام فقال اما انا فكنت اروح الى الجنة ان شاءالله و اما الاسلام فما كان الله ليضيعه فقد مات الملك الصالح و قتل الملك المعظم و الامير فخر الدين بن الشيخ مقدم العساكر و نصرالله الاسلام بعد اليأس من نصره يشير الى نوبة المنصورة و القصة معروفة لاتحتاج الى شرح، و لما قدم دمشق بعد الكسرة اجرى الناس كافة على ما كانوا عليه الى آخر الايام الناصرية فى رواتبهم و اطلاقاتهم و جميع اسبابهم و لم يتعرض لمال احد و لا الى ملكه ثم توجه بعد تقرير قواعد الشام و ترتيب احواله على اجمل نظام الى جهة الديار المصرية كما ذكرنا، فرزقه الله الشهادة فقتل مظلوما بالقرب من القصير و هى المنزلة التى بقرب ١٣ / ب الصالحية من منازل الرمل و بقى ملقى بالعراء فدفنه بعض من كان فى خدمته بالقصير المذكور فكان قبره يقصد للزيارة دائما و اجتزت بـه و ترحمت عليه و زرته وكثر الترحم عليه و الدعاء على من قتله، وكان

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس رحمه الله قد شارك فى قتله اتم مشاركة بل كان مدار ذلك كله عليه و تملك بعده فلما بلغه ذلك سير من نبشه و نقله الى غير ذلك المكان و عفى اثره و لم يعف خبره رحمه الله و جزاه عن الاسلام خيرا ولم يخلف ولدا ذكرا له بل سمعت انه خلف ابنتين وكان قتله يوم السبت سادس عشر ذى القعدة .

حكى لى المولى علاء الدين على بن غانم (١) حرسه الله فى غرة شوال سنة احدى و تسعين و ستمائة ببعلبك قال حدثنى المولى تاج الدين احمد بن الاثير (٢) تغمده الله برحمته و رضوانه ما معناه ان الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله لما كان على برزة فى اواخر سنة سبع وخمسين وستمائة وصله قصاد من الديار المصرية بكتب يخبرونه فيها ان قطز تسلطن و ملك الديار المصرية و قبض على ابن استاذه قال المولى تاج الدين فطلبنى السلطان قرأت عليه الكتب و قال لى خذ هذه الكتب و رح (٣) الى الامير ناصر الدين القيمرى و الامير جمال الدين ابن يغمور و اوقف كلا منهما عليها قال فأخذتها و خرجت فلما بعدت عن الدهليز لقينى حسام الدين البركة خانى و سلم على و قال جاءكم بريدىّ (٤) او قاصد (٥) من الديار المصرية و ريت (٦) و قلت ما عندى

(١) هو على بن محمد بن سلمان بن حمائل توفى سنة ٧٣٧ - ك (٢) هو احمد بن سعيد ابن محمد بن الاثير توفى سنة ٦٩١ - ك (٣) كذا فى النجوم وفى الاصل «و روح» (٤) كذا فى النجوم و الاصل « بريد » (٥) النجوم « قصاد » (٦) النجوم «فوريت» .

علم

علم بشيء (١) من هذا قال قطز يتسلطن و يملك (٢) الديار المصرية و يكسر التتر قال المولى تاج الدى فبقيت متعجبا من حديثه و قلت له ايش هذا القول؟ و من اين لك هذا ؟ قال و الله هذا قطز هو خشداشى كنت انا و اياه عند الهيجاوى من امراء مصر و نحن صبيان و كان عليه قمل كثير فكنت اسرح رأسه على انى كلما أخذت عنه قملة آخــذ منه فلسا اوصفعته (٣) فلما كان فى بعض الايام اخذت عنه قمل كثيرة و شرعت اصفعه ثم قلت فى غضون ذلك و الله ما اشتهى الآ ان الله يرزقنى إمرة خمسين فارسا (٤) فقــال لى طيب قلبك انا اعطيك امرة خمسين فارسا قال فصفعته و قلت [و الك] (٥) انت تعطينى امرة [خمسين] (٦) قال نعم فصفعته فقال لى والك علة ايش يلزمك لك (٧) الآ امرة بخمسين فارسا انا والله اعطيك قلت و الك (٨) كيف تعطينى قال انا املك الديار المصرية وا كسر التتر و اعطيك الذى طلبت قلت والك (٨) انت مجنون انت بقملك تملك الديار المصرية قال نعم رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام وقال لى انت تملك الديار المصرية وتكسر التتر و قول النبى صلى الله عليه وسلم حق لاشك فيه قال فسكتُّ وكنت اعرفُ منه الصدق فى حديثه وعدم الكذب، و تنقلت به الاحوال و ارتفع شأنه الى أن صار هو المتحكم

١٤/ الف

---

(١) كذا فى النجوم وفى الاصل « ايش » (٢) النجوم « تسلطن و تملك » (٣) كذا فى النجوم وفى الاصل «صفعه » (٤) الاصل « فارس» خطأ (٥) سقط من النجوم (٦) من النجوم (٧) النجوم «يلزم لك » (٨) النجوم « ويلك» و بها مشه «فى الاصلين هنا و ما سيأتى بعد قليل« والك» وما اثبتناه عن شذرات الذهب» .

فى الدولة و ما اشك انه يملك الديار المصرية مستقلا و يكسر التتار كما اخبره النبي صلى الله عليه و سلم فى المنام .

قال المولى تاج الدين رحمه الله فلما قال لى هذا قلت له والله قد وردت الاخبار انه تسلطن فى الديار المصرية قال لى و الله هو يكسر التتر فما مضى عن هذا الا مدة يسيرة حتى خرج وكسر التتر على ما هو مشهور قال المولى تاج الدين فرأيت الامير حسام الدين البركة خانى الحاكى لى ذلك بالديار المصرية بعد كسرة التتر فسلم على و قال يا مولاى تاج الدين تذكر ما قلت لك فى الوقت الفلانى قلت نعم قال و الله حال ما عاد الملك الناصر من قطيا و دخلت انا الى الديار المصرية اعطانى إمرة خمسين فارسا كما قال رحمه الله لا زائد عـلى ذلك، قال المولى تاج الدين و شرعنا نتعجب من هذه الصورة.

حكى لى المولى الامير عزالدين محمد بن ابى الهيجاء رحمه الله ما معناه ان الامير سيف الدين يلقاق (١) حدثه ان الامير بدر الدين بكتوت الاتابكى حكى له قال كنت انـا و الملك المظفر قطز و الملك الظاهر ركن الدين رحمهما الله فى حال الصبى كثيرا مانكون مجتمعين فى ركوبنا و غير ذلك فاتفق ان رأينا منجما فى بعض الطرق بالديار المصرية فقال له الملك المظفر ابصر نجمى فضرب بالرمل وحسب و قال له انت تملك هـذه البلاد وتكسر التتر فشرعنا نهزأ به ثم قال له الملك الظاهر فابصر نجمى فضرب وحسب وقال و انت تملك ايضا الديار المصرية

ب/١٤

(١) النجوم (ج ٧ ص ٨٩) « بلقاق »

وغيرها فتزايد استهزاؤنا به ثم قالا لى لابدّ ان تبصر بحمك فقلت له ابصرلى فضرب وحسب وقال لى وانت تحصل امرة مائة فارس يعطيك هذا واشار الى الملك الظاهر فاتفق ان وقع الامر كما قال لم يخرم منه شئ، وهذا من عجيب الاتفاق! هذا مضمون ماحكاه لى الامير عزالدين المذكور فى خامس ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وستمائة بدمشق.

كتبغا نوين مقدم عساكر التتر كان عظيما عندهم يعتمدون على رأيه وشجاعته وتدبيره وكان شجاعا بطلا مقداما مدبرا سائسا (١) خبيرا بالحروب والحصارات وافتتاح الحصون والمعاقل والاستيلاء على الممالك وهو الذى افتتح معظم بلاد العجم والعراق وكان هولاكو ملك التتر يثق به ولايخالفه فيما يشير اليه ويتبرك برأيه ويحكى عنه العجائب فى حروبه وحصاراته، من ذلك انه نازل عدة حصون فكان اذا فتح حصنا ساق جميع من فيه من الناس الى الحصن الذى يليه فان مكنهم اهله من دخوله ضيقوا عليهم فى المأكول والمشروب وان منعوهم من الدخول همّ بضرب اعناقهم فيمكنوهم وان اصروا على المنع ضرب اعناقهم فاذا تيسر فتح الحصن الآخر فعل كذلك الى ان استكمل فتح سائر الحصون المقصودة، ومن ذلك انه نازل حصنا لايرام وتحقق ان فيه مؤنا كثيرة وعدة آبار فيها من الماء قدر كفايتهم فقال لهم ما معناه أما حصنكم فمنيع والمؤنة عندكم كثيرة لكن الماء الذى عندكم على فراغ فانا اصابركم الى ان يفرغ وآخذكم فقالوا المياه عندنا

(١) الاصل « ساوسا ».

كثيرة و الذى بلغك من قلّتها باطل لاحقيقة له و سير من ثقاتك من يصر ذلك و يكشف لك حقيقته، و يخبرك و كان قد هيأ عنده رماحاً جوفها و ملأها سما قاتلا و سدها عليه فسير جماعة من اصحابه و بيد كلّ ١٥/الف واحد رمحا منهـا فكانوا يأتون الى البئر فينزلون الرمح فيها كأنهم يخضخضون الماء و ينفضون الرمح بقوة فتنفتح السدادة بحركة دبروها فينزل جميع ما فى الرمح من السم فى تلك البئر فسموا بهذا الفعل جميع ما عندهم من المياه و نزلوا من عندهم الى كتبغا (١) و اخبروه بانتهائهم الى ما امرهم به و اقام كتبغا (١) و من معه على حالهم اياما فهلك من شرب من ذلك الماء و تسلم الحصن، و هو الذى افتتح حصون الشام، و رأيته لما حضر الى بعلبك لحصار قلعتها و قد دخل جامع المدينة و صعد منارته ليشرف منها على القلعة ثم نزل و خرج من الباب الغربى الذى فى صحن الجامع و دخل حانوتا خرابا فقضى حاجته به و الناس يشاهدونه و عورته مكشوفة و معه بعض التتر فلما فرغ مسحه ذلك الشخص بقطن كان معه مسحة واحدة و ركب وكانت لحيته شعرات يسيرة فى حنكه و هى مضفورة دبوقة (٢) لطولها و ربما جعل طرفها فى حلقة فى اذنه (٣) و ربما ارسلها على صدره فتبلغ سرته وكان مهيبا مطاعا فى جنده لايجسرون على مخالفته و لا الخروج عن امره وكان يردعهم عن كثير من افعالهم وكان اذا أمن احدا وكتب له امانا كان اقرب الى الوفاء به من غيره من التتر و هذا على ما فيه من الغدر و كان شيخا

(١) تقدم «كتبغانوين» (٢) البداية «مثل الدبوقة» (٣) البداية «من خلفه باذنه».

مسنا

مسنّا ادرك جنكزخان الاخير جدّ هولاكو وكان عنده ميل الى دين النصرانية لكنه لا يظهر الميل الى النصارى لتمسكـه بأحكام اسة جنكزخان (١) وسائر ارباب الاديان عنده سواء وهذا من احكام الأسة، وكان اذا كتب عنه كتاب يقول فى اوله من كلام كيد بوقا نوين والنوين عندهم مقدم عشرة آلاف فارس فما زاد عليها ولا يقال لمن هومقدم على من تنقص عدتهم عنها .

ولما بلغه خروج العساكر مع الملك المظفر رحمه الله وكثرتها تلوم وتوقّف واستشار فأشار عليه بعض الناس بالتأخر واشار عليه بعضهم بالملتقى لحملته نفسه وشجاعته وما قد ألفه من النصر فى سائر المواطن على اللقاء فتوجه لذلك ولقيهم على عين جالوت بالقرب من بيسان فكانت الوقعة المشهورة التى نصر الله تعالى فيها الاسلام وحزبه ١٥/ب واخزى الكفر واهله لحمل على الميسرة فهزمها هزيمة شنيعة كادت تستمر لولا تدارك الله الاسلام بنصره ورحمته لحملوا عليهم فكسروهم كسرة لا يرجى بعدها جبر، فولوا على وجوههم والسيوف تأخـذهم واعتصم منهم طائفة بتل هناك فأحدقت بهم العساكر وقتلوا عن آخرهم واسر من كان صغيرا أو مراهقا، واما كتبغا فلم يفر ولم يكن الفرار من عادته فثبت وقاتل الى ان قتل وعجل الله بروحه الى النار وكان الذى تولى قتله على ما قيل ولم يعرفه الامير جمال الدين آقوش الشمسى

---

(١) البداية والنهاية (ج ١٣ ص ٢٢٨) « لكنه لا يمكنـه الخروج من حكم جنكيزخان فى الياساق » .

رحمه الله و اسر ولده وكان جميل الصورة جدا و لما تمت الكسرة قيل للملك المظفر ان كتبغا (١) هرب وكان قد احضر اليه ولده اسيرا و هو واقف بين يديه فقال له ابوك هرب قال لا ابى ما يهرب ابصروه فى القتلى فدوّروا عليه فى القتلى و احضروا عدة رؤوس و عرضوها على ولده وهو يقول ما هو هذا الى ان احضروا رأسه فقال هذا هو وبكى ثم قال للملك المظفر ما معناه نام (٢) طيبا ما بقى لك عدو تخاف منه هذا هو كان سعادة التتر به يهزمون الجيوش وبــه يفتحون الحصون وكذا كان لم يفلحوا بعده ولله الحمد و المنة، واما ولده فقد كنت رأيته معه ببعلبك لما حضر لحصار قلعتها ثم رأيته بالديار المصرية فى سنة تسع وخمسين و قد لبس زى الترك، وكان مقتل كتبغا(١) يوم المصاف وهو يوم الجمعة خامس وعشرين شهر رمضان المعظم من هذه السنة.

لاحق بن عبد المنعم بن قاسم بن احمد بن حمد بن حامد بن مفرج بن غياث ابو الكرم الانصارى المصرى المولد و الدار و الوفاة، مولده سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة تقديرا سمع من محمد بن حمد بن حامد (٢) وكانت له اجازة من ابى محمد المبارك بن على بن الطباخ (٣) وحدث بها كثيرا ونشربها علما جما وكان شيخا صالحا عفيفا رحمه الله وتوفى فى ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة ودفن من الغد بسفح المقطم.

١٦/الف المبارك بن يحيى بن المبارك بن مقبل ابو الخير مخلص الدين الغسانى

(١) تقدم (٢) البداية والنهاية « انام » ولعله نم (٣) هو الارتاحى توفى سنة ٦٠١ - ك (٤) توفى بمكة سنة ٥٧٥ - ك.

الحمصى كان من الفضلاء المشهورين بمعرفة الادب و الانساب و ايام الناس سنى المذهب (١) اختصر كتاب الجمهرة فى الانساب لابن الكلبى اختصارا حسنا دل على غزارة فضله ومعرفته وله كتاب المشجر فى النسب ايضا وغير ذلك من جموع مفيدة ولما ورد التتر الى الشام فى هذه السنة خرج من حمص مجفلا فى شهر ربيع الآخر ولجأ الى جبل لبنان يعتصم فى بعض القرى الوعرة التى بالجبل فأدركته منيته وقد نيّف على الستين سنة من العمر ودفن حيث توفى رحمه الله تعالى، ومن شعره مما نقلته من خطه على ظهر مجلد :

بدا لى وقد خطّ العذار بوجهه حبيب له منى (٢) علىّ رقيب
كمثل هلال العيد لاح وقد دنا من الافق مرماه وحان مغيب

وله فى غلام اهدى تفاحة من يده :

انى يهزّ قضيب البان حين مشى من تحت طلعت بدر فوق جيد رشأ
حيا (٣) بتفاحة من خده اكتسبت لونا ومن ريقه طعما وطيب نشا
لا تعجبوا وهى من اوصافه خلقت إن العليل اذا ما شمها انتعشا

وله :

طرق الخيال على البعا د ولم يخف خطر الطريق
بلوى العقيق واين من دار الحبيب لوى العقيق
وافى الى الوافى بما اعطى من العهد الوثيق

(١) ذيل مرآة الزمان ايا صوفيا طبع دائرة المعارف (ص ٣٨٥) « وهو احد مشايخ الشيعة »(٢) لعله منه(٣) لعله حبا اى اتحف كما يدل عليه السياق.

اهدى له المسك السحيـــق وزار من بلد سحيق
ياطيب من هو فى حشا ى يطوف بالبيت العتيق
لاتحسبن كرى جفو نى عن سلوّ اوعقوق
صامت لهجرك بالسها دفا فطرت عند الطروق

وله :

بأبى من حوى الجمال بديعا وبدا لى يوما فقلت بديها (١)
ياحبيبا اذا تأمله طرفى رأى كل طرفة يشتهيها
١٦/ب حقّ من كنت وجهة لهواه ان يرى حظه لديك وجيها
فتى الوصل قال من دون وصلى شقّة حارت الادّلاء فيها
ولعمرى بحق من تاهت الالبـــاب فى بر (١) حسنه ان تتيها

وله :

تمثلت حين لقيت الحبيب على غضب منه لم ينقض
وقبّل كفى ولم يبتسم وقبّلته وهو كالمعرض
ومن يك فى سخطه محسنا فكيف يكون اذا ما رضى

هذا البيت مضمن : وهو لمبارك بن يحيى بن المبارك بن مقيل بن الحسن بن يونس الغسانى نقلته من خطه .

محمد بن احمد بن عبد الله بن عيسى بن ابى الرجال ابوعبد الله بن ابى الحسين اليونينى الحنبلى والدى (٢) رحمه الله مولده فى السادس من شهر

(١) كذا (٢) ترجمته هنا كما تراها وفى اياصوفيا(ص ٤٢٩) طبع الدائرة فى اثنى عشر سطرا و راجع ذيل الروضتين ص ٢٠٧ .

رجب

رجب سنة اثنتين و سبعين و خمسمائة بقرية يونين من عمل بعلبك الامام
الحافظ كان عديم النظير فى معرفة الحديث على اختلاف فنونه سمع
من ابى طاهر بركات بن ابراهيم الخشوعى و ابى على حنبل بن عبد الله
المكبر و ابى اليمن زيد بن الحسن الكندى و غيرهم ممن لا يحصى كثرة
و حدث بالكثير و هو احد الحفاظ المشهورين الجامعين بين العلم و الدين
وكانت وفاته ببعلبك فى تاسع عشر شهر رمضان المعظم و دفن من يومه
بتربة الشيخ عبد الله اليونينى (١) ظاهر بعلبك رحمه الله صحب الشيخ عبدالله
اليونينى و انتفع بصحبته واخذ عنه علم الطريق وكان اخص اصحابه به
يقدمه على جميعهم و لبس الخرقة من الشيخ عبد الله البطائحى رحمه الله
تبركا و هو شيخ شيخه ولم يزل ملازما للشيخ عبد الله اليونينى سفرا
و حضرا الا أن يامره بالتوجه الى مكان و الاقامة به فيفعل ذلك و فى
حال ملازمته له يصلى به و يفتيه و يقتدى به (٢) فى الامور الشرعية و يرجع
فيها الى قوله الى حين توفى الشيخ عبد الله رحمه الله و اشتغل بالفقه
على الشيخ موفق الدين (٣) عبد الله بن احمد المقدسى رحمه الله وعلى
غيره و اشتغل بالحديث على الحافظ عبد الغنى (٤) رحمه الله وغيره وكان
الحافظ يعظمه و اذا سئل عن مسالة بحضوره يقول له ما تقول فى كذا ١٧/الف
وكذا فاذا اجاب بجواب قال لصاحب المسألة ذلك الجواب بعينه وتقدم

---

(١) هو ابو عثمان عبد الله بن عبد العزيز بن جعفر توفى سنة ٦١٧ وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب ـ ك (٢) البداية «يقدمه ويقتدى به» (٣) هو ابن قدامة مات سنة ٦٢٠ ـ ك (٤) هو ابن عبد الواحد بن على بن سرور توفى سنة ٦٠٠ ـ ك .

فى علم الحديث على الحفاظ المبرزين فى زمانه وعلى كثير ممن تقدمه وحفظ الجمع بين الصحيحين بالفاء والواو وكان يكرر عليه وكذلك صحيح مسلم ومعظم مسند الامام احمد رحمة الله عليه وغير ذلك من كتب الحديث قال قاضى القضاة شمس الدين عبد الله بن عطاء الحنفى(١) رحمه الله قرئ عليه مسند الامام احمد رحمة الله عليه فكان يعلم على احاديث تمر به فلما انتهى قراءة المسند سئل عن ذلك فقال هذه لااحفظها فانا اعلمها لأحفظها فاعتبرناها فكانت مقدار مجيليد (٢) صغير وكان اذا سئل عن حديث هل هو صحيح ام لا اجاب فى الوقت واشتغل فى علم العربية والنحو على الشيخ تاج الدين الكندى رحمه الله ولازمه وكان الشيخ تاج الدين (٣) يقدمه على سائر من اشتغل عليه من الطلبة والملوك وغيرهم وسمع عليه جميع مسموعاته وكتب خطا منسوبا قلّ من كان يكتب فى زمنه اجود منه وهذا فى حال شبابه اما لما اسن ضعفت يده واشتغل عليه خلق لا يحصون كثرة بالعلوم الشرعية والحديث والعربية وعلى الطريق وسمع ما لا يحصى كثرة واسمع زمانا طويلا فسمع عليه خلق كثير وانتفع به جم غفير ونال من السعادة الدنيوية والدينية مالم ينله غيره فيما علمنا فان الملوك كانت تحضر الى بابه وتقف به الى ان يؤذن لهم فاذا دخلوا عليه عاملوه بالتعظيم الخارج عن الحد وامتثلوا اشاراته .

حكى لى ان الملك الاشرف مظفر الدين شاه ارمن موسى بن

---

(١) توفى سنة ٦٧٣ ــ ك (٢) لعله مجلد (٣) وهو زيد بن الحسن ابو اليمن ــ ك .

الملك العادل رحمه الله تعالى ربما قدم مداسه وانه توضأ يوما و اراد
ما يطأ عليه فخلع عمامته و بسطها له و حلف انها طاهرة و اقسم عليه
ان يمشى عليها ففعل ذلك وكان يخدمه بنفسه وكذلك كان يفعل معه
الملك الصالح اسماعيل رحمه الله و لما توجه و الدى رحمه الله الى دمشق
فى آخر سنة خمس و خمسين حضر عنده اولاده و معهم اجازة و قالوا ١٧/ب
مما عهد به الينا و الدنا ان نقصدك و نلبس منك خرقة كما لبس و تكتب
لنا فى هذه الاجازة اوما هذا معناه فأخذ عليهم العهد و البسهم الخرقة
و لما قدم الملك الكامل دمشق ايام كانت للملك الاشرف رحمه الله اقترح
عليه ان يجتمع بوالدى فسير بطاقة الى بعلبك يلتمس منه الحضور فحضر
و انزله فى دار السعادة لأن الملك الاشرف كان سكنها عند قدوم الملك
الكامل و انزله فى قلعة دمشق فلما قدم والدى رحمه الله عرف الملك
الاشرف الملك الكامل بقدومه فنزل اليه و اجتمع به فى المكان الذى
نزل فيه بدار السعادة و بالغ الملك الكامل فى التأدب معه و بحثوا فى فنون
من العلوم منها القتل بالمثقل و استدل الملك الكامل بحديث الذى (١)
رضخ رأسه بين حجرين و انه سأل من فعل بك هذا : الحديث و لم يذكر
فيه فاعترف و احتج بان قول المقتول يؤخذ به فقال والدى فى الحديث
فاعترف و هو فى صحيح مسلم فقال الملك الكامل فانا اختصرت صحيح
مسلم و امر بطلب الكتاب فاحضر فى خمس مجلدات فتناول الملك الكامل

(١) صوابه التى رضخ رأسها . . . وانها سئلب ففى البداية والنهاية (٢٢٨/١٣)
« بحديث الجارية التى قتلها اليهودى فرض رأسها » .

مجلدا و الملك الاشرف مجلدا و الملك الصالح مجلدا و اظن (١) عماد الدين ابن موسك (٢) مجلدا و شرعوا يتصفحون الكتاب ليظهروا الحديث و بقى مجلد فأخذه و الدى و فتحه فظهر الحديث حال فتحه الكتاب و هو كما قال فأوقف عليه الملك و الجماعة فتعجبوا من ذلك و عظم فى عين الملك الكامل و عزم على اخذه الى الديار المصرية و شعر الملك الاشرف بذلك فجهزه لوقته الى بعلبك وكان الملك سيرله جملة من الذهب فامتنع من قبولها و قال انا فى كفاية فلما سافر سأل عنه فاخبره الملك الاشرف بسفره و انه لا يوافق على مفارقة الشام .

حكى الملك الاشرف لوالدى رحمه الله قال لما كسرنا فى الروم و خرجنا منه قال لى الملك الكامل و قدجرى ذكرك تبصر كيف نصره الله علينا فى مجلسنا من كتبنا فقلت له هو رجل موفق فقال نعم وكان

١٨/الف الملك الامجديتردد اليه ويكثر الاجتماع به و له فيه عقيدة عظيمة ويعظمه غاية التعظيم وكذلك اسد الدين شيركوه و كان بين الملك الصالح نجم الدين و عمه الملك الصالح اسماعيل من الوحشة و العداوة ما هو مشهور فلما خرجت البلاد عن الملك الصالح اسماعيل و تملكها الملك الصالح ايوب حصل منه تحامل على والدى واوقف رواتبه و اتفق انه حضر الى بعلبك فاجتمع عند والدى جماعة من اصحابه و سألوه الركوب لتلقيه و قالوا هذا رجل جبار و متى تأخرت عن تلقيه توهم ان ذلك كراهة فيه لاجل عمه فلا يؤمن شره و ان لم ينلك (٣) نال اصحابك فركب قبولا لقولهم

(١) البداية « واخذ » (٢) هوداود بن موسك الهذبانى الامير ـ ك (٣) الاصل « ينالك ».

و تلقاه

وتلقاه فعند ما عاينه بالغ فى الاقبال و الترحيب و المؤانسة و لم يشتغل
عنه بغيره الى ان فارقه قال الامير ناصرالدين محمد بن التبنينى رحمه الله
فلما فارقه شرع فى شكره و الثناء عليه و تعظيمه فقلت له يا خوند الا انه
يحب عمك الملك الصالح فقال حاشى ذاك الوجه و امر ان يحمل اليه
جميع ما كان اوقف من الكسوة و الرواتب و غير ذلك للمدة الماضية
و اجراها فى المستقبل و لما نزل الى دمشق فى آخر سنة خمس و خمسين
خرج الملك الناصر صلاح الدين يوسف الى زيارته بزاوية الشيخ على
القرشى رحمه الله،فلما دخل عليه بالغ فى التأدب معه والتعظيم له واستعراض
حوائجه .

و كان والدى رحمه الله يكره الاجتماع بهم ولايؤثره،وىما جرى
له مع الملك الاشرف انه كان اذا حضر اليه عرض عليه قصصا كثيرة
للناس و يسومه قضاء ما فيها فيفعل ذلك فاتفق حضوره اليه فى
بعض الايام و عنده قصص كثيرة جدا فشرع الملك الاشرف فى قراءتها
فقرأ بعضها و ضجر من اتمامها فقال له والدى انا اجعل كفارة اجتماعى
بكم قضاء لحوائج الناس فان قضيتموها و الا ما اجتمع بكم فاعتذر
اليه و تلافاه و تمم قراءة تلك القصص و قضى جميع ما فيها و كانت مدة ١٨/ب
اجتماعه بالملوك و ترددهم اليه ثلاثا (١) و اربعين سنة و كان قبل ذلك
ربما اجتمع بهم مصادفة اما ترددهم اليه بالقصد فمن ذلك التاريخ و كان
يعد ذلك من كرامات شيخه الشيخ عبد الله اليونينى رحمه الله فان الشيخ

(١) الاصل« ثلاثة».

عبد الله كان له زوجة ولها ابنة [من غيره] (١) فقال لها زوجى ابنتك من محمد فقالت يا سيدى هو فقير ما له شيء و انا اشتهى ان تكون بنتى سعيدة فقال لها زوجيه فانى ارى له دارا مليحة و فيها بركة ماء وبنتك عنده فى الليوان (٢) و الملوك يترددون (٣) الى خدمته و له كفاية تامة على الدوام فزوجته بها و هى اول زوجاته .

حكى لى ان الملك الصالح استأذن عليه مرة و هو فى دارالقاضى الفاصل بدمشق و هو فى المرحاض(٤)فاخبر بذلك فقال دعوه حتى يدخل وحده فدخل و قعد فى الايوان و اتفق ان والدى حصل له ما احتاج معه الى النزول فى البركة الى وسطه فخرج و قال له ادر ظهرك فأداره و نزل فى البركة و تطهر و توضأ و جالسه بعد ذلك وكانوا يبذلون له الكثير من الدنيا فلا يتناول الاّ قدر الكفاية (٥) و يقول انا استحق فى بيت المال اكثر من هذا القدر الذى يصلى منهم و ملكه الملك الاشرف قرية يونين وكتب به كتاب و اعطاه لمحى الدين يوسف بن الجوزى رحمه الله وكان عنده رسولا من جهة الخليفة ليأخذ عليه خط الخليفة فبلغ و الدى ذلك فطلب الكتاب و مزقه فعاتبه (٦) الملك الاشرف فقال

(١) ليس فى البداية والنهاية (٢) لعله الايوان (٣) الاصل يترددوك (٤)الاصل « الميحاض » (٥) كذا وفى البداية و النهاية (ج ١٣ ص ٢٢٨) « قال ولده قطب الدين : كان والدى يقبل بر الملوك ويقول انالى فى بيت المال اكثر من هذا » و يؤيده مافى ذيل الروضتين ص ٢٠٧ « ونفق على كثير من الملوك و الامراء فحصل منهم دنيا واسعة و رفاهية عيش » (٦) الاصل فعنته - ك وفى البداية « و مزقه و قال انا فى غنية عن ذلك » .

انا

انا لى قدر الكفاية ولا آخذ من بيت المال اكثر منها ولم يكن والدى رحمه الله يقبل صلة احد من الامراء لامن الوزراء ولا غيرهم الآن اهدى له هدية من المأكول او ما اشبهه فانه يقبل ذلك من بعض الناس عمن يتحقق حل ماله وكان هو ربما سير للملوك هدية مختصرة من مأكول اونحوه فيتبركون بها ويستشفون .

حكى لى خادمه الشمس محمد بن ... رد رحمه الله قال سير الشيخ معى للملك الكامل هدية بعلبك كان فيها كشك (١) فلما احضرت ذلك كان الكشك قد جعل فى طبق فجعل الملك الكامل يستف منه وهو يتناثر على لحيته وثيابه وكان الصاحب فلك الدين بن المسيرى (٢) ١٩/الف حاضرا فقال يعرف الشيخ ان السلطان له سنين يحتمى عن اللبن وما يعمل منه وتراه قد أكل من هذا الكشك تبركا بهدية الشيخ واما اكابر الامراء والوزراء ونواب السلطنة فكانوا يعاملونه باضعاف ذلك من التأدب معه والامتثال لامره واحترام اصحابه واتباعه والمبالغة فى ذلك الى حدّ لا يوصف .

ولما انتقل النعل الشريف النبوى صلوات الله وسلامه على صاحبه الى الملك الاشرف ووصل اليه وهو بدمشق اراد ارساله الى والدى ليزوره ويتبرك به ثم قال نحن قد اشتقنا الى الشيخ والاولى ان نسير اليه نخبره ليحضر يزور هذا الأثر الشريف ويبصره وكتب اليه بذلك

(١) الكشك بفتح الكاف وسكون الشين نوع من الجبن يعمل من اللبن الخاثر - ك (٢) هو عبد الرحمن بن هبة الله توفى سنة ٦٤٣ - ك .

وكانت جدتى فى قيد الحياة فقالت لو الدى كنت اشتهى زيارة هذا الأثر الشريف فزره عنى فلما قدم دمشق وزار الأثر الشريف اخبر الملك الاشرف بما قالته والدته فجهز الأثر الشريف الى بعلبك لاجلها فزارته وقضت وطرها من ذلك وكان جرى لهذا الأثر الشريف قصة اوجبت انتقاله الى الملك الاشرف وذلك ان صاحبه ابن ابى الحديد كان يسافر به الى الملوك فيعطوه الاموال وانتجع للملك(١) الاشرف رحمه‌الله فى بعض السنين وكان يجزل له العطاء فقال له الملك الاشرف اشتهى ان تعطيى من هذا الأثر الشريف بقدر الحمصة لاجعله فى كفنى اذا مت فأجابه الى ذلك واعطاه ثلاثين الف درهم وتقرر انه فى غد ذلك اليوم يحضر العلماء والمشايخ ويقطع من ذلك مطلوبه واغتبط ابن ابى الحديد بذلك فلما كان فى الليل اثنى عزم الملك الأشرف وسير الى ابن ابى الحديد بذلك فسُقط فى يده لتوقعه فوات المبلغ الذى سمح له به فلما اصبح حضر بين يديه وسأله عن السبب الموجب لذلك فقال فكرت فى انى متى اخذت من هذا الأثر الشريف هذا القدر تشبه بى الملوك فيفضى الحال الى عدم هذا الأثر الشريف من الوجود واكون انا السبب فتركته لله تعالى واما القدر الذى سمحت لك به فخذه لا ارجع فيه فاستطار فرحا واخذ تلك الجملة وسافر الى بلاد ١٩/ب الشرق فأدركه اجله أظن فى حران فأوصى قبل وفاته بالأثر الشريف للملك الأشرف فصار اليه بحسن نيته فبنى لأجله دار الحديث المجاورة

(١) لعله الملك .

للقلعة

للقلعة و جعله فيها يزار فى عصر الاثنين و الخميس وكان والدى رحمه الله اذا جمعه و علماء عصره مثل الشيخ تقى الدين بن العز و الشيخ شرف الدين ابن الشيخ ابى عمر (١) و الشيخ عز الدين بن عبد السلام (٢) و الشيخ تقى الدين بن الصلاح (٣) و قاضى القضاة شمس الدين بن سنى الدولة (٤) و قاضى القضاة شمس الدين الخوى (٥) و الشيخ ابى عمرو بن الحاجب (٦) و الشيخ الحصيرى (٧) و غيرهم من تلك الطبقة بالغــوا فى التأدب معه و لا يترفع احد منهم عليه فى الجلوس و لا الكلام و يرجعون الى قوله وكذلك كان حال اكابر مشايخ عصره من الزهاد يتمثلون بين يديه و يمتثلون امره حدثنى غير واحد من اعيـان الفقراء ان الشيخ عثمان العدوى رحمه الله قدم مرة دمشق و كان والدى بها فدخل امين الدولة وزير الملك الصالح على على والدى فى انه يعمل للشيخ عثمان و من معه من الفقراء ضيافة فاجابه والدى فعمل ضيافة احتفل لها و استدعى اليها مشايخ البلد فلما حضر والدى و الشيخ عثمان و مد السماط شرع والدى يأكل و امتنع الشيخ عثمان من الأكل فقـال له امين الدولة فى ذلك فقال والدى المقصود بركة الشيخ عثمان و يترك فى الأكل على اختياره فلما خرج الجماعة قال بعض الفقراء للشيخ عثمان يا سيدى انت ليس لك

---

(١) هو ابن محمد عبد الله بن ابى عمر محمد توفى سنة ٦٤٣ - ك (٢) هو عبد العزيز توفى سنة ٦٦٠ - ك (٣) هو ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن توفى سنة ٦٤٣ - ك (٤) هو احمد بن يحيى بن هبة الله توفى سنة ٦٣٥ - ك (٥) هو احمد بن خليل بن سعادة توفى سنة ٦٣٧ - ك (٦) هو عثمان بن عمر بن ابى بكر توفى سنة ٦٤٦ - ك (٧) هو جمال الدين محمود بن احمد بن عبد السيد توفى سنة ٦٣٦ - ك .

من تقتدى به فى امور دنياك وآخرتك الا الشيخ وقد رأيته أكل فلم امتنعت فقال والله لما مدّ السماط شاهدته وهو نار تشتعل فكان سيدى الشيخ الفقيه يمدّ يده ويأخذ اللقمة من السماط ويرفعها فتستحيل وما تصل الى فمه الا وهى نور يتلألأ وانا فلم يكن لى هذا التمكين فامتنعت .

وحكى لى القاضى تاج الدين عبد الخالق (١) رحمه الله ما معناه قال قدم بعلبك فى الايام الأمجدية شخص كاتب وادعى انه من ذرية شاور ٢٠/الف وزير العاضد بمصر او من اقاربه فولاه الملك الأمجد المواريث الحشرية ببعلبك واتفق غيبة الملك الامجد فمات شخص وله اولاد عم فاحتاط على تركته فطلبه الشيخ وقال له هذا الرجل له وارث وانا اعرف انهم اولاد عمّه ومستحق (٢) ميراثه فليس لكم عليه اعتراض فقال السلطان امرنى أن من مات احتاط على تركته وانا ما افرج من هذه التركة فغضب الشيخ وقال له قم قطع الله يدك ويد السلطان معك فقام ذلك الشخص وتوجه الى الملك الأمجد بالمكان الذى كان فيه وشكا اليه فقال له كنت امتثلت ما امرك به فأنت ترانى لا اخالفه وانكر عليه فما وسعه المقام ببعلبك فتوجه الى دمشق واقام بها مدة وعثر عليه انه زوّر توقيعا فقطعت يده واما الملك الامجد فبعد اخذ بعلبك منه نزل الى دمشق واقام بدار السعادة وهى داره فضربه مملوك له بالسيف على يده فقطعها وجرحه جرحا (٣) آخر وبقى يومين ومات رحمه الله، ومما

(١) هو ابن على بن محمد توفى سنة ٦٦٦ - ك (٢) كذا (٣) الاصل « جرح » .

يقارب هذا ان خالى تاج الدين يعقوب بن سنى الدولة (١) رحمه الله قدم بعلبك فى الايام الناصرية زائرا و نزل فى دار ابن عمه الشرف خضر وكان والدى كثير البر بأقارب والدتى (٢) فاتفق انه قصد رؤيته و انا معه فلما دخل قام خالى و قبل يده و قعد بين يديه و هناك فقير موله يقال له علىّ و قد احسن خالى فيه الظن فلما دخل والدى قعد ذلك الفقير فى الصفة فحضر الشمس محمد بن داود خادم والدى ومعه رأس مشوى و مدت السفرة و طلبوا علىّ الفقير ليأكل فوضع يده على أنفه وقال افوه افوه و جعل يكرر هذا القول فلما سمعه والدى زعق فيه و قال قم قطع الله أنفك فخرج من البيت لوقته و طلب طريق الزبدانى فلما كان بعد المغرب صادفه جندى سكران فى الرمانة فضربه بالسيف فاصطلم أنفه بالكلية فعاد من الغد و هو علــى هذه الصورة و خولط فى عقله فلم ينتفع بنفسه الى ان مات .

و لما قصد التتر الشام فى اوائل سنة ثمان و خمسين و ستمائة وكثر الارجاف بهم قال والدى رحمه الله للشيخ محمود بن الشيخ سلطان وكان الشيخ محمود يجتمع برجال جبل لبنان قد جمع بينه و بينهم والده فقال ٢٠/ب له والدى سلم عليهم و سلهم عن امر هذا العدوّ و ما يكون عاقبة الناس معهم فسألهم وحضر عند والدى فقال له ما الذى اجابوك به فقال قالوا قل له يسألنا عن مثل هذا ونحن لانعلم الّا ما يفضل عنه و سمعت الشيخ محمود رحمه الله يقول غير مرة ما توفى سيدى الشيخ الفقيه

(١) هو ابن نصر الله توفى سنة ٦٦٥ ــ لـ (٢) الاصل « والدى » خطأ .

الابعد ان قطب اثنى عشرة (١) سنة اوقال فوق ذلك الشك منى فى المدة وكان شرف الدين محمد بن عطاء حنبلى المذهب وكان يحب والدى محبة مفرطة بحيث ترك وطنه وانتقل الى بعلبك لمحبته فيه واقرأ ولده قاضى القضاة شمس الدين عبد الله الحنفى (٢) رحمه الله القرآن الكريم فلما فرغ منه قال له ولدى يا سيدى يقرأ المقنع او مختصر الخرقى فقال والدى يقرأ فى القدورى ويشتغل على مذهب ابن حنيفة فانه يسود فيه فاشتغل وساد كما قال وكذلك قال لجماعة أخر من الشافعية وغيرهم فجرى الامر كما قال رحمه الله وقال كنت عزمت على السفر الى حرّان للاشتغال بالفرائض على شخص بلغنى تفرده بهذا العلم وتبحره فيه واريد السفر فى غد ذلك اليوم فجاءنى كتاب الشيخ عبد الله قال اورسالته انى امضى الى القدس فشق علىّ ذلك واردت امضاء ما عزمت عليه فاستفتحت فى المصحف الكريم فظهر قوله تعالى : (اتبعوا من لايسألكم اجرا وهم مهتدون) فقلت هذا الشيخ لايسألنى اجرا ولاشك انه مهتدى فسافرت الى القدس كما امرنى وحضر عندى جماعة من اهل القدس يشتغلون علىّ بالفرائض وغيرها فاشغلتهم مدة والى جانبى رجل لا اعرفه فلما كان بعد مدة ايام سألته من اى البلاد هو فذكرانه من حرّان فسألته عن ذلك الشخص الذى كنت عزمت على قصدة فوجدته هو بعينه فقلت ياسبحان الله وانا اشغل بالفرائض بحضرتك ولاتقول لى شيئا فقال لم تخط وانما تسلك طريقا بعيدة وتترك ما هو اقرب منها

(١) الاصل اثنا عشر (٢) توفى سنة ٦٧٣ــ ك .

فلازمته

فلازمته و اخذت جميع ما عنده حتى ظننت انني قد صرت اخبر بذلك منه ثم سألته عن سبب قدومه الى القدس فذكر انه توفى له نسيب بالقدس و معه تجارة احتاط عليها ديوان القدس و حضر لاستخلاصها وكان ٢١/الف ناظر القدس و تلك الاعمال المتصرف فيها جمال الدين عبد الرحيم ابن شيث (١) رحمه الله وهو صاحبي جدا و لا ينقطع عنى فلما حضر قلت له بسببه فسلم اليه التركة بكمالها فما بات فى القدس تلك الليلة و سافر الى بلده وكان جمال الدين المذكور يحب والدى محبة شديدة و له صحبة مع الشيخ عبد الله .

وحكى والدى رحمه الله قال اقمت بالقدس مدة زمانية وكان ثم فقير يخدمنى فلم اشعر الا بشخص قدحضر و احضر عشرة دراهم وشرع يعتذر و يسأل الصفح فقلت له ما خبرك فقال الصاحب جمال الدين امرنى ان اعطى لهذا الشخص الذى يخدمك كل يوم عشرة دراهم برسم النفقة منذ قدمتم وكل يوم يحضر يأخذها من بكرة النهار فلما كان فى هذا اليوم حضر و ما معى دراهم فخاصمنى و قال انه يشكونى الى جمال الدين فقلت له طيب قلبك ما عليك بأس و اذا عاد اليك يطلب منك شيئا لاتعطه (٢) و قل له انى امرتك بذلك فأخذ الدراهم العشرة و راح وحضر ذلك الفقير عندى فلم اقل له شيئا وعاد الى ذلك الشخص يطلب منه الدراهم فأخبره انه قال لى و انى امرته ان لايعطيه شيئا فسافر الفقير لوقته من القدس فكان آخر العهد به وحضر جمال الدين

(١) توفى سنة ٦٢٥ بدمشق - ك (٢) الاصل « لاتعطيه » .

فقال لمن تأمر بقبض تلك النفقة قد كفى ما تفضلت و الله لا عدت تناولت منها شيئا فتألم لذلك فلاطفته الى ان طاب خاطره بقطعها .

وكان لوالدي رحمه الله ابن عم يدعى ادريس وكان مشوّه الخلق زرى الشكل ليس له قوت الا ما يعطيه والدي فركب والدي و الملك الصالح اسماعيل الى ظاهر البلد فصادفه داخلا من قرية يونين الى المدينة فحين رأهم تنكّب الطريق و ابعد فطلبه والدي وسلم عليه و رحّب به و سأله عن حاله وقال للملك الصالح هذا ابن عمي ولو لا شرف العلم و التقوى لكنت مثله فتعجب الملك الصالح من ذلك و عظم في صدره

٢١/ب و قال والدي رحمه الله مرضت في حال شبابي بذات الجنب و الشقيقة و نالني من ذلك شدة عظيمة فدخل على فقيران (١) عاداني و سألاني عما اجد فأخبرتهما فقال احدهما لصاحبه اختر احد المرضين و انا الآخر فقال انا احمل عنه ذات الجنب وقال صاحبه و انا احمل الشقيقة فتلبس كل واحد منهما لوقته بالمرض الذي اختاره و برئت انا بالكلية لوقتي فاما الذي اصابه ذات الجنب فبقي اياما و مات رحمه الله و اما صاحب الشقيقة فبقي مدة وعوفي .

وحكى لي العماد محمد بن عوضة (٢) رحمه الله ما معناه انه قال كنت يوما في خدمة سيدي الشيخ بجامع دمشق و قد احضر شخص له دراهم قريب ثلاثمائة درهم من ضمان بستان كان له بدمشق فأخذتها وجعلتها

---

(١) الاصل فقيرين – ك (٢) سماه في مكان آخر محمد بن عوض بن علي بن عوض ابا عبد الله ولم اقف على ترجمة له – ك .

تحت

تحت طرف السجادة فمر فى صحن الجامع رجل اعمى فقال لى يا عماد خذ
هذه الدراهم اعطها لهذا الرجل فأخذت الدراهم وقمت الى الأعمى
ودفعتها اليه وجعلتها فى مئزره فدعا لى وتوهم انها فلوس فقلت له هذه
دراهم فاضطرب من السرور الى ان كادت تسقط منه فقلت له هذه سيرها
لك الشيخ الفقيه فدعا وانصرف ثم ان شخصا اهدى للشيخ ثوب صوف
نادر المثل فسألته ان اخيطه له ففصلته وخيطته وتأنقت فيه واحضرته
اليه وهو بجامع دمشق فلبسه وصلى فيه ركعتين وقعد وهو على اكتافه
وذلك الأعمى مار فى الجامع فقال لى يا عماد خذ هذه الفرجيّة اعطها
لهذا الرجل ففعلت ذلك قال ثم كنت عنده يوما آخر وذلك الأعمى
عابر فأعطانى شيئا له جنب(١) وقال اعطه (٢) اياه فاعطيته ذلك وبقيت
متعجبا من تخصيصه بذلك فلما رأيته منشرحا سألته عن سبب ذلك
فقال جئت مرة من جبل الصالحية ودخلت من باب الفراديس وانا
محتاج الى الخلاء فدخلت الطهارة التى بين البابين عند الازبهارية
وقضيت حاجتى واغترفت غرفة من الجرن استعملتها ثم تأملت الجرن
فوجدت فيه بعرفأر والماء مقطوع فورد على ما ضيق صدرى وكان
هذا الرجل يسكن فى المجاهدية وما كف بصره فلم اشعر به الاوقد فتح ٢٢/ الف
علىّ باب بيت الطهارة وناولنى ابريقا مملؤا ماء من النهر فسررت بذلك
وتطهرت بالماء وخرجت واعطيته الابريق ولم يكن لى فى ذلك الوقت
ما اعطيه فأنا لا اراه وعندى ما يمكننى ان ابره به الابررته مجازاة لفعله

(١) كذا (٢) الاصل اعطيه - ك .

قال العماد فعجبت من هذه المكارم و المجازاة على ما ايسر شيء بمثل هذا ،
فكان و الدى رحمه الله يبالغ فى مجازاة من يخدمه و لو بايسر (١) شيء
بما يمكنه و لايرى انه و فى ذلك الشخص حقه .

و سمعته رحمه الله يحكى ان الشيخ عبد الله نزل دمشق واقام بالربوة
و الملك العادل غائب عن دمشق و نائبه بها المعتمد رحمه الله فجعل نساء
الملك العا دل و بناته و اخواته يترددن الى زيارة الشيخ وكثر ذلك
و لايقدر المعتمد على منعهن و خشى من الملك العادل و ان ذلك يبلغه
فينكر عليه تمكينهن فحضر الى عندى وكان صديقى وهو من اصحاب
الشيخ و محبيه و عرفنى الصورة و طلب منى ان احسن للشيخ السفر
فوعدته بذلك هذا و الشيخ فى الطهارة وقام المعتمد ركب و دخل البلد
و خرج الشيخ فتوضأ للصلاة وصلى ركعتين و لبس الجمجم و قال قم
بناوسافر لوقته ولم احدثه بشيء مما قال المعتمد وكان عادة المعتمد ان يسير
للشيخ فى كل سنة فرجية قرض (٢) يصلى بها فى الشتاء و توهم المعتمد
ان سفر الشيخ كان لقوله (٣) فكتب الى يسألنى ان اطيب قلب الشيخ
عليه و سير الفرجية القرض (٢) فأحضرتها عند الشيخ و قلت ياسيدى المبارز
المعتمد يقبّل يدك وقد سير هذه الفرجية فقال يامحمد انا اذا احسن
الشخص علىّ فى العمر مرة واحدة و اساء بقية عمره ما اراه الاّ محسنا
و هذا المعتمد عمره يخدمنى و قد اخطأ مرة واحدة و عرفنى انه طيب
القلب عليه او ما هذا معناه .

---

(١) الاصل « و لو لابايسر » خطأ (٢) كذا (٣) لعله لقولى .

حدثنى

حدثني الشمس محمد بن داود (١) رحمه الله ما معناه قال وجدت ابن الشهاب على النهر ببعلبك وهو يشتم الشيخ شتما قبيحا وطلعت الى القلعة ووجدت الملك الأمجد فى شباك مجلس السماط فحين رآنى من بعيد طلبنى فحكيت له الصورة فسير جندارية وامرهم باحضاره ورميه فى الجب الى بكرة النهار يوقع فيه الفعل ويشهره فأحضروه عند غلوق ٢٢/ب باب القلعة وحبسوه وحكيت للشيخ رحمه الله فخاصمنى وانكر فعلى وسير فتوح الباب الى الملك الأمجد وطلب منه اطلاقه وانه لا يتعرض اليه بأذية واكد فى ذلك فتألمت انا والجماعة لذلك وظهر علينا الأذى وشرعنا نعدد ما صدر منه غير مرة وانه يستحق غاية العقوبة والنكال فقال صدقتم وانما له والدة عجوز ما آذتنى ومتى فعل به شيء مما قلتم تألمت فانا اترك مقابلته لذلك .

دخل على الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل رحمهما الله تعالى الشيخ جمال الدين بن الحافظ المقدسى (٢) رحمه الله وبيد الملك المعظم مجلد فيه احاديث غير معزوة فقال له اشتهى ان تعزى هذه الاحاديث الى الكتب الصحاح وتعين ما اتفق عليه وما وقع لبعض المصنفين دون بعض ويكون ذلك بسرعة فقال له هذا يحتاج الى مدة ويكشف من الاطراف وغيرها واقل ما يكون ذلك فى شهرين فاستطال المدة ودخل عليه فى اثر ذلك الشيخ شمس الدين سبط ابن

---

(١) توفى سنة ٦٧٩ ك - (٢) هو ابو موسى عبد الله بن عبد الغنى توفى سنة ٦٢٩ ك .

الجوزى (١) رحمه الله وهم فى الحديث فقال للملك المعظم تعطينى هذا الكتاب والمقصود يحصل فى عشرة ايام فاعطاه الكتاب فركب من وقته وحضر الى بعلبك واجتمع بوالدى وقال له اشتهى ان تعزو هذه الاحاديث فأخذ الكتاب منه وعزاها على ما اقترح المعظم فى مدة ثلاثة ايام وعثر على الفاظ سقطت فألحقها بخطه وكان ذلك المجلد فى نهاية حسن الخط ، فلما فرغ منه اخذه الشيخ شمس الدين وعاد به الى دمشق وحمله الى الملك المعظم فسر بذلك واثنى على الشيخ شمس الدين وفضيلته فلما عاد وحضر عنده الشيخ جمال الدين بن الحافظ عرفه ان الشيخ شمس الدين عزا تلك الأحاديث فى مدة يسيرة واوقفه على المجلد فتعجب من ذلك لأن الحديث لم يكن فى الشيخ(٢) شمس الدين وتصفح المجلد فوجد تلك الالحاقات التى(٢) بخط والدى فقال انما عزا هذه ٢٣/الف الأحاديث الشيخ الفقيه اليونينى فقال وكيف صنع قال هو يحفظ هذه الأحاديث جميعها ويعرف مظانها (٣) فما يتعذر عليه ذلك وهذا خطه فقال اشتهى ان اجتمع به فقال ما يفعل يجىء الى هنا .

وكان والدى رحمه الله لايتناول من وقف شيئا ولايقبل برّ احد ولا أكل فى عمره صدقه ولا ما يجرى مجراها وكان يقبل الهدية من بعض الناس ممن يتيقن حلّ ماله ويكافى عليها ، وحدثنى اخى ابوالحسن علىّ رحمه الله ان والده رحمه الله اخبره قبل وفاته انه من ذرية

(١) هو يوسف بن قزأوغلى المتوفى سنة ٦٥٤ - ك (٢) كذا (٣) الاصل مضانها - ك

جعفر الصادق بن محمد الباقر رضى الله عنهما و انما اخبره بذلك ليعلم ما
يحرم عليه من الصدقة و ما يترتب على ذلك وكان لايصرح بذلك
و انما اظهره قبل وفاته لولده خاصة لهذا المعنى و الله اعلم، ووقفت على
ورقـة بخط اخى رحمه الله يذكر فيها نسبه و من مضمونها محمد بن ابى
الحسين احمد بن عبد الله بن عيسى بن احمد بن على (١) بن محمد بن محمد
ابن احمـد بن محمد بن الحسين بن اسحاق بن جعفر الصادق بن محمد
الباقر بن زين العابدين علىّ بن الحسين شهيد كربلا بن على المرتضى
اميرالمؤمنين رضى الله عنهم اجمعين ابن ابى طالب عبد مناف بن عبدالمطلب
ابن هاشم بن عبد مناف وذكره الحافظ عزالدين عمر(٢) بن الحاجب الأمينى
رحمه الله فى معجمه فقال محمد بن ابى الحسين بن عبد الله بن عيسى بن
ابى الرجال الشيخ الفقيه الزاهد يكنى ابا عبد الله اصله و مولده بقريـة
يونين قرية من بعلبك وترعرع و نشأ فى ستر وسلامة وصحب الشيخ
الزاهد عبد الله اليونينى و اظنه نسيبه و تلمذ له و عرف بصحبته واختص
بخدمته و عادت انوار الشيخ و بركته عليه و تخلق بأخلاقه و قرأ واشتغل
بالفقه و الحديث وغيرهما الى ان صار اماما عالما حافظا ثقة زاهدا
ورعا وقورا وصار متقدم الطائفة و سالك الطريقة ولم يرفى زمانه مثل
نفسه فى كماله و براعته جمع بين علمى الشريعة و الحقيقة و كان مليح
الشيبة فصيح اللهجة حسن الوجه والشكل ظريف الشمائل مليح الحركات ٢٣/ب

---

(١) كتب فوق على، بخط مختلف ابو المواهب وفوق محمد ابو سالم وفوق محمد الثانى
الحرانى وفوق احمد البخارى - ك (٢) هو عمر بن محمد بن منصور توفى سنة ٦٣٠ - ك.

و السكنات له القبول التام فى تلك الديار حميد المساعى والآثار و له الصيت المشهور و الافضال على المتنابين وكان من المقبولين المعظمين عند الملوك لكماله و فضله و حسن سيرته حسن الخلق و الخلق نفّاعا للخلق مطّرحا للتكلف كريم النفس بشوش الوجه وكان من جملة محفوظاته الجمع بين الصحيحين للحميدى و غيره مليح الخط و ذكر غير ذلك ، ثم قال حكى لى الشيخ الفقيه رحمه الله تعالى قال مكثت مدة اريد ان اسأل شيخنا الامام العلامة موفق الدين بن قدامة (١) رحمه الله عما يقال عن الحنابلة فى التشبيه و التجسيم هل [هو] مجرد شناعة او قال به بعضهم فحصلت به الشناعة على الجميع اوهو شيء يخفيه المشايخ فلا يظهره (٢) الّا لمن يثق (٣) اليه الى ان صعدت معه الى جبل قاسيون وخلت الطريق و هو بين يدى و انا خلفه فقلت الآن اسأله عما فى نفسى فقلت يا سيدى و ما زدت على ذلك فالتفت الىّ و قال التشبيه مستحيل فقلت لم قال لأن من شرط التشبيه ان ترى الشيء ثم تشبهه من الذى رأى الله تعالى ثم شبهه لنا .

قال و حكى لى ايضا قال حضرت مجلس شيخى عبد الله اليونينى رحمه الله و قد سأله ابن خاله حميد بن برق (٤) فقال زوجتى حامل ان جاءت بولد ما اسميه قال سمّ الواحد سليمان والآخر داود فأتت زوجته بتوأم (٥) فسمى الواحد سليمان و الآخر داود قال و انشدنا لنفسه :

(١) هو ابو محمد عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة توفى سنة ٦٢٠ - ك (٢) لعله يظهرونه (٣) لعله يثقون (٤) برق بلا نقط - ك (٥) الاصل بتؤم - ك

خذ مليك الناس قولا شافيا شافيا قولا مليك الناس خذ
لُذ بباب الله صبّا مغرما مغرما صبّا بباب الله لذ
اذ شباب المرء ظل زائل زائلا ظل شباب المرء اذ

قال وحكى لى ايضا انه حفظ صحيح مسلم جميعه وكرر عليه فى اربعة اشهر وكان يكرر على الجمع بين الصحيحين واكثر مسند الامام احمد رضى الله عنه من حفظه وانه كان فى الجلسة الواحدة يحفظ ما يزيد ٢٤ / الف على السبعين حديثا، انتهى ما نقلته مختصرا من معجم الامينى رحمه الله واورد له الشيخ عزالدين احمد بن على بن معقل الازدى المهلبى (١) رحمه الله ابياتا فى الروضة فى وصف بعلبك وكان نظمها فى ايام الشبيبه من اولها :

لله بلدة بعلبك بقعة رقّ النسيم بها وراق الماء
فتغردت اطيارها وتمايدت اشجارها وامتدّت الافياء
فالجوّ صافٍ والنسيم معطر والماءناف ما جناه غذاء(٢)
طابت مآكلها(٣) وقدطابت بها امواهها والترب والأهواء
صحت جسوم رجالها وثمارها فتولدت عنها قوى وذكاء

من ابيات، ووقفت على جزء ألفه بعض المقادسة جمع فيه شيئا من احوال الشيخ عبد الله الكبير اليونينى وذكر بعض اصحابه وذكر والدى رحمهالله وذكر بعض مضمون ما تقدم فلم اذكره للاستغناء عن اعادته وذكرت مختصرا بعض مالم اذكره فى هذه الاوراق، قال ومنهم يعنى

(١) توفى سنة ٦٤٤ - ك (٢) كذا (٣) الاصل « ما اكلها » .

اصحاب الشيخ عبد الله الكبير رحمة الله عليه قطب الاسلام و قدوة الأنام الشيخ محمد بن ابى الحسين الفقيه كان اماما عالما علامة قطب ثمان عشرة سنة (١) وكان احسن اهل زمانه خلقا و خلقا .

ذكر بدايته

: قيل انه كان بين يدى الشيخ عبد الله رحمة الله عليه فقال له انت تكون فقيها و ارسله الى الشيخ موفق الدين فقرأ عليه الفقه و على الامام الحافظ عبد الغنى رحمه الله الحديث و قرأ القران الكريم على الشيخ عماد الدين ابراهيم المقدسى (٢) رحمه الله و جمع الله له بين الحديث و الفقه وكان يكرر على الجمع بين الصحيحين و اعطاه الله الحال فى صغره قال ابوالحسن على بن الامام ابى العباس احمد بن عبدالدائم (٣) وكان يخدمه مدة سنين كثيرة وكان للشيخ الفقيه اوراد لوجاء ملك من الملوك ما أخرها عن وقتها .

نبذة من كراماته

قال ابو العباس احمد بن محمد بن سعد (٤) كان بين يدى الشيخ الفقيه جماعة فذكروا السرقة فقال الشيخ انا سرقت كنت صغيرا وكان لوالدتى فى طاقة ثلاثة عشر درهما فحدثتنى نفسى ان آخذ منها درهما فأخذته ثم لم ازل آخذ درهما بعد درهم حتى اخذت الجميع فلما كان ٢٤ / ب بعد مدة احتاجت والدتى الى ثوب فقال لى والدى لأمك فى الطاقة

(١) قد تقدم قريبا عن بعضهم «اثنتى عشرة سنة» (٢) هو ابراهيم بن عبدالواحد اخو عبدالغنى توفى سنة ٦١٤ - ك (٣) عذبه التتر الى ان مات سنة ٦٩٩ وله ٨٢ سنة - ك (٤) توفى سنة ٧٠٠ - ك .

ثلاثة عشر درهما خذها واشترلها بها ثوبا قال الشيخ فبقيت حائرا أتفكر وقمت الى الطاقة فوجدت الخرقة وفيها ثلاثة عشر درهما او كما قال .

وقال المؤلف حدثنى ابوالحسن على بن احمد بن عبد الدائم قال كنت اخدم الشيخ الفقيه فلما كان فى بعض الايام ورد الشيخ عثمان (١) من دير ناعس وكان الشيخ عند صغاره او فى مكان آخر قال فقال الشيخ عثمان كنت اشتهى يكشف الشيخ الفقيه صدره واعانقه بصدرى ويعطينى الثوب الذى عليه قال فلما جاء الشيخ عثمان ومن معه من الفقراء واحضر الطعام فلما اكلوا وفرغوا قال لأصحاب الشيخ عثمان قوموا الشيخ عثمان ما يخرج الساعة فلما خرجوا قال قم يا شيخ عثمان فلما قام كشف عن صدره وعانقه ونزع الثوب الذى كان عليه واعطاه للشيخ عثمان وقال كلما تقطع اعطيتك غيره او ما هذا معناه .

قال المؤلف واخبرنى ابوالحسن على بن احمد المذكور قال ما كان الشيخ الفقيه يرى اظهار الكرامات ويقول كما اوجب الله على الانبياء صلى الله عليهم وسلم اظهار المعجزات اوجب على الاولياء اخفاء الكرامات قال وذكروا عنده الكرامات فقال ويلكم ايش الكرامات كنت وانا صغير عند الشيخ عبد الله يعنى ببعلبك وكان عنده بغاددة يعملوا مجاهدات وكنت ارى من يخرج من باب دمشق وأرى الدنيا قدامى مثل الوردة فكنت اقول للشيخ ياسيدى يجئ (٢) الى عندك من دمشق اناس

(١) مات سنة ٦٥٠ ك (٢) الاصل « ينجى » خطأ .

و معهم كذا وكذا و من حمص و من مصر فاذا جاء ما اقول يقولون يا سيدى نحن نعمل مجاهدات و ما نرى و هذا يرى فيقول هذا ما هو بالمجاهدات هذا من الله تعالى او ما هذا معناه، قال و حدثنى الشيخ اسرائيل ابن ابراهيم قال كان وقع لبعض اصحاب الشيخ الفقيه امر كره الشيخ وقوعه فلما كان بعد مدة ورد الشيخ عثمان من دير ناعس فلما حضر ٢٥/الف عند الشيخ الفقيه سأله مسألة غليظة ان يمكنه بجعل قدمه على وجهه فقال له يا شيخ عثمان ايش هذا الخاطر فقال انا قد سألتك فلما مكنه من ذلك قال له يا شيخ عثمان اعاد الله على المسلمين بركتك اشتهى زوال كذا وكذا فلما صلى العشاء رمق الشيخ عثمان فما كان الاّ قليلا وانقضت الحاجة فلما بلغ الشيخ الفقيه قال احسنت يا شيخ عثمان احسنت ياشيخ عثمان فسأل بعض الجماعة الشيخ عثمان فقال له انت ما عندك احد مثل الشيخ الفقيه فلم لا قام هو فى هذا الأمر بنفسه فقال الخليفة اذا اراد شغلا او قال امرا من الامور ما يقوم هوفيه بنفسه ولكن يأمر بعض من عنده يقوم فيه او ما هذا معناه.

قال وكان الشيخ الفقيه يكرّر على الجمع بين الصحيحين و على اسماء الرجال فشذّ عنه بعض الأسماء فنظر الى السماء فعرفه فسأله خادمه ابن باقى فقال له يا سيّدى رأيتك اذا نسيت الاسم ترفع رأسك الى السماء فتذكره فقال له اذا نظرت الى السماء رأيته مكتوبا فى الهواء او كما قال قال و اخبرنى المعرى عامر قال غضب الشيخ الفقيه على خادمه ابن باقى و روحه من خدمته فسافر الى حلب و اقام بها مدة و رجع فى

يوم

يوم عيد و الشيخ يخطب للعيد عند ضريح الشيخ عبدالله اليونيني و الشيخ عثمان يومئذ حاضر فسأل ابن باقى الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله و الشيخ عثمان ان يشفعا (١) فيه عند الشيخ الفقيه وكان للشيخ عادة اذا صلى العيد يأخذ الجماعة الى منزله قال فلما صرنا فى منزله غمز ابن باقى للشيخ (٢) محمد فنظر الى الشيخ الفقيه و قال ياسيدى اشتهى تصفح عن خادمك ابى بكر وكان حاضرا وكشفنا نحن رؤوسنا فاحمرّ وجه الشيخ الفقيه و اطرق و قال اذا كان الانسان نحس ايش اعمل انا ما يدخل احد الى المسجد الاو ابصر قلبه مثل هذا الثوب و امسك كمه و نظر الينا و صاح غطوا رؤوسكم من فعل هذا حتى تفعلوه انتم و اما الشيخ عثمان فانه ما تكلم و التفت الى ابن باقى فما رأيته او ما هذا معناه .

قال و اخبرنى الفقيه ابو الحسن على بن عثمان بن عمـــر الموصلى الشافعى قال اخبرنى المقرئ نصر المرداوى قال كنت اقرئ القرآن بمسجد الحنابلة ببعلبك و قد تجمع على عشرة دراهم دين ضاق منها صدرى فخطر لى ٢٥ / ب اخرج الى بعض الاماكن و اعمل و احصلها فلما صليت الصبح وكنت بالزاوية الغربية من المسجد و الشيخ الفقيه بالشرقية فلما صلى طلبنى فجئت اليه فقال روح الى فلان و خذ منه عشرة دراهم اوما هذا معناه، قال و اخبرنى ابراهيم بن محمد بن حمدان قال ارسلت بكتاب من جهة الملك الصالح اسماعيل الى عند الشيخ الفقيه فوصلت ببعلبك و رحت الى الشيخ و ناولته الكتاب فقرأ بعضه و نظر الى و قال ماجاءك اولاد قلت ياسيدى خليت

---

(١) الاصل يشفعوا لك (٢) لعله الشيخ .

المرأة على ليالها وتم قراءه الكتاب وقال لارأى لحاق وقام وتوضأ للصلاة، فلما كان العصر من يوم الاثنين والمؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله رفع يديه وقال اللهم خلصها قال فلما رجعت الى المزة اخبرونى انى جاءنى صغيره فسألت متى جاءت قالوا يوم الاثنين ومؤذن العصر يقول اشهد ان محمدا رسول الله اوكما قال .

قال وحدثنى الشيخ اسماعيل بن على بن ابراهيم (١) قال كنت عند الشيخ الفقيه فنظر الى وقال رحم الله والدك فلان وامك فلانة قال فحصل عندى شئ فقلت له يا سيدى اسمع يقولون كرامات الفقراء وقد سمعتها منك واذا انسان ينادى على الباقلاء فقال الشيخ خذ قرطاس واشتر به باقلاء وخذه الى حجرك وكل ما قلت لك كرامة اعطى باقلاة ، ثم قال والله ايراد حديث واحد عن النبى صلى الله عليه وسلم ينتفع به الناس احب الىّ من ملء الارض كرامات اوما هذا معناه، قال وحدثنا ابو محمد عبد الرحيم بن عبد الوهاب قال جاءنى فقيران من حلب يسألان الشيخ الفقيه عن احاديث حتى استأذن لهما عليه فلما استاذنت بالدخول وكان بالزاوية التى قبلى المسجد ببعلبك فلما دخلنا عليه سلموا (٢) وتحادثوا فابتدأ الشيخ وحدثهم (٢) بمعنى الأحاديث وذكرها لهم (٢) فحصل عند احدهما شئ فقال الشيخ لا اله الا الله لواراد الفقيران يكون كل كلامه كرامات فعل اوما هذا معناه .

---

(١) ذكر فى المجلد الثانى اسماعيل بن ابراهيم بن على الفراء الذى توفى فى سنة ٦٨٤ لعله هو - ك (٢) كذا والسياق يقتضى التثنية .

٢٦ / الف

قال و اخبرنى ابو محمد عبد الرحمن بن يوسف بن محمد (١) قال اخبرنى الشيخ عثمان قال كان فى خاطرى ثلاث مسائل اريد أن اسأل الشيخ الفقيه عنها قال فأجابنى عنها قبل ان اسأله او ما هذا معناه. و قال ابو محمد عبد الرحمن المذكور طالعت فى كتاب الترغيب و الترهيب فى باب الاستغفار ثم سألت الشيخ الفقيه عن الاستغفار فقال ذكر البخارى كذا و ذكر مسلم كذا و ما اتفقا عليه كذا ثم ذكر ما فى الترغيب من فضائل الاستغفار قال قال الشيخ حسن بن ابراهيم الحداد حضرت مجلس الشيخ الفقيه بجامع دمشق و قد سئل عن اختلاف الائمة الأربعة فقال هذا الجامع الذى نحن فيه له اربعة ابواب فاذا دخل كل انسان من باب صارفيه و هكذا الائمة وكلهم على الحق .

قال المؤلف قرأت فى سيرة الشيخ موفق الدين تأليف الشيخ الضياء محمد المقدسى (٢) قال سمعت الفقيه الامام الزاهد اباعبد الله محمد بن ابى الحسين اليونيى قال و مع ما رأيت منه و سمعت منه يعنى الشيخ موفق الدين رحمه الله ما اعلم انه اشكل علىّ موضع فى اصول الدين و فروعه الا رأيته فى المنام و رفع عنى الاشكال مرة جاءتنى فتيا مشكلة فى الفروع فتحيرت فى الجواب فرأيته فى المنام فقال لى الجواب .

قال المؤلف قرأت فى بعض الكتب ما صورته سمعت من لفظ شيخنا الفقيه الامام العالم محمد بن ابى الحسين بن عبد الله اليونينى اثابه الله الجنة بكرمه بلده بعلبك فيما رفعه الى الجنيد رحمة الله عليه قال كان

(١) توفى سنة ٦٨٨ - ك (٢) هو ابن عبد الواحد بن احمد توفى سنه ٦٤٣ - ك .

فى نفسى مسألة فى التوحيد فسألت عنها جماعة من اهل العلم فما شفى احد فؤادى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فسألته عنها فشفى فؤادى قلت يا رسول الله ما التوحيد قال كل ماحدّه فكرك واحاط (١) به علمك او ادركه حسك او اصبته بفهمك فالله تعالى بخلاف ذلك وانما يسأل العبد يوم القيامة عن الشك والشرك والتشبيه والتعطيل قلت يا رسول الله فما العقل قال ادناه ترك الدنيا واعلاه ترك التفكر فى ذات ٢٦/ب الله تعالى قلت يا رسول الله ما التصوف قال ترك الدعاوى وكتمان المعانى .

ذكر قطبيته رحمه الله

قال المؤلف اخبرنى الشيخ ابو اسحاق ابراهيم بن الشيخ عثمان بدير ناعس قال اخبرنى والدى قال قطب الشيخ الفقيه ثمانى عشرة سنة اوكما قال قال المؤلف حدثنا الشيخ محمود بن الشيخ سلطان بمنزله يعلبك قال قال لى الشيخ الفقيه حاجة فلما سألت عنها اخبرت انه قطب من اثنتى عشرة سنة (٢) فلما سألنى عن الجواب قلت له من يكون قطب من اثنتى عشرة سنة يسالنى عن حاجة فاحمر وجهه ولبس مداسه وخلانى وخرج اوكما قال .

قال المؤلف وحدثنى على بن احمد بن عبد الدائم قال قدم علينا فقير بغدادى اسمه عبد الله وكان امام قرية زحلة واخبرنا انه رأى خلقا وسمع نقارات فسأل ايش هذا فقيل له قد قطب الشيخ محمد الفقيه قال

(١) الاصل « اخلط » خطأ (٢) الاصل من اثناعشر .

فما كان الّا قليلا و اذا بالشيخ عثمان قد اقبل من دير ناعس فقلنا له يا سيدى ماتسمع ما يقول هذا الفقير فقال و ايش قال قلنا قال كذا وكذا فقال الشيخ عثمان صدق لأجل هذا جئت او ماهذا معناه، قال المؤلف و اخبرنى الشيخ تقى الدين ابو اسحاق ابراهيم بن على بن فضل الواسطى (١) قال رأيت للشيخ الفقيه رؤيا تدل على انه اعطى و لاية او كما قال.

ذكر ادب الملوك والوزراء بين يديه

قال المؤلف سمعت قاضى القضاة اباالمفاخر(٢)محمد بن عبد القادر الانصارى الشافعى يقول سأل(٣)الملك الاشرف الشيخ محمد الفقيه فقال له يا سيدى اشتهى ابصر شيئا من كرماتك فقال له الشيخ ايش يكون هـــذا فلما اراد الشيخ الخروج بادر الملك الأشرف الى مداس الشيخ و قدمه فقال له الشيخ يا فلان هذا الذى كنت تطلبه قد وقع قال كيف يا سيدى قال انت الملك الأشرف بن الملك العادل و انا ابن رجل من اهل يونين تقدم مداسى قال فاطرق الملك الاشرف اوما هذا معناه .

قال المؤلف حدثنى اسرائيل بن ابراهيم قال كنت مرة عند الشيخ الفقيه وعنده ولده عبد القادر فاذا بأمين الدولة وزير الملك الصالح قد دخل فلم يقم له الشيخ فقال لى ولده عبد القادر ما الشيخ الّا عجيب يدخل ٢٧ / الف عليه مثل هذا ما يقوم له فلما خرج امين الدولة و انبسط الشيخ قال له ولده يا سيدى يدخل عليك مثل هذا الوزير ما تقوم له فقال ايما

(١) توفى سنة ٦٩٢ - ك (٢) توفى سنة ٦٧٢ - ك (٣) الاصل سألت - ك .

امير (١) هذا او الملك الاشرف كان اذا دخل على و انا متكئ على جنبى يسألنى انى لا اقعد و يقف يقول ما اراد و يخرج و كان ابن الملك العادل و هذا من هواوكما قال .

و قال المؤلف اخبرنى الامير سيف الدين بكتمر الساقى العزيزى قال لما عبر التتار الى الشام قصدت زيارة الشيخ الفقيه فلما حضرت عنده ذكرت له التتار فأخبرنى انهم ينكسروا فلما اردت اودعه قلت له يا سيدى اشتهى تدعولى قال فرفع يديه و رفعت يدى و دعا بدعاء لاهو بالعربى ولا بالتركى و قال لى ما بقيت بعدها ترانى قال فلما انكسر التتار رجعت الى دمشق و طلعت الى بعلبك و سألت عن الشيخ قالوا توفى او كما قال، قال المؤلف اخبرنى الشيخ يوسف بن محمد بن موسى(٢) قال رأيت الشيخ الفقيه و الشيخ عبد الله بن عزيز فى المنام و فى حجر الشيخ الفقيه دنانير ودراهم و فلوس و فى حجر الشيخ عبد الله ايضا قال فمسست التى فى حجر الشيخ الفقيه فوجدتها مسكوكة و لمست التى فى حجر الشيخ عبد الله فوجدتها بلا سكة فسألت الشيخ الفقيه كما انا من هذا فى النوم فقال حالى ظاهر و باطن و حال الشيخ عبد الله باطن قال فلما رأيته فى اليقظة اخبرته بما رأيت فقال صحيح او ما هذا معناه .

قال و اخبرنى احمد بن عباس قال اخبرنى الشيخ ابراهيم بن الشيخ عثمان بدير ناعس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المنام فقلت له يا رسول الله انا مشتاق اليك فقال لى زر قبر الشيخ الفقيه و قال

(١) كذا (٢) لعله ابن منعة الموصلى رسول غازان الذى توفى سنة ٧١٦ - ك .

ابو الفداء اسماعيل بن علي بن ابراهيم (١) الفراء درت اطراف الحجاز والعراق ومصر ومارأيت مثل الشيخ الفقيه وكنت مرة عنده فنظر الى وقال يا شيخ اسماعيل اراك بعض الاوقات تؤذن على سجادتي وعلى باب المسجد وعلى باب داري وانا قد عجزت عن الركوب لحج عني ولا تروح على البر الآ على البحر فانك تروح طيبا فخالفته وشارطت عربا واعطيتهم مائة وخمسين درهما فأخذوها وراحوا، فلما ٢٧ / ب طلعت اليه قال لي ما قلت لك ما تروح على البر فقلت يا سيدي وايش ادراك فقال قولك ايش ادراك اعجب من مخالفتي قال فتجهزت ورحت على البحر فلما طلعت من البحر جئت الى مكان فيه عين ونخل ورجل اسمر شديد السمرة فلما رآني سلم علي وقال لي طيب قلبك تروح طيبا فلما رجعت ودخلت على الشيخ سألني عن طريقي وقال ايش حسن المكان والنخل والرجل الأسود يوم فارقك جاء الي واخبرني انك طيب وكان احد الابدال او ما هذا معناه. قال وارسلني الشيخ الفقيه مرة الى مصر في حاجة فما وردت منزلة الّاوخرج الي انسان وخدمني الى ان جئت الى سفط الحني (٢) ظاهر بلبيس فرأيت بها مسجدا وسفرة واباريق فدخلته فقال شخص هذا مكان للصلاة ما هو للقعود فيننا (٣)

---

(١) لعل الصواب اسماعيل ابن ابراهيم بن علي وله ترجمة في هذا الكتاب توفي سنة ٦٨٤ - ك (٢) كذا وفي النجوم (ج ٧ ص ١٢٨) « السفطي » وبهامشه « نسبة الى سفط الحناء وهي التي تعرف اليوم بصفط الحنة احدى قرى الزقازيق بمديرية الشرقية » (٣) الاصل « فبيننا » .

نحن كذلك و اذا شيخ قد اقبل فقال لى يا أخى من اين انت فقلت من دمشق فقال من تعرف قلت اعرف مشايخ الصالحية فلان و فلان و مشايخ بعلبك الشيخ الفقيه فصاح و قال هذا الشيخ الذى أخذت عنه امور دينكم فاعتذر الى و اكرمنى تلك الليلة و دخلت القاهرة و قضيت حاجتى و رجعت فلما دخلت على الشيخ سألنى عن طريقى فقلت له ما جئت الى مكان الآ و خرج الى من يخدمنى فاغرورقت عينه (١) بالدموع وقال ياالهى ما هذا الاحسان وانا ابن فلان من يونين قال و قلت له يا سيدى اشتهى ابصر الشيخ فلان فقال كان فقيرا يخدم الشيخ فقال له يا سيدى اشتهى ابصر القطب فقال له القطب يحضر فى المكان الفلانى فى السنة مرة و عند جماعة فسافر الفقير الى ذلك المكان و رأى اولئك الجماعة فقالوا له مالك فقال جئت ابصر القطب فقالوا له اليوم راح من ههنا فبقى عندهم سنة، فلما كانت تلك الليلة التى عادة القطب يجئ فيها قاموا فقال لهم الفقير مالكم قالوا الساعة يجئ القطب فقام معهم و اذا به قد اقبل فتلقوه و اذا هو شيخه فقال له يا سيدى و انت هو قال نعم لوقلت لك انى هو ما سلمت لى او ما هذا معناه .

٢٨/الف قال المؤلف سمعت الشيخ عبد الدائم بن احمد (٢) يقول كان الشيخ الفقيه فى مبتدأه زاهدا و فى منتهاه عارفا او ما هذا معناه، قال المؤلف و ذكره سيف الدين احمد بن مجد الدين عيسى بن الشيخ موفق الدين (٣) ممن سمع بقاسيون فقال محمد بن ابى الحسين اليونيني

(١) الاصل« فغرغرت عينيه »خطأ (٢) توفى سنة ٦٩٩-ك (٣) توفى سنة ٦٤٣-ك

وذكر

و ذكر مولده و غير ذلك وقال كان عالما سريع الحفظ كثير المحفوظ سمعته يقول حفظت اكثر مسند الامام احمد رضى الله عنه وكرر على الجمع بين الصحيحين و حفظ سورة الانعام فى يوم واحد و حفظ صحيح مسلم فى اربعة اشهر و حفظ ثلاث مقامات من مقامات الحريرى الى نصف نهار الظهر انتهى ما نقلته من الجزء تأليف بعض المقادسة .

قلت و تزوج والدى رحمه الله فى عمره ست زوجات و رزق عدة اولاد درج منهم فى حياته جماعة و توفى الى رحمة الله تعالى و فى عقده(١)والدتى رحمها الله تعالى اما بقية النساء فدرجن الى رحمة الله فى حياته لم يفارق احدا منهن ولا جمع بين زوجتين و خلف من الأولاد اخى ابا الحسين على و خديجة و آمنة، أمهم ابنة الهمام تركمانية و موسى و امة الرحيم و أمهما زين العرب بنت نصر الله بن هبة الله بن الحسن بن يحيى ابن محمد بن على بن يحيى بن صدقة بن الخياط التغلبية و جدّها الحسن ابن يحيى هو المعروف بسنى الدولة فأبو الحسين رحمه الله استشهد يوم الخميس حادى عشر شهر رمضان المعظم سنة احدى و سبعمائة كان وثب عليه من جرحه فى رأسه بكرة يوم الجمعة خامس شهر رمضان المذكور بمسجد الحنابلة و دفن بباب سطحا و كان سيدا كبيرا اماما عالما حافظا متقنا محققا رحمه الله و رضى عنه و مولده فى شهر رجب سنة احدى وعشرين وستمائة ببعلبك، واما خديجة فكانت امرأة صالحة كثيرة العبادة و الخير توفيت الى رحمة الله تعالى فى شهر رجب سنة ثمانين و ستمائة

(١) اصل « عقدة »

ببعلبك ودفنت فى تربة الشيخ عبد الله اليونيني الكبير رحمه الله تعالى وزين العرب والدتى رحمهما الله تعالى توفيت سحر ليلة الجمعة خامس عشرى شوال سنة ثلاث وتسعين وستمائة بمنزلى ببعلبك ودفنت بعد صلاة الجمعة فى مقابر باب سطحا وقد نيفت على الثمانين سنة من العمر وكانت امرأة صالحة كثيرة العبادة وقيام الليل .

٢٨/ب محمد بن خليل بن عبدالوهاب بن بدر ابوعبد الله البيطار المعروف بالأكّال (١) اصله من جبل بنى هلال ومولده بقصر حجاج خارج دمشق سنه ستمائة وتوفى بدمشق فى خامس شهر رمضان من هذه السنة رحمه‌الله وكان رجلا صالحا كثير الايثار وحكاياته فى أخذ الأجرة على ما يأكله وما يقبله من بر الامراء والملوك وغيرهم مشهور ولم يسبقه الى ذلك احد ولا اقتفى أثره من بعده ولاشك انه كان له حال ينفعل له بها ذلك وجميع ما يفتح به عليه على كثرته يصرفه الى القرب ويفقد (٢) المحابيس وغيرهم من المحاويج والارامل والمنقطعين وكان بعض الناس ينكر على من يعامله بهذه المعاملة وينسبه الى التهور فى فعله فاذا اتفق اجتماعه به انفعل له انفعالا كليا ولايستطيع الامتناع من اعطائه كل ما يروم وكان مع هذا حسن الشكل مليح العبارة حلو الحديث له قبول تام من سائر الناس وكان كثير المحبة فى والدى رحمه الله والتردد اليه لما نزل دمشق فى سنة خمس وخمسين والأكل عنده بغير أجرة وهو مطلق عنده دون غيره رحمه الله .

---

(١) له ترجمة فى ذيل مرآة الزمان ايا صوفيا (ص ٣٨٩) ابسط مما هنا (٢) لعله يتفقد .

محمد بن عبد الله بن ابي بكر ابو عبد الله القضاعي البلنسي المعروف بابن الآبار (١) الكاتب الاديب المحدث ذو الفضائل الجمة كان اماما عالما عارفا بانواع كثيرة من العلوم و مولده ببلنسية من شرقي بلاد الاندلس في احد الربيعين من سنة خمس و تسعين و خمسمائة و نشر بتلك البلاد علما كثيرا و صنف تصانيف مفيدة في علوم متعددة و توفي بتونس في يوم الثلاثاء العشر من المحرم هذه السنة رحمه الله .

محمد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر ابو عبد الله شمس الدين المقدسي الشيخ الصالح العالم العابد المسند سمع من محمد بن حمزة بن ابي الصقر وغيره و اجاز له ابوطاهر السلفي والكاتبة شهدة رحمها الله و هو آخر من روى عنهما فيما علم بالاجازة المعينة واستشهد بيد التتار في قرية ساوية من عمل نابلس في شهر جمادى الاولى ودفن بها و قد نيف على المائة سنة رحمه الله تعالى . ٢٤ / الف

محمد بن عبد الواحد بن عبد الجليل بن علي ابوبكر زكي الدين المخزومي اللبّي (٢) الشافعي كان فقيها عالما فاضلا خبيرا بالاحكام وعنده مشاركة جيدة في الادب وغيره وله نظم حسن ولي القضاء ببانياس مدة وبصرى وولي اعادة المدرسة الناصرية بدمشق و تدريس المدرسة القليجية الشافعية بدمشق وغير ذلك ثم ولي القضاء ببعلبك بعد وفاة صدر الدين عبد الرحيم قاضيها (٣) رحمه الله و استمر بها الى ان

(١) ترجم له في الفوات (ج ٢ ص ٤٥٠) (٢) بضم اللام وفتح الباء المشددة ـ ك
(٣) هو ابن نصر بن يوسف توفي سنة ٦٥٦ ـ ك .

جفل الناس من التتر فى اول هذه السنة فتوجه الى قلعة الصبيبة صحبة الامير ناصر الدين التبنيني رحمه الله فلما سلمت الى التتر دخل دمشق واقام بها الى ان انقضت دولة التتر وسأل العود الى بعلبك فأعيد اليها فتوجه نحوها وهو متمرض فأقام بها اياما وتوفى الى رحمة الله تعالى فى ذى القعده ودفن فى مقابر باب سطحا ظاهر باب دمشق من مدينة بعلبك هو فى عشر الثمانين وكان كريم الاخلاق حسن العشرة لطيف المحاضرة على ذهنه من الاشعار والحكايات والنوادر شيء كثير وكان شديدا فى احكامه مشكور السيرة فى ولاياته متفننا فى فضائله رحمه الله وكان يزعم انه من ذرية خالد بن الوليد رضى الله عنه واللبن قرية بين القدس ونابلس وانشدنى من نظمه اشعارا كثيرة لم يعلق بذهنى الآن منها شيء. وسألت ولده معين الدين عن شيء من شعره فكتب لى هذه القطعة:

سل سائل العبرات فى الاطلال ... كم قد خلوت بها بذات الخال
وجنيت باللحظات من وجناتها ... ما غضّ منه الغض من عذالى
وهممت ارتشف اللى (١) فترنّحت ... لحمت جنى المعسول بالعسّال
لو لم تكن مثل الغزالة لم تكن ... بمنى لها عنى (٢) نفور غزال
صدت ولولاها (٣) تصدت لى لما ... وصل الغرام حبالها بحبالى
وبروض خدّيها تنعم ناظرى ... ولنار وجنتها فؤادى صالى ٢٩ / ب
فاعجب لجذوة خدّها ولمائه ... ضدان مجتمعان من صلصال

---

(١) فى الاصل « الماء » خطأ (٢) الاصل « غنى » كذا (٣) لعله لولا ما .

انا

انا فى هجير محرق من هجرها فتى اطفيه ببرد (١) وصالى
ان كا اعرض اوتعرض طيفها فمدامعى كالعارض الهطّال
ومن المحال (٢) نزور من عبراته طوفانها قد طمّ طيف خيالى
قالت وقد جُدت العقيق بمثله هلابد معك جدت وهو لآل
فأجبتها ذى مهجتى من مقلتى سالت فكيف زعمت انى سالى
فتضاحكت فبكيت من فرط الجوى شوقا فما رقّت لرقة حالى
فعليلها ما ان يبل وغلتى ما ان تبل بريقها الجريال

ومنها فى مديح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد رحمهما الله تعالى .

رفعت عوامله لمجرور الظُبى قمّاً بها نصبت بحكم الحال
ورماحه رقصت فنقّطها الظُبى يوم الوغى بجماجم الابطال

وسألت معين الدين المذكور عن عمر والده رحمه الله حال وفاته فقال كان نيّف على ست وستين سنة من العمر وكنت انا اتوهم ان عمره فوق ذلك بسنين عدة وولده اخبر بحاله والله اعلم .

محمد بن غازى بن ابى بكر محمد بن ايوب بن شاذى ابو المعالى الملك الكامل ناصر الدين صاحب ميافارقين (٣) وتلك البلاد ملك فى سنة اثنتين واربعين وستمائة عقيب وفاة والده الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل وكان اولا يدارى التتر فلما خبر باطن امرهم

(١) الاصل « يبرد » (٢) الاصل « المجال » (٣) له ترجمة فى ذيل المرآة ايا صوفيا (ص ٤٣٠) .

و ان المداواة لا تفيد معهم انجذب منهم فلما علم انهم على عزم قصده
قدم على الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله بدمشق مستغيثا
و مستنجدا على التتر فوعده بالنجدة بعد ان اكرمه غاية الاكرام وقدم
له من التحف و الخيول و غيرها ما يجل مقداره و عاد الملك الكامل
٣٠/الف الى ميافارقين و لم يمكن الملك الناصر انجاده لما رأى من تخاذل اصحابه
و ضعف قلوبهم عن مقابلة التتر لكثرتهم و لانه لم يتفق الى تلك الغاية
من انتصف منهم و قد ملكوا العراق و العجم والروم و غير ذلك من
الاقاليم و البلاد و سير هو لاكو اشموط لمحاصرة الملك الكامل فحصره
حصرا شديدا و بقى الملك الكامل رحمه الله مجاهدا للتتر صابرا لقتالهم حتى
فنى اكثر اهل ميافارقين و عمهم الموت قتلا و فناء لكثرة الغلاء
و عدم الاقوات و بقى محصورا دون سنتين فعند ذلك ضعفت القوى
عن محاربة العدو فاستولوا على ميافارقين و استشهد الملك الكامل قدس
الله روحه و حمل رأسه على رمح و طيف به فى البلاد فوصلوا به الى
حلب ثم الى حماة و حمص و بعلبك و شاهدته رحمه الله و هو يطاف به
بمدينة بعلبك ثم و صلوابه الى دمشق يوم الاثنين سابع و عشرين
جمادى الاولى و طافوا به بالمغانى و الطبول ثم علق الرأس بسور باب
الفراديس فلم يزل معلقا فى شبكة الى ان عادت دمشق الى المسلمين
فدفن بمشهد الرأس داخل باب الفراديس و قد ذكرنا كيفية دفنه
و ما قيل فى ذلك فأغنى عن اعادته .

وكان رحمه الله ملكا جليلا دينا خيرا عادلا عالما محسنا الى رعيته

و سائر

وسائر من فى خدمته كثير التعبد والخشوع لم يكن فى البيت الايوبى من يضاهيه فى ديانته وحسن طريقته رحمه الله ورضى عنه وكان التتار قد استولوا على جميع بلاده ومعاقله ومعظم اولاده وحرمه واهله وهو محصور بميافارقين ثم ختم له بالشهادة على هذا الوجه الجميل بعد ان افنى فى مدة الحصار من التتار مالا يحصى كثرة رحمه الله تعالى .

ابو على بن محمد بن ابى على بن باساك الامير حسام الدين الهذبانى(١) كان اميرا كبيرا جليل المقدار قوى النفس حسن التدبير كثير الرياسة عنده تعاظم وتعدد (٢) حكى لى الامير عز الدين محمد بن ابى الهيجاء رحمه الله ما معناه ان الامير حسام الدين لما حضر الى دمشق فى الايام الناصرية طلبه الملك الناصر لحضور مشورة فظهر عليه كراهية الحضور وقال كنت اود لو عاجلنى الموت فى هذه الساعة فقلت لم ياخوند ٣٠/ب فقال قد طلبنى السلطان الى مجلسه العام وعنده ناصر الدين القيمرى عن يساره وجمال الدين بن يغمور عن يمينه وهما عنده فى المنزلة العليا فيقتضى الحال القعود دون احدهما وهذا ارى الموت دونه فهونت عليه ذلك وقلت يا خوند مكانتك معروفة لا ينقصها ذلك فقال لكن على كل حال اذا كان ولا بد اشتهى ان يقعدونى فى جهة الامير ناصر الدين فهو كردى ثم امرنى بالتوجه الى باب دار السلطان لكشف الخبر فلما صرت بباب دار السلطان وجدت بعض من كان حاضرا قد خرج فحدثنى ان بعد توجه الرسول لطلبه تشاوروا اين يقعدونه اذا حضر فقال

(١) له ترجمة فى اياصوفيا فى عدة اسطر فقط وترجمته هنا كما تراها (٢) كذا ولعله وتغطرس .

الامير ناصر الدين هذا رجل كبير القدر وقادم على مولانا السلطان فيقعد بين مولانا السلطان وبين المملوك وتقرر انه يقعد فوق الامير ناصر الدين القيمرى فعدت اليه مسرعا فصادفته عند باب القلعة فعرفته ما جرى فتهلل وجهه ودخل فاحترمه الملك الناصر احتراما كثيرا واقعده الى جانبه بينه وبين الامير ناصر الدين القيمرى فلما خرج قلت له ياخوند اجلسك السلطان الى جانبه فوق الامير ناصر الدين فقال نعم ما كان يمكن غير هذا وهذا التعاظم والمنافسة فى مثل ذلك وما يجرى مجراه انما اقتبسه من مخدومه الملك الصالح نجم الدين فانه كان اتصل بخدمته فى حياة الملك الكامل ولازمه واختص بـه اختصاصا كبيرا وجعله استاذ داره وكان يعتمد عليه فى مهماته ويثق به وثوقا عظيما ويسكن اليه بخلاف وثوقه بسائر من فى خدمته ولما امسك الملك الصالح واعتقل بالكرك اراد الامير حسام الدين المذكور التوصل الى آمد باشارة من الملك الصالح اليه عند ما أمسك فعمل على ذلك فقبضه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل واعتقله فى حبس الخيالة بقلعة دمشق ثم نقله الى قلعة بعلبك فحبس فى جب مظلم لايفرق فيه بين الليل والنهار وهو مضيق عليه وينزل اليه فى كل يوم قليل خبز وقليل من المـاء وربما انزل اليه مع الخبز جرزة بقل فى بعض الاوقات قال الامير حسام الدين فكنت احسب فى نفسى انى ربما امنع الطعام والشراب لأموت فكنت ادخر من الخبز المرتب شيئا قليلا وكذلك من المـاء [٣١/ب] اجمعه فى جرة طلبتها فاجتمع عندى من ذلك شيء كثير ثم طين على

الجب

الجب و منعت من الطعام والشراب فارتفقت بذلك الذى جمعته مدة
الى ان فتح الجبّ و ابزل الىّ ما كان يجرى علىّ اولا الى ان فرج الله
تعالى عنى ولما اخرج من الجب سنة احدى و اربعين حمل الى دمشق
ونزل فى برج كان الملك المغيث بن الملك الصالح نجم الدين معتقلا
فيه ثم أذن له فى الانتقال من القلعة وان يتجهز للسير الى الديار
المصرية فخرج من البرج ومضى الى مدرسة الامير عز الدين ايبك
المعظمى صاحب صرخد التى على شرف الميدان و اطلق (١) له ما كان
اخذ له من القماش والخيول والمماليك وغير ذلك وخلع عليه
و اطلق له مال فتوجه الى مخدومه وحكى لى ناصر الدين على بن قرقين (٢)
ان الامير حسام الدين المذكور لما نقل الى قلعة بعلبك حبس فى بيت
مفرد ولم يكن يدخل عليه كل احد قال ناصر الدين المذكور وكنت
ادخل عليه فى كثير من الاوقات واطيل الجلوس عنده والحديث معه
وهو غير مضيق عليه فاتفق ان الملك الصالح عماد الدين سير اسد الدين
الزرزارى بكتاب منه الى والى القلعة بان يمكنه من قتل حسام الدين
فعظم ذلك على والى القلعة وكان رجلا دينا خيرا فطلبنى وعرفنى ما
ورد بـه المرسوم فقلت له وللزرزارى اذا قتلتموه ايش فى عزمكم
تفعلون به بعد القتل قالوا ندفنه قلت ادفنوه وهو حىّ ولا تتلوثوا
بدمه واجعلوه فى الجب وشاوروا السلطان قال فكتبوا الى الملك
الصالح عماد الدين وشاوروه على ذلك ففسح فيـه وامر أن ينزل

(١) الاصل « اعلق » (٢) هو على بن محمد بن قرقين توفى سنة ٦٩٢ ــ ك .

اليه فى كل اسبوع رغيفا خبز وجرة ماء فامتثل المرسوم وكان
ينزل له رغيفان كبيران ولم يزل على ذلك الى ان افرج عنه وفى
سنة ثلاث واربعين فوض اليه الملك الصالح نجم الدين النيابة بدمشق
فمضى اليها واقام بها، وفى سنة اربع واربعين توجه الى بعلبك بمن
معه من العسكر ونازل قلعتها وضايقها وكان بها الملك المنصور
شهاب الدين محمود بن الملك الصالح عماد الدين اسماعيل واخوته فاشتد
عليهم الحصار فسلموها الى الامير حسام الدين بالامان فرتب امورها
وسار الى دمشق واولاد الملك الصالح عماد الدين معه فاعتقلهم بدمشق ٣١/ب
ثم بعث بهم الى ابن عمهم الملك الصالح نجم الدين قال الامير حسام الدين
لما كنت فى الجب بقلعة بعلبك لافرق بين الليل والنهار حدثتنى نفسى
يوما وانا فى تلك الحال التى تشعر باليأس من الحياة بالكلية اننى
اخرج من الحبس وارجع الى منزلتى التى كانت لى عند الملك الصالح
نجم الدين وانه يسيرنى الى بعلبك وافتحها واحتاط على اولاد الملك
الصالح اسماعيل واحملهم بين يدى الى دمشق فقلت لنفسى هذا من
الامانى الكاذبة التى تبعد فى العقل ان تكون فما كان الا مدة يسيرة
وحصل لى ما تمنيته عيانا لم يخرم منه شيء، وفى سنة اربع واربعين ايضا
اطلق صاحب حمص الامير بدر الدين محمد بن ابى على والد الامير
حسام الدين وكان الملك المجاهد حبسه بقلعة حمص مع الامير سيف الدين
ابن ابى على وجماعة الحمويين فقدم بدر الدين على والده حسام الدين
وهو يومئذ نائب السلطنة بالديار المصرية فى سنة خمس واربعين ثم

توفى بعد قدومه بمدة يسيرة فدفنه ولده بالرصد وبنى عليه تربة، وفى سنة ست واربعين تقدم الملك الصالح نجم الدين الى الامير حسام الدين المذكور بالمسير الى الصالحية مقدما على العساكر المتوجهة الى الشام واستناب الملك الصالح بالديار المصرية عوضه الامير جمال الدين موسى بن يغمور فخرج واقام بالصالحية اربعة اشهر ثم رجع الى القاهرة ثم سار الى الشام مقدما على الحلقة السلطانية ومعه الدهليز السلطانى الى حمص .

وفى المحرم سنة سبع واربعين دخل الامير حسام الدين الى الديار المصرية نائبا بها وتوجه الامير جمال الدين موسى بن يغمور الى الشام نائبا بدمشق فالتقيا فى الرمل واستمر فى نيابة السلطنة بالديار المصرية الى حيث مات الملك الصالح فبلغه ان الامير فخر الدين بن الشيخ (١) قد عزم (٢) استدعاء الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل بن الملك الكامل من عند عماته القطبيات (٣) ويفوض السلطنة اليه ويكون اتابكه فتقدم الامير حسام الدين الى شمس الدين بن باخل (٤) والى القاهرة اذ ذاك ان ينقل المغيث الى قلعة الجبل وامر بالاحتياط عليه وسير قصاده الى حصن كيفا يستحثوا الملك المعظم توران شاه على سرعة ٣٢/الف

(١) هو ابو الفضل يوسف بن محمد بن عمر الجوينى قتل سنة ٦٤٧ - ك (٢) كذا ولعله سقط من هنا لفظ « على » (٣) هن بنات الملك العادل الكبير ابن ايوب نسبة الى شقيقهن الملك المفضل قطب الدين بن الملك العادل، وراجع النجوم الزاهرة (٥/٧) (٤) هو ابو عبد الله محمد بن باخل - ك .

الوصول و يعرفوه المفاسد المترتبة على تأخره بخروج الامر عنه الى الملك المغيث فلما وصلت قصاده الى الملك المعظم سار مجدا لاحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة سبع و اربعين و ترك بالحصن و لده الملك الموحد عبد الله و عمره نحو عشر سنين و عنده من يقوم بتدبيره وسار يعتسف القفار خوفا من الملوك الذين فى طريقه فوصل دمشق و استقر بقلعتها فامتدحه بعض الشعراء بقصيدة مطلعها :

قل لنا كيف جئت من حصن كيفا حين ارغمت للاعادى انوفا

فاجابه الملك المعظم فى الوقت :

الطريق الطريق يا الف نحس مرة آمنا وطورا مخوفا

فاستظرف الناس ذلك من الملك المعظم و لما توجه استصحب معه شرف الدين الفائزى و لما وصل الرمل اسلم على يده نشو الدولة ابن حشيش كاتب انشائه و لقبه معين الدين و رشحه لان يكون وزيره كما كان معين الدين بن الشيخ (١) وزير ابيه فكان الامير حسام الدين آكد الاسباب فى حضور الملك المعظم و سلطنته بالديار المصرية والعجب منه كيف اجتهد فى ذلك بعد ما سمع من الملك الصالح نجم الدين ما يقتضى العمل على خلافه فانه قال لما ودعت الملك الصالح حين سفره الى الشام قال لى انا مسافر الى الشام و اخاف ان يعرض لى موت و اخى الملك العادل بقلعة مصر فيأخذ البلاد وما يجرى عليكم منه خير فان عرض لى فى سفرى هذا مرض و لو انه وجع

(١) هو الحسن بن عمر بن محمد الجوينى - ك .

اصبع او حمى فاعدمه فانه لاخير فيه لكم و ولدى توران شاه لايصلح للملك فان بلغك موتى لاتسلم البلاد لأحد من اهلى بل سلمها الى الخليفة المستعصم بالله و قال الامير حسام الدين قلت للملك الصالح و هو مريض مشرف ما يسير مولانا السلطان يطلب و لده الملك المعظم فما اجاب. فلما الححت عليه قال اجيبه اليهم يقتلوه فكان الامر كما قال وفى جمادى الآخرة سنة تسع و اربعين استأذن الامير حسام الدين الملك المعز فى الحج فاذن له و امر له بحراقة يسافر عليها الى قوص و بالف ٣٢/ب دينار وطلب من الملك المعز الامير عزالدين ازدمر الجدار ليحج صحبته فاذن له و دخلا مكة فى أواخر شعبان و نزل الامير حسام الدين بدار الضيافة التى بقرب الصفا وقضى الحج وعاد الى المدينة صلوات الله وسلامه على ساكنها فزار و توجه الى ينبع و اقام بها اياما لأمر بلغه ثم عاد الى الديار المصرية على الهجن و فى سنة احدى و خمسين استأذن الملك المعز فى التوجه الى الشام وكان قد ترك الخدمة فاذن له وسافر الى دمشق فاقطعه الملك الناصر خبزا جليلا و احترمه غاية الاحترام و اقام عنده مكرما معظما، ثم توجه الى الديار المصرية فتوفى بها و ورد الخبر الى دمشق بوفاته فى أواخر شهر شعبان من هذه السنة رحمه الله و دفن بالرصد عند والده رحمهما الله وكان الامير حسام الدين قد عرض له صرع قبل وفاته بسنين ثم تزايد به وكثر فكان سبب وفاته و مولده بحلب سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة و اصله من اربل وكان فاضلا وله نظم جيد قال الامير عزالدين محمد بن ابى الهيجاء رحمه الله انشدنى

الامير حسام الدين المذكور بالمدينة الشريفة النبوية صلوات الله على ساكنها و سلامه لنفسه :

بتنا على حالة ما شابها ريبـــه   لم نعدما سنّه (١) المدفون فى طَيبه
حتى بدا الصبح يرفل فى ضياشيبه   و فارق الليل مشكورا على طيبه

و انشدنى الامير عز الدين المذكور للامير حسام الدين ايضا :

لبيت داعى هواكم حين نادانى   و قلت شأن الهوى العذرى من شأنى
حفظى لعهد الهوى دينى مع (٢) ايمانى   و حبكم صاحبى فى طىّ أكفانى

و انشدنى الامير عزالدين للامير حسام الدين ايضا :

اهوى رشأ من خالص الترك رشيق   فى الصحو معربد و فى السكر مفيق
فى فيه لعاشقيه در و عقيق   ما احسنه عندى عدوّ و صديق

وقد تقدم فى هذه الترجمة ان صاحب حمص اطلق بدرالدين محمد والد حسام الدين و ان الملك المجاهد كان حبسه بقلعة حمص مع الامير ٣٣ / الف سيف الدين بن ابى على و شرح القصة فى ذلك أن الا مير سيف الدين كان هو المشار اليه من بنى ابى على و لما ملك الملك المظفر تقى الدين محمود حماة سنة ثمان و عشرين و ستمائة اجتذبه اليه و اقطعه سلمية و زوجه اخته و جعله عديل روحه و المتصرف فى جميع ما تحويه يده وكان الملك المجاهد اسد الدين شيركوه صاحب حمص كثير التعدى على صاحب حماة و بينهما عداوة عظيمة ثم بعد موت الملك الكامل اتفق معه الملك الصالح عماد الدين على مثل ذلك فضعف عنهما فاستنجد بالفرنج و حضر اليه جماعة

(١) الاصل « سنة » كذا (٢) لعله و ايمانى .

من خيالتهم و بنى لهم فى حماة كنيسة و لبس الغفارة تقربا اليهم ليعتضد
بهم على دفع الملك المجاهد و الملك الصالح و اتفق حضور الملك الصالح
نجم الدين من المشرق و تسلمه دمشق من الملك الجواد على ما هو
مشهور وعزم على قصد حمص و انتزاعها من صاحبها فحضر اليه جماعة
من الامراء المصريين فطلبوه ليملكوه الديار المصرية و قالوا له لا تشتغل
بحمص اذا ملكت مصر كانت حمص و غيرها لك فتوجه الى نابلس
و اقام بهـا فى انتظار عمه الملك الصالح وكان الملك الصالح و الملك
المجاهد قد اتفقا على اخذ دمشق وكان الملك الصالح نجم الدين مصافيا
للملك المظفر صاحب حماة فسير اليه يقول انا متوجه الى الديار المصرية
و تبقى دمشق شاغرة و اخاف من الملك الناصر داود ومن غيره منا لمجاورين
فاحفظها كيف شئت فاقتضى رأيه ان يجهز اليها الامير سيف الدين
و خشى عليه من صاحب حمص فاظهرا منافرة و قال له سيف الدين فى
ملأ من الناس انت تواطىء الفرنج و تريد تسليم البلاد اليهم و انا
ما بقيت اقيم عندك وقام خرج على غضب و توجه فى قريب اربعمائة
فارس و جماعة كثيرة من اعيان الحمويين و جاؤا الى حمص و نزلوا
على البحيرة فخرج الملك المجاهد الى الامير سيف الدين و هنأه بالسلامة
و سيرله الاقامات و سأله عن سبب حركته فاخبره فشرع صاحب حمص
يشتم صاحب حماة و يلعنه بكل لسان و يشكر سيف الدين على مفارقته
و صار يركب اليه كل يوم و يسيران و يتحدثان فعمل صاحب حمص ٣٣ / ب
حسابه و رتب له جماعة كثيرة و ركب معه و سايره و اشغله بالحديث

الى ان قربوا من المدينة فتوقف سيف الدين و قال للملك المجاهد بسم الله يدخل المولى مدينته فقال لى بك اجتماع فى المدينة و اشتهى اتحدث معك فى مهم لى و اطلعك على ما فى نفسى منه و هذا ما يمكن الا فى المدينة و لابدّ من دخولك على كل حال فرأى الامير سيف الدين انه مقهور معه فدخل و نزلوا فى دار بالمدينة و قال له الامير سيف الدين ما هو المهم الذى ذكره المولى قال لى شغل اريد اقضيه و اشتهى تعيرنى جماعتك يجيئون (١) معى مدة ثلاثة ايام استعين بهم على قضاء شغلى و اعود بهم الى خدمتك خذهم و رح قال فانا و هم نجيء معك قال ما يمكن المولى كبير المقدار و انما تقيم انت هنا الى ان نعود فما امكنه مخالفته و قد صار فى قبضته فقال له الملك المجاهد تسير اليهم و تستدعى فلان و فلان و فلان (٢) جماعة عينهم منهم الامير بدر الدين محمد والد الامير حسام الدين فاستدعاهم فحضروا فقال تكتب الى بقية العسكر ان يتوجهوا صحبتى فكتب اليهم فاخذهم و توجه بهم هو و الملك الصالح عماد الدين الى دمشق فهجموها على الصورة المشهورة ، فلما عاد صاحب حمص قال لعسكر الامير سيف الدين من اراد ان يخدمنى استخدمته و من اراد يروح فيروح حيث شاء فخدم عنده جماعة يسيرة و راح الباقون و نقل الامير سيف الدين و من معه الى قلعة حمص و ضيق عليهم و لم يزل الامير سيف الدين فى حبسه الى ان مات فيه رحمه الله، و مات الملك المجاهد و جميع اصحاب الامير سيف الدين و من كان فى صحبته من الحمويين

---

(١) الاصل يجلوـك (٢) كذا .

فى

فى الحبس ثم افرج عن الامير بدر الدين كما ذكرنا و افرج عن من سلم منهم بعد طول مدة ومشقة عظيمة و مصادرة نالت من هو متهم بمال وكان هذا الفعل من سوء التدبير و ضعف الرأى فانهم لو توجهوا على البرية لوصلوا دمشق وحفظوها بمشيئة الله تعالى و لولم يغرر الامير سيف الدين بنفسه لما قدر صاحب حمص عليه فانه كان معه عسكر يضاهى عسكر حمص و يزيد عليه لكن اذا اراد الله امرا لامرد عليه وكان الشيخ شرف الدين عبد العزيز و زير صاحب حماة اذا جرى عنده ذكر الامير سيف الدين و ماتم عليه يقول دعونا من دم ضيعه اهله .

السنة التاسعة والخمسون وستمائة

اولها يوم الاثنين لايام خلون من كانون الاول (١) دخلت هذ السنة و ليس للسلمين خليفة و صاحب مكة (٢) حرسها الله تعالى نجم الدين ابونمى بن ابى سعد بن على بن قتادة الحسنى و عمه ادريس بن على بن قتادة و مكانيهما بالسوية و صاحب المدينة (٢) الشريفة صلوات الله و سلامه على ساكنها الامير عز الدين جماز بن شيحة الحسينى (٢) و صاحب دمشق و بعلبك و بانياس و الصبيبة الامير علم الدين الحلبى الملقب بالملك المجاهد و صاحب الديار المصرية و معظم الشام السلطان الملك الظاهر (٢) و المستولى على حلب و اعمالها الامير حسام الدين لاجين الجوكندار و هو فى طاعة

(١) اى السادس من كانون الاول سنة ١٢٦٠ م - ك (٢) مثله فى النجوم الزاهرة (ج ٧ ص ٢٠٠) وذكر هذه الحوادث فى ذيل مرآة الزمان ايا صوفيا (ص ٥٥) فى سنة اثنتين وستين وستمائة فلتحرر .

الملك الظاهر وصاحب الموصل الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ وصاحب جزيرة ابن عمر اخوه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق وصاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين ايلغازى بن ارتق وصاحب بلاد الروم ركن الدين قليج ارسلان بن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن علاء الدين السلجوقى واخوه عز الدين كيكاووس(١) والبلاد بينهما مناصفة وصاحب صهيون وبرزية مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس وصاحب الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل سيف الدين ابى بكر بن الملك الكامل وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقى الدين محمود، وصاحب حمص وتدمر والرحبة الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور ابراهيم بن الملك المجاهد اسد الدين شيركوه بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه بن شاذى والمستولى على حصون الاسماعيلية الثمانية التى بالشام من اعمال حلب رضى الدين ابو المعالى ابن ابى المنصور ونجم الدين اسماعيل الشعرانى وصاحب مراكش ابوحفص عمر بن ابى ابراهيم بن يوسف ويلقب بالمرتضى، وصاحب تونس ابوعبدالله محمد (٢) بن ابى زكريا يحيى بن ابى محمد بن الشيخ ابى حفص عمر بن يحيى، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور

٣٤/ب

(١) النجوم «كيكاوس» (٢) هو ابو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر الامير المستنصر بالله الهنتاني البربرى الموحدى المغربى صاحب تونس توفى سنة ستمائة وخمس وسبعين وراجع لذلك النجوم (ج ٧ ص ٢٠١).

نورالدين عمر ، و صاحب ظفار موسى بن ادريس بن محمود بن محمد الحضرمى و صاحب دلّى ناصر الدين محمود بن شمس الدين ايلتمش وصاحب كرمان تركان خاتون (١) زوجة الحاجب براق و ولدا قطب الدين براخمه (٢) و صاحب بلاد فارس ابوبكر بن اتابك سعد بن زنكى ابن دكلا (٣) .

متجددات الاحوال فى هذه السنة

فى المحرم منها جاء الخبر الى دمشق بجفل اهل حلب و ما والاها وسبب ذلك تجمع التتار الذين كانوا بحران و غيرها من بلاد الجزيرة و انضم اليهم من سلم من كسرة عين جالوت و ضعفوا لشدة الغلاء عندهم فألجأتهم الضرورة الى الغارة على بلد حلب فاجفل الناس من بين ايديهم .

و فيها فى اوائل المحرم كانت كسرة التتار على حمص و كانوا فى ستة آلاف فارس فلما وصلوا حمص وجدوا عليها الامير حسام الدين الجوكندار العزيزى و من معه و الملك المنصور صاحب حماة و الملك الاشرف صاحب حمص فى الف و اربعمائة فارس فحملوا على التتار حملة

(١) الصواب قتلغ تركان ام الحجاج بن قطب الدين تاينكو بن مبارك خواجه ابن براق الحاجب ملكت كرمان من سنة ٦٠٠ الى سنة ٦٨١ - ك (٢) فى تواريخ العجم تكله بضم التاء وسكون الكاف - ك (٣) كذا فى الاصل ولكن ملكت قتلغ تركان كرمان نيابة عن ولدها وولد قطب الدين تاينكو الى ان اخرجته الى بلاد الهند سنة ٦٦٦ - ك .

رجل واحد فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب بيدرة فى نفر يسير وأتى القتل على معظمهم وكانت الوقعة عند قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ولما عاد فلّ التتار الى حلب اخرجوا من فيها من الرجال والنساء ولم يبق الّا من اختفى خوفا على نفسه ثم نادوا من كان من اهل حلب فليعتزل فاختلط على الناس امرهم ولم يعلموا المراد فاعتزل بعض الغرباء مع اهل حلب وبعض اهل حلب مع الغرباء فلما تميز الفريقان اخذوا الغرباء وساروا بهم الى ناحية بابلى فضربوا رقابهم وكان فيهم من اهل حلب جماعة من اقارب الملك الناصر رحمه الله ثم عدوا من بقى من اهل حلب وسلموا كل طائفة منهم الى رجل من الاكابر ضمنوهم له ثم اذنوا لهم فى العود الى البلد واحاطوا بها ولم يمكنوا احدا من الخروج منها ولا من الدخول اليها اربعة اشهر فغلت الاسعار وبلغ رطل اللحم سبعة عشر درهما ورطل السمك ثلاثين درهما ورطل اللبن خمسة عشر درهما ورطل الشيرج سبعين درهما ورطل الأرز عشرين درهما ورطل حب الرمان ثلاثين درهما ورطل السكر ٣٥/الف خمسين درهما والحلواء كذلك ورطل العسل ثلاثين درهما ورطل الشراب ستين درهما والجدى الرضيع اربعين درهما والدجاجة خمسة دراهم والبيضة درهما ونصفا والبصلة نصف درهم والحسك (١) نصف درهم وباقة البصل درهما والبطيخة اربعين درهما والتفاحة خمسة دراهم حتى اكلت الميتة من شدة الغلاء .

(١) الاصل الحسد ـ ك كذا.

و اما

واما الامير حسام الدين الجوكندار والامير نور الدين على بن مجلى ومن معهما من الناصرية لما تحققوا عود التتر الى حلب ساقوا على حمية وعبروا المرج ولم يقربوا دمشق وقصدوا الغور ثم الى مصر فاقبل الملك الظاهر عليهم وكتب لهم المناشير بالاخباز بحلب ودمشق وعادوا بعدما استولى الملك الظاهر على دمشق .

وفى يوم الاثنين سابع صفر ركب الملك الظاهر من قلعة الجبل بأبهة الملك ونزل من وراء القاهرة ودخل من باب النصر وشق البلد وخرج من باب زويلة عائدا الى القلعة والامراء واعيان الاجناد مشاة بين يديه وكان هذا اول ركوبه فى دست السلطنة ثم استمر بعد ذلك على الركوب للعب بالكرة وغيره .

ذكر انتزاع دمشق من يد الامير علم الدين الحلبى

كان الملك الظاهر قد كتب الى الامراء الذين بدمشق يستميلهم اليه ويحضهم على منابذة الامير علم الدين والقبض عليه فأجابوه وخرجوا عن دمشق منابذين له وفيهم الامير علاء الدين البندقدار والامير بهاء الدين بغدى فتبعهم الامير علم الدين الحلبى بمن بقى معه من الامراء والجند فهزموه والجأوه الى القلعة فأغلقها دونهم وذلك يوم السبت حادى عشر صفر ثم خرج من القلعة تلك الليلة وقصد بعلبك فدخل قلعتها ومعه قريب عشرين نفرا من مماليكه ودخل علاء الدين البندقدار دمشق

و استولى عليها و حكم فيها نيابة عن الملك الظاهر و جهز الى بعلبك لمحاصرة الاميرعلم الدين الحلبى بدرالدين محمد بن رحال و الامير...(١) التركمانى فحال وصولهما دخلا المدينة و نزلا بالمدرسة النورية وكان الامير علم الدين الحلبى عند ما وصل جعل عنده فى القلعة طائفة كبيرة من اهل نحله(٢) مقدمهم عـلى بن عبود فسير اليهم بدر الدين بن رحال و افسدهم فتدلوا من القلعة ليلا و نزلوا و ترددت المراسلات بين الحلبى و البند قدار و استقر الحال على نزوله وتوجهه الى خدمة الملك الظاهر حسبما يختار ٣٥/ب فخرج من القلعة راكبا حصانه وفى وسطه عدته و فى قربانه قوسان و هو كالأسد الهصور فحال ما بعد عن القلعة قدم له بغلة فتحول اليها و قلع العدة و وصل الى دمشق و سار منها الى الديار المصرية فادخل عـلى الملك الظاهر ليلا بقلعة الجبل فقام اليه و اعتنقه و ادنى مجلسه و عاتبه عتابا لطيفا ثم خلع عليه و رسم له بخيل و بغال و جمال و قماش وغير ذلك .

و فى يوم الاثنين ثامن ربيع الاول فوض الملك الظاهر امر الوزارة و تدبير الدولة الى الصاحب بهاء الدين على بن محمد (٣) .

و فى ربيع الآخر (٤) حضر عند الملك الظاهر احد اجناد الامير عزالدين الصيقلى و انهى اليه انه فرق ذهبا فى جماعة من حاشيته و قرر

(١) بياض فى اكسفورد (٢) لعله نخلة (٣) بياض فى اكسفورد و موضعه فى اياصوفيا « ابن سليم بن حنا وامر الجيوش وجميع الامور وخلع عليه » الى آخره وراجع اياصوفيا (ص٤٣٩) (٤) ذكرت هذه الحادثة فى اياصوفيا (ص٤٣٩) فى شهر ربيع الاول .

معهم

معهم الوثوب على السلطان واتفق معه الامير علم الدين الغتمى و بهادر و الشجاع بكتوت فقبض الملك الظاهر عليهم .

و فى ربيع الآخر بعث الملك الظاهر عسكرا الى الشوبك فتسلمه من نواب الملك المغيث بباطن كان بينهم و بين الملك الظاهر .

و فيه قبض الملك الظاهر على الامير بهاء الدين بغدى الاشرفى بدمشق و حمل الى قلعة الجبل فلم يزل محبوسا بها الى ان مات .

ذكر نزوح التتار عن حلب وما حدث بعد نزوحهم

كان الملك الظاهر جهز الامير فخر الدين الطنبا الحمصى و الامير حسام الدين لاجين العينتابى فى عسكر لترحيل التتار عن حلب فلما وصلوا غزة كتب الفرنج من عكا الى التتار يخبرونهم فرحلوا عنها فى اوائل جمادى الاولى فتغلب عليها جماعة من احداثها و شطّارها منهم نجم الدين ابو عبد الله بن المنذر و على بن الانصارى و ابو الفتح و يوسف بن معالى فقتلوا و نهبوا و نالوا اغراضهم ثم وصل اليها فخر الدين الحمصى و العينتابى بمن معهما من العسكر فخرجوا هاربين و لما دخلها العينتابى صادر اهلها و عذبهم حتى استخرج منهم الف الف و ستمائة الف درهما بيروتية و اقام بها الى ان وصل اليها الامير شمس الدين آقوش البرلى فى جمادى الآخرة فخرج لتلقيه ظنا منه انه جاء نجدة له وكان قد خرج من دمشق هاربا لما استشعر من الملك الظاهر فلما دخلها تغلب عليها فخافه فخر الدين الحمصى فاعمل الحيلة ٣٦ / الف

فى الخلاص منه بان طلب السفر الى الملك الظاهر ليستميله اليه فمكنه من الخروج فلما توجه اخذ البرلى فى مصادرة من كان فى صحبة الحمصى و ابق على العينتابى و امر و اقطع و وقد عليه زامل بن على بن حذيفة فى اصحابه ففرق عليهم تسعة آلاف مكوكا مما احتاط عليه من الغلال التى كانت مطمورة بحلب و فرق فى التركمان اربعة آلاف مكوكا اخرى .

و فى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الاولى عرض الملك الظاهر ولاية القضاء بالديار المصرية على القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن القاضى الاعز ابى القاسم خلف بن القاضى رشيد الدين ابى الثناء محمود بن بدر العلامى (١) فشرط شروطا اغلـــظ فيها فأجابه السلطان اليها و صلى به الظهر و حكم بقية النهار و عزل القاضى بدر الدين ابو المحاسن يوسف بن على السنجارى (٢) و عوق عشرة ايام ثم افرج عنه .

و فى الثامن و العشرين منه ولى الامير جمال الدين موسى بن يغمور ولاية البحر و شد العمائر و الجيزة و ولى الامير صارم الدين قايماز المسعودى القاهرة و ولى شجاع الدين جلدك الفائزى شد الدواوين .

ذكر وصول المستنصر بالله الى القاهرة و مبايعته

كان هذا و هو ابو القاسم احمد بن الظاهر بامر الله ابى نصر محمد ابن الناصر لدين الله ابى العباس احمد محبوسا ببغداد مع جماعة من بنى

(١) بالفتح و التخفيف نسبة الى قبيلة من لخم كما فى الفوات (٢) هو يوسف بن الحسن بن على الزرارى بضم الزاى توفى سنة ٦٦٣ ــ ك .

العباس فلما ملكت التتار بغداد اطلقوهم فصار المستنصر الى عرب العراق و اختلط بهم فلما ملك الملك الظاهر وفد عليه مع جماعة من بنى مهارش وهم عشرة امراء مقدمهم ابن قبيتا و الامير ناصر الدين مهنا وكان وصوله الى القاهرة فى ثامن رجب (١) فركب السلطان للقائه و معه الوزير بهاء الدين و قاضى القضاة تاج الدين و الشهود و الروساء و القراء و المؤذنون و اليهود بالتوراة و النصارى بالانجيل فى يوم الخميس فدخل من باب النصر و شق القاهرة وكان يوما مشهودا، و لما كان يوم الاثنين ثالث ٣٦/ب عشر الشهر جلس السلطان و الخليفة فى الايوان بقلعة الجبل و حضر الصاحب بهاء الدين وولده فخر الدين و قاضى القضاة تاج الدين و الامراء و الناس على طبقاتهم و قرئ نسب الخليفة على القاضى و شهد عنده بصحته فأسجل عليه بذلك و حكم به و بويع و ركب من يومه و شق القاهرة فى وجوه الدولة و اعيانها .

باب فى مبايعته

و هو الثامن و الثلاثون من خلفاء بنى العباس رضى الله عنه و هو الامام المستنصر بالله ابو القاسم احمد بن الامام الظاهر بامر الله ابى نصر محمد بن الامام الناصر لدين الله ابى العباس احمد بن المستضىء بأمر الله ابى محمد الحسن بن ابى المستنجد بالله ابى المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله ابى عبد الله محمد بن المستظهر بالله ابى العباس احمد امير المؤمنين بويع بالخلافة فى قلعة الجبل ظاهر القاهرة من الديار المصرية يوم

(١) فى كتاب حسن المحاضرة تانى رجب - ك .

الاثنين ثالث عشر شهر رجب سنة تسع و خمسين و ستمائة و اول من
بايعه قاضى قضاة الديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب بن خلف الشافعى
عند ما ثبت نسبه عنده ثم بايعه الملك الظاهر و الشيخ عز الدين عبدالعزيز
ابن عبد السلام و الامراء و الاعيان من اولى الحل و العقد وكانت
بيعته فى الايوان الكبير بالقلعة المذكورة وكان المسلمون (١) بغير خليفة
منذ قتل التتار ابن اخيه الامام المستعصم بالله ابا احمد عبد الله بن
المستنصر بالله ابى جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله ابى نصر محمد رحمه الله
فى اوائل سنة ست و خمسين مدة ثلاث سنين و نصف وكان المستنصر بالله
شديد السمرة جسيما و سيما عالى الهمة شديد القوى عنده شجاعة و اقدام
و هو اخو المستنصر بالله ابى جعفر المنصور و نعت بنعته و هذا مما لم يجربه
العادة فيما تقدم أن خليفة يلقب بلقب خليفة تقدمه من اهل بيته وقد ولى
الخلافة اخوان و ثلاثة اخوة اما اربعة اخوة ولوا الخلافة فاولاد
عبدالملك بن مروان لاغير و ثلاثة اخوة الامين و المأمون و المعتصم
اولاد هارون الرشيد و المستنصر و المعتز و المعتمد اولاد المتوكل و المكتفى
و المقتدر و القاهر اولاد المعتضد و الراضى و المتقى و المطيع اولاد جعفر
٣٧ / الف المقتدر و اخوان فالسفاح و المنصور ولدا محمد بن على بن عبد الله بن
العباس رضى الله عنه و الهادى و الرشيد ابنا المهدى و الواثق و المتوكل ابنا
المعتصم و المسترشد و المقتفى ابنا المستظهر و المستنصر منصور و المستنصر
هذا ابنا الظاهر و منه الى العباس رضى الله عنه اربعة و عشرون نفرا و ولى

(١) الاصل المسلمين ـ ك .

الخلافة بعد ابن اخيه و لم يل احد بعد ابن اخيه قبله الاّ جده المقتفى (١) بن المستظهر فانه ولى ايضا بعد الراشد بن المستظهر، واما من ولى الخلافة بعد عمه فالوليد بن يزيد بن عبد الملك من بنى امية ولى بعد عمه هشام ابن عبد الملك و المعتضد ابن الامير الناصر بن المتوكل ولى بعد عمه المعتمد ابن المتوكل و الراضى بالله بن المقتدر بن المعتضد ولى بعد عمه القاهر بالله ابن المعتضد ومدة خلافة المستنصر منذ بويع الى ان فقد خمسة شهور وعشرون (٢) يوما فمدة خلافته اقصر المدد من اهل بيته، اما من بنى أمية فمعاوية بن يزيد بن معاوية رحمه الله مدة خلافته اربعون(٣) يوما و يزيد ابن الوليد خمسة اشهر و اخوه (٤) ابراهيم بن الوليد سبعون(٥) يوما، ومن بنى العباس رضى الله عنه لم يستكملوا سنة اولهم المستنصر بن المتوكل بقى فى الخلافة ستة اشهر و المهتدى بن الواثق بقى فيها احد عشر شهرا و اياما والحسن بن على رضى الله عنهما بقى فى الخلافة منذ بويع بعد قتل امير المؤمنين رضى الله عنه الى ان نزع نفسه و بايع معاوية رضى الله عنه سبعة شهور و احد عشر يوما و قيل غير ذلك .

ولما كان يوم الجمعة ركب من البرج الذى كان مقيما به فى القلعة وعليه ثياب سود الى الجامع بالقلعة للصلاة فصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بنى العباس ثم استفتح و قرأ سورة الأنعام حتى بلغ قوله تعالى: (ولاتموتن الاّ و انتم مسلمون) ثم صلىّ على النبى صلىّ الله عليه

---

(١) الاصل المتقفى ـ ك (٢) الاصل « عشرين » (٣) الاصل « اربعين » (٤) الاصل اخاه ـ ك (٥) الاصل « سبعين » .

وسلّم وترضّى عن الصحابة رضى الله عنهم ودعا للسلطان ثم نزل وصلى بالناس .

وفى مستهل شعبان تقدم الخليفة بتفضيل (١) خلعة سوداء وبعمل الطوق وقيد من ذهب وبكتب(٢) تقليد السلطنة للملك الظاهر ونصب خيمة ظاهر القاهرة، فلما كان يوم الاثنين رابعه ركب الخليفة والسلطان والوزير ووجوه الدولة والامراء والقضاة والشهود الى الخيمة فألبس ٣٧/ب الخليفة السلطان الخلعة بيده وطوّقه وقيّده وصعد فخر الدين ابراهيم بن لقمان رئيس الكتاب منبرا نصب له فقرأ التقليد وهو من انشائه وبخطه ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق والقيد ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحمل الصاحب بهاء الدين التقليد على رأسه راكبا والامراء يمشون بين يديه وكان يوما يقصر اللسان عن وصفه.

نسخة التقليد(٣)

الحمد لله الذى اضفى (٤) على الاسلام ملابس الشرف، واظهر بهجة درره وكانت خافية بما استحكم عليها من الصدف، وشيّد ما وهى من علائه حتى انسى ذكر من سلف، وقيّض لنصره ملوكا اتفق عليهم من اختلف، أحمده على نعمه التى رتعت الأعين منها فى الروض الأنف، والطافه التى وقف الشكر (٥) عليها فليس له عنها منصرف. واشهد أن لا اله الّا الله وحده لاشريك له شهادة توجب من المخاوف أمنا، وتسهل

(١) لعله بتفضيل (٢) الاصل « يكتب » (٣) نقل السيوطى فى حسن المحاضرة (٢/٤٥) هذا التقليد - ك (٤) الاصل «اصفى» خطأ (٥) السيوطى «الشاكر» - ك .

من

من الامور ما كان حزنا ، واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى جبر من الدين وهنا ، ورسوله الذى اظهر من المكارم فنونا لا فنا ، صلى الله عليه وعلى آله الذين اصبحت مناقبهم باقية لا تفنى ، واصحابه الذين احسنوا فى الدين فاستحقوا الزيادة من الحسنى (١) ، وبعد فان اولى الاولياء بتقديم ذكره ، واحقهم ان يصبح القلم راكعا وساجدا فى تسطير مناقبه وبرّه ، من سعى فأضحى بسعيه الجيد متقدما ، ودعا الى طاعته فأجابه من كان منجدا اومتهما ، وما بدت يد فى المكرمات الاّ كان لها زندا ومعصما ، ولا استباح بسيفه حمى وغىً الاّ اضرمه نارا واجراه دما .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى شرفه الله واعلاه ذكرها (٢) الديوان العزيز النبوى الامامى المستنصرى أعزالله سلطانه تنويها بشريف قدره ، واعترافا بصنعه الذى تنفد العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره ، وكيف لا وقد اقام الدولة العباسية بعد ان اقعدتها زمانة الزمان ، واذهب ماكان لها من محاسن واحسان ، وعتب ، دهرها المسىء لها فأعتب ، وارضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مغضب ، فاعاده لها سلما بعد ان كان عليها حربا ، وصرف اليها اهتمامه فرجع كل متضايق من امورها ٣٨/الف واسعا رحبا ، ومنح امير المؤمنين عند القدوم عليه حنوا وعطفا ، واظهر من الولاء رغبة فى ثواب الله مالايخفى ، وابدى من الاهتمام

(١) السيوطى « بالحسنى » لك ولعله والحسنى (٢) السيوطى « ذكره » لك .

بأمر البيعة (١) امرا لو رامه غيره لامتنع عليه، ولو تمسك بحبله لانقطع به قبل الوصول اليه، لكن الله ادخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه ويخفف بها يوم القيامة حسابه، والسعيد من خفف من حسابه، فهذه منقبة ابى الله الا ان يخلدها فى صحيفة صنعه، ومكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه (٢) بعد ان حصل الاياس من جمعه، وامير المؤمنين يشكر (٣) هذه الصنائع، ويعترف انه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع، وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية، والحجازية واليمنية والفراتية وما يتجدد من الفتوحات غورا ونجدا وفوض امر جندها ورعاياها اليك حين اصبحت بالمكارم فردا، ولا جعل منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون مستثنى، ولا جهة من الجهات تعد فى الأعلى ولا فى الأدنى، فلاحظ امور الامة فقد اصبحت لها حاملا، وخلص نفسك من التبعات اليوم ففى غد تكون مسئولا عنها لاسائلا، ودع الاغترار بأمر الدنيا فما نال احد منها طائلا، وما رآها احد بعين الحق الا رآها خيالا زائلا، فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة، وقدم لنفسه زاد التقوى، فتقدمة غير التقوى مردودة لا مقبولة، وابسط يدك بالاحسان والعدل فقد امر الله بالعدل والاحسان، وكرر ذكره فى مواضع من القرآن، وكفر به عن المرء ذنوبا كتبت عليه وآثاما، وجعل يوما واحدا منه كعبادة العابد ستين عاما، وما سلك سبيل العدل

---

(١) السيوطى «بامر الشريعة والبيعة» (٢) اياصوفيا (ص ٤٤٠) بجمع شمله
(٣) السيوطى «يشكر لك».

الاّ واجتنيت ثماره من افنان ، ورجع الأمن بعد تداعى اركانه مشيّد الأركان ، وتحصن من حوادث الزمان فكانت ايامه فى الانام ابهى من الاعياد ، واحسن فى العيون من الغرر فى اوجه الجياد ، واحلى من العقود اذا حلى بها عطّل(١) الاجياد ، وهذه الاقاليم منوطة بنظرك (٢) تحتاج ٣٨/ب الى نواب وحكام ، واصحاب رأى من اصحاب السيوف والاقلام ، فاذا استعنت بأحد منهم فى امورك فنقّب عليه تنقيبا ، واجعل عليه فى تصرفاته رقيبا ، وسل عن احواله ففى يوم القيامة تكون عنه مسئولا وبما اجترم مطلوبا ، ولاتولّ منهم الا من تكون مساعيه حسنات لك لاذنوبا ومرهم بالاناة فى الامور والرفق ومخالفة الهوى اذا ظهرت لهم ادلة الحق ، وان يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطلق وان لايعاملوا احدا على الاحسان والاساءة الا بما يستحق ، وان يكونوا لمن تحت ايديهم من الرعية اخوانا ، وان يوسعوهم برا واحسانا وان لا يستحلوا حرماتهم اذا استحل الزمان لهم حرمانا ، فالمسلم اخو المسلم وان كان اميرا عليه وسلطانا ، فالسعيد من نسج ولاته فى الخير على منواله ، واستنوا بسنته فى تصرفاته واحواله ، وتحملوا عنه ماتعجز قدرته عن حمل اثقاله ، ومما يؤمرون به ان يمحى ما احدث من سيء السنن ، وجدد من المظالم التى هى على الخلائق من اعظم المحن ، وان يشترى بابطالها المحامد فان المحامد رخيصة باغلى ثمن ، ومهما جبى منها من الاموال فانها باقية فى الذمم وان كانت حاصلة ، واجياد الخزائن

---

(١) السيوطى « عاطل » (٢) السيوطى « المنوطة بك » .

وإن اضحت بها حالية، فانها هى على الحقيقة عاطلة ، و هل اشقى ممن احتقب اثما ، و اكتسب بالمساعى الذميمة ذما، و جعل السواد الاعظم يوم القيامة له خصما، و تحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من اعماله و قد خاب من حمل ظلما، و حقيق بالمقام الشريف السلطانى الملكى الظاهرى الركنى أن تكون ظلامات الأنام مردودة بعدله، و عزائمه تخفف عن الخلائق ثقلا لاطاقة لهم بحمله، فقد اضحى على الاحسان قادرا، و صنعت له الايام مالم تصنعه لمن تقدم من الملوك و ان جاء آخرا ، فأحمد الله على ان وصل الى جنابك إمام هدى اوجب لك مزية التعظيم، و نبه الخلائق على ماخصك الله به من هذا الفضل العظيم ، و هذه الامور ينبغى (١) ان تلاحظ و ترعى، و ان يوالى عليها حمد الله فان الحمد يجب عليها عقلا و شرعا، و قد تبين انك صيرت فى الامور اصلا، و غيرك فرعا، و مما يجب تقديم ذكره الجهاد الذى اضحى على الأمة (٢) فرضا، و هو العمل الذى يرجع ٣٩/الف به مسود الصحائف مبيضا، و قد وعد الله المجاهدين بالاجر العظيم ، و اعدلهم عنده المقام الكريم، و خصهم بالجنة التى لالغوفيها و لاتأثيم ، و قد تقدمت لك فى الجهاد، يد بيضاء اسرعت فى سواد الحساد، وعرفت منك عزمة هى امضى مما تجنه ضمائر الاغماد، و اشتهرت لك مواقف فى القتال هى ابهى و اشهى الى القلوب من الاعياد ، و بك صان الله حمى الاسلام من أن يتبذل، و بعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول، و سيفك الذى أثر فى قلوب الكافرين قروحا لاتندمل ، و بك يرجى ان

---

(١) السيوطى «امور يجب أن» (٢) كذا فى السيوطى وفى الاصل « الائمة » .

يرجع مقر الخلافة المعظمة الى ماكان عليه فى الايام الاول، فايقظ لنصرة الاسلام جفنا ما كان غافيا ولاهاجعاً ، وكن فى مجاهدة اعداء الله إماما متبوعا لاتابعا، وايد كلمة التوحيد فما تجد فى تأييدها الامطيعا سامعا، ولاتخل الثغور،من اهتمام بأمرها تبتسم له الثغور ، واحتفال يبدل ما دجا من ظلماتها بالنور ، واجعل أمرها على الامور مقدما ، و شيد منها ما غادره العدو متداعيا متهدما ، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع، وبها تحسم الاطماع، وهى على العدو داعية افتراق لااجتماع واولاها بالاهتمام ماكان البحر له مجاورا، والعدو اليه ملتفتا ناظرا ، لاسيما ثغور الديار المصرية فان العدو وصل اليها رابحا ورجع خاسرا واستأصلهم الله فيها حتى ما اقال منهم عاثرا ، وكذلك الاسطول الذى ترى خيله كالأهلة وركائبه سائرة بغير سائق مستقلة ، وهو اخو الجيش السليمانى فان ذلك غدت الرياح له حاملة ، وهذا تكفلت بحمله المياه السائلة ، واذا لحظها الطرف جارية فى البحر كانت كالأعلام ، واذا شبهها قال هذه ليال تطلع فى ايام (١) وقد سنى الله لك من السعادة كل مطلب، إذ اتاك من أصالة الرأى الذى يريك المغيب، وبسط بعد القبض منك الأمل ، ونشط بالسعادة ماكان من كسل ، وهداك الى مناهج الحق ومازلت مهتديا اليها ، وألهمك المراشد فلاتحتاج الى تنبيه عليها ، والله يمدك بأسبـــــاب نصره، ويوزعك شكر نعمه فان النعم تستثمر (٢) بشكره .

---

(١) الاصل « تقلع بالايام » خطأ (٢) السيوطى « النعمة تستتم » ـ ك .

٣٩/ب ولما تمت البيعة اخذ السلطان فى تسييره الى بغداد ورتب له الطواشى بهاء الدين صندل الصالحى شرابيا والامير سابق الدين بوزبا (١) اتابكا والامير الشريف نجم الدين جعفر استاذدار والامير فتح الدين ابن الشهاب احمد امير جاندار والامير ناصر الدين محمد بن صرم خازندار والامير سيف الدين بلبان الشمسى وفارس الدين احمد بن ازدمر اليغمورى دويدارية والقاضى كمال الدين بن عزالدين (٢) السنجارى وزيرا وشرف الدين محمد بن على بن ابى جرادة كاتبا وعين له خزانة وسلاح خاناة ومماليك كبارا وصغارا عدتهم اربعون مملوكا رتب منهم جمدارية وسلاح دارية وزردكاشية ورمحدارية وامر له بمائة فرس وعشرة قطر بغال وعشرة قطر جمال وفراشخاناة وطبل خاناة وطستخاناة وشرابخاناة وحوائج خاناة وإماما ومؤذنا وكتب لمن وفد معه من العراق تواقيع باقطاعات، واستتب (٣) هذا الحال الى ان تجهز الملك الظاهر الى الشام لسبب يذكر فيما بعد، فبرز فى تاسع عشر شهر رمضان الى بركة الجب فأخرجه معه ورغب اليه فى الباسه سراويل الفتوة فألبسه ثم سافرا .

ذكر ولاية الامير علم الدين الحلبى نيابة السلطنة بحلب

لما خرج فخر الدين الحمصى من حلب كما قدمنا ذكره وبلغ الرمل

(١) النجوم «بوزنا» (٢) الاصل «عزيزالدين» - ك (٣) كذا فى اياصوفيا وفى الاصل «اسبلت» خطأ .

كتب اليه الملك الظاهر يأمره بالعود وكان البرلى (١) لما تغلب على حلب خرج منها فى حشد من التركمان و العربان لشن الغارة على عيسى بن مهنأ وكان على حمص فلما مر البرلى بحماة طلب من صاحبها موافقته فأبى واغلق دونه ابواب البلد فأحرق غلالا للعشر بالباب الغربى وعاث فى نواحيها وافسد وذلك فى نصف رجب و بلغ الملك الظاهر فولى الحلبى نيابة السلطنة بحلب و اقطعه ما يقوم بوظائف المملكة ورتب معه علاء الدين بن نصر الله مدبر الامور و بعث معه عسكرا لمحاربة البرلى (١) و قدم عليه الامير جمال الدين آقوش المحمدى فسار الحلبى ومن معه فى شعبان فلما قرب من حلب و البرلى (١) على تل السلطان رحل بمن معه و قصد الرقة و دخل الحلبى حلبا و سار المحمدى يتبع البرلى(١) فادركه ٤٠ / الف بالرقة فركب و دخل على المحمدى خيمته وقال له انا مملوك السلطان و ما هربت الا خوفا منه وقد رغبت اليك فى ان تستعطفه بحيث يبقى علىّ حران فانى طردت نواب التتر عنها ووليت فيها و متى لم يسمح بالابقاء علىّ لم اجد بدا من التجائى الى التتار فتكفل له المحمدى بما التمسه و رحل عائدا و عبر البرلى (١) الى حران وكان ذلك خديعة منه .

ذكر اخذ البرلى (١) البيرة وعوده الى حلب

كان الحلبى قدكاتب الاسد حاجب الجوكندار والبهاء على أن يسلمها اليه وكان ولاه بها علاء الدين بن صاحب الموصل فطلب ذهبا يقرروا عينه فأجابه الحلبى و سير اليه المال ولم يسلمها ثم استدعى البرلى من حران فسار اليه و تسلمها ثم قصد حلب فلما كان بتل باشر خرج عن طاعة الحلبى اكثر من كان معه و لحقوا بالبرلى فخرج الحلبى من حلب ليلا فلما علم البرلى بذلك بعث اليها علم الدين طقصبا الناصرى

(١) النجوم « البرنلى » وسيأتى قريبا ما فيه .

وسيف الدين كيكلدى الحلبي فتسلماها ثم دخلها فى اوائل شهر رمضان وبعث طائفة ممن كان معه فى اثر الحلبي فلم يدركوه .

ذكر وصول ولدى صاحب الموصل الى القاهرة

فى العشر الأخر من شهر رجب خرج الملك الصالح ركن الدين اسماعيل بن صاحب الموصل منها واستخلف فيها زوجته التترية ولم يستصحب معه شيئا من المال وسبب خروجه خوفه من التتار فانهم كانوا قد اخذوا يختلقون له ذنوبا يريدون بذلك القبض عليه فاستشعر منهم ، فلما وصل قرقيسيا كتب الى اخيه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق وكان بالجزيرة يعرفه بحركته ويشير عليه بقصد الملك الظاهر ثم ساروا فوصل القاهرة فى اواخر شهر رجب فخرج الملك الظاهر الى لقائه واكرمه واحترمه وامر له بمال وثياب وانزله فى دار الفائزى خارج باب القنطرة بمصر ثم وصل اخوه الملك المجاهد فى ثانى شهر رمضان فخرج السلطان للقائه وفعل معه كما فعل مع اخيه وانزله بجواره فى دار انشأها معين الدين ابن الشيخ ورتب لمن وصل معهما من الحريم راتبا يجرى عليهم فى كل شهر . ٤٠/ب

ذكر توجه الخليفة والسلطان الى الشام

لما وردت الاخبار بأخذ البرلى (١) البيرة وعوده الى حلب وخروج

(١) النجوم « البرنلى » وبهامشه «هو الامير آقوش بن عبدالله العزيزى شمس الدين المعروف بالبرنلى والبرنلو كما فى المنهل الصافى وفى ابى الفداء والسلوك « البرلى » وقد تقدم

الحلبي عنها برز السلطان بالعساكر الى بركة الجب و معه الخليفة و اولاد صاحب الموصل فى تاسع عشر شهر رمضان بعد أن رتب الاميرعزالدين ايدمر الحلبي نائب السلطنة بقلعة الجبل و الصاحب بهاء الدين مدبر الامور و خرج مع السلطان الامير بدرالدين بيليك الخزندار بعد ان فوض اليه امور الجيوش و اقامه مقام نفسه و فخرالدين بن الصاحب بهاءالدين وزير الصحبة و اقام ببركة الجب الى عيدالفطر و خلل هذه الايام وصل المحمدى فانكر عليه ابقاءه على البرلى و انخداعه له و وصل رسول الملك المغيث صاحب الكرك بكتاب يتضمن الاعتذار و طلب الصفح عنه و ابقاء الكرك عليه وكان سبب الغضب عليه انه كتب الى يعقوب بن بدل و الى جمال الدين اغل و الى جماعة من امراء الشهرزورية بعد ان تسلطن الملك الظاهر و هم بالقاهرة يستميلهم اليه فخرجوا عن الطاعة ثم ان العرب عثروا على قصاد منه الى التتر و على ايديهم كتب مضمونها انه مستمر على طاعتهم فلما و رد كتابه اجابه بالرضا عنه فتصر فى حق الشهرزورية ففارقوه ثم رحل السلطان فى ثالث شوال و فيه ولى قاضى القضاة برهان الدين الخضر السنجارى قضاء مصر و عزل عنها تاج الدين المعروف بابن بنت الأعز .

ذكر مصاهرة الخزندار المواصلة

لما وصل الملك الظاهر غزة فى ثالث عشر شوال استدعى اولاد صاحب الموصل و عرفهم مكانة الامير بدرالدين الخزاندار عنده و محله منه و طلب منهم ان يزوجوه باختهم فاجابوا فعقد عقده و ملكه بانياس

و قلعة الصبيبة بعقد البيع و الشراء .

ذكر وصول الخليفة و السلطان الى دمشق وخروج الخليفة منها

ثم رحل السلطان من غزة فدخل دمشق يوم الاثنين سابع ذى القعدة
و قدم عليه الملك الاشرف صاحب حمص فخلع عليه و اعطاه ثمانين ٤١ / الف
الف درهم و حملين ثيابا و زاده من البلاد تل باشر وكان الملك
المظفر رحمه الله قدحلها عنه و قدم عليه الملك المنصور صاحب حماة
فخلع عليه و اعطاه ثمانين الف درهم و حملين ثيابا وكتب له توقيعا
يبلاده التى بيده ثم جهز الخليفة و اولاد صاحب الموصل صحبته فكان
الذى غرم على تجهيز الخليفة و اولاد صاحب الموصل فوق الالف
الف دينار عينا و جهز الامير علاء الدين ايدكين البند قدارى لنيابة السلطنة
بحلب و اعمالها و بعث معه عسكرا لمحاربة البرلى و قدم عليه الامير سيف الدين
بلبان الرشيدى فخرجا من دمشق فى منتصف ذى القعدة فلما وصلا
حماة خرج البرلى من حلب و قصد حران فتبعه الرشيدى و دخل البند قدارى
حلب و لما وصل الرشيدى الفرات رحل البرلى عن حران و قصد قلعة
القرادى فحاصرها حتى اخذها من نواب التتار عنوة و نهبها و عاد
الرشيدى بعسكره الى انطاكية فشن الغارة على بلدها و دام ذلك سنة (١)
حتى بذلواله مالا فى طلب المهادنة فأبى ثم بلغه ان الملك الظاهر خرج
من دمشق قاصدا مصرفى سبع عشر ذى الحجة فرحل عن انطاكية .

(١) الاصل « صنة » .

ذكر

ذكر توجه الخليفة الى العراق واولاد صاحب الموصل

لما سير الملك الظاهر البندقدارى والرشيدى كما تقدم اشار على الخليفة بالتوجه الى العراق واعتنى بتجهيزه فرغب اولاد صاحب الموصل وهم الملك الصالح وولده علاء الملك والملك المجاهد سيف الدين صاحب الجزيرة والملك المظفر علاء الدين صاحب سنجار والملك الكامل ناصر الدين محمد فى العود الى بلادهم فخرجوا من دمشق فى الحادى والعشرين من ذى القعدة فلما وصلوا الرحبة وافوا عليها الامير بريد بن على بن حذيفة (١) من آل فضل (٢) واخاه الاخرس فى اربعمائة فارس من العرب وفارق الخليفةُ اولادَ صاحب الموصل من الرحبة وكان التمس منهم المسير معه فابوا وقالوا ما معنا مرسوم بذلك فاستمال من مماليك والدهم نحو ستين نفرا فانضافوا اليه ولحقهم بالرحبة الامير عز الدين ابن كر (٣) من حماة ومعه ثلاثون فارسا ثم رحل الخليفة بمن معه عن الرحبة بعد مقام ثلاثة ايام فنزلوا مشهد على رضى الله عنه ثم رحل الى زاوية الشيخ برى ثم الى قائم عُنُقه (٤) ثم الى عانة فوافوا الامام ٤١ / ب

(١) بضم الباء – ك كذا – وفى النجوم (ج ٧ ص ١١٥) «يزيد بن على بن حذيفة» وبها مشه فى الاصلين هنا «بن حذيفة» والتصحيح عن الحاشية رقم (١ ص ١٠٩) من هذا الجزء (٢) النجوم «امير آل فضل» (٣) بضم الكاف وتشديد الراء – ك كذا – وفى النجوم (ج ٧ ص ١١٥) «ايدكين» وبها مشه فى كتاب السلوك «عز الدين بركة» (٤) مثله فى النجوم – وبها مشه كذا فى الاصلين وفى تقويم =

الحاكم بالله على عانة من ناحية الشرق ومعه نحو سبعمائة فارس من التركمان وكان البرلى قد جهزهم من حلب فبعث المستنصر بالله اليهم واستمالهم فلما جازوا الفرات فارقوا الحاكم فبعث المستنصر بالله يطلبه اليه ويؤمنه على نفسه ويرغب اليه فى اجتماع الكلمة فأجاب ورحل اليه فوفى له وانزله معه فى الدهليز وكان الحاكم لما نزل على عانة امتنع اهلها منه وقالوا قد بايع الملك الظاهر خليفةً وهو واصل فما نسلمها الا اليه فلما وصل المستنصر بالله نزل اليه واليها وكريم الدين ناظرها وسلماها اليه وحملا له اقامة فأقطعها للامير ناصر الدين اغليش(١) اخى الامير علم الدين الحلبي ثم رحل الخليفة عنها الى الحديثة ففتحها اهلها له فجعلها خاصًا له ثم رحل عنها ونزل على شط قرية الناووسة ثم رحل عنها قاصدا هيت، ولما اتصل ذلك بقرابغا مقدم عسكر المغل بالعراق وبهادر على الخوارزمى شحنة بغداد خرج قرابغا بخمسة آلاف من المغل على الشط العراقى(٢) وقصد الانبار فدخلها اغارة وقتل جميع من فيها ثم ردفه بهادر بمن بقى ببغداد من العساكر وكان قد بعث ولده الى هيت متشوفا لما يرد من اخبار المستنصر بالله وقرر معه انه اذا اتصل به خبره(٣) بعث بالمراكب الى الشط الآخر واحرقها، فلما وصل الخليفة هيت اغلق اهلها الباب دونه فنزل عليها وحاصرها حتى

= البلدان لابى الفداء اسماعيل« قائم عنقا »وهى بلدة بجانب الفرات تدخل فى واد الى عانة (١) النجوم « اغلمش » (٢) لعله الفراتى(٣) كذا فى النجوم وفى الاصل « قربه » .

فتحها و دخلها فى التاسع و العشرين من ذى الحجة و نهب من فيها من اليهود و النصارى ثم رحل عنها فنزل الدور (١) و بعث طليعة من عسكره مقدمها الامير اسد الدين محمود بن الملك المفضل موسى نائبا عن بوزبا (٢) فبات تجاه الانبار تلك الليلة و هى ليلة الاحد ثالث المحرم سنة ستين و ستمائة - و كان ينبغى ذكر تتمة هذه الواقعة فى حوادث سنة ستين و انما لارتباط الحديث و سياقه ذكرتها فى هذه السنة، فلما رأى قرابغا الطليعة امر من معه من العساكر بالعبور اليها فى المخائض و المراكب ليلا، فلما اسفر الصبح افرد قرابغا من معه من عسكر بغداد [مسلما] (٣) ناحية، و رتب الخليفة اثنى عشر طلبا لجحل التركمان و العربان ميمنة وميسرة و باقى العسكر قلبا ثم حمل بنفسه مبادرا و حمل من كان معه فى القلب فانكسر بهادر و وقع معظم عسكره فى الفرات ثم خرج كمين من التتار فلما رآه التركمان و العرب هربوا و احاط الكمين بعسكر الخليفة فصدق المسلمون الحملة فافرج لهم التتر فنجا الحاكم و ناصر (٤) الدين بن مهنأ و ناصر الدين بن صيرم و بوزبا (٢) و سيف الدين بلبان الشمسى و اسد الدين محمود و جماعة من الجند نحو الخمسين نفرا و قتل الشريف نجم الدين [جعفر] (٥) استاذ الدار وفتح الدين بن الشهاب [احمد] (٥) وفارس الدين [احمد] (٥) بن ازدمر اليغمورى ولم يوقع للخليفة على خبر فقيل قتل فى الوقعة و عفى اثره و قيل نجا مجروحا

٤٢ / الف

(١) بهامش النجوم (ج ٦ ص ١١٦) « هى سبعة مواضع بارض العراق من نواحى بغداد » (٢) النجوم « بوزنا » (٣) ليس فى النجوم (٤) النجوم « شرف » وبهامشه « فى الاصلين « ناصر الدين » (٥) من النجوم .

فى طائفة من العرب فمات عندهم وقيل سلم واضمرته البلاد .

وفيها بعث الملك المظفر صاحب ماردين بعد موت ابيه الملك السعيد رحمه الله عز الدين يوسف بن الشماع الى التتر ليتعرف له ما اضمرته نفوسهم فلما اجتمع بمقدميهم وهما قطزنوين وجرمون قالا له بين الملك المظفر وبين ايل خان يعنون هولاكو وعد ان والده متى مات دخل فى طاعته فقال لهم عز الدين هذا صحيح لكن انتم اخربتم بلاده وقتلتم رعيته فبأى شيء يدخل فى طاعته حتى يدارى عنه فقالا نحن نضم(١) له ان ايل خان يعوضه عما خرب بلادا عامرة مما جاوره، فلما عاد عز الدين واخبره رده اليهم برسالة مضمونها ان اردتم ان اسير رسلى الى ايل خان فابعثا لى رهائن من جهتكما تكون عندى الى ان يرجعوا وترددت الرسل الى ان بعث قطزنوين ولده وبعث جرمون ابن اخيه، فلما صعدا القلعة بعث الملك المظفر نور الدين محمود بن كاجار اخا الملك السعيد لأمه واصحبه قطزنوين من جهة سابق الدين بلبان فوصلا الى هولاكو وهو بمراغة واديا الرسالة فأجاب الى ماضمنه قطزنوين وجرمون وكتب لهم بذلك فرامين وبعث بها من جهته مع قصاد

٤٢ / ب وابقى الرسل عنده وامر بالرحيل عن ماردين، فرحلوا فى شهر رجب ثم بعث هولاكو الرسولين واصحبهما كوهداى فوصلوا الى ماردين وانتظم الصلح والهدنة بين الملك المظفر والتتر واسلم كوهداى على يد الملك المظفر فازوجه اخته .

(١) لعله نضمن .

ثم توجه الملك المظفر فى شهر رمضان الى هولاكو و استصحب معه هدية سنية من تحف ادخرها ابوه و اجداده من جملتها باطية مجوهرة قيمتها اربعة و ثمانون الف دينار، فاجتمع به بصحراء ادرنة بنهر الباع من اعمال سلماس فأقبل عليه و اكرمه و قال له بلغنى ان اولاد صاحب الموصل هربوا الى مصر و انا اعلم ان اصحابهم كانوا السبب فأترك اصحابك الذين وصلوا صحبتك عندى فانى لاآمن ان يحرفوك عنى ويرغبوك فى الخروج عن بلادك الى مصر و اذا دخلت انا البلاد استصحبتهم معى فأجابه الى ذلك ثم انفصل عنه عائدا الى بلده فلما كان فى اثناء الطريق لحقته رسل تأمره بالعود فعاد وجلا فقال له هولاكو اخبرنى اصحابك أن لك باطنا مع صاحب مصر و قد رأيت ان يكون عندك من جهى من يمنعك التسحب اليه ثم عين له اميرا يدعى احمد بغا وردّه الى ماردين و زاده نصيبين والخابور و امره بهدم شراريف القلعة ثم ضرب بعد مفارقته له رقاب الجماعة وكانوا سبعين رجلا منهم الملك المنصور ناصر الدين ارتق بن الملك السعيد و نور الدين محمد و اسد الدين البجى (١) وحسام الدين عزيز البحى (١) و فخر الدين ابن جاجرى(٢) وعلاء الدين والى القلعة وعلم الدين بن حيدر ولم يكن لأحد منهم ذنب لكن قصد بقتلهم قص جناح الملك المظفر .

و فيها كان المصاف بين الاخوين ركن الدين و عز الدين صاحبى الروم على قوم (٣) من قونية فى الخامس و العشرين من شهر رمضان فكسره

(١) بلا نقط فى الاصل، اياصوفيا « النحى » (٢) اياصوفيا «الخاجرى» (٣) كذا .

ركن الدين لأنه كان معه نجدة من التتر وخامر على عزالدين العربان واحد مقدمى التركمان وتأخر محمد بك الاوحى عنه وقتل من اصحاب عز الدين خلق كثير وامسك منهم جماعة فشنقوا على الاسوار وانحاز عز الدين الى انطاكية واقام بها وترك فى بلاده شمس الدين ارتاش نائبا عنه .

وفيها وصل رسول رضى الدين ابى المعالى ونجم الدين اسماعيل ابن الشعرانى المستوليين على حصون الاسماعيلية الى الملك الظاهر بدمشق وعلى يده هدية ومعه رسالة مضمونها التهديد والوعيد وطلب ما كان لهما من الاقطاعات فى الدولة الناصرية والرسوم فأجابهما الى ذلك فلما عزم على التوجه الى مرسلاه (١) وحضر لوداع الملك الظاهر قال له بلغنى ان الرضا قد مات وقد رأيت ان اوليك مكانه ولم يكن اتصل به شىء من ذلك فكان ذلك سببا لاستنزاله له عن سره (٢) ثم كتب له توقيعا بالولاية فتوجه المذكور فوجد الرضى فى عافية فكتم التوقيع ولم يلبث الا عشرة ايام حتى مرض الرضا اياما قلائل ثم مات فولى مكانه فلم ترض به الاسماعيلية وقتلوه فنقم عليهم الملك الظاهر قتله وشرع فى اعمال الحيلة عليهم الى ان استأصل شأفتهم واحتوى على بلادهم، قلت هذا خلاصة ما كان على خاطرى وما نقلته من مسودات كانت عندى من حوادث هذه السنة وقد ذكر القاضى جمال الدين محمد ابن واصل بعض الحوادث المتقدمة على وجه آخر ربما هو أتم من

٤٣/الف

(١) لعله مرسليه (٢) الاصل عرسره ـ لـ ـ كذا ولعله ـ عن شره .

ذلك فذكرت ماقاله و اثبته هنا و الله اعلم .

قال القاضي جمال الدين ابو عبدالله محمد بن واصل (١) فى حوادث هذه السنة لما وصل عسكر حلب وحماة الى حمص على ما تقدم شرحه فى حوادث سنة ثمان وخمسين اجتمعوا بالملك الاشرف صاحبها وعزم عسكر حلب على التوجه الى دمشق وقارب التتر حمص فلام الملك الاشرف الجوكندار على هذا الرأى وقال له مايقال عنا فى البلاد وبأى وجه نلق صاحب مصر واخذ فى تثنيته (٢) هو وصاحب حماة وحرضاه على لقاء العدو وكان قد وقع بين الجوكندار وبعض خشداشيته منافرة من اجل الاموال التى اخذت من ابن صاحب الموصل فما زال بهم الملك الاشرف والملك المنصور حتى اصلحا بينهم، ووصل التتر فحمل عليهم المسلمون يوم الجمعة خامس المحرم ورزقهم الله النصر عليهم فبددوا شملهم واخذتهم سيوف المسلمين وكان فيهم جماعة كثيرة من شجعان المغل، قال مبارز الدين استاذدار صاحب حماة كان من بهادرية المغل فى هذه الوقعة اكثر من الذين كانوا منهم فى وقعة عين ٤٣ / ب جالوت بالغور وانهزم من سلم من التتر والمسلمون فى آثارهم ومدح الصاحب شرف الدين عبدالعزيز (٣) شيخ الشيوخ رحمه الله الملك المسعود صاحب حماة وهنأه بهذا الفتح بقصيدة مطلعها :

لكَ فى الندى وردَى ذوى الاشراك   شيم تفوق بها على الأملاك

---

(١) توفى سنة ٦٩٧ - ك (٢) كذا ولعله تثبيته (٣) هو عبد العزيز بن محمد بن عبدالمحسن الحموى ابن الرفاء توفى سنة ٦٦٢ - ك .

ومنها:

لما شكا دينُ الهدى اشكيته بشديد باسك والسلاح الشاكى
دعت المعالى يا اباها دعوة لامت عليك فقلت لبى فاك(١)
جردت يوم الاربعاء عزيمة خفيت عواقبها عن الادراك
واقمت فى يوم الخميس مبالغا فى الجمع بين طوائف الاتراك
ووقفت فى يوم العروبة موقفا اوسعت فيه الفتك بالفتاك
قيدتْ ابطال التتار بصولة تركتهم كالصيد فى الاشراك
وأطرت منهم هام كل مدجج لله كل موحّد سفاك
فالطعن والطاعون اسلمهم الى ضرب كاشداق المخاض دراك
بّردت اكباد الورى بقواضب قذفت عليهم كالضرام الذاكى
اضحكت سنّ ثغورنا من بعد ما ظفروا بها فبكى عليها الباكى
غادرتهم صرعى كأن كماتهم فى المرج من سلاف جناك (٢)
ثم ارتحلت الى دمشق موضحا سبل الرشاد المحض للسلاك
ورجعت فى غرر الجيوش معاجلا منا رهان نفوسنا بفكاك
فلقد امنت المحصنات اوأمنا ولقد اقمت شعائر النساك (٣)
سلمت مهجة كل برّ مسلم وهزمت كل معاند أفّاك
نوهت باسمك فى سماء مدائح اعلته فوق مجرة وسماك
تسبي العقائل والعقول جميعها من صائغ لنضارها سباك
فلك الهناء بما منحت ولاتزل يجرى بسعدك دائر الافلاك

---

(١) كذا ولعله نداك (٢) كذا (٣) الاصل « السباك » خطأ.

ولما

ولما بلغ خبر هذه الوقعة الى حماة وكان بها جماعة يميلون الى التتر وربما اراد بعضهم ان ينقب من السور اليهم موضعا يدخلون ٤٤ / الف منه الى البلد فثار اهل حماة عليهم فقتلوا بعضهم منهم رجل من اطراف الناس يقال له ابن دخان (١) فقتلته العامة واعتقل بعضهم ووصل الملك المنصور الى حماة وبعد هذه الوقعة رجع التتر ونازلوا حماة وكانت قواهم تضعف لقلتهم والرعب الذى داخلهم عن المقام على حصار البلد فرحلوا ولم يقيموا الّا يوما واحدا واراد الملك المنصور السفر الى دمشق ليستصحب عسكرا يتقوى به على التتر فمنعته العامة من ذلك حتى استوثقوا منه بأنه يعود اليهم عن قرب فمكنوه من السفر بطائفة قليلة من خواصه ومماليكه وترك عندهم الطواشي شجاع الدين مرشدا والعسكر وسار الى دمشق، وتوجه الملك الاشرف صاحب حمص الى دمشق ايضا والمتولى عليهم علم الدين الحلبي الملقب بالملك المجاهد وكان حين ورد الخبر الى دمشق بهذا الفتح زين البلد وضربت البشائر ووصل الى دمشق رؤوس التتر محمولة فى الشرائح (٢) فرميت فى الطرق ووصل الامير حسام الدين الجوكندار ومن معه من العزيزية والناصرية ونزلوا المرج ولم يدخل دمشق خوفا من الحلبي ثم رحل الى الكسوة وتوجه الى الديار المصرية بمن معه وكان يتوهم ان الملك الظاهر يقلده حلب واعمالها نيابة عنه فلم يتم له ذلك، واما التتر فانهم اندفعوا الى ناحية أفامية ونزلوا فى تلك الارض وطمع فيهم المسلمون ودخل عليهم

(١) الاصل دحان - ك (٢) لعله الشرائج .

الشتاء و اشتد البرد و ورد الى أفامية الامير سيف الدين الديلى الاشرفى و معه جماعة فأقام بها و واتر الاغارة عليهم و القتل و النهب ثم رحلوا طالبين الشرق .

ذكر القبض على علم الدين الحلبى

فى اوائل هذه السنة قدم عسكر من الديار المصرية مقدمهم الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى و هو من اكابر الامراء الصالحية و اليه ينسب الملك الظاهر قبل السلطنة وكان علاء الدين هذا مملوكا قبل الملك الصالح نجم الدين للامير جمال الدين بن يغمور و ورد الامر من مصر الى الامير شمس الدين البرلى و من معه من العزيزية و الناصرية ان يقدموا ٤٤/ب الى دمشق فقدم بهم، فلما قدمت العساكر خرج الحلبى باصحابه و مماليكه و حمل العسكر المصرى فانهزم من مع الحلبى و جرح و قتل من مماليكه جماعة و عاد الى القلعه فاقام بها الى ان اجنه الليل و هرب الى جهة بعلبك فاتبع و قبض عليه ثم حمل الى الديار المصرية و اعتقل بها ثم اطلق بعد ذلك .

وكان ورود العسكر المصرى الى دمشق فى ثالث عشر صفر و استقرت العساكر الظاهرية بدمشق و اقيمت الخطبة بها و ببلادها وبحماة و حمص و حلب للملك الظاهر وكان قبل ورود العسكر المصرى قد سير الملك المنصور صاحب حماة و هو مقيم بدمشق ابن عمه الامير ناصر الدين محمد بن الملك المسعود عثمان بن الملك المنصور و كانت منزلته عالية عنده رسولا الى الملك الظاهر فانزل باللوق و اكرم اكراما كثيرا

كثيرا و اجيب بما طاب به قلب الملك المنصور ورجع الى صاحبه مكرما، وكان ناصر الدين هذا متميزا عنده فضيلة و له نظم جيد منه :

لله درعصابة تغشى الوغى تهوى الخياطة لا اليه تنتمى
ذرعوا الفوارس بالوشيج وفصّلوا بالمرهفات و خيطوا بالأسهم

ذكر خروج الامير شمس الدين البرلى والعزيزية من دمشق على حمية واستيلائهم على حلب

لما استقرت العزيزية مع مقدمهم الامير شمس الدين بدمشق وكان التترقد نازلوا البيرة وضايقوها من غير محاصرة و الامير علاء الدين البندقدارى مقيم بدمشق وقد جرّد الى حلب الامير فخر الدين الحمصى مقدما وصحبته جماعة من الامراء فوصلوا حلب وحكم الامير فخر الدين فيها وضم بها شمل الرعية و توجه الملك المنصور و الملك الاشرف الى بلديهما واشتدت مضايقة التتر البيرة فكتب فخر الدين الحمصى الى الملك الظاهر وطلب انجاده على التتر فكتب الملك الظاهر الى البندقدارى بأن يكون على أهبة المسير الى حلب بجميع من عنده من العسكر وان يقبض على شمس الدين البرلى وبهاء الدين بغدى وعلى جماعة من العزيزية و الناصرية وبلغ ذلك هؤلاء الامراء واتفق رأيهم على الخروج من دمشق يدا واحدة على حمية وان يتوجهوا الى حلب ويقبضوا على فخر الدين الحمصى ويقيموا فى تلك الجهات

٤٥/ الف

وتحالفوا على ذلك فتوجه بهاء الدين بغدى الى الامير علاء الدين البندقدارى رجاء ان يسلم بذلك ويتقدم عنده فحين دخل اليه قبض عليه وقيده ورسم عليه جماعة، وورد الخبر بذلك الى الامير شمس الدين البرلى ومن معه من العزيزية والناصرية فركبوا وخرجوا من دمشق ليلا ووقع بسبب هذه الحركة انزعاج شديد بدمشق ونزل البرلى باصحابه فى المرج فبعث اليه البندقدارى يلومه على ذلك وحلف له ان الامر ما ورد الا بقبض بهاء الدين خاصة وارسل اليه مثالا ورد من مصر بما يرضيه وكان الامير شمس الدين قد تحقق ان الامر بخلاف ذلك من جهة من ورد اليه من مصر فتوجه بأصحابه طالبا حلب، ولما وصل الى حمص راسل الملك الاشرف بان يتفق معه فلم يجبه الى ذلك وكان قد كاتب بعض امراء حماة بان يفتح له احد ابواب حماة ليدخل اليها ويستولى عليها فأجابه الى ذلك وكان فى معسكر البرلى وهو نازل بظاهر حمص ناصر الدين ناصر الجذامى وهو من اصحاب صاحب حماة ومختص بخدمته وانما كان فى عسكر البرلى ليكشف الاخبار لصاحبه فحين بلغه ذلك سار مسرعا الى حماة واخبر الملك المنصور بذلك وكان الذين كاتبوا البرلى على الباب الذى واعدوه الدخول منه فجعل الملك المنصور على الباب غيرهم، ووصل الامير شمس الدين الى حماة فنزل ظاهرها وقد فاته ما طلب ولم يظهر الملك المنصور تغيرا على الذين كان منهم ذلك ولا غير اخبازهم ولا اشعرهم انه عرف شيئا من امرهم، ولما نزل الامير شمس الدين ظاهر حماة ارسل الى الملك المنصور يدعوه الى الاتفاق ٤٥ / ب

معه و انه يقيم الملك المنصور سلطانا و يكون فى خدمته .

قال الملك المنصور رحمه الله ارسل الىّ الامير شمس الدين يقول ينبغى ان تقوم و تحيي بيتك الكريم فما بقى فى البيت الايوبى من يصلح لهذا الامر سواك و نكون بين يديك و نقاتل معك و نملكك البلاد فارسلت اليه ناصر الدين البدوى اقول له متى و فيتم انتم لأحد من بيت استاذكم حتى تفوا لى و انا مالى حاجة بالملك و انما انا قانع بهذه البلدة و اكون فيها مطيعا لمن يكون مالكا للديار المصرية ، و لما يئس الامير شمس الدين من اجابة الملك المنصور غضب و امر باحراق بيدر الشعير غربى البلد فاحترق و اعقب ذلك جدب و غلاء شديد ثم توجه الامير شمس الدين و من معه الى شيزر و نازلوها اياما ثم ساروا الى حلب فلما وصلوا الوضيحى جمع الامير شمس الدين اصحابه و استشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بأن يكون الدخول فى صبيحة الغد و انهم لا يلبسون لأمة الحرب و لا يظهرون الا الطاعة الملك الظاهر و يقولون انا خفنا على انفسنا لما سمعنا تغير خاطره علينا فالتجأنا الى اطراف البلاد الى ان يصلنا امانه و نعود الى خدمته فوافقهم على ذلك و فى صبيحة الغد رحلوا الى حلب و قد خرج فخر الدين الحمصى و من معه من العسكر لابسين لأمة الحرب مستعدين للقاء و جاء البرلى و من معه و دخلوا بينهم و اختلطوا جميعا بهم و دخلوا حلب و نزل الامير شمس الدين فى دار الامير شمس الدين لؤلؤ و نزل امراء العزيزية و الناصرية حوله ثم طلبوا من فخر الدين الحمصى ان يتوجه الى الملك الظاهر و يطلب لهم الامان

و الرضا بشرط ان يكون الامير شمس الدين مقدم العساكر بحلب و الامراء
الذين فى صحبته عنده و يصلهم المناشير من الديار المصرية بما يختاره
الملك الظاهر و يكون الامير شمس الدين مستقلا بنيابة السلطنة و لا يكلف
الاجتماع بالملك الظاهر و توجه فخر الدين الى مصر ليدبر هذه القاعدة
فلما وصل الى الرمل وجد الامير جمال الدين المحمدى قد جرّد معه عسكرا
ليتوجهوا الى الامير شمس الدين البرلى حيث كان و يقاتلوه فكتب
٤٦ / الف فخر الدين الى الملك الظاهر يخبره بما قدم لاجله فورد عليه الجواب
ينكر عليه غاية الانكار و يأمره أن ينضم الى المحمدى بمن معه من
العسكر و يقصلون (١) البرلى ثم رضى الملك الظاهر عن الامير علم الدين
الحلبي و جهزه و راءهم فى جمع من العسكر ثم جهز بعدهم الامير عز الدين
الدمياطى فى جمع آخر و توجهوا كلهم الى جهة حلب ليقبضوا على
الامير شمس الدين البرلى اويطردوه عن حلب و كان الامير شمس الدين
لما توجه فخر الدين الحمصى علم ان الملك الظاهر لا يوافقه على ما طلب
فاخرج من عنده من العسكر المصرى و استبدّ بالامر و جمع اليه من
العربان و التركمان و اخرج ما كان مخبأ فى حلب و بلادها من الغلال
و فرقه على الشود (٢) و كان قصده اخلاء حلب من الغلال لئلا تبقى
ميرة لعسكر مصر و استعد للقاء عسكر مصر و بلغه توجههم الى قتاله
و انقضت هذه السنة و الامر على ذلك .

و فى السابع من جمادى الاولى عقد عزاء بجامع دمشق للملك الناصر

(١) لعله ويقبضوا (٢) لعله الجنود .

صلاح الدين يوسف رحمه الله وذلك لما ورد الخبر بمقتله .

ذكر بيعة المستنصر بالله ابى القاسم احمد بمصر

ورد الى مصر فى رجب من هـــذه السنة ابوالقاسم احمد ومعه جماعة من العرب وذكروا انه ابن الظاهر بامر الله ابى نصر محمد بن الناصر وهو اسود اللون وذكروا انه خرج من دارالخلافة لما ملكها التتر فاراد الملك الظاهر ان يقلده الخلافة فعقد له مجلس بقلعة الجبل وحضر الاعيان والاكابر والشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله والقاضى تاج الدين عبد الوهاب بن خلف وكان الملك الظاهر قد عزل القاضى بدر الدين السنجارى عن قضاء الديار المصرية فى اوائل هذه السنة وقلد القضاء لتاج الدين المذكور فشهد اولئك العربان بأن ابا القاسم هذا هو ابن الظاهر بأمر الله وعم المستعصم بالله واقام القاضى تاج الدين جماعة من الشهود اجتمعوا باولئك العرب وسمعوا شهادتهم ثم حضروا عند القاضى تاج الدين فشهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة فقام القاضى تاج الدين على قدميه وقال ثبت عندى نسب أبى القاسم هذا وانه ابن الامام الظاهر بأمر الله فبايعه الملك الظاهر والشيخ عزالدين والقاضى تاج الدين والحاضرون ونودى بالقاهرة ومصر بخلافته ولقب المستنصر بالله لقب اخيه ويوم الجمعة التالية لهذه البيعة حضر الملك الظاهر والاكابر والقضاة وخطب الخليفة خطبة مختصرة وصلى بالناس صلاة العصر ونثرت الدراهم والدنانير باسمه وخلع على الملك الظاهر خلعة

سوداء وعمامة مذهبة وطوق ذهب وركب بالخلعة .

ذكر تبريز الملك الظاهر والخليفة للمسير الى الشام

فى شهر رمضان برز الملك الظاهر وضرب دهليزه خارج باب النصر وبرزت العساكر للتوجه الى الشام وكان قد قدم الى خدمة الملك الظاهر الملك الصالح ابن صاحب الموصل واخوه صاحب الجزيرة فنزلا فى المخيم السلطانى خارج البلد ، كنا ذكرنا ان الملك المظفر رحمه الله لما كسر التتر وقدم دمشق عزل القاضى محى الدين يحيى بن الزكى (١) وولى عوضه القاضى نجم الدين ابن سنى الدولة واستمر الى اثناء هذه السنة فتحدث الناس فيه بامور نسبت اليه وبلغ الملك الظاهر ذلك فاستشار الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى فأشار عليه ان يولى القضاء بدمشق القاضى شمس الدين احمد ابن خلكان وكان ينوب عن القاضى بدر الدين السنجارى (٢) بالديار المصرية زمن ولايته لها فأجاب الملك الظاهر الى ذلك وتقدم بان يسافر القاضى شمس الدين صحبته .

وفى هذه الايام ولى الملك الظاهر القاضى برهان الدين الخضر ابن الحسن القضاء بمدينة مصر وعملها وهو الوجه القبلى وبقيت القاهرة وعملها وهو الوجه البحرى فى ولاية القاضى تاج الدين .

وفى هذه الايام والملك الظاهر مبرز بالعساكر خارج القاهرة عزم

---

(١) هو يحيى بن محمد بن على بن محمد العثمانى توفى سنة ٦٦٨ - ك (٢) هو يوسف ابن الحسن بن على توفى سنة ٦٦٣ - ك .

على انفاذ رسول الى منفريد بن الا نبرطور فرديك وكان الملك الكامل
ارسل الى ابيه الا نبرطور الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ (١)
يطلب منه القدوم الى الشام ليشغل سرأخيه الملك المعظم وذلك لما ٤٧ / الف
انتمى الملك المعظم الى السلطان جلال الدين سلطان العجم فقدم الى
الشام بعد موت الملك المعظم وندم الملك الكامل على استقدامه اذ لم
يبق له حاجة اليه وجرت المراسلات بينه وبين الملك الكامل واتفقا على ان
يتسلم الانبرطور البيت المقدس فتسلمه ثم رحل الى بلاده ثم توفى الملك
الكامل وصارت مصر لابنه الملك العادل ثم لاخيه الملك الصالح نجم الدين بن
الكامل فارسل اليه الملك الصالح نجم الدين الشيخ سراج الدين الارموى (٢)
قريب الشيخ افضل الدين الخونجى (٣) قاضى مصر وكان اماما فى المعقولات
وكان الانبرطور محبا للفضائل والعلوم الحكمية وغيرها فاقبل على
سراج الدين واقام عنده مدة طويلة وصار بين الانبرطور وبين الملك
الصالح نجم الدين مودة عظيمة كما كانت بينه وبين ابيه الملك الكامل ثم
عاد سراج الدين الى الديار المصرية ولما توفى الانبرطور ملك بعده
انبولية والانبردية وجزيرة صقلية ولده كنراد (٤) ثم توفى وملك
منفريد اخوه وكان كنراد (٤) واخوه منفريد يريان رأى ابيهما فى محبة
الفضائل العلمية وبينهما وبين البابا خليفة الافرنج العداوة الشديدة .

---

(١) توفى سنة ٦٤٧ - ك (٢) هو محمد بن ابى بكر بن احمد توفى سنة ٦٨٢ - ك
(٣) هو محمد بن ناماور د بن عبدالملك توفى سنة ٦٤٦ - ك (٤) الاصل
كنزا - ك .

فصل

وفيها توفى ابراهيم بن عبد الله بن هبة الله بن احمد بن على بن مرزوق ابو اسحاق صفى الدين العسقلانى الكاتب التاجر مولده فى شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة سمع بمصر من أبى محمد عبد الله بن محمد بن مجلى واجاز له غير واحد وحدث وكان احد الرؤساء المعروفين بالثروة وسعة ذات اليد وله الوجاهة الوافرة والتقدم عند الملوك وارباب الدول وله برومعروف واوقاف منسوبة اليه وتوفى فى ثانى عشر ذى القعدة بمصر ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله .

اسحاق بن يعيش بن على بن يعيش بن ابى السرايا بن على بن المفضل ابو ابراهيم الحلبى الكاتب كان من الفضلاء الرؤساء ومولده بحلب فى ثالث شهر رجب سنة احدى وستمائة وتوفى بالقاهرة فى السادس والعشرين من ربيع الآخر هذه السنة ودفن من يومه بالقرافة رحمه الله . ٤٧/ب

اسماعيل بن شيركوه بن محمد بن شيركوه الملك الصالح نور الدين ابن صاحب حمص كان له اختصاص كبير بالملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله وقرب منه وكان عنده حزم وعزم وسياسة وكان من رأيه مداراة التتر وعدم مشاققتهم وكان يعضد الزين الحافظى (١) عند الملك الناصر ويثنى عليه ويشكره فكان يقال ان الزين الحافظى احضرله فرمانا من هولاكو وان للملك الصالح باطنا مع التتر وانه لم

(١) هو سليمان بن المؤيد بن عامر قتله هولاكو سنة ٦٦٢ بعد ان خدمه ـ ك

يدخل

يدخل الديار المصرية مع العساكر لذلك لا محافظة للملك الناصر وتوهم انه اذا وصل الى هولاكو ابقى عليه ووفى له بما فى الفرمان فعاد مع الملك الناصر من قطيا وحسن له قصد هولاكو وتوجه صحبته اليه فلما امر هولاكو بقتل الملك الناصر ومن معه على ما سيأتى فى ترجمة الملك الناصر رحمه الله إن شاء الله أمر بقتل الملك الصالح ايضا فقتل فى اطراف بلاد العجم وكان يلقب السيس ومولده ومرباه حمص وانما انتقل عنها بعد موت والده الملك المجاهد أسد الدين شيركوه وكان مقتله فى اوائل هذه السنة وقيل فى اواخر سنة ثمان وخمسين وستمائة رحمه الله تعالى، وحكى انه قال يوما للامير عماد الدين ابراهيم بن المحرر (٢) رحمه الله وهما فى مجلس السلطان الملك الناصر نريد ان نعمل مشورا وكان عماد الدين رأيه قتال التتر وعدم مداراتهم فقال له لم هذا المفشر فقال له الملك الصالح انت كما قيل طويل ولحيتك طويلة فقال له عماد الدين الا انى ما ريت فى حمص اشار الملك الصالح الى ان الطويل القامة واللحية غالبا يكون قليل العقل واشار عماد الدين رحمه الله الى ان من ربى بحمص يكون اجدر بقلة العقل وهذا انما هو على ما يقوله العوام لا على الحقيقة .

اسماعيل بن عمر بن قرناص ابو العرب مخلص الدين الحموى كان فقيها متأدبا وله شعر حسن وعنده معرفة بطرف من العربية وكان يدرس بحماة فى مدرسة نسبية مخلص الدين بن قرناص ومدرسة الشيخ

(١) كذا فى الاصل - ك .

٤٨ / الف تقي الدين ابن البققي و يقرئ العربية بالجامع و مولده سنة اثنتين و ستمائة و توفى فى جمادى الآخرة هذه السنة بحماة و له اشعار حسنة منها قوله :

فقد الاحبة مولم و بنا اذا غاب (١) شخصك فوق ذاك المولم
اذ انت بين (٢) الأحبة منعم و احقهم بالشوق وجه المنعم

و له:

اما و الله لو شقت قلوب ليعلم ما بها من فرط حبي (٣)
لأرضاك الذى لك فى فوأدى وارضانى رضاك بشق قلبي

ايل غازى الملك السعيد نجم الدين صاحب ماردين توفى فى سادس عشر صفر هذه السنة و قيل فى ذى الحجة سنة ثمان و خمسين و قد ذكرناه هناك .

الحسن بن عبد الله بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور ابن رافع بن حسن بن جعفر ابو محمد شرف الدين المقدسى الحنبلى مولده سنة خمس و ستمائة سمع الكثير من ابى اليمن الكندى و غيره وكان من العلماء الفضلاء و هو من اولاد المشايخ الائمة من بيت الحفظ و الحديث حدث هو و ابوه و جده وكانت و فاة شرف الدين المذكور فى ليلة الثامن من المحرم بدمشق رحمه الله و جده الامام الحافظ عبد الغنى (٤) رحمة الله عليه صاحب التصانيف و الفوائد و اليه انتهى علم الحديث و معرفة الآثار النبوية فى وقته رحمه الله .

---

(١) لعله ما غاب (٢) لعله من بين (٣) مثله فى الشذرات و بهامشه « كذا و لعل الاحسن: اماوالله لو شققت قلبي: لتعلم مابه من فرط حبي (٤) توفى سنة ٦٠٠ - ك .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد القاهر بن موهوب ابو البركات زين الدين الحوى الشافعى خطيب الجامع الاعلى بحماة كان فاضلا عالما حسن الخطابة متمولا و له وجاهة كبيرة وكرم و معروف مشهور وكان الملك المظفر صاحب حماة يحترمه كثيرا و ترسل بعد وفاة الملك المظفر الى الملك الصالح نجم الدين بالديار المصرية فاكرمه و احترمه و بنى زين الدين المذكور بحماة مدرسة جليلة ووقف عليها وقفا كثيرا و دفن بها لما توفى و مولده فى سنة ثمانين وخمسمائة و توفى بحماة صبح يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الاول وقيل توفى ليلة الثامن و العشرين منه حدث عن عمر بن ابى اليسر و غيره وكان من المشايخ المشهورين بالخير والصلاح و العلم و النبل و الجلالة رحمه الله و قيل فى نسبه هو عبد الرحمن بن محمد ابن عبد القاهر بن موهوب و الله اعلم .

٤٨/ب

عثمان بن منكورس بن خمردكين (١) الامير مظفر الدين صاحب صهيون وبرزية كان حازما يقظا مهيبا كثير السياسة و النهضة تملك صهيون و ما معها بعد وفاة والده الامير ناصر الدين منكورس فى جمادى الاولى سنة ست وعشرين و جده بدر الدين خمردكين (١) كان عتيق الامير مجاهد الدين بزان صاحب صرخد وكانت وفاة مظفر الدين المذكور فى ثانى عشر ربيع الاول بقلعة صهيون و دفن بها عند والده وقد نيف على تسعين سنة رحمه الله وولى بعده الامير سيف الدين محمد مكانه .

(١) النجوم «خمارتكين» .

علي بن محمد بن غازي بن يوسف بن ايوب بن شاذي الملك الظاهر
سيف الدين كان جميل الاوصاف حسن الصورة كريم الاخلاق شجاعا
جوادا ممدحا وهو شقيق الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله
امهما ام ولد تركية وكان الملك الناصر يحبه محبة شديدة ولما كان فى
اواخر سنة سبع وخمسين اعطاه الملك الناصر اماكن من جملتها الصلت
وقلعتها واتفق ان جماعة من الناصرية والعزيزية مالوا اليه وارادوا
تمليكه والقبض على الملك الناصر فأوجب ذلك وحشة اقتضت ان
الملك الظاهر فارق الملك الناصر فى اوائل سنة ثمان وخمسين وتوجه
بحريمه الى قلعة الصلت تركهم بها وقصد غزة فاجتمع على طاعته الامير
ركن الدين بيبرس البند قدارى بمن معه من البحرية وجماعة من الناصرية
والعزيزية والشهرزورية وسلطنوه عليهم ثم لما بلغهم ان التتر قددهموا
البلاد وملكوا قلعة حلب اتفق هو والامير ركن الدين ان يرسلا الى
الملك المظفر قطز رحمه الله ويقررا معه الاتفاق معهما ليكون عضدا
لهما فارسلا رسولين اما رسول الامير ركن الدين فكان الاميرعلاء الدين
٤٩/ الف طيبرس الوزيرى وحمله رسالة باطنة مضمونها ان يستوثقوا له من
الملك المظفر ليقدم عليه وظاهرها ما اتفقا عليه فلما وصلا الى الملك
المظفر اجاب الملك الظاهر سيف الدين بأنه عضده وان (١) الجأته ضرورة
الى دخول الديار المصرية آواه واحسن اليه واجاب الامير ركن الدين
الى ما طلب وحلف له فعند ما عاد بالجواب توجه الامير ركن االدين

(١) كذا .

الى الديار المصرية و قدم فى اثر ذلك الملك الناصر الى غزة فانضاف اليه اخوه الملك الظاهر و من معه فصفح عنهم و صاروا فى خدمته وتوجه الملك الظاهر مع اخيه الملك الناصر الى قطيا و عاد معه ولولا اتسامه بالسلطنة تلك الايام لدخل الديار المصرية لكنه خاف ان يتخيل منه الملك المظفر فيقبضه و لما توجه الملك الناصر الى هولاكو كان معه فلما قتل قتل معه ايضا وكان قتله فى اوائل هذه السنة اوفى اواخر سنة ثمان وخمسين و خلف الملك الظاهر ولدا ذكرا اسمه زبالة كان مفرط الجمال و امه تعرف بوجه القمر كانت من حظايا الملك الناصر فوهبها لأخيه الملك الظاهر فلما قتل تزوجها الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى فلما مات عنها تزوجها الامير بدر الدين بيسرى الشمسى ثم درج الولد زبالة المذكور رحمه الله تعالى بالديار المصرية .

علـــى بن يوسف بن ابى المكارم بن ابى عبد الله بن عبد الجليل ابو الحسن نورالدين (١) الانصارى المصرى العطار كان شاعر فاضلا و توفى فى هذه السنة و لم يبلغ الاربعين سنة من العمر، و من شعره لغزا فى كوز الزير :

وذى أذن بلا سمـــع له قلب (٢) بلا لب
مدى الايام فى خفض و فى رفع و فى نصب
اذا استولى على الحب فقل ماشئت فى الحب (٣)

محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد بن يحيي بن سيد الناس ابو بكر

---

(١) فى ايا صوفيا والشذرات « الدولة » (٢) الشذرات « جسم » (٣) فى الشذرات « الصب » .

اليعمرى الاندلسى مولده فى صفر سنة سبع و تسعين و خمسمائة، سمع الكثير و حصل جملة من الكتب و حدث و صنف و جمع وكان احد حفاظ المحدثين المشهورين و فضلائهم المذكورين و به ختم هذا الشأن بالمغرب، وكانت وفاته فى الرابع والعشرين من شهـــر رجب بمدينة تونس رحمه الله .

محمد بن صالح بن محمد بن حمزة بن محمد بن على ابو عبد الله التنوخى الفقيه الشافعى، لقى بدمشق عمر بن طبرزد و زيد بن الحسن الكندى و عبد الصمد الحرستانى و ولى نظر ثغر الاسكندرية و جميع امورها من الاحباس والمساجد والجوامع والمدارس وحدث بالثغر وكان ذا سيرة مرضية و مولده بمدينة المحلة من غربية مصر سنة ثمان و سبعين و خمسمائة قال ابو المظفر منصور بن سليم (١) انشدنا القاضى ابو عبد الله محمد بن صالح لنفسه بمنزله بالثغر :

٤٩/ ب

سلام عـــلى ذاك المقر فانه مقر نعيمى و هو روحى و راحتى

فان تسمح الايام منى بنظرة اليه فقد اوتيت مأمول منيتى

قال و انشدنا ايضا لنفسه مكاتبة :

لو بقدر الحنين ارسل كتبى كنت افنى الاوراق و الأنفاسا

غير انى ارجو اللقاء قريبـا فى سرور و يبتدى (٢) الاعراسا

قال و انشدنا لنفسه فى و لايته الثالثة بالثغر :

اصبحت من اسعد البرايا فى نعـــم الله بالقناعه

---

(١) توفى سنة ٦٧٣ ـ ك (٢) لعله و نبتدئ .

مع بلغة من كفاف عيش وخدمة العلم كل ساعه
طلقت دنياهم ثلاثا بلا رجوع ولا شناعه
وارتجي من ثواب ربي حشري مع صاحب الشفاعه

قال وانشدنا لنفسه :

اقول لمن يلوم على انقطاعي وايثاري ملازمة الزوايا
أأطمع ان تجدد لي حياة وقد جاوزت معترك المنايا

توفي القاضي تاج الدين ابو عبد الله محمد بالثغر في ليلة الاحد خامس صفر سنة تسع وخمسين وستمائة ودفن في محرس سوار جوار الشيخ ابي العباس الرأس رحمهما الله تعالى .

محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عيسى بن معتبر (١) بن علي بن يوسف ابو عبد الله الاسكندري الفقيه المالكي العدل من اهل العلم والحديث كان صالحا ثبتا ثقة وكان ينظم، ومن شعره كتب بها في الاجازة: ٥٠/ الف

اجزت لهم اعلى المهيمن قدرهم وحلاهم ذكرا جميلا معطرا
رواية ما ارويه شرقا ومغربا وما قلته نظما ونثرا محبرا
على شرط اهل العلم والصنعة (٢) التي يكون بها معنى الاجازة مظهرا
وهذا جوابي ثم واسمي محمد عفا الله عنه ما مضى وتأخرا
اقول وعبد الله اسم لوالدي وابراهيم جدي قد نصصت (٣) مخبرا
ويعرف بالمتيجي نسبة بلده (٤) وسطرت خطي بالقريض معبرا

---

(١) بلا نقط - ك (٢) الاصل «الصنيعة» خطأ (٣) لعله: وابراهم جدي نصصت ؛
(٤) كذا والوزن غير مستقيم.

توفى ابو عبد الله المتيجى (١) ليلة الاثنين الثامن و العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين و ستمائة و دفن يوم الاثنين بجوار و الده بمحروسة ثغر الاسكندرية رحمه الله .

محمد بن عبد الله بن موسى ابو عبد الله شرف الدين الحورانى المتانى الشيخ الفاضل العارف الزاهد كان له رياضات وخلوات و انقطاع و معرفة جيدة بفنون متعددة من العلوم وكانت وفاته فى هذه السنة بمدينة حماة و عمره مقدار سبعين سنة رحمه الله، و متان بضم الميم قرية من عمل حوران .

محمد بن عبد الملك بن درباس ابو حامد كمال الدين الضرير المارانى الشافعى العدل مولده فى ثانى عشر ربيع الاول سنة ست و سبعين و خمسمائة سمع من القاسم بن على (٢) الدمشقى و البوصيرى و غيرهما و درس بالمدرسة السيفية بالقاهرة مدة وكان من الفضلاء، و والده صدر الدين عبد الملك قاضى قضاة الديار المصرية (٣) فى الايام الصلاحية كان كبير القدر و افر العلم و الفضل ، توفى كمال الدين المذكور فى خامس شوال بالقاهرة و دفن من يومه بسفح المقطم رحمه الله .

يوسف بن محمد بن غازى بن يوسف بن ايوب بن شاذى ابو المظفر السلطان الملك الناصر صلاح الدين و مولده فى يوم الاربعاء تاسع شهر

(١) بالاصل بالحاء المهملة متيحة بالفتح وكسر التاء المشددة ـ ك ، كذا وفى الشذرات «بفتح الميم وكسر التاء المثناة و تحتية و جيم» (٢) توفى سنه ٦٠٠ ـ ك وفى الشذرات «القاسم بن عساكر» (٣) ولى القضاء من سنة ٥٦٠ الى سنة ٥٩٠ ـ ك

رمضان المعظم سنة سبع و عشرين و ستمائة بحلب بقلعتها و لما و لد زين البلد
و لبس العسكر احسن زى و اظهر من السرور و الابتهاج بمولده ما جاوز ٥٠ / ب
الحد، و توفى والده الملك العزيز غياث الدين ابى المعالى محمد بن الملك
الظاهر فى عنفوان شبابه و عمره ثلاث و عشرون سنة و شهور وكان
قد توجه الى جارم (١) للتنزه و كان له بها جوسق تحته نهر و الى جانبه
بستان فنزل به ثم حضر الحلقة (٢) لرمى البندق واغتسل بماء بارد فحم و دخل
حلب و هو موعوك و دامت به الحمى و قوى مرضه فاستحلف الناس
لولده الملك الناصر و ارسل كمال الدين ابن العديم الى اخيه الملك الصالح
صلاح الدين احمد بن الملك الظاهر صاحب عين تاب فاستحلفه لابنه
بعد نفسه، وكان الملك العزيز عادلا رقيق القلب رحوما مشفقا على
رعيته متوددا اليهم مائلا الى اهل الخير محبا لأهل العلم و الفضل و خلف
من الولد الملك الناصر المذكور و الملك الظاهر على و قد تقدم ذكره
و امهما ام و لد تركية و شقيقتهما تزوجها الملك الامجد مجد الدين الحسن
ابن الملك الناصر داود رحمه الله فمات عنها بعد ان اولدها الامير صلاح الدين
محمود ثم ماتت و خلف ابنتين غيرها احداهما عائشة خاتون و امها
فاطمة خاتون بنت الملك الكامل تزوجها الملك المنصور صاحب حماة
واولدها الملك المظفر تقى الدين محمود، و الاخرى غازية خاتون امها
ام ولد فقد عقدها بحلب على السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ
ملك الروم فمات ولم تحمل اليه ثم تزوجها الملك السعيد فتح الدين

(١) كذا (٢) الاصل « اللقة » خطأ .

عبد الملك بن الملك الصالح عماد الدين اسماعيل فماتت عنده، وكان الملك العزيز عالى الهمة كريم الاخلاق واسع الصدر كثير الصفح والتجاوز حازم الرأى جوادا ممدحا (١) مدحه جماعة من الشعراء فكان يجيزهم الجوائز السنية ولما اخذ شيزر فى سنة ثلاثين وستمائة من الامير شهاب الدين يوسف بن عز الدين مسعود بن سابق الدين عثمان بن الداية قال شهاب الدين يحيى بن خالد بن القيسرانى يهنئه :

يا مالكا عمّ اهل الارض نائله وخص احسانه الدانى مع القاصى

٥١/الف لما رأت شيزر رايات نصرك فى ارجائها القت العاصى الى العاصى

فأعطاه حملة (٢) عظيمة وكان عمر الملك الناصر لما افضى اليه الملك بعد وفاة والده نحو سبع سنين وقام بتدبير مملكته الامير شمس الدين لؤلؤ الأمينى والامير عز الدين عمر بن مجلى ووزير الدولة جمال الدين القفطى (٣) ويحضر معهم جمال الدولة اقبال الخاتونى فى المشورة فاذا اتفق رأيهم على شىء دخل جمال الدولة الى الصاحبة ضيفة خاتون بنت الملك العادل والدة الملك العزيز وعرفها ما اتفق الجماعة عليه فكانت الامور منوطة بها، ولما تقررت هذه القواعد توجه القاضى زين الدين ابن الاستاذ (٤) وبدر الدين بدر بن ابى الهيجاء رسولين الى الملك الكامل واستصحبا معهما كُزاغُند الملك العزيز وزرديته وخوذته ومركوبه فلما وصلا الى الديار المصرية واجتمعا بالملك الكامل وأديا الرسالة واحضرا

(١) الاصل ممحدا (٢) كذا ولعله حلة (٣) هو على بن يوسف توفى سنة ٦٤٦ - ك وفى الفوات ابن القفطى (٤) هو عبدالله بن عبدالرحمن الحلبى توفى سنة ٦٣٥ - ك .

ما معها اظهر الألم والحزن وقصر فى اكرامها وعطائها وحلف للملك الناصر على الوجه الذى اقترح عليه وخاطب الرسولين بما يشيربه من تقدمة الملك الصالح احمد بن الملك الظاهر على العسكر وان يقوم بتربية ابن اخيه الملك الناصر فلما رجع الرسولان الى حلب وانهيا الى الصاحبة ذلك لم تره صوابا، وكذلك الجماعة القائمون بترتيب الدولة ثم بعد مدة يسيرة سير الملك الكامل خلعة للملك الناصر بغير مركوب وسير عدة خلع لامراء الدولة وسير مع رسول آخر خلعة للملك الصالح احمد صاحب عين تاب على ان يمضى بالخلعة اليه فاستشعرت الصاحبة وارباب الدولة من ذلك وحصل عند الصاحبة وحشة من اخيها الملك الكامل بسبب ذلك فاتفق رأى الجماعة على أن يلبس الملك الناصر خلعة الملك الكامل ولم يخلع على احد من الامراء شيء مما سير اليهم وردّ الرسول الوارد الى الملك الصالح بخلعته ولم يمكنوه من الوصول اليه واستحكمت الوحشة فى قلوبهم من الملك الكامل وفى سنة اربعين توفيت الصاحبة ضيفة خاتون بنت الملك العادل صاحبة حلب ام الملك العزيز فاستقل ابن ابنها الملك الناصر بالسلطنة واشهد على نفسه بالبلوغ وله نحو ثلاث عشرة سنة وامر ونهى وقطع ووصل وجلس فى دار العدل والاشارة للامير شمس الدين لؤلؤ ولجمال الدولة اقبال الخاتونى والوزير القاضى الاكرم جمال الدين(١) القفطى، وفى سنة ست واربعين خرجت عساكر حلب مع الامير شمس الدين لؤلؤ الى حمص فنازلوها ونصبوا عليها المجانيق

٥١/ب

(١) الفوات « ابن » .

وضايقوها شهرين و رسل الملك الاشرف صاحبها و وزيره مخلص الدين ابن قرناص (١) تتردد الى الامير فخر الدين بن الشيخ (٢) و هو بدمشق و الى الملك الصالح نجم الدين و هو بالديار المصرية يطلب النجدة وكان الملك الصالح بأشمون طناح و قد عرض له ورم فى مأبضه ثم فتح و حصل له منه ناصور (٣) تعسر برؤه و حصل فى رئته بعد ذلك قرحة تيقن الاطباء انه لا خلاص له منها لكنه لم يشعر بذلك فاشغله ما به عن انجاد صاحب حمص و لما ضاق الامر بصاحب حمص راسل الامير شمس الدين لؤلؤ و طلب منه العوض فعوضه عن حمص تل باشر مضافا الى ما بيده من الرحبة و تدمر و تسلم حمص منه و اطلع الامير شمس الدين فى اثناء ذلك على كتاب لمخلص الدين الى الامير فخر الدين ابن الشيخ يستعجله ليقدم و يدفع عسكر حلب و قد بسط القول فى الكتاب فغضب الامير شمس الدين و حمل الملك الاشرف على القبض على مخلص الدين فقبض عليه و عذبه حتى مات بتل باشر و تسلم الملك الاشرف تل باشر و لما بلغ ذلك الملك الصالح نجم الدين عظم عليه جدا و توجه الى دمشق فى محفة لما به من المرض و تقدم الى الامير فخر الدين بالمسير بالعساكر الى حمص لانتزاعها من يد نواب الملك الناصر فسارت العساكر و نازلوها و ضايقوها و نصبوا عليها المجانيق و منها منجنيق مغربى حجره مائة و اربعون رطلا بالشامى

(١) هو اسماعيل بن عمر بن قرناص توفى سنة ٦٥٩ - ك (٢) هو يوسف بن محمد بن عمر الجوينى قتل سنة ٦٤٧ - ك (٣) «قرحة على فمها صلابة و فى داخلها لحم ابيض» كتاب الجراحة (١ / ١٣٤) .

وجدوا

وجدّوا فى حصارهـا لأن الزمان كان شتاء وخرج الملك الناصر من
حلب فى منتصف رمضان فنزل بارض كفر طاب ولم يزل الحصار ٥٢/ الف
مستمرا الى أن ورد الشيخ نجم الدين الباذرانى (١) للاصلاح بين الملك
الصالح نجم الدين والملك الناصر صاحب حلب على ان يقر حمص بيد
الملك الناصر فوقع الاتفاق على ذلك ورحلوا عنها وكان سبب انتزاع
الملك الناصر حمص من الملك الاشرف انه سلم قلعة شميميس فى سنة
خمس واربعين الى الملك الصالح نجم الدين بسفارة مخلص الدين فعظم
ذلك على الملك الناصر والامير شمس الدين لؤلؤ وكرهـا مجاورة الملك
الصالح لحلب وما والاها وخشيا ان تسلم اليه حمص ولهذا انتصر الملك
الصالح للملك الاشرف وجهز العساكر لنجدته لكن فات الامر فامرهم
بمحاصرة حمص وانتزاعها فجرى الامر على ما ذكرنا .

وفى يوم الاثنين لعشر مضين من ربيع الآخر سنة ثمان واربعين
تسلم الملك الناصر صلاح الدين يوسف دمشق صفوا عفوا بغير ممانعة
ولاقتال ثم تسلم سائر الاعمال والقلاع المضافة اليها بعد ذلك .

وفى سنة اثنتين وخمسين قدمت ابنة السلطان علاء الدين كيقباذ
ابن كيخسرو الى دمشق وفى خدمتها الشريف عزالدين المرتضى وهى
التى عقد عليها عقد الملك الناصر فى بلاد الروم وكانت فى تجمل عظيم
يقصر عنه الوصف وامها ابنة الملك العادل سيف الدين ابى بكر محمد

---

(١) والصواب «البادرائى بالهمزة» وراجع الشذرات (ج ٥ ص ٢٦٩)
وهو عبد الله بن محمد بن الحسن ابو محمد ابن ابى الوفاء توفى سنة ٦٥٥ - ك .

ابن ايوب، و فى سنة ثلاث و خمسين اولدها الملك الناصر ولده علاء الدين.

ذكر سيرة الملك الناصر رحمه الله

كان ملكا جليلا جوادا كريما كثير المعروف غزير الاحسان حليما صفوحا حسن الاخلاق كامل الاوصاف جميل العشرة طيب المحادثة و المفاكهة قريبا من الرعية يؤثر العدل و يكره الظلم و زاد ملكه على ملك ابيه وجده فانه ملك بلاد الجزيرة كحران و الرها و الرقة و رأس عين و ما معها من البلاد و ملك حمص كما ذكرنا ثم ملك الشام كما ذكرنا بعد قتل الملك المعظم فملك دمشق و بعلبك و الاغوار و السواحل و المعاقل و الحصون الى غزة و صفا له الشام و البلاد الشرقية و اطاعه صاحب الموصل و صاحب ماردين و عظم شأنه جدا، ثم دخل بعساكره الى الديار المصرية سنة ثمان و اربعين وكسر عساكرها وخطب له بمصر و قلعة الجبل وكان (١) يملك الاقليم و يستولى على الممالك الصلاحية كلها لولا ما قدره الله من ظهور طائفة من عسكر مصر و انهزامه الى الشام و مقتل مدبّر دولته الامير شمس الدين لؤلؤ و قد اشرنا الى ذلك فى ترجمة الملك المعزعزالدين ايبك التركمانى رحمه الله فيما تقدم، و اقام الملك الناصر بدمشق عشر سنين حاكما على الشام و الشرق الى ان قدر الله تعالى ما قدر من استيلاء التتر على البلاد و ذهابه اليهم و مقتله رحمه الله و لم يكن لاحد من الملوك قبله مثل ما كان له من التجمل بكثرة الطعام و غيره فانه كان يذبح فى مطبخه كل يوم اربعمائة رأس من الغنم و اما غير ذلك من الدجاج و فراخ

٥٢ / ب

(١) صوابه وكاد.

الحمام و الخراف الرضّع و الاجدية فلايحصى فكانت تنزل فضلات السماط و يبيعها الفرّاشون و الطبّاخون و ارباب النوالات و الجرايات عند باب قلعة دمشق بأبخس الاثمان فكانت تعم اهل دمشق و كان اكثر الناس بدمشق يغنيهم ما يشترونه منها عن الطبخ فى بيوتهم، و قال علاء الدين على بن نصر الله جاء السلطان الملك الناصر رحمه الله الى دارى بغتة و معه جماعة كثيرة من اصحابه فمددت له فى الوقت سماطا فيه من الأطعمة الفاخرة و من انواع الدجاج المحشو بالسكر و المقلوبات (١) شىء كثير فبقى متعجبا و قال فى اىّ وقت تهيأ لك عمل هذا كله فقلت و الله هذا كله من نعمتك و من سماطك ما صنعت لك شيئا منه ؟ و انما اشتريته من عند باب القلعة و حكيت له مايباع من ذلك، و مثل هذا لم يتفق للملك قبله و كان يصل الى الرسل و الوافدين اليه و القاصدين بابه من احسانه و عطاياه و بره ما لم يصل من احد من الملوك الى من يقصدهم .

و حكى لى بهاء الدين عبد الله بن محجوب رحمه الله (٢) و كان متوليا نظر الحوائج خاناة التى له بدمشق ان نفقة مطابخه و ما يتعلق بها فى كل يوم فوق عشرين الف درهم، و كان الملك الناصر رحمه الله حليما الى الغاية عظيم العفو عن الزلات لايرى المؤاخذة و الانتقام بل سجيته الصفح ٥٣ / الف و التجاوز تجاوز الله عنه و عفا عن سيآته ، اعترضه شخص يوما بورقة فامر بأخذها منه و قرأها فوجد فيها الوقيعة فيه و ذمّه فقال لبعض غلمانه

(١) البداية (ج ١٣ ص ٢٤٠) «القلويات» (٢) راجع هذه الحكاية فى اياصوفيا (ص ٤٦٣).

قل له يخرج من دمشق الى حيث شاء فأنا ما أوذيه و لا اقابله على فعله ، و تقرب اليه جماعة من الادباء و الفضلاء فكان يحاضرهم احسن محاضرة وكان على ذهنه شيء كثير من الادب و اشعار العرب وغيرهم من المتأخرين ، و ينظم نظما حسنا و له نوادر حلوة و اجوبة مسكتة ولما بنى الشيخ نجم الدين الباذرانى (١) رحمه الله مدرسته بدمشق وذكر فيها الدرس بنفســه حضر الملك الناصر رحمه الله و الاكابر من الامراء و الفقهاء وغيرهم وجرت المناظرة بين الفقهاء وكان ممن حضر تاج الدين الاسكندرى المعروف بالشحرور وكان كثير الصياح قليل الفوائد فصاح فى ذلك اليوم صياحا كثيرا و الفقهاء معرضون عن جوابه فقال مالى نوبة وكرر ذلك مرارا فأشار الملك الناصر بأصابعه الثلاث يعنى نوبة حمى ربع و هى المعروفة عند العوام بالمثلثة ، وكان رحمه الله حسن المباسطة مع جلسائه وكان فى خدمته جماعة كثيرة من الفضلاء و العلماء والادباء و الشعراء وغيرهم و لهم عليه الرواتب السنية وكان حسن العقيدة و الظن بالصالحين يكرمهم و يبرهم ويجرى عليهم الرواتب ولما توجه والدى رحمه الله الى دمشق سنة خمس و خمسين قصد زيارته الى جبل الصالحية بزاوية الشيخ على القرشى رحمه الله ولمـا دخل عليه بالغ فى التأدب معه وحسن الاستماع لحديثه ولم يستند الى الحائط فى جلوسه ، ثم لما عزم والدى رحمه الله على العود الى بعلبك جهز له محفة وعدة بغال وجماعة من المحفدارية وغيرهم فركب بها الى بعلبك و اجرى للناس من

(١) تقدم ان صوابه « البادرائى » .

الفقراء و العلماء و ارباب البيوت من الرواتب ما يجل مقداره و يعظم مبلغه هذا انشأه هو خارجا عما استمر به مما اطلقه الملوك قبله وكان اذا مات من له من ذلك شيء لا يخرج به عن ولده ومن مات من ارباب المناصب و له ولد فان كان كافيا رتبه عوض ابيه و ان كان صغيرا ٥٣ / ب استناب عنه الى حيث يتأهل للباشرة ، وكان الصاحب شرف الدين عبد العزيز بن محمد الانصارى رحمه الله يتردد الى دمشق فى مهمات مخدومه الملك المنصور صاحب حماة وكان الملك الناصر يكرمه و يعظمه جدا وكان يقيم فى خدمته المدة الطويلة ، وبره الكثير و اصل اليه ويحضر عنده فى غالب الاوقات ويحاضره و يقع بينهما فى حال الغيبة مكاتبات كثيرة (١) و للشيخ شرف الدين فيه مدائح نادرة وكان سافر فى خدمته الى مصر سنة ثمان واربعين وكتب اليه الملك الناصر رحمه الله مرة كتابا بخط نظام الدين بن المولى وكتب الملك الناصر بخطه بين اسطر الكتاب من شعره :

إن طال ليلك يا عبد العزيز لقد ... اسهرت فى وصفك الشبان و الشيبا
و ان رميت لأجلى إن عرضك لم ... يعرض له دنس يوما ولا شيبا
و صبر يوسف ادناه الى شرف ... فاصبر ألست من (٢) الانصار منسوبا
واكرم به نسبا عز النبي به ... وصار فى النيرات الزهر محسوبا

وكتب بخطه الى وزيره مؤيد الدين (٣) القفطى رحمه الله .

(١) ومع ذلك كله فقد قال فيه فى البداية (ج١٣ ص ٢٤٠) «وقد كان خليعا» .
(٢) لعله الى (٣) فى الفوات « ابن » .

ايا راكبا يطوى الفلا بشملة عذافرة وجناء من نسل شدقم
اذا حلبا وافيتها حيّ اهلها وقل لهم مشتاقكم لم يهوّم

ومن شعره رحمه الله :

الاهل يعيد الله وصل الحبائب فقدطال حزنى من دموعى السواكب
كجمر(١) جرت فى حلبة الشوق من دمى وحرت دموعى الشهب مثل الجنائب(٢)
يروم اللواحى من سواى تصبرا وكم خاب منى من عدو وصاحب
قضى الصبر فى توديع بعض ترائبى واودع نارا فى سويدا ترائبى
جفا النوم عينى حين فاضت مدامعى وخاف هلاكا فى خلال السحائب
وكيف ارجى النوم بعد بعادكم وفى قلبى الاشواق من كل جانب

٥٤ / الف وقيل انه انما قتل بالسيف كما قتل من معه رحمهم الله تعالى وخلف عدة اولاد ذكورا واناثا درج اكثرهم بعده الى رحمة الله تعالى وتزوج الملك المظفر تقى الدين محمود صاحب حماة لاحدى(٣) بناته ، وقيل كان قتله فى الخامس والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين وستمائة وعمل عزاؤه فى سادس وعشرين ربيع الاول سنة تسع وخمسين وستمائة بقلعة الجبل من الديار المصرية رحمه الله ، ورثاه غير واحد من شعراء دولته وغيرهم فمن رثاه امين الدين على بن عثمان بن على بن سليمان بن على السليمانى (٤) رحمه الله وسيأتى ذكره فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فقال حين توجه الملك الناصر الى التتار وانقطعت اخباره والتبس امره :

(١) كذا ولعله كجمر (٢) كذا (٣) كذا ولعله باحدى (٤) توفى سنة ٦٧٠ ـ ك

بكى الملأ الاعلى على الملك الاعلى ... و اصبحت الدنيا لفقدانه ثكلى

تولى صلاح الدين يوسف وانقضت ... محاسنه الحسنى و سيرته المُثلى

وفارق ملك الشام والشرق عنوة ... فريدا كما جردت من غمده نصلا

فأضحى اسيرا فى التتار مروعا ... فبكوا عزيزا (١) لم يعرف الذلا

و انى لأرجو ان يكون كصارم ... يجرده قين ليحكمـه صقلا

تناقضت الأخبار عنه لبعده ... فيا لحديث ما أمرّ وما احلى

فيا ليت عينى عاينت كنه حاله ... لقد شفّنى حزنى عليه و قد ابلى

أبكيه فى الاسرى وارجو خلاصه ... رجاء بعيد(٢) أم ارثيه فى القتلى

ابن مخبرا يا يوسف بن محمد ... احىّ ترجى انت ام ميت تسلى

و والله (٣) يسلوك قلب ابن حرة ... جعلت له من طولك الفرض والنفلا

علام ثنيت العزم عما قصدته ... ولم لاتبوأت السماوة و الرملا

وكنت كطير طالب غير وكره ... فحيث يحل الليل من وجهه حلا

وداومت أكل الايم(٤) والضب رهة ... وثوّرت فى البر النعامة والصعلا(٥)

الى ان يؤوب الحظ او ينجلى لنا ... دجى الخطب اوان تأمن الخوف والخبلا

و قد كان محض الرأى قبل عواملا ... ملا مشرعة عرصانها (٦) تسبق النبلا

ترى لهم عند اللقاء تسرعا ... الى الطعن صعبا عاينوا الامر اوسهلا ٥٤ / ب

(١) لعله سقط «قط» او نحوه (٢) لعله بعيدا (٣) لعله سقط «لا»، وبدونه لا يستقيم الوزن (٤) لعله الريم (٥) هو من النعام الدقيق الرأس (٦) كذا ولعله «خرصانها» .

كما فعلت ابطال مصر وقيلها فيا طيب ما ابقى و ياحسن ما ابلى
غزوا فى سبيل الله غزوة واحد فما قفلوا الا وقد دمروا الكُلّا
و جاؤا بهم قتلى و اسرى رؤوسهم على قصب المران تحسبها أثلا
و اول ما ارضى الاله و رسله وكان دليل النصر أن قتل الرسلا
فلو بادرت اقيالك الحرب مثلهم ظفرتم و لم يهتز عرش و لاثلا
لحا الله قوما اسلموك الى العدى فما حفظوا عهدا ولا راقبوا إلّا
جعلت اليهم امر ملكك برهة فما احسنوا قولا ولا احسنوا فعلا
و ما عذر قوم خلفوك بقفرة و مروا كما نفرت عن محرم رجلا
و حاق بهم ما اضمروه و صادفوا على أثر ذاك النهب و السبي و القتلى
لقد افسدوا آراءهم و حلومهم واموالهم والارض والحرث والنسلا
و ما لعبيد فارقوك جهالة لقد واصلوا من بعدك الويل و الخبلا
زوى ملك مصر عنهم وجه بره فخابوا ولا علّا اصابوا ولا نهلا
وكم اهيف يبدى لنا الذل قدّه وقد كان قبل اليوم يبدى لنا الدّلا
وكم وجنة صفراء بعد احمرارها وكم مقلة قرحاء عهدى بها كحلى
وكم راكب نعليه بعد مطهّم من الجرد لايرضى الهلال له نعلا
وعلك بالستر العلائى انها مروعة من يوم فارقتها ثكلى
تضم علاء الدين ضم غريبة زوى الدهر عنها الملك و الآل و البعلا
فهل رقة او رحمة لغريبـــة غدت بعد ملك الشام كافلة طفلا
فؤادى و طرفى منزلاك على النوى فغيرك لايحلو لدىّ و لا يحلى
و ها انا قد اعرضت عن كل منعم فلا احد ادعوه بعدك للجلى

ضممت

ضممت يمينا تعرف البذل دونه و ماصنت محاقل ما عرف البذلا (١)
قنعت فما لى حاجة غيرما دعت اليه ضروراتى و من قنع استعلى
فما نازع النمل الرحال بقوة ذخيرته لكنهم نازعوا النملا ٥٥/الف
و لما بلغه ان التتار قتلوه رحمه الله وتحقق و فاته قال يرثيه :
رمت الخطوب فاقصدتك نبالها
و الارض من (٢) بعدك زلزلت زلزالها
أأبا المظفر يوسف بن محمد
لاقلت بعدك للحوادث يالها
خذلتك اسر تك الذين ذخرتهم
للنائبات وقد وقفت حيالها
ماذا تقول جحافل ملمومة
ملأت سهول بلادها وجبالها
رهبت و ماشهدت وغى فاستسلمت من قبل ان تضع الحروب سجالها
تركوك منفردا بقطية ذاهلا تسفى عليك العاصفات رمالها
تبكيك ولولة الحريم حواسرا من كل معولة تضم عيالها
و مصونة فى خدرها ما شاهدت قبل الرزية ما يروع بالها
برزت ولم تك برزة من قبلها كيما يشاهد ذو الحمية حالها
و القوم ارسالا يو الى بعضهم بعضا كسرب مهاً رات رئبا لها
حتى اذا دنت الجياد مغيرة ووقفت فردا لاتطيق نزالها

(١) كذا (٢) « من » زائدة كما لا يخفى على الخبير .

اقبلت وجه الاعوجي مغارة ... تردى الملحج راكبا اهوالها

ونزلتم بعد الكلال بقفرة ... عذراء يذعر جنها وغوالها(١)

صرّت جنادبها وهجّر يومها ... واشتف حر هجيرها اوشالها

والخيل غائرة العيون من الظمأ ... صبرا يقل على الوجى امثالها

فاذا وردت بها المياه نواضبا ... جشمت تشف بركتها (٢) صلصالها

وطئت سنابكها مواقد حرّه ... لو لا الحميم اذاً لذاب نعالها

حتى اذا الكرك استبان منارها ... متأمل ورأى الغلام قلالها

وافيتها فرأيت امر مليكها ... وقفا كما سمت (٣) اليمين شمالها

فى حيث يطرح المروع سيفه ... أمنا وتنبذ قينة خلخالها

٥٥/ب حتى اذا ضاقت عليك رحبها ... ورأيت ابعد خطة اميالها

جنح الشقى الى مسالمة العدى ... ليريك عاجل صرعة ووبالها

وطمعت فى عود الممالك عامدا ... نحو التتار فكان ذاك زوالها

كيف الخلاص من المنية لامرئ ... من بعد ما نصبت عليه حبالها

عظم المصاب فلو رآها شامت ... لبكى لها او حاسد (٤) لرثى لها

أابا المظفر يوسف بن محمد ... جرّعت (٥) نفسى صابها وحبالها(٦)

ان الملوك اذا تخاذل بعضها ... عن بعضها (٧) ففعالها افعى لها

ذكرى مصيبات الملوك تعللا ... اذ كان حالك فى المصيبة حالها

انى لاجتنب المراثى طامعا ... يبقاء نفسك بالغا آمالها

---

(١) لعله جنها أعوالها (٢) لعله بركبها (٣) كذا ولعله وقفا كما حمت (٤) الاصل «وحاسد» (٥) الاصل «جزعت» خطأ (٦) كذا (٧) الاصل عن بعض.

وقال

وقال السيف الشطرنجى يرثيه :

كل حىّ مصيره للفناء ثم لم يبق غير رب السماء
مالك قادر رؤوف رحيم باسط الرزق كافل بالعطاء
حامل للقل كهف لذى الفا قة ارجوه عند يوم اللقاء
هو ربى وراحمى ومجيرى ومعينى فى بكرتى وعشائى
فالسعيد الذى يؤمل نعما ه بحسن اليقين فى الابتغاء
فانتهز فرصة التقى غير وانٍ لتكن فى غدٍ من الاتقياء
ما الغنى السعيد والبائس المس كين حاليهما اداً بسواء
من له الله فهو عبد منيب ومن احتال فهو فى الاشقياء
انما هذه الحياة غرور ومتاع الدنيا لنا كالهواء
بينما المرء راتع فى رياض من شباب جار على الاستواء
غافل فى نهاره ولياليه مجد فى اخذه والعطاء
اذ أتاه داع من الموت يدعو ه الى حفرة من الغبراء

ومنها:

اين من كان للانام جمال ومعينا على بلوغ الرجاء
اين من كان جوده يخجل السحب واين المرجو بالشهباء
اين (١) كانت الملوك لديه تتوارى من خيفة وحياء (٢) ٥٦ / الف
سلبته ايدى المنون فأمسى ثاويا لا يعد فى الأحياء
لم تردّ الجيوش عنه قضاء لا وما قد اعد للانكاء

(١) لعله سقط «من» (٢) الاصل «وجباء» خطأ .

هتكت بعده وجوه نساء كنّ من قبل فى حمى وخباء
واستبيحت دماؤهم فى ديار جمعتهم فى ساعة السراء
فلهم اسوة بآل رسول الله فى حال شـدة ورخاء
كان والله مالكا طاب اصلا وهو فرع متوّج بالبهاء
ناصر الحق مالك الارض طرا جامع الفضل اوحد فى الذكاء
هو مولى ادعوه بالملك النا صر ملك سما (١) على الجوزاء
ما رأى الناس مثله فى زمان نحن فيه فكيف لى بالبقاء
كان والله للقلين كنزا وجوادا يغنى عن الأغنياء
ورؤوفا بكل قاصٍ ودان فى دنو خال من الكبرياء
فعليه من الاله تعالى رحمة انزلت على الاولياء
وله الحور فى جنان اعدت لاولى العزم شاكر للعطاء
قدسقى يوسف الناس (٢) كأس صبر مرة لا تقر فى الاحشاء
بفراق وبعد عهد وهجر وشتات خلا من الالتقاء
فهم فى محل يعقوب فى الحز ن واجراء دمعهم بالبكاء
فسقى الله تربة هو فيها مزنة فى صباحه والمساء
كى ترى تربها عبيرا سحيقا طبن نشرا عن روضة غناء
لست ارجو من بعده اليوم خلقا خاب سعيي اذًا وقلّ رجائى
كدت من حرقة الفؤاد عليه اجرى دمعا من مقلتى كالدماء
فسقى عهده عهاد سحاب من رضا الحق لا من الانداء (٣)

(١) الاصل «سماء» خطأ (٢) لعله الناس يوسف (٣) هامش : الوطفاء - ك .

السنة الستون وستمائة

دخلت هذه السنة والخليفة المستنصر بالله المتوجه الى العراق وملوك الاطراف على القاعدة فى السنة الخالية وقد استولى الملك الظاهر ٥٦/ب على دمشق وبعلبك والصبية وحلب واعمالها خلا البيرة فانها بيد البرلى مع ما كان مستوليا عليه وخلا الملك السعيد صاحب ماردين فانه توفى وولى ولده الملك المظفر قرا ارسلان وخلا مظفر الدين صاحب صهيون فانه توفى ايضا وولى بعده ولده سيف الدين محمد والملك الظاهر على غيثاء من اعمال الشرقية عائدا من الشام ووصل يوم السبت ثانى المحرم وفى الثالث منه خلع على الامراء ومقدمى الحلقة والصاحب بهاء الدين وقاضى القضاة تاج الدين واكثر الحاشية وهو اليوم الذى كان فيه المصاف بين الخليفة رحمه الله والتتار على ما تقدم فى حوادث السنة الخالية .

وفى الثالث والعشرين منه اعرس الامير بدرالدين بيليك الخزندار على بنت بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل وامر السلطان بعمل العرس فى الميدان الاسود تحت القلعة واحتفل به احتفالا لم ير مثله وبسط يده بعد ايام فى الجيوش والاقطاعات والنظر فى امر الرعية .

وفى ثالث شهر صفر استدعى الملك الظاهر القاضى برهان الدين قاضى القضاة بمصر واعما لها وطلب منه محاققة بارباب الودائع المختصة بالصاحب شرف الدين الفائزى فتوقف عن ذلك فغضب الملك الظاهر

لتوقفه وعزله عن القضاء واضاف ماكان اليه منه الى القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز .

ذكر عود البرلى الى حلب وخروجه عنها

كان المشار اليه قد انهزم بين يدى الرشيدى وعبر الفرات الى حران وشن الغارات على البلاد التى كانت فى يد نواب التتر حتى وصل آمد، فلما عاد الرشيدى الى مصر عاد البرلى الى البيرة وبعث جماعة من اصحابه الى حلب فلما اتصل بالبندقدارى قربهم خرج من حلب وقصد حماة فاقام فى بلدها ودخل البرلى حلب مظهرا طاعة الملك

٥٧ / الف الظاهر واقام بها الى ان كتب اليه الملك الصالح صاحب الموصل يعلمه بنزول التتر عليه ويستنجده فكتب الى الملك الظاهر يستأذنه فى التوجه لنصرته فاجابه وامره بالتربص بحران الى ان يصل اليه عسكر من جهته ينجديه صاحب الموصل فلما وصل حران اقام بها ثم خاف من العسكر الواصل من مصر ان يقبض عليه فتوجه الى سنجار وأما الملك الظاهر فتقدم الى الامير شمس الدين سنقر الرومى بالمسير الى حلب ثم الى الموصل وجهز معه عسكرا وكتب الى الامير علاء الدين طيبرس نائب السلطنة بدمشق والى الامير علاء الدين البندقدارى يأمرهما أن يكونا معه بعسكرهما اذا وصل اليهما حيث توجه فلما وصلت العساكر تل السلطان واتصل بهم توجه البرلى الى سنجار بعثوا الى حلب من تسلمها نيابة عن

البندقدارى ثم عادت العساكر الى انطاكية فنزلوا عليها و شنوا الغارات
على نواحيها فداراهم بها باقامة و ضيافة و سألوهم ان يرحلوا عنهم و ان
يحملوا اليهم مالا مصانعة فوقع الخلف فى تقرير المال بين الامير
علاء الدين طيبرس و الامير شمس الدين سنقر فرحلا بالعسكر و نزلا
على تل السلطان فأتاهم امر السلطان ان يتوجه البندقدارى الى حلب
و يعود طيبرس الى دمشق و سنقر الرومى الى مصر فعاد الرومى فى
شهر رمضان فلما اجتمع بالسلطان اوغر صدره على طيبرس فكان ذلك
احد الاسباب فى عزله و حبسه بقلعة القاهرة وكان ما قيل عنه اختلاق (١)
لا اصل له . و فى السابع و العشرين من ربيع الآخر وصل الى القاهرة
الامام الحاكم بأمر الله ابو العباس احمد بن الامير ابى على القبىّ (٢)
ابن الامير على بن الامير ابى بكر بن الامام المسترشد بن المستظهر
بالله ابى العباس احمد و صحبته زين الدين صالح بن محمد بن ابى الرشيد
الاسدى الحاكمى المعروف بابن البناء و اخوه شمس الدين محمد بن (٣)
نجم الدين محمد بن المشاء و احتفل الملك الظاهر بلقائه و إنزل بالبرج
الكبير داخل القلعة و رتب له ما تدعو حاجته اليه و وصل معه و لده

و فى ربيع الآخر عزل الامير جمال الدين آقوش النجيبى عن ٥٧/ب
استاذدارية الملك الظاهر و ولى الامير عزالدين ايدمر السعدى احد
مماليك الملك الظاهر .

---

(١) الاصل « اختلافا » خطأ (٢) كذا فى البداية (ج ١٣ ص ٢٣٣) وفى الاصل غير واضح (٣) النجوم « ونجم الدين » .

وفى يوم الثلاثاء تاسع شهر رجب حضر الملك الظاهر فى محاكمة الى قاضى القضاة تاج الدين بدار العدل وسبب ذلك أنه كان فى ايام الملك المعز حفر بئرا عند زاوية الشيخ ابى السعود وبنى بعضها ثم خرج الى الشام فاستولى عليها جمال الدين محمود استاذ دار بهادر واتمها وبنى حوضا يأتى اليه الماء من البئر واتفق موت بعض مماليك الملك الظاهر فدفنه قريبا من الزاوية وذكر امر البئر فأخبر بقصتها (١) فاستدعى جمال الدين المذكور وقال له البئر ملكى وانا انشأتها فقال يا خوند انى اتممتها وبنيت الى جانبها حوضا ووقفتها ولا يمكننى افعل الاما يقتضيه الشرع فحضر الملك الظاهر دار العدل لمحاكمة المذكور فقام من فيها واراد القاضى القيام فقال له لاتقم فانى جئت محاكما ووقف مع الغريم وادعى بالبئر فأنكر الغريم واحضر الملك الظاهر من شهد له فتقدم القاضى الى الغريم بتسليم البئر اليه .

وفى شهر رجب خرج جماعة من الاسماعيلية على الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى وهو راكب على جسر العاصى نهر حماة وجرحوه وسبب ذلك انه لما خرج من حلب عند مجىء البرلى اليها مرّعلى سرمين وكان بها وال من قبل الدعوة يدعى شرف الدين ثابت بن مدس فأخرج له ضيافة على يد نقيب الدعوة فلما حضر بين يديه قال له اين سكينك ؟ قال سكاكيننا مخبأة لاعداء السلطان الملك الظاهر فأمر بضربه فضرب ضربا مبرحا وأمر به فرمى فى مسيل ماء

(١) الاصل « بقصته » .

فجاء

فجاء اهله واخذوه فمات من ليلته فاجتمع اقاربه وقصدوا الحصون وطلبوا من الرضا ثأرهم فدافعهم وقالوا ان لم تأخذ بثأرنا دخلنا بلاد الفرنج وتنصرنا، فسير من وثب عليه فقبض على جماعة منهم فقتلهم وحبس جماعة واخذ اموالهم، ووصل الخبر الى الملك الظاهر فقبض على من بمصر من نوابهم ورتب له طبردارية يركبون بين يديه فوصلت اليه كتب الرضا يستعطفه ويتضرع اليه ويتنصل فرضى عنه . ٥٨ / الف

وفى شوال رتب الامير علاء الدين ايدكين الشهابى نائبا عن السلطنة بحلب، وفيها اغار عسكر سيس ورجالة انطاكية على الفوعة من بلد حلب ونهبوا وافسدوا فركب اليهم الشهابى وصحبته عسكر فكسرهم واخذ منهم جماعة فسيرهم الى مصر فوسطوا .

وفى شوال سير الملك الظاهر الامير عز الدين الدمياطى والامير على الدين الركنى فقبضا على الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى وحمل الى القاهرة وباشر الركنى النيابة بدمشق الى ان قدم الامير جمال الدين النجيبي متوليا .

وفى ذى القعدة خرج مرسوم الملك الظاهر الى قاضى القضاة تاج الدين ان يستنيب من المذاهب الثلاثة فاستناب صدر الدين سليمان الحنفى (١) والشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ العماد الحنبلى (٢) وشرف الدين عمر السبكى المالكى (٣) .

---

(١) هو سليمان بن ابى العز بن وهيب توفى سنة ٦٧٧ - ك (٢) هو محمد بن ابراهيم ابن عبدالواحد توفى سنة ٦٧٦ - ك (٣) هو عمر بن عبدالله بن صالح توفى =

وفى يوم الخميس رابع وعشرين ذى الحجة وصلت طائفة من التتر الى القاهرة مستأمنين وهم اول من وصل أليه منهم فغير زيهم واقطعهم اخبازا وانفق فيهم واضاف كل جماعة منهم الى مقدم ثم تواتروا بعد ذلك طائفة بعد اخرى .

ذكر ما آل اليه امر اولاد صاحب الموصل بعد فراقهم المستنصر بالله

لما فارقوه وصلوا سنجار وكاتب الملك الصالح لمن بالموصل يستشيرهم فأشاروا اليه بالتوجه اليهم فسار اليهم فى العشرين من ذى الحجة من السنة الخالية ومعه نحو ثلاثة مائة فارس وكان بالموصل اربعمائة فارس فدخل الموصل وبقى اخوته بسنجار، فلما اتصل بهم قتل الخليفة ونزول التتر على الموصل لحصار أخيهم الملك الصالح خرجوا من سنجار وتوجهوا الى الملك الظاهر فأحسن اليهم واقطع الملك المجاهد سيف الدين اسحاق فوق المائة الف درهم لخاصته ولأولاده كل منهم على انفراده اقطاعا جزيلة ورتب لاخواته الثلاث راتبا واقطع لمماليكه الذين معه ايضا واضافهم اليه وكذلك اعتمد مع اخيه الملك المظفر علاء الدين لخاصته ومماليكه ايضا . ٥٨ / ب

ذكر حصار الموصل

فى اوائل المحرم قصدت التتر الموصل ومقدمهم صندغون ومعهم

= سنة ٦٦٩ - ك .

الملك

الملك المظفرصاحب ماردين بعسكره و شمس الدين ابن يونس المشذ(١) وسيف الدين بيبرس امير شكار البدرى و نصب عليها التتر اربعة وعشرين منجنيقا و ضايقوها اشد مضايقة ولم يكن بها سلاح يقاتلون به ولاقوت يمسك رمق من تها وغلا فيها السعرحتى بلغ المكوك بها ومقداره ربع اردب مصرى اربعة و عشرين دينارا فاستصرخ الملك الصالح بالبرلى فخرج من حلب و سار الى سنجار فلما اتصل بالتتر وصوله عزموا على الهرب و اتفق وصول الزين الحافظى اليهم من عند هولاكو يعرفهم ان الجماعة التى مع البرلى قليلة و المصلحة ان تلاقوهم فقوى عزمهم الحافظى قاتله الله فسار صندغون بطائفة ممن كان على حصار الموصل عدتها عشرة آلاف فارس و قصد سنجار و بها البرلى و معه تسع مائة فارس غزّى و اربعمائة من التركمان و مائة من العرب فخرج اليهم بعد ان تردد فى ملتقاهم يوم الاحد رابع عشر جمادى الآخرة فكانت الكرة عليه فانهزم جريحا فى رجله و قتل ممن معه جماعة منهم الامير علم الدين الوباش و الامير عز الدين ايبك السليمانى من العزيزية و الامير بهاء الدين يوسف بن طرنطاى امير جاندار الظاهرى و سيف الدين كيكلدى الحلبى الناصرى و علم الدين سنجر الناصرى و هؤلاء من اعيان الامراء وشجعانهم و فرسانهم و قاتلوا فى ذلك اليوم قتالا عظيما و ابلوا بلاء حسنا وانكوا فى العدو نكايات عظيمة ثم تكاثر التتر عليهم فاستشهدوا الى رحمة الله تعالى و استشهد معهم من اولى البصائر جماعة يطول ذكرهم و اسر الامير

(١) لعله المشد كما فى النجوم.

عـلم الدين جلم الاشرفى وولده والامير سيف الدين بكتوت الحرانى الناصرى وغيرهم ونجا الامير شمس الدين البرلى فى جماعة يسيرة من العزيزية والناصرية منهم الامير بدر الدين ازدمر الدوادار العزيزى وعلاء الدين آق سنقر الدوادار الناصرى فوصلوا الى البيرة ففارقه ٥٩/الف اكثرهم ودخلوا الديار المصرية ولما حل بالبيرة وصله قونو بن خاله وزين الدين قراجا الجدار الناصرى وكان اخذ اسيرا من حلب[رسلا](١) من هولاكو يطلبونه اليه ليقطعه البلاد فقال انا مملوك السلطان الملك الظاهر وما يمكننى مفارقته واختيار هولاكو عليه ثم سير الكتب الى الملك الظاهر وكتب يطلب منه امانا فسير اليه كتابا بما سأل ويأمره فيه بالمصير الى مصر فتوجـه من البيرة فى تاسع عشر شهر رمضان واجتمع بالبندقدارى بعد توثق كلاهما (٢) بالأمان ثم وردت كتب الملك الظاهر الى جميع نواب الشام ان يخلوا البلاد وينضموا الى دمشق ودخل البرلى مصر يوم الاثنين غرة ذى الحجة فأنعم عليه الملك الظاهر وعين له سبعين فارسا .

ذكر استيلاء التتر على الموصل وقتل الملك الصالح صاحبها

لما انهزم البرلى من التتر عاد صيدغون (٣) الى الموصل بالاسرى فأدخلهم من النقوب الى الملك الصالح ليعرفوه بكسرة البرلى وانهزامه

(١) اياصوفيا « من حلب لما اخذها التترفيمن اخذ يطلبو نه » (٢) كذا (٣) الاصل صيدعون بالياء المثناة ـ ك وقد تقدم صدعون ومثله فى اياصوفيا .

و يشيروا عليه بالدخول فى الطاعة ثم استمر الحصار الى مستهل شعبان فطلبوا علاء الملك بن الملك الصالح و اوهموا انه وصل اليهم كتاب هولاكو مضمونه أن علاء الملك ماله عندنا ذنب و قد وهبناه ذنب ابيه فسيره الينا لنصلح امرك معه و كان الملك الصالح قد ضعف وغلبت المماليك على رأيه فأخرج اليهم علاء الملك ولده فلما وصل بقى عندهم اثنى عشر يوما و والده يظن انهم سيروه الى هولاكو ثم كاتبوه بعد ايام يأمرونه بتسليم البلاد و ان لم يفعل لايلوم الانفسه اذا دخلنا البلد بالسيف و قتلنا من فيه فجمع الملك الصالح اهل البلد و الجند وشاورهم فأشاروا اليه بالخروج فقال تقتلوا لا محالة وأقتل بعدكم فصمموا على خروجه فخرج اليهم يوم الجمعة خامس عشر شعبان بعد الصلاة و قد ودع الناس و لبس البياض فلما وصل اليهم احتاطوا به و وكلوا عليه و على من معه و حملوه الى الجوسق و امروا شمس الدين بن يونس الباعشيق بالدخول الى البلد فدخل و معه الفرمان و نادى بالأمان فظهر الناس ٥٩/ ب بعد اختفائهم و شرع التتر فى خراب الاسوار فلما اطمأن الناس و باعوا و اشتروا و دخلوا (١) البلد واجالوا السيف على من فيه تسعة ايام و كان دخولهم فى السادس و العشرين من شعبان و هدموا السور و وسطوا علاء الملك و علق على باب الجسر ثم رحلوا فى سلخ شوال فقتلوا الملك الصالح فى طريقهم وهم متوجهون الى بيوت هولاكو .

و فى شهر ذى الحجة ظهر باب بين القصرين عند الركن المخلق

---

(١) الظاهر انه جواب لما فلابد من حذف الواو حينئذ .

بالقرب من رحبة العيد بالقاهرة و فيه حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى بن عمران عليه الصلاة و السلام فجددت عمارته و هو الآن يعرف بمعبد موسى صلى الله عليه و سلم (١) .

ذكر رسل الملك الظاهر الى السلطان عز الدين صاحب الروم

لما بلغ الملك الظاهر خلف السلطان عز الدين لأخية السلطان ركن الدين و خروجه عن بلاده و انحيازه الى انطاكية بعث اليه عماد الدين عبدالرحيم الهاشمي و الامير شرف الدين الجاكي فوافياه بانطاكية فانهيا اليه رسالة الملك الظاهر و مضمونها تثبيت جنانه و ترغيبه(٢) في انحيازه اليه ليعاضده و يساعده بخيله و رجله و يبذل نفسه لقصد البلاد الرومية حتى يستخلصها كلها له فاعتذر باعذار ظهر فيها التلوم و التوقف و التأني و التأفف و وعد انه متى لم يستتب (٣) له حال و ضايقته التتر لم يكن له الا حرم السلطان ملجأ ففارقاه على ذلك و عادا ثم اختل حاله و تلاشت اموره بمضايقة التتر بلاده و ذلك انه لما خرج عنها و قصد انطاكية قصد التتر نائبه الامير شمس الدين ارتاش البكلربكي مع مقدمهم على جق نوين فهزموا عسكره و قتلوه و استولوا على ما كان بيده من البلاد خلا بلاد اوج فلم ير السلطان عز الدين بدا من قصد الأشكرى فلما وصل اليه

(١) زيادة من ايا صوفيا (ص ٤٩٩) : [و في سنة احدى و سبع مائة لما كنت بالقاهرة مشيت الى هذا المعبد و زرته و صليت فيه و رأيت فيه انسا كثيرا]
(٢) الاصل « نرعيبه » خطأ (٣) بلا نقط في الاصل - .

سأله المساعدة فوعده و سوفه فتقاضاه فقال مبعدا له ان تنصرت ازوجتك ابنة اختى و ساعدتك على عدوك فهم ان يفعل ذلك ليبلغ غرضه من نصرته على اخيه فأشار عليه من معه ان لا تفعل فانه متى فعل ذلك نفرت قلوب من معه من الجند و خذلوه فأمسك و تغير باطن الاشكرى عليه فبعث اليه مخادعا له انه قد ظهر لى رأى فى معونتك و لا بد ٦٠ / الف من الاجتماع بك فخرج من قسطنطينية فر فى طريقه على قلعة فنزل جانبيها منها (١) و قبض عليه بوصية تقدمت من الاشكرى فلم يزل محبوسا الى ان اغارت طائفة من اصحاب بركة على اطراف بلاد الاشكرى و حاصروا القلعة التى فيها السلطان عزالدين فوقع الاتفاق بينهم على انهم ان سلموه لهم يرحلوا عنها فسلموه اليهم فانطلقوا به الى بركة .

ذكر الخلف الواقع بين هولاكو وبركة

قال عز الدين محمد بن شداد رحمه الله حكى لى علاء الدين على بن عبد الله البغدادى قال اخذت اسيرا من بغداد لما اخذتها التتر وكنت معهم مختلطا بهم مطلعا على اخبارهم فلما كانت سنة ستين ورد من عند بركة رسولان احدهما يدعى بلاغا والآخر ططر برسالة مضمونها ما جرت به العادة من حمل ما كان يحمل الى بيت باتو مما يفتح من البلاد وكانت العادة ان جميع ما يحصل فى البلاد التى يملكونها ويستولون عليها من نهر جيحون مغربا يقسم خمسة اقسام قسمان لالقان (٢) وهو الملك الاعظم وقسمان للعسكر وقسم لبيت باتو فلما مات باتو وجلس

---

(١) كذا (٢) الفوات (ج ١ ص ٢١١) للقان ومعناه الخليفة .

بركة على التخت بدلا منه لم يوصل اليه هولاكو مما اخذه من العراق ولا من الشام شيئا مما كان يوصله الى باتو ولما بعث بركة رسله بعث معهم سحرة ليفسدوا سحرة هولاكو وكان عند هولاكو ساحر يسمى تكتا فأعطوه هدية ارسلها بركة اليه معهم فلما وصلت الرسل بعث اليهم هولاكو من يخدمهم وساحرة من الخطا يتسمى كشتا لتطلعه على احوالهم فتعرفت احوالهم واخبرته فقبض عليهم وحبسهم فى قلعة تلا ثم قتلهم بعد خمسة عشر يوما وقتل ساحره تكتا معهم فلما بلغ بركة ذلك اظهر العداوة وبعث رسله الى الملك الظاهر يحرضه على اجتماع الكلمة على قتاله وسيأتى ان شاء الله .

وفى هذه السنة بعث هولاكو الى مقدم عسكر المغل بالروم يأمره بقتل من ارتاب منه من التركمان فقصد طائفة منهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكان هذا سبب انحياز بقيتهم الى الشام . ٦٠ / ب

وفيها اشتد الغلاء بالشام فابيع (١) الرطل اللحم بالدمشقى بستة دراهم وبسبعة دراهم والغرارة القمح باربع مائة وخمسين درهما والشعير بماتى (٢) وخمسين درهما والمكوك القمح بحماة وبحلب باربعمائة درهم واللحم الرطل بالحلبى بثمانية دراهم ورطل الخبز بثلاثة دراهم ثم بلغ خمسة ثم اشتد الغلاء فى جميع الاصناف ومات خلق كثير من الجوع بحلب وحماة وغيرهما .

وفيها (٣) فى اولها وصل الى الديار المصرية رسول يدعى جمال الدين

---

(١) القياس فبيع (٢) كذا ولعله بمأتين (٣) تقدمت هذه القصة فى حوادث =

حسن بن ثابت من جهة رضى الدين ابى المعالى و نجم الدين اسمعيل بن الشعرانى المستوليين على حصون الاسما عيلية بالبلاد الشامية برسالة تتضمن طلب املاك الدعوة فى الديار المصرية و البلاد الشامية و طلب الاقطاعات المعروفة بهم و على يده هدية كجارى العادة و احضر ايضا السكين و التوب و الامان الى بين يدى الملك الظاهر فأجابه الى جميع مطلوبه و قال له قد ثبت عندى انك من اكابر امراء الجبل و قد بلغنى ان رضى الدين قد مات و قد اخترت ان اجعلك نائبا عنى فى سائر حصون الدعوة و تكون فى مقام الرضى فاجابه الى ذلك وكتب له الملك الظاهر تقليدا فأخذه و عاد الى الحصون فوجد رضى الدين مريضا فكتم الحال الى ان توفى الرضى فى اواخر هذه السنة فأظهر التقليد و قرأه على اهله و اقاربه بحصن الكهف و عرف به ابن الشعرانى فما امكنه الّا موافقته فخالفه جمال الدين و اتفق معه و فى العين قذى و سمع صارم الدين مبارك و لد رضى الدين بذلك فعصى عليهما فى قلعة العليقة.

فصل

وفيها درج الى رحمة الله تعالى

الامام المستنصر بالله

ابو القاسم احمد امير المؤمنين ابن الامام الظاهر بأمر الله ابى نصر محمـــد بن الناصر لدين الله ابى العباس احمد وبقية نسبه الى العبـاس بن

= سنة ٦٥٩ وليس بينهما كبير اختلاف الا فى امور طفيفة و دكرهافى اياصوفيا (ج ا-ص ٤٠٨) فى حوادث سنة ٦٥٩ محرفة مصحفة و قد نبهت على ذلك بهامشه.

عبد المطلب رضى الله عنه مذكور فى ترجمة ابن اخيه المستعصم بالله رحمه الله فى سنة ست وخمسين وستمائة فلا حاجة الى اعادته .

٦١/ الف وقد ذكرنا قدومه الى الديار المصرية وثبوت نسبه ومبايعته وتجهيز الملك الظاهر له ووصوله الى العراق وملتقاه عسكر التتار وكسرهم لعسكره فى حوادث السنة الخالية وان كان المصاف الذى فقد فيه وقع فى هذه السنة لكن ذكرته هناك لارتباط الحديث واتصاله وكان المستنصر بالله شجاعا بطلا مقداما جوادا ممدحا حسن الطريقة محمود السيرة قاتل يوم المصاف قتالا شديدا وابلى بلاء حسنا وفقد فلم يطلع له على خبر ولاذكر احد انه رآه بعد المصاف وظاهر امره والله اعلم انه استشهد الى رحمة الله تعالى فى المصاف ولحق بربه على الوجه الحسن رحمه الله وكان المصاف فى ثالث المحرم من هذه السنة وقد ذكرناه ومدة خلافته خمسة اشهر وعشرون يوما لانه بويع له فى ثالث عشر رجب سنة تسع وخمسين .

اسماعيل بن لؤلؤ بن عبد الله الملك الصالح ركن الدين بن الملك الرحيم بدر الدين صاحب الموصل قد ذكرنا وفوده على الملك الظاهر وعوده صحبة الخليفة المستنصر بالله ومفاقته له وتوجهه الى بلاده ولما فرغ التتر من امر الخليفة المستنصر بالله حصروه فى هذه السنة بالموصل وضيقوا عليه الى ان ظفروا به على ما تقدم شرحه فقتلوا ولده قبله بأيام ثم قتلوه فى ذى القعدة وهم متوجهون الى اردو هولاكو فى طريقهم رحمه الله وكان ملكا عادلا لين الجانب لم يكن على طريقة والده فى السفك

والقطع

و القطع و ما كان يسلكه من ذلك و رزقه الله تعالى الشهادة على ايدى التتر .

بلبان بن عبد الله سيف الدين الزردكاش كان من اعيان الامراء بالشام وكان الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى رحمه الله نائب السلطنة بالشام اذا غاب عن دمشق فى بعض المهمات استنابه عنه فى دار العدل و نيابة السلطنة لكبر قدره ولما يعلم من سداده وحسن طريقته وكان دينا خيرا يحب العدل و الصلاح و توفى بدمشق فى ثامن ذى الحجة رحمه الله .

الحسن بن محمد بن احمد بن نجا الغنوى ابو محمد الضرير الاربلى (١) المنشأ و الملقب بالعز المشهور بعدم الدين و الزندقة كان فاضلا ٦١ / ب فى العربية و النحو و الادب وعلوم الاوائل منقطعا فى منزله يتردد اليه من يشتغل عليه فى تلك العلوم التى يعرفها فيتردد اليه جماعة من المسلمين و ارباب العقائد المفسودة و اليهود و النصارى و السامرة وكان يصدر منه من الاقوال ما يشعر بانحلاله و فساد عقيدته ولم يكن يصلى و لا يفعل شيئا من الفرائض فيما قيل عنه و اشتهر و له مع ذلك حرمة وافرة عند كثير من الناس و اذا حضر اليه بعض الاكابر لايعتنى بهم و لا يوفيهم حقهم و يهينهم بالقول و فيما يعاملهم به و هم مع ذلك لا يرجعون عن التردد اليه و ابتلى مع العمى بطلوعات (٢) و قروح فى بدنه وكان قذرا زرى الشكل قبيح المنظر لا يتوقى النجاسات لكنه كان ذكيا جيد الذهن

(١) له ترجمة فى فوات الوفيات ١ / ١٧٣ - ك (٢) لعله بظلوعات .

حسن المحاضرة بالحكايات و النوادر و الاشعار و على ذهنه من ذالك شئ كثير و له نظم جيد و لما ورد قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه الله الى دمشق فى اواخر السنة الخالية ذهب اليه للبلدية و للفضيلة فلم ينصفه و عامله بما كان يعامله فى حال صغر سن القاضى شمس الدين و قبل ترقيه بالعلوم و الفضائل التى بذّ بها الاقران و توليه المناصب الجليلة فأهمله القاضى شمس الدين بالكلية و لم يعد اليه لنفسه الابية و شرفها و كانت وفاة العز الضرير فى اواخر ربيع الآخر بدمشق و دفن بسفح قاسيون قال عماد الدين الخضر بن دبوقا رحمه الله انشدنى العز الضرير لنفسه :

توهم واشينا بليل مزاره فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا فلما اتانا ما رأى غير واحد

و قال العماد انشدنى ايضا لبعضهم :

اصبر اذا نازلة اقبلت فهى سواء و التى ولت
و ارهف العزم فليس الظبي تفرى و تبرى كالتى كلّت

و انشدنى الفقيه عز الدين احمد الاربلى للعز الضرير المذكور :

٦٢/ الف لو كان لى الصبر من الانصار ما كان عليك هتكت استارى
ما ضرك يا اسمر لو كنت لنا فى دهرك ليلة من السمار

و انشدنى الامير عز الدين محمد بن ابى الهيجاء رحمه الله للعز الضرير :

لو يسعدنى على هواه صبرى ما كنت الذ فيه هتك الستر
حرمت على السمع سوى ذكرهم مالى سمر غير حديث السمر

و انشدنى ايضا له :

 إن

ان اجف تكلفا وفى لى طبعا اوخنت عهوده عهودى يرعى
يبغى لى فى ذاك دوام الاسر هـــذا ضرر بحسبه لى نفعا

قال ومولد العز بقرية يقال لها افشا من اعمال نصيبين فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وكان عالما بالنحو والادب والفقه والخلاف والاصولين (١) والمنطق والطبيعى والالاهى والمجسطى وشعره منحط عن فضيلته اقام باربل مدة طويلة واشتغل بها على الشيخ شرف الدين المذكور بالحكميات ثم انتقل الى الموصل ثم سافر الى الشام سنة اربع وعشرين وستمائـــة وتصدر لقراءة العلوم والحكميات والادبيات والاصولين (١) والخلاف وكان حسن الاخلاق طيب العشرة لاتمـل مفاكهته ولما انشدت (٢) بيتيه المشهورة (٣) : (توهم واشينا بليل مزاره) بحضرة الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله استحسن الحاضرون ما اشار اليه من ضيق (٤) العناق وشدته فقال الملك الناصر لا تلوموه لزمه لزوم اعمى (٥) فلما بلغ العز قول الملك الناصر قال والله هذا الكلام احلى من شعرى وقد الم غرس الدين ابوبكر الاربلى تلميذ العز بهذا المعنى فقال :

همّ الرقيب ليسعى فى تفرقنا ليلا وقد بات من اهواه معتنقى
عانقته فاتحدنا والرقيب اتى فمذ رأى واحدا ولّى على حنق

(١) لعله الاصلين (٢) عبارة الاصل كما تراها وفى النجوم (ج ٧ ص ٢٠٧) «وقال الشهاب محمود ولما انشدت هذين البيتين يعنى قول العز» وباقيه كما هنا (٣) لعله المشهورين (٤) الاصل «ضيف» خطأ (٥) وفى الفوات والشذرات «قال القاضى كمال الدين ابن العديم لما سمع هذين البيتين مسكه مسكة اعمى» .

وحكى لى الامير عز الدين محمد بن ابى الهيجاء رحمه الله ما معناه قال
٦٢/ب لازمت العز الضرير يوم وفاته فقال اشتهى آكل ارزا بلبن فقال له
الكمال الحكيم رحمه (١) و ابن القف ما يوافق فقال هذه البنية التى لى قد
تحللت و ما بقى يرجى بقاؤها فدعونى آكل ما اشتهى فعمل له ذلك
وأكل منه و لما احس بشروع خروج الروح منه قال قد خرجت الروح
من رجلى ثم قال قد وصلت الى صدرى فلما اراد (٢) المفارقة بالكلية تلا:
(ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير) ، صدق الله العظيم وكذب ابن سينا
كذب ثم خرجت روحه وكان هذا آخر كلامه قال الأمير عزالدين
فحكيت ذلك فيما بعد للشيخ شمس الدين المقدسى الحنبلى رحمه الله فسرّ له
وقال فرحتنى بذلك وحكى لى الامير عز الدين ان العز كان يصرح
بتفضيل على رضوان الله عليه على الثلاثة الخلفاء مع المبالغة فى تعظيمهم
رضى الله عنهم اجمعين و للعز يمدح عز الدين احمد بن معقل :

علا الحبر عزالدين فى العلم و الندى   على قومه مع فضلهم و على مضر
عرفنا به كيف الطريق الى العلا   و انسى عظيم الخبر من امره الخبر
اذا كان بيت فى القصيدة غرة   فاشعار عز الدين اجمعها غرر
هو البحر فاق الدر نظم قريضه   و لا عجب للبحر إن قذف الدر

املى علىّ نسب العز على هذه الصورة الامير عز الدين محمد بن ابى الهيجاء
رحمه الله، ثم رأيت بخط الشيخ تاج الدين عبد الرحمن رحمه الله قصائد
عدة منسوبة اليه وكتب فى اولها للشيخ عز الدين الحسن بن على النصيبينى

(١) كذا (٢) العوات « ارادت».

و رأيت ايضا بخط الشيخ نجم الدين احمد بن صصرى ايده الله و قد كتب شعرا منسوبا اليه و قال فى او له للشيخ عز الدين الحسن بن على النصيبينى المكفوف و الله اعلم .

و حكى لى نجم الدين موسى الشقراوى ما معناه ان العز الضرير حدثه انه كان فى مجلس سيف الدين الآمدى و هناك جماعة من العلماء منهم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله فجرى البحث فى الامامة و من الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال بعض الحاضرين قد روى ان على بن ابى طالب رضى الله عنه بايع لأبى بكر رضى الله عنه مكرها و ان اباعبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال له بايع و الا قتلت ٦٣ / الف فالتفت على رضى الله عنه الى قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: (يا ابن ام إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) قال العز فبكى السيف الآمدى فقال له ابن عبد السلام هذا لم يجر و ليس بصحيح و انما هو من اختلاق الرافضة ، فقال سيف الدين الآمدى ما قلت انه صحيح و انما وقع فى خاطرى شيء ابكانى قال العز فقلت للسيف يا مولانا قد احتملوك اهل دمشق على الكفر و الزندقة تريد انهم يحتملوك على محبة اهل البيت هذا ما يصير ، وكان للعز المذكور هجو خبيث فمنه ، فى العماد بن ابى زهران (١):

تعمم بالطرف من ظرفه (٢) وقام خطيبا لندمانه

(١) فى الفوات المطبوع حديثا « زهوان» و زاد فيه وكان يلقب اولا بالشجاع
(٢) الاصل بالظرف و فى الفوات « بالطرف من طرفه » ـ لك .

وقال السلام على من (١) زنى ولاط وقاد لاخوانه
فردوا جميعا عليه السلام وكل يترجم عن شأنه
وقال يجوز التداوى بها وكل عليل بأشجانه
[فافتى بحل الزنى واللوا طفقيه الزمان ابن زهرانه] (٢)

وله فى العماد المذكور وكان يلقب اولا بالشجاع فلما تفقه لقب بالعماد فقال : -

شجاع الدين عُمّدتـا فهلّا كنت شمّستا
خطيبا قمت سكرانا وبالزكوة (٣) عممتا

من ابيات،

وللعز يهجو مجد الدين الروذراورى (٤) رحمه الله تعالى :

الروذراورى تلعنونـــه وما اتى فى زعمه يبدعه
هل نال الاجازة فى حجرها(٥) فى رمضان الظهر يوم الجمعه

الخضر بن ابى بكر بن احمد ابو العباس كمال الدين الكردى قاضى المقس كان الملك المعز عز الدين ايبك التركمانى رحمه الله قد قربه وادناه فى زمن سلطنته فعلق به حب الرياسة والتقدم عند الملوك وكان عنده اقدام وهوج وقلة فكر فى العواقب فصنع خاتما وجعل تحت فصه ورقة لطيفة فيها اسماء جماعة ممن قصد أذاهم وان عندهم ودائـــع ٦٣/ب لشرف الدين الفائزى واظهر ان ذلك الخاتم كان لشرف الدين المذكور

(١) وقع فى الاصل «السلام لمن» خطأ (٢) سقط من الفوات (٣) كذا (٤) هو عبد المجيد بن ابى الفرج توفى سنة ٦٦٧ – ك (٥) لعله حارة فى حجرها.

وانه

وانه جعل تلك الورقة فيه تذكرة بما له من الودائع ورام بذلك التقرب الى السلطان وضرر اولئك القوم لإحن قديمة بينه وبينهم واظهر ذلك الخاتم وجرى فى امره خطوب آخرها انه اتضح امره فأهين الكمال وصفع فقال فيه بعض الادباء :

ما وفق الكمال فى افعاله كلا ولا سدد فى اقواله
يقول من ابصره يصك تأ ديبا على ما كان من محاله
قد كان مكتوبا على جبينه فقلت لا بل كان فى قذاله

ثم حبس وكان فى الحبس شخص يدّعى انه ولد الامير الغريب وكان ورد الى اربل فى ايام الامام الناصر شخص يسمى الامير الغريب ويزعم انه ولد الامام الناصر ثم توفى فى سنة اربع عشرة وستمائة فادعى هذا الشخص انه ولده وكانت الشهرزورية ارادت مبايعته بغزة فلما تبدد شملهم للاسباب التى تقدم شرحها من استيلاء التتر على الشام وغير ذلك امسك هذا الشخص العباسى واعتقل فلما اعتقل الكمال معه وجمعهما الحبس تحدث الكمال معه على ان يسعى له فى اتمام ذلك الامر الذى كان الشهرزورية راموا فعله ويكون الكمال وزيره فاتفق موت العباسى ، فلما خرج الكمال سعى فى اتمام الامر لابنه وتحدث فى ذلك مع جماعة من الأعيان وغيرهم وكتب مناشير وتواقيع واتخذ بنود اشعار الدولة فنمى الخبر الى الملك الظاهر وكان وزيره الصاحب بهاء الدين وقاضى قضاة الديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب وله المكانة العلية والوجاهة العظيمة والكلمة المسموعة وكلاهما من اشد الناس

عداوة و بغضا للكمال لذاته و توثبه و لكونه من اصحاب القاضى بدرالدين السنجارى و المعروفين به فحصل التحريض عليه فشنق بالديار المصرية و التواقيع و البنود معلقة فى عنقه، و ذلك فى ثامن عشر جمادى الآخرة من هذه السنة رحمه الله .

عبد العزيز بن عبد السلام بن ابى القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب ابو محمد عز الدين السلمى الدمشقى الشافعى الامام الفقيه العلامة شيخ الاسلام و مولده سنة سبع اوثمان و سبعين وخمسمائة، حضر ابا الحسين احمد بن حمزة بن الموازينى (١) و ابا طاهر الخشوعى وسمع من الحافظ أبي محمد القاسم بن على الدمشقى و ابن طبرزد وحنبل و عبد الصمد بن الحرستانى وغيرهم وحدث ودرس فى عدة مدارس بالشام و الديار المصرية و افتى سنين متطاولة وكانت الفتاوى تأتيه من الاقطار وكان فى آخر عمره لايتقيد فى فتاويه بما يقتضيه مذهب الامام الشافعى رحمة الله عليه بل يفتى بما يؤدى اليه اجتهاده و يترجح عنده بالدليل، و صنف التصانيف المفيدة النافعة و تولى الحكم بمصر و الوجه القبلى مدة مع الخطابة بجامعها العتيق وكان ولى الخطابة بجامع دمشق مدة وكان علم عصره فى العلم جامعا لفنون متعددة عارفا بالاصول و الفروع و العربية و التفسير مجبولا عليه من ترك التكلف و الصلابة فى الدين و لما كان مباشرا للخطابة و الامامة بجامع دمشق سلم الملك الصالح عماد الدين رحمه الله الى الفرنج صفد و الشقيف (٢) سنة تسع و ثلاثين

٦٤ / الف

(١) توفى سنة ٥٨٥ - ك (٢) طبقات الشافعية « مدينة صيدا و قلعة الشقيف » .

وهما

وهما من الفتوحات الصلاحية ليعتضد بهم فأنكر الشيخ عزالدين هذا الفعل غاية الانكار وبسط لسانه بالقول ووافقه على ذلك الشيخ جمال الدين ابو عمرو بن الحاجب المالكى (١) رحمه الله وكان كبير القدر ايضا فى العلم والدين وبلغ الملك الصالح عماد الدين انهما ينالان منه بسبب ذلك فغضب غضبا شديدا ففارقا دمشق فمضى الشيخ جمال الدين الى الكرك فأقام عند الملك الناصر داود رحمه الله مدة فأقبل عليه واحسن اليه ثم سافر الى الديار المصرية واقام بها الى ان مات رحمه الله واما الشيخ عز الدين فمضى الى الديار المصرية فأقبل عليه الملك الصالح نجم الدين غاية الاقبال لفضيلته وديانته ومكانته ولتشنيته (٢) على عمه الملك الصالح عماد الدين واتفقت وفاة القاضى شرف الدين بن عين الدولة (٣) قاضى القاهرة والوجه البحرى فنقل الملك الصالح القاضى بدر الدين الى ٦٤/ب القاهرة وما معها وولاه قضاءها وولى الشيخ عز الدين القضاء لمصر والوجه القبلى مع الخطابة بجامع مصر وبقى على ذلك مدة واتفق ان بعض غلمان الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ (٤) وزير الملك الصالح نجم الدين بنى على سطح بعض المساجد بمصر بنيانا وجعل فيه طبلخاناة معين الدين وبلغ ذلك الشيخ عز الدين فانكره ومضى بنفسه واولاده فهدم ذلك البناء وامر بنقل ما على سطح ذلك المسجد وتفريغه مما فيه وعلم الشيخ

---

(١) هو عثمان بن عمر بن ابى بكر توفى سنة ٦٤٦ - ك (٢) كذا ولعله لتشنيعه

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن على الصفراوى توفى سنة ٦٣٩ - ك (٤) هو الحسن بن محمد بن عمر الجوينى توفى سنة ٦٤٣ - ك .

عز الدين ان ذلك يغضب الملك الصالح ووزيرة فأحضر شهودا واشهدهم على نفسه انه قد اسقط عدالة معين الدين وانه قد عزل نفسه عن القضاء بمصر وما معها فعظم ذلك على الملك الصالح وابقى نواب الشيخ عز الدين فقيل للملك الصالح ان لم تعزله عن الخطابة فربما يبدو منه تشنيع على المنبر كما فعل بدمشق لما سلم الملك الصالح عماد الدين صفد والشقيف فعزله عن الخطابة فأقام فى بيته بالقاهرة يشغل الناس بالعلم وقال الامير حسام الدين ابن ابى على (١) رحمه الله كان عندى شهادة تتعلق بالملك الصالح نجم الدين فقال لى السلطان والشيخ عز الدين متولى القضاء بمصر تؤدى الشهادة عنده فقلت ياخوند ما يقبل شهادتى فألح على فقلت يا خوند خذلى منه دستورا فبعث الى الشيخ عز الدين فى ذلك فقال ما اقبل له شهادة فتوقفت القضية الى ان ولى القاضى بدر الدين السنجارى فذهبت اليه فتلقانى الى الباب فشهدت عنده فقبل الشهادة وانقضى الشغل فكان الشيخ عزالدين رحمه الله لايحابى احدا فى الحق ولما حضرته الوفاة سير اليه الملك الظاهر رحمه الله يفتقده ويقول له من تختار ان يتولى مناصبك من اولادك فقال ما فى اولادى من يصلح لشىء من ذلك وهـذه المدرسة يعنى مدرسة الملك الصالح التى بين القصرين يصلح لتدريسها القاضى تاج الدين عبد الوهاب يعنى ابن بنت الاعز ففوضت اليه بعده وكان بالديا المصرية رجل يعرف بالمبارز العارونة وهو كثير المال ٦٥ / الف وكان يكثرالتردد الى الشيخ عز الدين وهو صاحبه فحكى للشيخ عز الدين

(١) توفى سنة ٦٥٨ – ك

عقيب

عقيب كسرة المنصورة الاخيرة وكان قد صودر قبل ذلك على قريب خمسين الف درهم قال صودرت على ذلك المبلــغ فما مضى الا مدة يسيرة حتى كانت وقعة المنصور فحصلت من مكاسبها قريب خمسين الف دينار فقال له الشيخ عز الدين هذا المبلغ فى ذمتك لان الغنائم لم تخمس ولاقسمت على الوجه (١) الشرعى فلما مرض الشيخ عز الدين مرض الموت اشهد على نفسه انه يشهد على اقرار المبارز بما اقربه من ذلك واتصل الامر بالملك الظاهر فالزم المبارز بغرم ما اقربه فقال انما شهد على شاهد واحد فقال الملك الظاهر الشاهد الذى شهد اكثر من الف شاهد وكان الشيخ عز الدين رحمه الله معما هو عليه من هذه الاوصاف عنده رقة حاشية ويحضر السماع ويرقص ويتواجد [ويستحسن الصور الجميلة] (٢) ويحاضر بالحكايات والنوادر والاشعار ويستشهد بها فى مواضعها مرعلى دار من دور القصر بالقاهرة وهى خراب وانقاضها تنقل فانشد متمثلا :

أهادمها شلت يمينك خلها   لمعتبر او واقف او مسايل

منازل قوم حدثتنا حديثهم   ولم أر احلى من حديث المنازل

وهذان البيتان لعبد الواحد بن الفرج المعرى الشاعر قالهما من جملة اربعة ابيات فى قصر كان بالمعرة فى محلة شيات فأمر صاحب المعرة بنقضة فاجتاز عبد الواحد بالفعلة وهم يخربونه فقال بديها :

---

(١) وقع فى الاصل «الوضح» (٢) مابين الحاجزين مضروب عليه فى الاصل ـ ك

(٣) تقدم آنفا « شيات » .

مررت بقصر فى سيات (٣) فساءنى به زجل الاحجار تحت المعاول
تناولها عبل الذراع كأنما جرى الحرب فيمابينهم حرب وائل
فقلت له شلت يمينك خلها

البيتين المتقدمين .

توفى عبدالواحد المذكور فى سنة احدى وثمانين واربعمائة وكانت وفاة الشيخ عزالدين رحمه الله فى العاشر من جمادى الاولى بالقاهرة ودفن من الغد بسفح المقطم ونزل الملك الظاهر لشهود جنازته وكذلك سائر ٦٥/ب ارباب الدولة والجند والعوام وغيرهم ولم يتخلف عن شهود جنازته الاالقليل من الناس وشهرته تغنى عن الاطناب فى ذكره رحمه الله .

عبد العزيز بن يوسف بن قزأوغلى ابو محمد عزالدين الحنفى الواعظ قد اشرنا اليه فى ترجمة والده الشيخ شمس الدين ابى المظفر يوسف سبط الشيخ جمال الدين ابن الجوزى رحمه الله فى سنة اربع وخمسين وكان درس بعد ابيه بالمدرسة العزية (١) ووعظ وكان فاضلا عنده اهلية جيدة وتوفى فى سلخ شهر شوال ودفن بمقبرة ابيه بسفح قاسيون رحمه الله .

عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابو الحسن تاج الدين الدمشقى الشافعى المعروف بابن عساكر سمع الكثير من الخشوعى وابن طبرزد وحنبل وزيد والكندى وعبد الصمد الجرستانى وغيرهم وحدث بدمشق ومصر وغيرهما وتولى

(١) النجوم « المعزية »

مشيخة دار الحديث النورية وغيرها بدمشق ومولده بدمشق ليلة عيد الفطر سنة احدى وتسعين وخمسمائة، وكانت وفاته فى حادى عشر جمادى الاولى بمكة شرفها الله ودفن بالحجون رحمه الله تعالى .

على بن محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن العباس بن الحسن بن العباس ابن الحسن بن الحسين بن على بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ابو الحسن بهاء الدين بن ابى الجن الحسينى (١) نقيب الاشراف بدمشق واعمالها، مولده ليلة الثامن عشر من شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة بدمشق سمع من ابى عبد الله محمد بن على بن صدقة وابى الفرج يحيى بن محمود الثقفى (٢) وابى الفوارس بن شافع وغيرهم وحدث بدمشق ومصر، وكان رئيسا جليل المقدار كريما ممدحا وتوفى بدمشق فى ليلة الثانى والعشرين من شهر رجب ودفن بها بمنزله بدرب الديماس رحمه الله وولى النقابة بعده فخر الدين ابو محمد الحسن ابن نظام الدين ابى الحسن على البعلبكى .

عمر بن احمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن احمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر [بن](٣) أبى جرادة بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل ابى القاسم كمال الدين العقيلى الحلبى الفقيه الحنفى الكاتب المجيد المعروف بابن العديم مولده بحلب فى العشر الاول من ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة سمع من ابيه ابى الحسن (٤) وعمه ابى غانم محمد (٥) وأبى هاشم عبد المطلب

٦٦ / الف

(١) كذا فى النجوم والشذرات وفى الاصل «الحنينى» خطأ (٢) توفى سنة ٥٨٤ - ك
(٣) من النجوم والشذرات (٤) توفى سنة ٦١٣ - ك (٥) توفى سنة ٦٢٨ - ك .

ابن الفضل الهاشمي (١) وعمر بن طبرزد وأبي اليمن الكندي وابي القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني (٢) وجماعة كثيرة غيرهم وحدث بالكثير في بلاد متعددة ودرس وافتى وصنف وكان اماما عالما فاضلا مفنّنا في العلوم جامعا لها احد الرؤساء المشهورين والعلماء المذكورين وترسل الى الخليفة والملوك مرارا كثيرة وكان له الوجاهة العظيمة والحرمة الوافرة عند الخلفاء والملوك وغيرهم وهو مع ذلك كثير التواضع ولين الجانب وحسن الملتقى والبشر لسائر الناس مع ما هو منطو عليه من الديانة الوافرة والتحري في اقواله وافعاله، واما خطه ففي غاية الحسن والجودة باع الناس منه شيئا كثيرا على انه خط علي بن هلال بن البواب الكاتب المشهور، وله معرفة بالحديث والتاريخ وايام الناس وجمع لحلب تاريخا كبيرا احسن فيه ما شاء ومات وبعضه مسودة لم يبيضه ولو تكمل تبييضه كان اكثر من اربعين مجلدا، وكان حسن الظن بالفقراء والصالحين كثير البرّ لهم والاحسان اليهم وحضر عند الشيخ عبد الله اليونيني الكبير قدس الله روحه وطلب منه ان يلبسه خرقة فأعطاه قميصه كأنه تفرس فيه الخير والصلاح، وكانت وفاته في العشرين من جمادى الاولى بظاهر مصر ودفن من يومه بسفح المقطم رحمه الله. ولما وصل الى الديار المصرية رسولا في بعض سفراته اليها حمل اليه الشيخ ايدمر مولى وزير الجزيرة المسمى فيما بعد بابراهيم الصوفي ديوان شعره ليطالعه فتصفحه وطالعه وكتب عليه لنفسه :

(١) توفي سنة ٦١٦ - ك (٢) توفي سنة ٦١٤ - ك .

وكنت

وكنت اظن الترك تختص اعينٌ لهم[إن](١)رنت بالسحر منها واجفان ٦٦ / ب

الى ان اتانى من بديع قريضهم قواف هى السحر الحلال وديوان

فأيقنت ان السحر اجمعه لهـم يقر لهم هاروت فيه وسحبان

فكتب اليه ايدمر يشكره ويسأله ان يكتب اسمه تحت الشعر الذى كتبه على الديوان :

لك الفضل اولى الناس بالحمد منعم تعرف بالاحسان اذ رثّ عرفان

وبارقة من افق علياك خبرت بأن سحاب الفضل عندك هتان

اتنى(٢) على الديوان ابياتك التى يفضل منها للبلاغة ديـوان

فدلت وان قلت على ما وراءها كما شفّ عن سر الصحيفة عنوان

فلو عاينت عينا ابن مقلة خطكم لغض اتاه (٣) اورنا وهو خزيان

فكيف يكون السحر فينا وعندنا وخطك هاروت ولفظك سحبان

فيا مالك ابدى ندى كن متمما لتشفع من يمناك بالحسن احسان

وتوّجه والمأمور غيرك باسمك الـكريم فاسماء الاكارم تيجان

يحوك(٤)الحياوشى الرياض وينجلى وتبق شهيدا عندها منه غدران

عـلى انه الصبح المور شهرة وليس بمطلوب على الصبح برهان

وان امرأ اضحى الكمـال يعيبه فمن اين يعروه وحاشاه نقصـان

محمد بن داود بن ياقوت الصارمى ابو عبد الله ناصرالدين كان رجلا صالحا فاضلا عالما مفيدا لطلبة الحديث باذلا كتبه وخطه للمشتغلين

---

(١)من النجوم وقد سقط من الاصل (٢) لعله اتنى (٣)الاصل اناه بلا نقط ـ لك ولم يتضح ما كتبه فى الاصل (٤) الاصل « يجول » خطأ .

سمع كثيرا وكتب مجلدات واجزاء كثيرة وطباق السماع التى بخطه من احسن الطباق وانورها واصحها ، وكانت وفاته بدمشق فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى.

محمد بن عبد الحق بن خلف ابوعبد الله جمال الدين الحنبلى كان فاضلا ظريفا حسن الاخلاق يؤرخ الوقائع والمتجددات والوفيات ويتولى الحسبة بجبل الصالحية وكانت وفاته بالجبل المذكور ودفن به فى سادس وعشرين جمادى الآخرة رحمه الله. ٦٧ / الف

يوسف بن عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على بن ابى سعد (١) ابوالفضل شرف الدين الموصلى الاصل ويعرف بابن اللّباد كان فاضلا اديبا شاعرا مترسلا وله معرفة بالطب وتوفى يوم الجمعة خامس ذى القعدة بالقاهرة ودفن بالقرافة وهو فى حدود الخمسين سنة رحمه الله ووالده موفق الدين عبد اللطيف بغدادى المولد كان عالما بالنحو واللغة وعلم الكلام والطب ولد بدارجده بدرب الفالوذج سنة سبع وخمسين وخمسمائة (٢) وغاب عن بغداد مقدار خمس واربعين سنة ودخلها عازما على الحج فأدركته منيته بها فى يوم الاحد ثانى عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ودفن بالوردية ، وله نحو مائتى مصنف مابين مطول ومختصر وطاف البلاد ودخل دمشق والبيت المقدس والديار المصرية وغير ذلك رحمه الله.

---

(١) فى دائرة البستانى (ج ١ ص ٦٦٨) «بن على بن سعد» (٢) فى دائرة البستانى (ج ١ ص ٦٦٨) «سنة ٥٥٥».

يوسف (١) بن يوسف [بن يوسف] (٢) بن سلامة بن ابراهيم ابن الحسن بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن سليمان بن محمد الفأفا (٣) الزينبي بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابو العز (٤) وقيل ابو المحاسن محى الدين الهاشمى العباسى الموصلى المعروف بابن زيلاق (٥) مولده بالموصل فى احد الربيعين سنة ثلاث وستمائة وقتلوه التتر حين ملكوا الموصل بها فى عاشر شعبان هذه السنة، وكان شاعرا مجيدا فاضلا حسن المعانى رحمه الله، ومن شعره:

انى لأقضى نهارى بعدكم أسفا وطول ليلى بتسهيد وتعذيب
جفن قريح وقلب حشوه حرق فمن رأى يوسفا فى حزن يعقوب

وله:

بدا لنا من جبينه قمر يضل فى ليل شعره الفكر
احور يحلو الدجى تبسمه اسمر يحلو بذكره السّمر
حديث عهد الشباب ما حُفّ بالريحان ورد فى خدّه نضر (٦)
ولا رعت مقلة نبات عذا ريه فيحتاج عنه نعتذر
جوامع الحسن فيه كاملة فالقلب وقف عليه والبصر ٦٧ / ب
خصر كما آثر التفرق فى جسمى وثغر رضابه خصر
وقامة لدنة اذا خطرت هان علينا فى حبها الخطر

---

(١) له ترجمة فى فوات الوفيات (٣/١٠٤) - ك (٢) ليس فى البداية (٣) البداية «القاقانى» (٤) البداية «المعز» (٥) البداية «زبلاق» (٦) فى الفوات (٢/٦٣٧) (جديد برد الشباب حف بريحـ ـان وورد بخده نضر)

وله:

اغرى جفون المحب بالسهر اغيد حالى الجفون بالحور
رخيم لفظ جاءت شمائله بكل معنى فى الحسن مبتكر
مؤنث الدل كاسر جفنه الساجى على نصل صارم ذكر
حديث عهد الشباب طلعته محمية من طلائع الشعر
حياه وحدى ماء بوجنته ما اغترفت صفوة بذا الخضر(١)
ان يطل الفكر فى توردها فذاك والله موضع النظر
يا مالكى شافعى اليك هوى مذهب وردى فيه بلا صدر
افوت ليلى بالطول واشتملت اجفان عينى به على القصر
حالين اشكو اليك بينهما وفاء دمع وعذر مصطبر

وله:

هل انت يا وفد الصبا مخبرى مربع احبابى متى روضا
وهل اقام الحى من بعدنا مخيما بالجزع ام قوضا
وانت يا بارق نجد اذا اضأت جيرانا بذات الأضا
فقل لهم ذاك الغريب الذى امرضتموه بجفاكم قضى
حاشا لذاك الوجد أن ينقضى وعهدنا بالخيف ان ينقضى
ويا شفاء النفس لو أنه كان طبيب الداء من امرضى
احبابنا منذ وداع اللوى لم الق عيشا بعدكم يرتضى
ولا رأت عيناى مذ غبتم يوما كأيامى بكم أبيضا

(١) كذا.

وله :

يفديك جفن بمائه شرق جار عليــه البكاء و الارق
و مهجة لم تزل حشاشتها منك بنار الجفاء تحترق
يا رشأ اصبحت محاسنه تسلب (١) ألبابنا و تسترق ٦٨ / الف
تجمعت فيك للورى فتن على تلاف النفوس تتفق
طرف كحيل و وجنة كسيت حمرة دمعى و مبسم يقق
جالت عــلى عطفه ذوائبه كالغصن (٢) زانت فروعه الورق
حسن اسر الصديق لى حسدا على هواه و خان من اثق (٣)
رأوه لى (٤) جنة معجلة ما وجدوا مثلها ولا رزقوا
فأكثروا و افتروا كأنهم لغير قول المحال ما خلقوا
هم حسدونى عليه (٥) فاختلفوا بكل زور اليه (٥) و اختلقوا
سعوا بتفريقنا فلا اجتمعوا على وصال يوما و لا اتفقوا
بمن كسا وجنتيك من حلل الا حسن رياضا نسيمها عبق
و اطلع الصبح من جبينك محــفوظا بصدغ كأنه غسق
لا تثن عطفا الى الوشاة فما سلاك قلبى لكنهم عشقوا
انت بحالى ادرى و حالهم قد وضحت فى حديثنا الطرق

(١) فوات يا قمرا . . . تنهب ـ ك (٢) الاصل « كالغضن » خطأ (٣) ليس فى الفوات ـ ك (٤) الفوات نداك لى ـ ك وهو خطأ بل هو محرف عن رأوك بصيغة الخطاب كما سيأتى الخطاب فى البيت الثالث عن الفوات (٥) الفوات عليك . . . . عليك ك .

ماكنت يوما اليك معتذرا لو أنهم فى حديثهم صدقوا

و له :

كذب الواشون قلبى ما سلا وفؤادى من هواكم ما خلا

لاتظنونى ان طال المدى ناسيا ذاك الغرام الاوّلا

لست ممن إن نأت دار به اسخط الشوق وارضى العذّلا

يا ولاة الحسن ماآن لمن جار فى عشاقه أن يعدلا

اخذ الاشراق عن بدر الدجى وروى النفرة عن ظبى الفلا

اى شهدٍ ريقه لويجتنى وهلال وجهه لو يجتلى

يحمد الليل اذا ولى ولا يعدم (١) الصبح اذا ما أقبلا

ناعم الاطراف ما أسعد من ضمه معتنقا او قبّلا

ليس يأتى نعم فى لفظه قوله فى جده والمزح لا

٦٨/ب أحياة اترجّى بعدما حكمت ألحاظه ان اقتلا

و له :

يريك قوام السمهرى قوامها ويجلو عليك النيرين لثامها

ويفتننا منها جفون تضمنت لواحظها ان لا تطيش سهامها

وليلة اعطينا المنى من وصالها وعهدى لايهدى الينا سلامها

توقّد نارا خدها وحليها وخمرتها فانجاب عنها ظلامها

وطافت بكأسات الرحيق كأنما يفض عن المسك السحيق ختامها

اذا ما ظللنا فى غياهب شعرها هدانا الى صبح الغرام ابتسامها

---

(١) لعله يعذل .

سألتكما اى الثلاثة درّها أمبسمها ام عقدها ام كلامها
وأى الثلاث المسكرات سلبنى أريقها (١) ام لحظها ام مدامها

وله:

أدمشق لازالت تجودك ديمة ينمى بها زهر الرياض و يؤنق
اهوى لك السقيا و لوضن الحيا اغناك عنه ماؤك المتدفق
و يسر قلبي لوتصيح الى (٢) المنى أنى انال بك المقام و ارزق
و اذا امرؤ كانت ربوعك حظه من سائر الأمصار فهو موفق
أنّى التفت (٣) لجدول متسلسل او جنة مرضية او جوسق
يبدو لطرفك حيث ملت حديقة غناء نور النور منها يسرق (٤)
تشدو الحمام بدوحها فكأنما فى كل عود منه عود يخفق
واذا رأيت الغصن ترقصه الصبا طربا رأيت الماء وهو يصفق
لبست جنان النيرين محاسنا وقفت عليها كل طرف يرمق
لحمامها غرد ونبت رياضها خضل وركب نسيمها مترفق

و له:

و اذا شكوت من الزمان ومسنى ضيم و نكس صعدتى اعسار
وعلمتم انى بكم متعلق فعلى علاكم لا علىّ العار

ومن شعره ايضا:

بعثت لنامن سحر مقلتك الوسنى سهادا يذودالجفن ان يألف الجفنا
وابصر جسمى حسن خصرك ناحلا فحاكاه لكن زاد فى دقة (٥) المعنى ٦٩ / الف

(١) لعله أريقتها (٢) لعله لو تصح لى (٣) الاصل «التفث» خطأ (٤) لعله يشرق
(٥) الفوات رقة - ك .

وابرزت وجها اخجل الصبح(١) طالعا ومالت بقدّ علم الهيف الغصنا

حكيت اخاك البدر فى حال تمه سنى و سناء اذ تشابهتما سنّا (٢)

اسمراء إن اطلقت بالهجر عبرتى فان لقلبى من تباريحه سجنا (٣)

وان تحجبى(٤) بالبيض والسمر فالهوى يهوّن عند العاشق الضرب والطعنا

و ما الشوق الا ان ازورك معلنا فلامضمرا خوفا و لا طالبا اذنا

و القاك لا اخشى الغيور (٥) فاننى و لو منعت أسد الشرى ذلك المغنى

السنة الحادية والستون وستمائة

دخلت هذه السنة و الخليفة المستنصر بالله قد قتل و ملوك الاطراف علـى حالهم فى السنة الخالية والملك الظـاهر بقلعة الجبل من الديار المصرية .

فمن المتجددات فيها مبايعة الحاكم بأمر الله، بـاب فى مبايعته و هو التاسع و الثلاثون من خلفـاء بنى العباس رضى الله عنه ، وهو الامام الحاكم بأمر الله ابو العباس احمد بن الامير ابى على القبىّ بن الامير على ابن الامير ابى بكر بن الامام المسترشد بالله ابى منصور الفضل بن الامام المستظهر بالله ابى العباس احمد بويع بالخلافة فى قلعة الجبل ظاهر القاهرة يوم الخميس تاسع المحرم سنة احدى و ستين و ستمائة ، وكان وصل الى قلعة الجبل فى السنة الخالية على ما تقدم شرحه .

(١) الفوات : يخجل البدر . . . و مست ــ ك (٢) هذا البيت ليس فى الفوات ــ ك (٣) لعله شجنا (٤) الفوات «وإن تحتمى» ــ ك (٥) الفوات : العيون . . . ولو حجبت ــ ك .

فلما

فلما كان فى التاريخ (١) جلس الملك الظاهر مجلسا عاما فيه اعيان الناس من القضاة و الامراء والعلماء و جماعة من التتار الوافدين و حضر الامام الحاكم الى الايوان الكبير بقلعة الجبل راكبا و بسط له الى جانب السلطان و ذلك بعد ثبوت نسبه وامر الملك الظاهر بعمل شجرة نسب له فعملت و قرئت على الناس، ثم اقبل الملك الظاهر اليه و بايعه على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر و الجهاد و اخذ اموال الله بحقها و صرفها فى مستحقها و الوفاء ٦٩ / ب بالعهود و اقامة الحدود وما يجب على الائمة فعله من امور الدين و حراسة المسلمين، فعند ذلك اقبل الخليفة على الملك الظاهر و قلده امور البلاد و العباد ثم اخذ الناس على اختلاف طبقاتهم فى المبايعة فلم يبق احد ممن يشار اليه من ارباب السيوف و الاقلام و غيرهم الّا و بايعه، وكان المسلمون بغير خليفة منذ استشهد الامام المستنصر بالله فى اوائل السنة الخالية و لم يل الخلافة مَن و الده و جده غير خليفة بعد السفاح و المنصور الا الحاكم هــذا فان و الده و جده و جد و الده لم يلوا الخلافة اما من و لى الخلافة و لم يكن و الده خليفة بعد السفاح و المنصور من بنى العباس فالمستعين احمد بن محمد بن المعتصم و المعتضد بن طلحة بن المتوكل و القادر بن احمد بن المقتدر و المقتدى بامر الله بن الذخيرة بن القائم و بقى اسم الخلافة على الامام الحاكم بأمر الله المذكور و يخطب له على المنابر و تضرب السكة باسمه الى اوائل جمادى الآخرة سنة احدى و سبعمائة درج الى رحمة الله تعالى بالديار المصرية و صلى عليه فى جامع

(١) لعله بـ[illegible] المذكور كما يدل عليه ما فى الاصوفيا (ص ٥٣).

دمشق بالنية (١) يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة .

وكانت وفاته رحمه الله فى اواخر جمادى الاولى رحمه الله تعالى فكان مدة وقوع اسم الخلافة عليه اربعين سنة واشهر وبويع ولده ابو الربيع سليمان ولقب بالمستكفى وحصل الحديث من الامام الحاكم فى انفاذ رسل الى بركة فوافق على ذلك وانفصل المجلس، ولما كان يوم الجمعة ثانى يوم المبايعة اجتمع الناس وحضر الرسل الى الملك بركة وخطب الخليفة بالناس فقال :

الحمدلله الذى اقام لآل العباس ركنا وظهيرا، وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا، احمده على السراء والضراء، واستعينه على شكر ما اسبغ من النعماء، واستنصره على دفع الاعداء واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء الاربعة الخلفاء وعلى العباس عمه وكاشف غمه ابى السادة الخلفاء الراشدين والأئمة المهذبين(٢) وعلى بقية الصحابة والتابعين باحسان الى يوم الدين، ايها الناس اعلموا ان الامامة فرض من فروض الاسلام والجهاد، محتوم على جميع الانام ولا يقوم علم الجهاد الا باجتماع كلمة العباد، ولا سبيت الحرم الّا بانتهاك المحارم ولا سفكت الدماء الا بارتكاب المآثم، فلو شاهدتم اعداء الاسلام حين دخلوا دار السلام واستباحوا الدماء والاموال وقتلوا الرجال والاطفال وهتكوا حرم الخلافة والحريم، واذاقوا من استبقوا العذاب

٧٠/ الف

(١) كذا (٢) كذا ولعله المهديين.

الاليم

الاليم ، فارتفعت الاصوات بالبكاء وعلت الضجات من هول ذلك اليوم الطويل ، فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه فشمروا عن ساق الاجتهاد فى احياء فرض الجهاد : (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا و اطيعوا و انفقوا خيرا لأنفسكم و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) فلم يبق معذرة فى القعود عن اعداء الدين و المحاماة عن المسلمين .

وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الأجل العالم العادل المجاهد المؤيد ركن الدنيا والدين قد قام بنصر الامامة عند قلة الانصار وشرد جيوش الكفر بعد ان جاسوا خلال الديار فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود ، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود ، فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة و اخلصوا نياتكم تنصروا و قاتلوا اولياء الشيطان تظفروا و لا يروعنكم ما جرى ، فالحرب سجال و العاقبة للمتقين و الدهر يومان و الآخر للمؤمنين جمع الله على التقوى امركم و اعز بالايمان نصركم ، و استغفر الله العظيم لى و لكم و لسائر المسلمين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية : الحمد لله حمدا يقوم بشكر نعمائه و اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له عدة عند لقائه و اشهد ان محمدا سيد رسله و انبيائه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلق فى ارضه وسمائه ، اوصيكم عباد الله بتقوى الله ان احسن ما وعظ به الانسان كلام الملك الديان : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله و الرسول (١) و اولى الامر ٧٠/ب

(١) التلاوة : واطيعوا الرسول .

منكم فان تنازعتم فى شىء فردّوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و احسن تأويلا) نفعنا الله و ايّاكم بكتابه و اجزل لنا و لكم ثوابه و غفرلى و لكم و للسلمين اجمعين .

وكتب بدعوته الى الآفاق و تعلل بذكرها الرفاق • وكتب الله للسلطان هذه الحسنة التى يجدها يوم ينفد كل شىء و ما عند الله باق ، وكتب السلطان الى الملك بركة يعلمه بذلك .

و فى ليلة الاربعاء ثالث شهر رمضان سأل السلطان الخليفة هل لبس الفتوة من احد من اهل بيته الطاهرين او من اوليائهم المتقين فقال : لا و التمس من السلطان انّ يصل سببه بهذا المقصود ، وسنخ هذا الامر الذى من بيته بدا و اليه يعود ، فلم يمكن السلطان الاطاعته المفترضة و ان يمنحه ما كان ابن عمه اقرضه ، و ان يحلى بالجواهر منضده ، و ان يقلد بالسيف مجرده و ان يعطى القوس لباريها ، و يسلم الصهوة لراقيها ، ويكون فى ذلك كمحبب الحلة للابسها ، و يقتدح بالجذوة لقابسها ، ولبس فى الليلة المذكورة بحضور من يعتبر حضوره فى مثل ذلك وباشر ذلك الاتابك فارس الدين اقطاى بطريق الوكالة المعتبرة عن السلطان ، و قال السلطان الملك الظاهر ابا للامام المستنصر بالله امير المؤمنين ولد الامام الظاهر و ابوه لجده الناصر لعبد الجبار (١) لعلى بن دغيم لعبيد الله ابن القتر لعمر بن الرصاص لأبى بكر بن الجحيش لحسن بن السارمار

(١) لعبد الجبار هذا ذكر فى امر الفتوة فى تاريخ ابى الساعى و اكثر رجال السند مجهولون ـ لك ، ولا يخلو اكثر هذه الاسماء عن تحريف فلتحرر .

لبقاء بن الطباخ لنفيس العلوى لأبى القاسم بن ابى حبة لمعمر بن اللن لأبى على الصوفى لمهنا العلوى للقائد عيسى للامير و هوان لروزبة الفارسى للملك ابى كيجيار لابى الحسن النجار لفضل الفرقاشى للقائد شبل بن المكرم لأبى الفضل القرشى للامير حسان لجوشن الفزارى ٧١/الف للامير هلال التبهانى لابى مسلم الخراسانى لأبى العز النقيب لعوف القنانى للحافظ الكندى لابى على النوى لسلمان الفارسى رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم الذى قال له صلى الله عليه و سلم سلمان من إهل البيت للامام الظاهر التقى النقى علىّ سلام الله عليه و حمل اليه السلطان من الملابس لأجل ذلك ما يليق بجلاله .

و فى الليلة الثانية حضر رسل الملك بركة الى القلعة و البسهم الخليفة تفويض الوكالة للاتابك وحمل اليهم من الملابس ما يليق بمثلهم .

و لما كان يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان خطب الخليفة ايضا بحضور رسل الملك بركة ودعا للسلطان وللملك بركة و صلى بالناس و اجتمع بالسلطان و بالرسل و تحدثوا فى مهمات الاسلام .

و فى يوم المبايعة افرج الملك الظاهر عن الامير علاء الدين طيبرس ثم قبض عليه لما نزل من الطور وحبسه بقلعة القاهرة ثانية .

و فيها فى العشر الاول من صفر جمع تكفور صاحب سيس جمعا كبيرا خيلا و رجلا وخرج من سيس و اغار على بلد الجومة الى بلد العمق و جبل ليلون (١) و معمرة مصرين و سرمين و الفوعة، وكان دليله

(١) بلانقط فى الاصل - ك .

رجل من اهل الفوعة يعرف بابن ماجد فأخذ من الفوعة ثلاثمائــة و ثمانين نفرا وكبس سرمين وكان بها من الامراء المجردين بهاء الدين الخضر الحيدى و ركن الدين عيسى السروى و علم الدين قيصر الظاهرى فانحازوا الى دار الدعوة بسرمين و اجتمع عليهم خلق كثير و حاصروهم بها ثم ان ركن الدين عيسى السروى ركب و اركب الامراء المذكورين و فتح باب دار الدعوة و خرج ثم حمل فيهم فصادف فى حملته صاحب سيس ولم يعرفه فرماه من جواده فتفللت لأجله عزائم اصحابه فولوا هزيمة لايلوى احد منهم على صاحبه و تخلص من كان معهم من الاسراء جماعة كبيرة .

ذكر توجه الملك الظاهر الى الشام و قبضه على الملك المغيث صاحب الكرك

برز الملك الظاهر يوم السبت سابع ربيع الآخر الى مسجد التبن (١) و اقام به الى عاشر الشهر و رحل يوم الخميس حادى عشره ، ولما وصل الى غزة وفد عليه فى السابع و العشرين من الشهـــر والدة صاحب الكرك شافعة فى ولدهـا فأقبل عليها و اكرمها و اذن لها فى العود فعادت ثم رحل الى الطور يوم الاثنين حادى عشر جمادى الاولى وجاء من الأمطار ما منع السابلة فغلت الاسعار ولحق العسكر مشقة عظيمة و الملك الظاهر يرسل الرسل الى صاحب الكرك يطلبه و هو

٧١ / ب

(١) ذكره المقريزى فى الخطط (٢/٤١٣) ـ ك.

يسوف خوفا من القبض لما اسلفه من الافعال الذميمة منها رسالة سيرها على لسان الامجد رسوله اساء فيها الادب و منها كتبه الى التتر يحرضهم على قصد البلاد، و مما ثبطه كتب وصلت اليه من امراء كانوا مع الملك الظاهر يحذرونه الوصول اليه و يعرفونه انه عازم على قبضه، فوقف عليها و سيّرها الى الملك الظاهر فسير اليه فى الجواب انى انا امرتهم بذلك لأتحقّق ما فى نفسك، فخرج من الكرك خائفا، و لما وصل [بالقرب من العسكر] (١) ركب الملك الظاهر لتلقيه فأراد ان يترجل فمنعه الملك الظاهر و سايره الى باب الدهليز فدخل الملك الظاهر و عُدل بالملك المغيث الى خركاه و احتيط عليه و بُعث به الى قلعة القاهرة صحبة الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى [السلحدار يومئذ](١) فوصل به ليلة الاحد خامس عشر جمادى الآخرة فكان آخر العهد به .

و لما قبض عليه ظهر فى وجوه بعض الامراء كراهية ذلك فأحضر الملك الظاهر الامراء و الملك الاشرف صاحب حمص وكان قد وفد عليه و قاضى القضاة بدمشق وكان قد استدعاه و الشهود و رسل الفرنج و اخرج اليهم كتب الملك المغيث الى التتر يحرضهم على قصد البلاد وكتب التتر اليه اجوبة منها مضمونها شكر هولاكو منه و اعتزاؤه اليه و يعده بوعود حسنة و يقول له قد اقطعتك من بصرى الى غزة و قد عرفت ما اشرت اليه من طلب عشرين الف فارس نسيّرها تفتح بها مصر و يعده بارسالها اليه و يوصيه بأمور جمة، ثم اخرج فتاوى الفقهاء بأنه ٧٢ / الف

(١) من اياصوفيا (ج - ا - ص ٥٣٢) .

لا يحل ابقاؤه على هذا الوجه فعذروه حينئذ وكان اوكد الاسباب فى القبض عليه ان رسولا ورد عليه من التتر فاتصل ذلك بالملك الظاهر فبعث اليه بدر الدين لؤلؤ المسعودى احد المماليك البحرية وطلبه فأنكره فتوعده وتهدده فاظهره (١) وحمل الى الملك الظاهر واخذ يعده ويمنيه حتى اخبره بما جاء فيه وهو ان هولاكو سيره اليه ليكشف حاله وكتب الجواب واخرجه، فلما وقف عليه الملك الظاهر اخذ خطوط الفقهاء بوجوب قتاله (٢) ثم توجه الى الكرك وكاتب من فيه بتسليمه فوقع الاتفاق على ان يؤمر الملك العزيز عثمان بن الملك المغيث علـى مائة فارس وتسلم الكرك يوم الخميس ثالث عشرى (٣) جمادى الآخرة ودخله ثالثه (٤) نهار الجمعة، ثم قصد الديار المصرية واستصحب اولاد الملك المغيث وحريمه فلما حل بمصر امر ولده كما تقرر وانزله فى دار القطبية بين القصرين، وكان وصوله الى الديـار المصرية يوم السبت سادس عشر شهر رجب .

وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين منه قبض [الملك الظاهر] (٥) على الامير سيف الدين بلبـان الرشيدى والامير عز الدين ايبك الدمياطى والامير شمس الدين آقوش البرلى وحبسهم [بقلعة الجبل] (٥) .

وفى حادى عشر شهر رجب وصل الى الديار المصرية رسولان

(١) لعل الضمير يعود الى كتاب حذف بعد «ورد عليه» من العبارة السابقة (٢) لعله قتله (٣) اياصوفيا (١، ٥٣٣) وفيها ما يأتى ايضا «ثالث وعشرين» (٤) اياصوفيا «ودخل القلعة فى الساعة الثالثة من يوم الجمعه رابع وعشرين» (٥) من اياصوفيا

من

من عند الملك بركة وهما جلال الدين بن (١) قاضى دوقات والشيخ على التركمانى وكان وصولهما من الاسكندرية وصلاها من بلاد الاشكرى وذلك انهما خرجا من سقسين مدينة بركة فى نهر اتل الى بحر سوداق وركبوا فيه الى خليج القسطنطينية الى البحر الكبير فسلكاه الى الاسكندرية ومضمون الرسالة: انت تعلم انى محب لهذا الدين وهو لاكو قد تعدى على المسلمين واستولى على بلادهم وقد رأيت ان تقصده من جهتك واقصده من جهتى ونصدمه صدمة واحدة فنقتله او نطرده عن البلاد ومتى كانت واحدة من هاتين اعطيتك ما كان فى يده من البلاد التى استولى عليها فشكر له الملك الظاهر ذلك وبعث اليه هدية سنية مع رسول يستصوب هذا الرأى .

وفى اواخر شهر رجب وصلت طائفة كبيرة من التتر مستأمنين ٧٢/ب وهى الطائفة الثانية ثم وصلت طائفة اخرى كبيرة منهم ومقدمها كرمون فخرج الملك الظاهر لتلقيهم وانعم عليهم بالاقطاعات وغيرها .

وفى شعبان خلع الملك الظاهر على الامير جمال الدين موسى بن يغمور وفوض اليه الاستاذدارية .

وفى سادس عشر شهر رمضان جهز الملك الظاهر من الديار المصرية لعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم صناعا وآلات واخشابا فطيف بها مصر والقاهرة وسوفر بها فى العشر الاوسط من شوال .

وفى رمضان زلزلت الموصل زلزلة عظيمة بحيث انشق الشط الذى

(١) اياصوفيا (١/ ٥٢٣) « الدين قاضى » .

يمر بضيعة دار بشا (١) نصفين وخربت اكثر دورها .

وفى سادس شوال توجه الملك الظاهر الى الاسكندرية وعاد الى مصر فى ثامن عشر ذى القعدة وبعد ذلك تقدم بعزل ناصر الدين احمد بن المنير قاضى الاسكندرية (٢) وخطيبها فولى عوضه فى القضاء برهان الدين ابراهيم بن محمد بن على اليوشى (٣) المالكى وكان خاملا بمصر متواضعا فقيرا فخلع عليه واعطى بغلة فتوجه اليها .

حرب جرت بين بركة وهولاكو

لما قتل هولاكو رسل بركة وسحرته جمع عسكرا من سائر الآفاق التى استولى عليها ورحل من علادار ووصل الى دمن قانو وقطرنهركوثا فصادف عسكرا لبركة فاوقع به واقام خمسة عشر يوما فجمع بركة عساكره وقصده فالتقى به وتقاتلا فكانت الدائرة على هولاكو وقتل من اصحابه خلق كثير وغرق منهم فى النهر المذكور اكثر مما قتل ونجا هولاكو بنفسه فى شردمة قليلة ، فلما رأى بركة كثرة القتلى بكى وقال يعز على ان ارى المغل تقتل بسيوف بعضهم بعضا لكن كيف الحيلة فى من غير آسة (٤) جنكز خان ، ولما عاد هولاكو مهزوما مر ببلاد اران فوجد طائفة من اصحاب بركة بنواحى شروان وشماخى فاوقع بهم ولما وصل اردوه استشار كبراء دولته فى جمع عسكر ليقصد به بركة فثبطوه.

٧٣ / الف

(١) كذا فى الاصل - ك ، وفى اياصوفيا « بتيا » (٢) هو احمد بن محمد بن المنصور الجذامى توفى سنة ٦٨٣ - ك (٣) كذا فى الاصل بلا نقط ولم اقف على ترجمته - ك (٤) البداية « سنة » .

وفى

وفى شهر رمضان جهز الملك الظاهر رسل بركة وبعث معهم عماد الدين عبد الرحيم العباسي والامير فارس الدين آقوش المسعودى وجهز معهما هدية سنية جليلة المقدار فيها من الحيوان الغريب وجوده فى تلك البلاد خدام حبش وجوارى طباخات وزرافة وقرود وهجن وخيل عربية وحمير مصرية وحمير وحشية وغير ذلك ومشاعل فضة وشمعدانات فضة وحصر عبدانية وامتعة اسكندرانى وثياب من عمل دار الطراز وسكر نبات وبياض وغير ذلك مما لا يحصى كثرة وضمن الرسالة الدخول فى الايلية والطاعة وطلب المعاضدة على هولاكو على ان يكون له من البلاد التى توخذ من يده مما يلى الشام نصيب، فلما وصلوا القسطنطينية وجدوا الباسلوس كرميخائيل صاحبها غائبا فى حرب كانت بينه وبين الفرنج فلما بلغه وصولهم طلبهم فساروا اليه عشرين يوما فى عمارة متصلة واجتمعوا به فى قلعة اكشاثا فأقبل عليهم ووعدهم بالمساعدة ووافوا عنده رسلا من هولاكو فاعتذر عن تأخير توجههم لخوفه من اطلاع هولاكو على ما وصلوا بسببه ثم امرهم بالرجوع الى القسطنطينية والمقام بها حتى يعود ويجهزهم ولم يزل يمطلهم سنة وثلاثة اشهر فبعثوا اليه ان لم يمكنك المساعدة على توجهنا فلتأذن فى الرجوع فأذن للسيد عماد الدين بمفرده واعتذر من منعهم من التوجه لكونه بعيدا عن بلاده المجاورة لمملكة السلطان ركن الدين وأنه متى سمع انى مكنت صاحب مصر من التوجه الى بركة توهم انتقاض الصلح بينى وبين هولاكو فيسارع الى نهب ما جاوره

من بلادى و اما انا قريب منها حتى اذب عنها فعاد عماد الدين و تأخر
الفارس مدة سنتين حتى هلك اكثر ماكان الحيوانات و فسد غيرها .

و فى اثناء هذه المدة قصدت عساكر بركة القسطنطينية و اغارت
٧٣/ب على إطرافها و هرب الباسلوس من القلعة التى كان فيها الى القسطنطينية
و بعث بالفارس الى مقدم عسكر بركة يعلمه ان البلاد فى عهد الملك
الظاهر و صلحه و ان بركة فى صلح من صالحه و عهد من عاهده فطلب
منه ان يكتب له خطه بذلك فكتب وكتب ايضا انه يقيم باختياره
بمنع التوجه لانه انكر عليه طول المقام فرحل العسكر و استصحب
معه السلطان عزالدين وكان محبوسا فى قلعة من قلاع قسطنطينية
فأخرجوه منها كما تقدم ، ثم ان الباسلوس جهز الفارس الى بركة
و بعث معه رسولا من جهته برسالة ضمنها ان يقرر على نفسه مما يحمله
كل سنة ثلاثمائة ثوب اطلس على ان يكون معاهدا و مصالحا له و مدافعا
عن بلاده صاحب زعوراء فتوجه الفارس الى بركة ، فلما اجتمع به سأله
عن تأخره حتى هلك اكثر ماكان معه فاعتذر ان صاحب القسطنطينية
منعه فأخرج له خطه بما كتب لمقدم عسكره ثم قال انا ما أواخذك
لاجل الملك الظاهر وهو اولى من واخذك على كذبك و افساد
ما بعثه معك .

وكتب السلطان عزالدين الى الملك الظاهر يعرفه بما صدر عن
الفارس من التقصير وكونه رحل عسكر بركة عن صاحب القسطنطينية
بما اوهمه من كون البلاد فى عهد الملك الظاهر وكان قادرا على ان
يأخذ

يأخذ منه فى مقابلة ترحيله عنه قيمة (١) ما فسد من الهدية لاضطراره الى ذلك فلما قفل الفارس الى مصر و اجتمع بالسلطان نقم عليه ما فعله و قبض عليه و اخذ منه ماكان وصل معه من البضائع و قيمتها اربعون الف دينار وكان وصوله فى جمادى الآخرة سنة خمس و ستين .

و فيها خلق (٢) المقياس وكسر الخليج يوم الاثنين ثالث عشر شوال سنة احدى و ستين و انتهت الزيادة الى ثلاث عشرة اصبعا من ثمان عشر ذراعا وكان الملك الظاهر بالاسكندرية فخلف عنه الامير عزالدين ايدمر الحلبى نائب السلطنة بالقاهرة .

فصل

و فيها توفى

ريدا فرنس و اسمه لويس (٣) وهو من اجل ملوك الفرنج و اعظمهم قدرا و اوسعهم مملكة و اكثرهم عساكر و اموالا و بلادا وكان قصد ٧٤ / الف الديار المصرية و استولى على طرف منها و ملك دمياط فى سنة سبع و اربعين و اتفق موت الملك الصالح نجم الدين فقام بتدبير الامور و تقدمة العساكر الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ فاستشهد ثم حضر الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح فقتل على ما هو مشهور و قدر الله تعالى مع هذه الاسباب التى يوجب بعضها استيلاء الفرنج على الديار المصرية بجملتها بل على البلاد و بأسرها ثم ان الله تعالى خذل

(١) كذا فى اياصوفيا (١ / ٥٣٩) وفى الاصل « فنمه » خطأ (٢) كذا ولعله خلق
(٣) مثله فى الفوات وفى اياصوفيا (١ / ٥٤٩) « بولس » وفى النجوم « بواش» فحرره .

الفرنج و اهلكهم و رزق المسلمين النصر من حيث لم يحتسبوا فأسر ريدا فرنس و بقى اياما كثيرة بيد المسلمين ثم اطلق بعــد تسلم دمياط من الفرنج و توجه الى بلاده و فى قلبه ما فيه ممـا جرى عليه من ذهاب امواله ورجاله و أسره فبقى فى بلاده و نفسه تحدثه بالعود الى الديار المصرية و اخذ ثأره فجمع جموعا عظيمة و اهتم اهتماما كثيرا لذلك فى مدة سنين الى سنة ستين و ستمائة عزم على التوجه اليها فقيل له انك ان قصدت ديار مصر ربمـا يجرى لك مثل ما جرى فى المرة الاولى و الاولى ان تقصد تونس من بلاد افريقية وكان ملكها يومئذ محمد بن يحيى بن عبد الواحد (١) و يلقب المستنصر بالله و يدعى له عـلى منابر افريقية بالخلافة فانك ان ظهرت عليه و ملكت افريقية تمكنت من قصد الديار المصرية فى البر و البحر فاصغى الى هذا الرأى و قصد تونس فى عالم عظيم و نازلها وكاد أن يستولى عليها وكان معه جماعة من الملوك فاوقع الله تعالى فى عسكره وباء عظيما فهلك ريدا فرنس و جماعة من الملوك الذين معه بظاهر تونس فى هذه السنة و رجع من بقى منهم الى بلادهم بالخيبة ووصلت البشرى بذلك الى الملك الظـاهر ركن الدين رحمه الله فكتب الى سائر بلاده بها .

وكانت نوبة المنصورة المشار اليها من اعظم الوقائع و اجلها نصرالله فيها الاسلام و تداركه بلطفه و رحمته فلا بأس بشرح الحال فيها على ٧٤ ب وجه الاجمال فقد يقف على هذه الترجمة من لم يطلع على تفصيل الحال

(١) ايا صوفيا « عبدالوهاب » .

فى ذلك فتتوق نفسه الى الاطلاع عليه وكانت الفرنج جمعوا وحشدوا وقصدوا دمياط فى عدد عظيم وجماعة من ملوكهم فى سنة ثمانى عشرة وستمائة ونزلوا برّ دمياط ونازلوها وضايقوها قريب سنة ففنيت ازواد اهلها ومات اكثرهم فى الحصار من وباء حصل لهم فتسلموها والملك الكامل نازل بالمنصورة وما حولها ولا يمكنه مهاجمتهم لكثرتهم وشدة بأسهم، وكان نزول الفرنج قبالة دمياط يوم الثلاثاء ثانى شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة ثم نزلوا البر الشرقى يوم الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة من السنة المذكورة، واخذ الثغر المذكور يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة، واستعيد منهم ثغر دمياط المذكور يوم الاربعاء تاسع عشر شهر رجب سنة ثمانى عشرة وستمائة، ومدة نزولهم على دمياط وتملكهم لها والى ان انفصلوا عنها ثلاث سنين وثلاثة اشهر وسبعة عشر يوما .

ومن الاتفاق العجيب نزولهم عليها يوما الثلاثاء واحاطتهم بها يوم الثلاثاء وملكهم لها يوم الثلاثاء وقد جاء فى الآثار ان الله تعالى خلق المكروه يوم الثلاثاء، ولما ملك الفرنج دمياط قالوا هذه البلاد ليس لنا بها خبرة ولانعرف طرقها ومسالكها لا فى البر ولا فى البحر يعنون النيل وما ينبغى لنا ان نغرر بأنفسنا ونخرج الّا على بصيرة فاتفق رأيهم على ان جهزوا بعض ملوكهم الاكابر رسولا وكان خبيرا بالحروب فطنا مجربا وسيروا جميع من معه من الخدم والحاشية والغلمان وغيرهم خيالة من اعيان فرسانهم واولى البصائر منهم وقد غيروا زىّ الجميع

وكان مقصودهم ان يكشفوا البلاد ويسلكوها ويخبروا طرقها ليبقى لهم بذلك أنسه، فجاء الرسول الى الملك الكامل وقال له الملوك والمقدمون يسلموا عليك وقالوا مقصودهم القدس وانما قصدوا هذه البلاد ليأخذوها ويتوصلوا بها الى القدس فأنت تسلم اليهم القدس وتأخذ دمياط فأجابهم الى ذلك وعادوا بالجواب بعد ان اقاموا

٧٥ / الف عنده اياما وليس قصدهم الاكشف البلاد لاغير، ثم جاء رسول آخر بالشرح فى تقرير هذه القواعد واشتراطات تقتضى المراجعة وتكرر ترداد الرسل ولم يزالوا على هذا المنوال وكل رسول يحضر لا يعود بنفسه ولا احد ممن معه الى ان لم يبق من اعيانهم من لاحضر ورأى البلاد وخبرها حسبما امكن، فلما بلغوا مقصودهم من ذلك حضر رسول يطلب تسليم ما تقرر فقال الملك الكامل سيروا نوابكم يتسلموا القدس وسلموا لنا دمياط فقال الرسول والكرك قال الملك الكامل والله هذا ما سمعته الى الآن وبعد فالكرك ليست لى ولا يحكمى الكرك لأخى الملك المعظم ولو رمت ان اراها بعينى ما مكننى منها والقدس له ايضا ولكنى استطلقه منه فانفصلوا على غير شىء وقد حصل مقصود الفرنج من رؤية البلاد وكشفها بهذه الحيلة .

وقال الشيخ شمس الدين ابو المظفر لما اخذت دمياط كان الملك المعظم عند الملك الكامل فبكيا بكاء شديدا وتأخرت العساكر عن تلك المنزلة ثم قال الكامل للمعظم قد فات ما ذع (١) وجرى المقدور بما

(١) كذا .

هو كائن و ما فى مقامك هاهنا فائدة و المصلحة ان تنزل الى الشام تشغل
خواطر الفرنج و تستجلب العساكر من الشرق فعاد الى الشام و نازل
قيسارية و فتحها عنوة و فتح غيرها من حصون الفرنج و هدمه و عاد
الى دمشق بعد ان اخرب بلاد الفرنج، وكان الملك الكامل كثير الحزم
و التثبت و التأنى لايرى المخاطرة و المناقشة مالم يكن على ثقة من
قوته و يغلب على ظنه الظفر غلبة تقرب من اليقين فسير الى اخوته
الملك الاشرف و الملك المعظم يستنجد بهم لمجاؤه بالعساكر، فلما بلغ الفرنج
ذلك ضعفت انفسهم و قالوا نحن جئنا نقاتل الملك الكامل و فيناله
و لعسكره (١) اما اذا اجتمع هو و اخوته فلا و اتفق ان الفرنج
ارادوا مناجزته قبل وصول النجد فخرجوا بفارسهم و راجلهم و ارسوا
الى بعض الترع وكان النيل زائدا جدا ففتح المسلون عليهم الترع
من كل مكان و احدقت بهم عساكر الملك الكامل وهم فى الوحل
لايقدرون على السلوك ولم يبق لهم وصول الى دمياط و جاء اسطول
المسلمين فأخذوا مراكبهم و منعهم من ان تصل اليهم ميرة من دمياط
وكانوا خلقا عظيما و انقطعت اخبارهم عن دمياط وكان فيهم مائة ٧٥/ب
كند (٢) و ثمانى مائة من الخيالة المعروفين و ملك عكا و نائب البابا
و جماعة من الملوك و من التركبلية و الرجالة ما لا يحصى، فلما عاينوا
الهلاك ارسلوا الى الملك الكامل يطلبون منه الصلح و الرهائن و يسلمون

(١) كذا و لعله سقط «قوة» او نحوه (٢) الرئيس عند الفرنج - ك.

دمياط فقال الملك الكامل للرسول ما افعل اصالحهم وهم فى قبضتى واخذهم برقابهم فقال له الرسول وكان من ملوكهم ماكأنك تدرى ما تقول هؤلاء ملوك الفرنج وفرسانهم وشجعانهم يسلمون (١) انفسهم اليك الآبعد ان يقتل كل واحد منهم واحدا من عسكرك اوكل اثنين واحدا اوكل ثلاثة واحدا اوكل اربعة واحدا اوكل خمسة واحدا، فاذا قتلوا من عسكرك بمقدار خمسهم من يبقى معك فعلم الملك الكامل ان الصواب معه مع ماكان يراه من المسالمة وعدم المغافصة والمخاطرة فأجابهم الى الصلح، ووصل الملك الاشرف والملك المعظم فى ذلك الوقت جرائد على البريد والعساكر متقطعة وراءهم فطلبوا من الملك الكامل رهائن ليسلموا دمياط ويحضر عنده ملوكهم ونصّوا على الملك الاشرف فى الرهينة فقال الملك الكامل الملك الاشرف اكبر منى قدرا واكثر بلادا وقلاعا وعساكر وقد ترك مملكته وجاء بنفسه لنصرتى كيف يسعنى ان اخاطبه فى مثل ذلك ولكن انا اسيرلكم ولدى وابن اختى فسيرلهم الملك الصالح نجم الدين وابن اخته شمس الملوك، وجاء سائر ملوكهم الى الملك الكامل فالتقاهم وانعم عليهم وضرب لهم الخيام وجلس لهم مجلسا عظيما فى خيمة عالية ودهليز هائل واعد سماطا عظيما واحضر ملوك الفرنج وكنودهم واعيانهم ووقف الملك الاشرف والملك المعظم فى خدمته وقام شرف الدين راجح الحلى الشاعر (٢) فأنشد

(١) لعله سقط لفظ « لا »(٢) هو راجح بن اسماعيل توفى سنة ٦٢٧ - ك، وراجع الفوات (ج ١ ص ٢١٨) بحو اشيها .

قصيدة امتدحه بها من جملتها :

هنيئا فان السعد راح مخلدا و قد انجز الرحمن بالنصر موعدا

حبانا اله الخلق فتحا بدا لنا مبينا و انعاما و عزّا مؤبدا ٧٦/ الف

تهلل وجه الدهر بعد قطوبه و اصبح وجه الشرك بالظلم اسودا

و لما طغا البحر الخضم بأهله الـ طغاة و اضحى بالمراكب مزبدا

اقام لهذا الدين من سل عزمه صقيلا كما سل الحسام مجردا

فلم ينج الاّ كل شلو مجدل ثوى منهم أمن تراه مقيدا

ونادى لسان الكون فى الارض رافعا عقيرته فى الخافقين و منشدا

أعباد عيسى ان عيسى و حزبه و موسى جميعا يخدمون محمدا

من أبيات ،

و وقع الصلح بين الملك الكامل و الفرنج يوم الا ربعاء تاسع عشر شهر رجب و سار بعض الفرنج فى البر و بعضهم فى البحر الى عكا و تسلم الملك الكامل دمياط و وصلت العساكر الشرقية و الشامية بعد تسلم دمياط، فهذه خلاصة نوبة دمياط الاولى .

و ذكر القاضى جمال الدين محمد بن واصل ان الفرنج نازلوها سنة خمس عشرة و ملكوها سنة ست عشرة و ستمائة و الاصح ان الواقعة سنة ثمانى عشرة و ستمائة و الله اعلم، و اما نوبة دمياط الآخرة فان ريدا فرنس مقدم الا فرنسيسية من الفرنج و هو المشار اليه فى اول هذه الترجمة خرج من بلاده فى جموع عظيمة طامعا فى الديار المصرية و تملكها و شتا بجزيرة قبرص سنة ست و اربعين، وكان اعظم ملـوك الفرنج

واشدهم بأسا متدينـا بدين النصرانية مرتبطا به لخدمته نفسه ان يستعيد البيت المقدس وعلم ان ذلك لايتم له الا بتملك الديار المصرية فقصدها سنة سبع واربعين وكان جمعه يزيد على خمسين الف وقيل كان يزيد على مائة الف بكثير، وبلغ الملك الصالح نجم الدين ما عزم عليه من قصد الديار المصرية فأخذ فى جمع الذخائر والاقوات والزرد خاناة وآلات الحرب بدمياط واستكثر من ذلك وهيأ الشوانى بالصناعة وعمرهـا بالرجال والعدد وامر الامير فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ ان ينزل على جيزة دمياط فى العساكر مقدما عليها فنزل بها وبينه وبين ٧٦/ب دمياط بحر النيل، واقام الملك الصالح بأشمون طناح فلما كان ثانى ساعة من نهار الجمعة لتسع بقين من صفر سنة سبع واربعين وصلت مراكب الفرنج وفيها جموعهم العظيمة وقد انضم اليهم فرنج السـاحل فأرسوا بازاء المسلمين .

وفى يوم الجمعة ثانى يوم نزولهم شرعوا فى الخروج الى البر الذى فيه المسلمون وضربت خيمة عظيمة حمراء لريدا فرنس وناوشهم بعض المسلمين فاستشهد فى ذلك اليوم الوزيرى وهو من امراء الديار المصرية والامير نجم الدين بن شيخ الاسلام وكان رجـلا صالحـا رحمهما الله، فلـما امسى المسلمون رحل بهم الامير فخر الدين وقطع بهم الجسر الى البر الشرقى الذى فيه دمياط وخلا البر الغربى للفرنج ثم رحل بالعساكر طالبا اشمون طناح وخـلا البر الشرقى والغربى من عساكر المسلمين فخاف اهل دمياط على انفسهم وكان بها جماعة شجعان

من

من الكنانية فألقى الله فى قلوبهم الرعب فخرجوا هم واهل دمياط على
وجوههم طول الليل ولم يبق بدمياط احد البتة، ورحلوا تحت الليل
مع العسكر هاربين الى اشمون طناح ولوغلقوا ابوابها واقاموا بها مع
مشيئة الله لم يقدر العدو عليها ولما كان صباح الاحد جاء الفرنج
الى دمياط فوجدوها صفرا من الناس وابوابها مفتحة فملكوها صفوا
عفوا واحتووا على ما فيها من العدد والاسلحة والذخائر والاقوات
والمجانيق، فلما وصلت العساكر واهل دمياط الى الملك الصالح حنق على
الكنانيين فشنقهم جميعهم وكان فيهم شيخ له ابن فسأل ان يشنق قبل
ولده لئلا يراه فحمل الملك الصالح ما عنده من الجبروت وقلة الرحمة
والحنق على ان شنق الولد قبل والده وعينه تراه ثم شنق والده
بعده وعظم على الناس شنق الكنانيين واطلقوا ألسنتهم بسب الملك
الصالح وكونه تزود بدمائهم وهو فى آخر رمق وقد يئس من نفسه
ولم يمكنه ان يقول للامير فخر الدين وبقية العسكر شيئا لقوة مرضه
وعجزه، ثم رحل الملك الصالح بالعساكر الى المنصورة وهى شرقى النيل ٧٧ / الف
فنزل بقصرها الذى انشأه الملك الكامل بها وضرب دهليزه الى جانبه
وكان استقراره بالمنصورة يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر وشرعت
العساكر فى تجديد الأبنية وقامت بها الاسواق واصلح السور الذى
كان على البحر وستر بالستائر وجاءت الشوانى (١) والحراريق (٢)

(١) هى المراكب المعدة للجهاد فى البحر (٢) هى من السفن البحرية ايضا وفيها
مرامى نيران يرمى بها العدو .

بالعدد الكاملة و المقاتلة فأرسوا قدّام السور و حضر من الرجالة والغزاة المطوعة و العربان من سائر النواحى خلق لا يحصون و شرع العربان فى الاغارة على الفرنج و حصن الفرنج اسوار دمياط و شحنوها بالمقاتلة و فى كل وقت يحضر المسلمون جماعة اسرى من الفرنج و اتفقت وفاة الملك الصالح فى حدود منتصف شعبان سنة سبع و اربعين، فلماتحقق الفرنج موته رحلوا بجملتهم من دمياط و شوانيهم تحاذيهم فى البحر و نزلوا على فارس كور ثم تقدموا منها مرحلة، و ذلك يوم الخميس لخمس بقين من شعبان، و لما كان يوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان وقع بين المسلمين و الفرنج وقعة استشهد فيها جماعة من الجند و غيرهم. و فى يوم الاحد عشر شهر رمضان وصلت الفرنج طرف جزيرة دمياط و هى المنزلة التى نزلوها فى ايام الملك الكامل و انتصر المسلمون عليهم فيها و المسلمون قبالة الفرنج و بينهم النيل و خندق الفرنج على انفسهم و اداروا عليهم سورا و ستروه بالستائر و نصبوا المجانيق يرمون بها المسلمين و أرست شوانيهم بازائهم فى النيل و شوانى المسلمين بازاء المنصورة و نشب القتال بين الفريقين برا و بحرا، وكل يوم يقتل من الفرنج و يؤسر جماعة و فى يوم الاربعاء لسبع مضين من شوال اخذ المسلمون من الفرنج شينيا(١) فيه مائتا رجل وكند كبير، و فى يوم الخميس منتصف شوال ركبت الفرنج والمسلمون و دخل المسلمون الى برهم و اقتتلوا قتالا شديدا فقتل من الفرنج اربعون فارسا، و فى يوم الخميس لثمان بقين من شوال احرق ٧٧ ب

(١) لعله شونة .

المسلمون للفرنج مرمّة عظيمة فى البحر واستظهر عليهم المسلمون استظهارا بينا .

ومن غريب ما حكى ان شخصا من المسلمين دخل عسكرهم ومعه فرس يقصد بيعه عليهم فمرّ بشخص فى خيمة وبين يديه جماعة غلمان فطلبه اليه وقال له بلسان ترجمانه تبيع هذا الفرس قال نعم فقال لغلامه خذه منه فأخذه واحضر جرابين ملأ نه دراهم ففرغها (١) بين يديه وقال له خذ ثمن فرسك قال ما الذى آخذ قال خذ ما تختار الى ان ترضى، فأخذت قريب خمسة الآف درهم ولعل فرسه لايساوى ثمانى مائة درهم فقال رضيت قال نعم قال اذهب بمالك فلما ابعد رده وقال له نحن قد خرجنا من هذا البحر ومعنا دراهم كثيرة وذهب كثير مالنا به حاجة وما معنا خيل ونحن محتاجون (٢) الى الخيل فمن احضر الينا فرسا حكمناه فى الثمن كما رأيت فخرج ذلك الرجل من عندهم، واشهر هذا الامر بين العربان والتركمان وغيرهم فجلب اليهم من الخيول بهذه الطريق فوق حاجتهم واشتروها بما اختاروا من الثمن فان الخروج من عسكرهم بفرس خطر جدا والدخول اسهل فما يبقى بعد الدخول بالفرس الى عسكرهم الا بيعه ولو بأقل الاثمان، ولما كان بكرة الثلاثاء خامس ذى القعدة ركب الفرنج ونزلوا بخيولهم فى مخاضة سلمون ببحر أشمون دلهم عليها بعض المفسدين وكبسوا عسكر المسلمين فلم يشعر بهم المسلمون الا وقد خالطوهم وكان الامير فخر الدين فى الحمام فأتاه الصريخ فركب

(١) لعله ملآنين . . . ففرغهما (٢) الاصل « محتاجين » - ك .

دهشا غير معتد ولا متحفظ فصادفه جماعة من الفرنج فاستشهد الى رحمة الله تعالى، ودخل ريدافرنس المنصورة ووصل الى قصر السلطان الذى على البحر وتفرقت الفرنج فى أزقة المنصورة وهرب كل من فيها من الجند والعامة والسوقة يمينا وشمالا وكادت شأفة الاسلام تستأصل وايقن الفرنج بالظفر واشتد الامر واعضل الخطب فانتدب لهم جماعة ٧٨/الف من فرسان المسلمين واولى البصائر وحملوا عليهم حملة رجل واحد فزعزعوا أركانهم واخذتهم السيوف فقتل منهم خلق كثير قريب الفى(١) وخمس مائة من فرسانهم وصناديدهم وشجعانهم ولولا ضيق مجال القتال لا ستؤصلوا ومضى من سلم الى مكان يقال له جديلة واجتمعوا به ودخل الليل فضربوا عليهم سورا وخندقا واقامت طائفة بالبر الشرقى، وكانت هذه الواقعة مقدمة النصر وورد المنهزمون من المسلمين آخر النهار من ذلك اليوم الى القاهرة ولا علم لهم بما تجدد من النصر واخبروا بما شاهدوا من هجوم الفرنج المنصورة فانزعج الناس، فلما طلعت الشمس من يوم الاربعاء وردت البشرى بالنصر وزين البلدان وعظم السرور .

ولما استقر الفرنج بمنزلتهم كانت الميرة تأتيهم من دمياط فى النيل فعمد المسلمون الى مراكب شحنوها بالمقاتلة وكانوا قد حملوها على الجمال الى بحر المحلة والقوها فيه وفيه ماء من ايام زيادة النيل واقف لكنه متصل بالنيل فلما حاذت مراكب الفرنج وهى مقلعة من دمياط بحر

(١) الاصل « الفا » - ك .

المحلة و فيه المراكب المكمنة للسلمين خرجت عليها المراكب من بحر المحلة و وقع القتال بين الفريقين و جاءت اساطيل المسلمين منحدرة من جهة المنصورة والتقى الاسطول والمراكب المكمنه و احاطوا بهم و قبضوهم اخذا باليد، وكانت عــدة المراكب المأخوذة من الفرنج اثنين و خمسين مركبا و قتل و اسر ممن فيها نحو الف رجل و اخذ ما فيها من الميرة ثم حملت الاسرى على الجمال وقدم بهم العسكر و انقطعت الميرة بسبب ذلك عن الفرنج و وهنوا وهنا عظيما هذا و حجارة مجانيقهم تقع الى جهة اساطيل المسلمين، وكان يوما مشهودا اعز الله فيه الاسلام و اوهى قوى اهل الشرك و اشتد من يومئذ عندهم الغلاء و عدمت الاقوات و بقوا محصورين لا يستطيعون المقام و لا الذهاب و طمع فيهم المسلمون .

و فى مستهل ذى الحجة اخذ الفرنج من مراكب المسلمين التى ٧٨/ ب فى بحر المحلة سبع حراريق و هرب من بها من المسلمين .

و فى يوم عرفة تاسع ذى الحجة خرجت شوانى المسلمين عــلى مراكب وصلت للفرنج تحمل الميرة فالتقوا عند مسجد النصر فأخذت شوانى المسلمين من مراكب الفرنج اثنين و ثلاثين مركبا منها تسع شوانى فازداد عند ذلك ضعف الفرنج ووهنهم و قوى الغلاء عندهم و شرعوا فى مراسلة المسلمين و طلب الهدنة و ان يسلموا ثغر دمياط عــلى ان يأخذوا عوضه بيت المقدس و بعض الساحل فلم تقع الاجابة الى ذلك .

و فى يوم الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة احرقت الفرنج اخشابهم كلها و افنوا مراكبهم و عزموا على الهرب الى دمياط و دخلت سنة

ثمان و اربعين و هم على ذلك، فلما كانت ليلة الاربعاء لثلاث مضين من المحرم رحلوا بفارسهم و راجلهم الى دمياط ليمتنعوا بها و اخذت مراكبهم فى الانحدار فى النيل قبالتهم فعدا المسلمون الى برهم و ركبوا اكتافهم و اتبعوهم و طلع الصباح من يوم الاربعاء المذكور و قد احاط بهم المسلمون و اخذتهم سيوفهم و استولوا عليهم قتلا و اسرا ولم يسلم منهم الا الشاذ فبلغت عدة القتلى يومئذ ثلاثين الفا، و انحاز الملك ريدا فرنس و الاكابر من اصحابه و الملوك الى تل هناك فوقفوا مستسلمين طالبين الامان فاتاهم الطواشى محسن الصالحى فأمنهم فنزلوا على أمانه و احتيط عليهم و مضى بريدا فرنس و بهم الى المنصورة وضرب فى رجل ريدا فرنس القيد و اعتقل فى الدار التى كان نازلا بها فخر الدين ابراهيم ابن لقمان كاتب الانشاء و وكل به الطواشى جمال الدين صبيح المعظمى و فى هذا الواقعة يقول جمال الدين يحيى بن مطروح (١) رحمه الله:

قل للفرنسيس اذا جئته مقال حق (٢) عن قوول فصيح
آجرك الله على ما جرى من قتل عباد يشوع (٣) المسيح
اتيت (٤) مصرا تبتغى ملكها تحسب ان الزمر ياطبل ريح
فساقك الحين الى ادهم ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اوردتهم بحسن تدبيرك بطن الضريح (٥)

(١) كثر انشاد هذه الابيات وهى فى ديوانه طبعة الاستانة (ص ١٨١) (٢) ديوان مقال صدق - ك (٣) ديوان على مامضى .... يسوع - ك (٤) ديوان قد جئت - ك (٥) هذا البيت ليس فى الديوان - ك .

خمسون الفا لايرى منهم الا قتيل او اسير جريح
وفقك الله لأمثالها (١) لعل عيسى منكم يستريح
ان كان باباكم بذا راضيا فرب غش (٢) قدأتى من نصيح
و قل لهم ان اضمروا عودة لأخذ ثأر او لقصد صحيح (٣)
دار ابن لقمان على حالها (٤) والقيد باق و الطواشى صبيح

و لما جرى ذلك رحل الملك المعظم توران شاه و العساكر الى جهة دمياط و نزل بفارس كور و هو متراخ (٥) عن قصد دمياط و انتزاعها و سير البشائر الى سائر البلاد بما تسنى هذا النصر العظيم، و اتفق قتل المعظم على الصورة المشهورة فلاحاجة الى شرحه و الامر على ذلك و استقر فى الاتابكية و تقدمة العساكر الامير عزالدين ايبك التركمانى كما تقدم فى ترجمته و السلطنة لشجرة الدر و شرعوا فى الحديث مع ريدا فرنس فى تسليم دمياط الى المسلمين وكان المتحدث معه الامير حسام الدين بن ابى على (٦) باتفاق الاتابك والامراء عليه فجرى بينه و بين ريدا فرنس محاورات و مراجعات حتى وقع الاتفاق على تسليم دمياط و ان يذهب بنفسه و من معه من الملوك و الاكابر سالمين، و حكى الامير حسام الدين عنه انه كان فطنا عاقلا حازما قال حسام الدين قلت له فى بعض محاورتى له كيف خطر للملك مع ما ارى

---

(١) ديوان «فرد كالله الى مثلها» - ك (٢) ديوان فرب غبن - ك (٣) هاهنا زيادة بيت فى الديوان - ك (٤) ديوان على عهدها - ك (٥) الاصل متراخيا (٦) هو ابو على بن ابى محمد بن على الهذبانى - ك، وقد تقدمت ترجمته فى حوادث سنة ٦٥٨ .

من عقله و فضله و صحة ذهنه ان يقدم على خشب ويركب متن هذا البحر و يأتى الى هذه البلاد المملوءة من عساكر الاسلام و يعتقد انه يحصل له تملكها و فيما فعل غاية التغرير بنفسه واهل ملته فضحك و لم يحر جوابا فقلت له قد ذهب بعض فقهاء شريعتنا ان من ركب البحر مرّة بعد اخرى مغررا بنفسه و ماله انه لايقبل شهادته اذا شهد لأنه يستدل بذلك على ضعف عقله و من كان ضعيف العقل لا تقبل شهادته فضحك و قال لقد صدق هذا القائل وما قصر فيما حكم به ،

٧٩/ب و لما وقع الاتفاق على تسليم دمياط ارسل ريدا فرنس الى من بها من الفرنج يأمرهم بتسليمها الى المسلمين فأجابوا بعد امتناع و مراجعات بينه و بينهم ودخل السنجق السلطانى دمياط يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر سنة ثمان و اربعين ورفع على سورها و اعلن بها بكلمة الاسلام، و افرج عن ريدا فرنس و انتقل هو و اصحابه الى الجانب الغربى ثم ركب البحر غد هذا اليوم و اقلع هو و اصحابه الى عكا و اقام بالساحل مدة وعمر قيسارية ثم رجع الى بلاده، وكانت هذه النصرة اعظم من النصرة الاولى التى كانت فى الايام الكاملية لكثرة من قتل منهم و اسر فى هذه المرّة لله الحمد والمنة .

و اذ قد جرى ذكر الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ فلا بأس بالتنبيه عليه كان رحمه الله اميرا كبيرا جليل المقدار عالى الهمة فاضلا عالما متأدبا جوادا سمحا ممدحا خليقا بالملك لما فيه من الاوصاف الجميلة التى قلّ مشاركه فيها وكان كريما الى الغاية كبير النفس شجاعا

حسن

حسن التدبير و السياسة محبوبا الى الخاص و العام مطاعا فى الجند و غيرهم تعلوه الهيبة والوقار و امه و ام اخوته ابنة شهاب الدين المطهر بن الشيخ شرف الدين ابى سعد عبد الله بن ابى عصرون، وكانت ارضعت الملك الكامل فكان اولادها الاربعة اخوته من الرضاعة وكان يحبهم و يعظمهم ويرعى جانبهم ويقدمهم كثيرا خصوصا الامير فخر الدين فانه لم يكن عنده احد فى مكانته لا يطوى عنه سرا و يعتمد عليه فى سائر اموره و يثق به وثوقا عظيما و يسكن اليه ظاهرا و باطنا و نال الامير فخر الدين و اخوته من السعادة ما لا ناله غيرهم، و لما ملك الملك الصالح نجم الدين البلاد اعرض عن الامير فخر الدين و اطرحه و اعتقله ثم افرج عنه و امره بلزوم بيته ثم الجأته الضرورة الى ندبه فى المهمات لما لم يجد من يقوم مقامه فجهزه الى بلاد الملك الناصر داود رحمه الله فأخذها على ما تقدم و لم يترك بيده سوى مسور الكرك ثم جهزه لحصار حمص ثم ندبه لمقاتلة الفرنج فاستشهد على ما ذكرنا، وكان الامير فخر الدين ٨٠/ الف معمما فى اول امره فالزمه الملك الكامل ان يلبس الشربوش و زى الجند فأجابه الى ذلك فأقطعه منية السودان بالديار المصرية ثم طلب منه ان ينادمه فأجابه الى ذلك فأقطعه شبرا فقال ابن البطريق الشاعر :

على منية السودان صار مشربشا ... واعطوه شبرا عند ما شرب الخمرا

فلوملكت الفرنج(١)مصر وانعموا ... عليه ببيوس تنصر للاخرى

وقال فيه و فى عماد الدين (٢) اخيه وكان يذكر الدرس بالمدرسة التى

---

(١) البيت كما تراه فلعل صوابه فلو ملك الافرنج (٢) هو عمر بن محمد بن عمر الجوينى قتل سنة ٦٣٦ - ك .

الى جانب ضريح الشافعى رضى الله عنه :

ولد الشيخ فى العلوم وفى الامــــرة بالمال وحده والجاه

فأمير ولا قبال (١) عليه وفقيه والعــلم عند الله

وقال فى عماد الدين:

جاءنى الشافعى عند رقادى وهو يبكى بحرقــة وينادى

عمر (٢) قبتى لعمرى ولكن هــدموا مذهبى بفقه العماد

وقال فيهم ابن عنين (٣) :

اولاد شيخ الشيوخ قالوا ألقابنا كلها محال

لا فخر فينا ولا عماد ولا معين (٤) ولا كمال

ولقد قالا غير الحق فان اولاد الشيخ رحمهم الله كانوا سادات زمانهم وكان لهم مع الاقطاعات مناصب دينية منها المدرسة التى بالقرافة الى جانب قبة الشافعى رحمة الله عليه، ومنها المدرسة التى الى جانب مشهد الحسين رضى الله عنه بالقاهرة ومنها خانكاة سعيد السعداء بالقاهرة، ولم تزل هذه المناصب بايديهم الى ان ما تواكلهم وكانت بعد ذلك لولدى عماد الدين وكمال الدين مدة ثم انتزعت منهما ولم يكن للامير فخر الدين الابنت واحدة وكان الامير فخر الدين ينظم ومن شعره :

(١) كذا (٢) لعله عمروا (٣) هو ابو المحاسن محمد بن نصر الدين الدمشقى المتوفى سنة ٥٤٩ كما فى دائرة البستانى (ج١ص ٢٢٠) (٤) هو الحسن بن محمد بن عمر توفى سنة ٦٤٣ ــ ك .

عصيت هوى نفسى صغيرا فعندما رمتنى الليالى بالمشيب و بالكبر
اطعت الهوى عكس القضية ليتنى خلقت كبيرا وانتقلت الى الصغر

و له:

اذا تحققتم ما عند صاحبكم من الغرام فذاك القدر يكفيه
انتم سلبتم فؤادى وهو منزلكم وصاحب البيت ادرى بالذى فيه ٨٠/ب

و قال فى مملوك له توفى:

لا رغبة فى الحياة من بعدك لى يا من بيعاده تدانى اجلى
ان متَّ ولم امت اسىً واخجلى من عتبك لى فى يوم عرض العمل

وكان قدم دمشق فنزل فى دار أسامة وكان يعانى الشراب فدخل عليه الشيخ عماد الدين بن النحاس (١) وكان يدل عليه و له عنده مكانة كبيرة و قال له يا فخر الدين الى كم تشير (٢) الى تناول الشراب فقال له يا عماد الدين و الله لأسبقنك الى الجنة ان شاء الله تعالى فكان و الله اعلم كما قال استشهد فخر الدين فى سنة سبع واربعين و توفى عماد الدين فى سنة اربع وخمسين و قد ذكرناه هناك وكان الامير فخر الدين يوم استشهد ست و ستون سنة رحمه الله وكان قد رأى قبل مقتله بايام والدته فى المنام وهى تقول له قد اوحشتنى وحملته على كتفها فاستشعر من ذلك فقتل ثم حمل من المعركة بقميص واحد وجعل فى حراقة الى القاهرة وحمل من المقياس الى الشافعى رضى الله عنه فدفن عند والدته وبكى عليه الناس وكان يوما مشهودا وعمل له العزاء العظيم

---

(١) هو ابو بكر عبدالله بن الحسن بن الحسين توفى سنة ٦٥٤ - ك (٢) لعله يشير.

رحمه الله تعالى ورثاه غير واحد فممن رثاه الصاحب جمال الدين يحيى
ابن مطروح (١) قال :

أابا المظفر يوسف بن محمد اودى مصابك بالندى و السودد
آليت لا انساك ما هب الصبا حتى اوسد فى صفيح الملحد

و منها :

فتكوا (٢) يوم الثلاثا فتكة فجع الخميس بها وكل موحد
و خلا الندىّ من المكارم و العلا بخلوه من مثل ذاك السيد
قل ما بدالك ياحسود فطالما فقأت معاليه عيون الحسد
فعليك منى ما حييت تحية كالمسك طيبة تروح وتغتدى

وقال لما بلغه نعيه :

فض فما نعى لنا (٣) يوم الخميس يوسفا
/٨١ الف وا أسفى من بعده على العلا وا أسفا

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور
ابن رافع بن حسن ابن جعفر ابوالفرج عز الدين المقدسى الدمشقى
الحنبلى و مولده فى ربيع الآخر سنة اثنتين و ستمائة وكان عالما فاضلا
صالحا ثقة حسن الطريقة له رحلة سمع فيها من جماعة من المتأخرين
و هو من بيت الحفظ و الحديث و انتفع به جماعة و جده الامام الحافظ
ابومحمد عبد الغنى (٤) المشهور صاحب التصانيف النافعة و العلوم الواسعة

(١) لم اجد هذه المرثية فى ديوانه المطبوع بالاستانة (٢) كذا و لعله سقط «به»
(٣) كذا (٤) توفى سنة ٦٠٠ ـ ك .

وكانت وفاة عزالدين المذكور فى النصف من ذى الحجة بجبل قاسيون ودفن به رحمه الله .

عبد الرحمن بن ابى الليث بن عيسى بن ابى الليث تقى الدين الحموى توفى بحماة فى سابع عشرى ربيع الآخر من هذه السنة ولم يبلغ من العمر خمسين سنة وكان من اولاد المشايخ حسن الطريقة رضى الافعال وله زاوية بجامع حماة مشرفة على نهر العاص وهى من احسن الاماكن وانضرها يرد عليها الفقراء وغيرهم ووالده الشيخ ابو الليث رحمه الله من الصلحاء الاعيان وهو من جملة اصحاب سيدنا الشيخ عبد الله اليونينى الكبير رحمه الله ومن المنتمين اليه .

عبد الرزاق بن رزق الله بن ابى بكر بن خلف ابو محمد عز الدين(١) المحدث الرسعنى مولده يوم الاحد بين الظهر والعصر الثالث والعشرين من شهر رجب سنة تسع وثمانين وخمسمائة برأس عين وتوفى ليلة الجمعة عشاء الآخرة المسفرة من ثانى عشر ربيع الآخر هذه السنة بسنجار ودفن بظاهرها شرقى البلد سمع وحدث وكان فاضلا عالما اديبا شاعرا جميل الاوصاف رئيسا من صدور تلك البلاد واعيان اهلها وكانت له مكانة عند بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وغيره ومن شعره :

يا من يريا كل وقت وجهه بشرا ويبدى كفه معروفا
اصبحت فى الدنيا سريا بعد ما امسيت فيها بالتقى معروفا ٨١/ب

وقال :

نعب الغراب فدلنا بنعيبه أن الحبيب دنا أوان مغيبه

---

(١) له ترجمة فى البداية (ج ١٣ ص ٢٤١).

ياسائلى عن طيب عيشى بعدهم جدلى بعيش ثم سل عن طيبه

وقال :

ولو ان انسانا يبلغ لو عتى وشوقى واشجانى الى ذلك الرشأ
لاسكنته عينى ولم ارضها له ولولا لهيب القلب اسكنته الحشا

على بن شجاع بن سالم بن على بن موسى بن حسان بن طوق (١) واسمه عبيد الله بن سند بن على بن الفضل بن على بن عبد الرحمن بن على بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابو الحسن كمال الدين العباسى الضرير المصرى الشافعى المقرئ مولده فى سابع شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بالمعتمدية قرية من قرى الجيزية قرأ القرآن بالروايات وتفقه وقرأ الادب والنحو وسمع الكثير من جماعة من اهل البلاد والقادمين عليه وحدث بالكثير مدة وتصدر بالجامع العتيق بمصر وبمسجد موسك بالقاهرة مدة لاقراء القرآن الكريم فقرأ عليه جماعة كثيرة وانتفع الناس به انتفاعا كثيرا واليه انتهت رياسة الاقراء بالديار المصرية وكان احد الائمة المشهورين والفضلاء المذكورين مع ما جبل عليه من حسن الخلق ولين الجانب وكثرة التواضع وتوفى بالديار المصرية فى سابع ذى الحجة ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله .

محمد بن احمد بن عنتر ابو عبد الله شرف الدين [السلمى -] (٢) الدمشقى كان من اعيان اهل دمشق وعدولها واولى الثروة بها وولى الحسبة بها

(١) له ترجمة عند ابن الجزرى (١/ ٥٤٤) - ك (٢) من البداية (ج ١٣ ص ٢٤١) .

فى

فى ايام التتر فطلب لذلك الى الديـــار المصرية فادركته المنية بها فى اوائل صفر رحمه الله .

محمد بن احمد بن الموفق بن جعفر ابو القاسم علم الدين الاندلسى المرسى اللورقى (١) مولده سنة خمس و سبعين و خمسمائة سمع من عبدالعزيز ابن الاخضر (٢) و أبي اليمن الكندى و غيرهما و اشتغـــل بالقرآت والنحو و العربية و برع فى ذلك و شرح كتاب المفصل و مقدمة الجزولى و قصيدة الشاطبي وكان اماما عالما فاضلا احد المشايخ الصلحاء الجامعين ٨٢ / الف بين العلم و العمل وكانت وفاته فى سابع شهر رجب بدمشق و دفن من الغد بمقابر باب توما رحمه الله وكان يسمى القاسم ايضا .

محمد بن عبد الرحيم بن .... (٣) ابو عبد الله شهاب الدين المعروف بابن الضياء و يعرف بأجير البهاء كاتب الشروط كان قـــد فاق كتّاب عصره فى ذلك وكان الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله يفضله فى ذلك على غيره فصار له بذلك شأن عظيم و هو اخذ هذه الصناعة عن الشريف بهاء الدين عبد القاهر بن عقيـل العباسى رحمه الله لكنه فاق عليه و توفى فى السابع و العشرين من شهر رجب هذه السنة بدمشق و لم يكن يشهد على الحكام ولا يتعاطى ذلك لاستغنائه بصناعته وبما يتحصل له من الأجر الوافرة قيل انه كان يكتب فى اليوم الواحد ما يتحصل له فيه من الاجرة فوق المائة درهم و لعل هذا كان يقع له

---

(١) مثله فى الشذرات وهو الصواب وفى البداية (ج ١٣ ص ٢٤١) «البورقى»

(٢) توفى سنة ٦١١ ـ ك (٣) بياض فى الاصل ـ ك .

فى غالب الاوقات و مات و هو فى عشر الستين رحمه الله تعالى .

محمد بن نصر الله بن المظفر بن اسعد بن حمزة بن اسد بن على ابن حمزة ابو الفضل جمال الدين التميمى الدمشقى المعروف بابن القلانسى مولده بدمشق فى ذى الحجة سنة ست و ستمائة سمع من ابى اليمن الكندى وغيره وحدث هو وغير واحد من اهل بيته وكان من العدول الرؤساء الاعيان و من اولى الثروة والوجاهة بدمشق و توفى فى الرابع والعشرين من جمادى الاولى و دفن بسفح قاسيون رحمه الله .

الياس بن عيسى بن محمد الاربلى الشيخ الصالح الفاضل كان مقيما بدمشق و اكثر نهاره بالجامع فى رواق الحنابلة وكان على ذهنه من الحكايات والنوادر والوقائع شىء كثير من حسن الحديث والمحاضرة وكان مليح الشكل ظريفا لطيفا وكان والدى رحمه الله يحبه و يؤثر سماع حديثه فكان لا يكاد يفارقه اذا كان والدى بدمشق وله على والدى رسم من النفقة يسيره اليه فى كل سنة وكان يجلس عليه (١) الاعيان والصدور لصلاحه وحسن شكله وسمته وحديثه ثم سكن جبل قاسيون ٨٢/ب فى آخر عمره وبه توفى فى ثالث عشر شعبان وهو فى عشر الثمانين رحمه الله تعالى .

ابو الهيجاء بن عيسى بن خشترين الامير مجير الدين الازكشى الكردى الاموى كان من اعيان الامراء و اكابرهم و شجعانهم وكان له فى مصاف التتار بعين جالوت اليد البيضاء والأثر العظيم ولما قدم الملك المظفر

(١) لعله اليه .

قطز رحمه الله دمشق بعد الوقعة رتب الامـــير علم الدين سنجر الحلبى نائبا عنه و جعل الامير مجير الدين المذكور مشاركا له فى الرأى و التدبير و يجلس معه فى دار العدل و اقطعه بالشام خبزا جليلا فبقى مقيما بالشام الى ان درج الى رحمة الله تعالى فى تاسع عشرى شعبان بدمشق و دفن بجبل قاسيون رحمه الله قال الشيخ شهاب الدين ابوشامة (١) رحمه الله و والده مات فى حبس الملك الاشرف بن الملك العادل ببلاد الشرق هو و عماد الدين احمد بن المشطوب (٢) رحمهما الله .

و اذ قد جرى ذكرهما فلا باس بشرح شىء من خبرهما كان الامير حسام الدين عيسى بن خشترين من اعظم امراء الملك الظاهر بحلب فلما توفى الملك الظاهر و ترك ولده الملك العزيز صغيرا حصل الطمع فى بلاده لصغر سنه فسيرت و الدته الصاحبة (٣) بنت الملك العادل باتفاق الاتابك شهاب الدين طغريل الى الملك الاشرف و استدعته فحضر الى حلب و اجتمع بأخته و بالاتابك شهاب الدين فقررا معه القيام بنصرة الملك العزيز فأجاب الى ذلك و اقام بحلب مدة و صار الحاكم المتصرف فخاف الامراء الظاهرية من استيلائه و استقلاله و قالوا كيف العمل فقال حسام الدين دعونى و اياه فركب يوما و هم فى خدمته على العادة فلما عادوا الى ظاهر البلد ترجل حسام الدين بن خشترين (٤) ووقف

(١) هو عبد الرحمن بن اسماعيل توفى سنة ٦٦٥ - ك (٢) هو احمد بن على بن احمد ابن ابى الهيجاء الهكارى - ك (٣) هى ضيفة خاتون توفيت سنة ٦٤٠ - ك (٤) الاصل حسام الدين خشترين - ك .

بين يديه وقال يا خوند هذا اليتيم قدضيقت عليه بمقامك فى حلب وتشتهى ان تتوجه الى بلادك فما تحملك هذه البلاد ومنعه من دخول حلب وظهر للملك الاشرف ان ذلك باتفاق من سائر الامراء فلم يسعه الاّ التروّح عن حلب وبقى فى قلبه من حسام الدين كونه تجاسر عليه بهذه المخاطبة واوجهه بها واتفق انه ظفربه بعد ذلك بمدة فحبسه وضيق عليه فمات فى حبسه رحمه الله .

٨٣/الف

واما عماد الدين ابو العباس احمد بن الامير سيف الدين ابى الحسن على بن احمد بن ابى الهيجاء بن عبد الله بن ابى الخليل بن مرزبان الهكارى فكان اميرا كبيرا جليلا شجاعا جوادا واسع العطاء عالى الهمة يضاهى كبار الملوك فى كثرة الحشم والغلمان والاتباع تهابه الملوك وله وقائع مشهورة فى الخروج عليهم وكان والده يعرف بالامير الكبير ذلك علما عليه لايشاركه فيه غيره وجده ابوالهيجاء صاحب العمادية وعدة قلاع من بلاد الهكارية وكان سيف الدين كبير القدر عند السلطان صلاح الدين رحمه الله وكتب اليه يخبره بولادة عماد الدين وان عنده امرأة اخرى حاملا فكتب القاضى الفاضل عن السلطان جوابه وصل كتاب الامير الاعلى الخبر (١) بالولدين الحال على التوفيق ، والسائر كتب الله سلامته فى الطريق ، فسررنا بالغرة الطالعة من لثامها وتوقعنا المسرة بالثمرة الباقية فى كمامها ، وكان سيف الدين فى عكا لما حاصرها الفرنج فلما اخذوها وخلص وصل الى صلاح الدين وهو بالقدس يوم الخميس

(١) كذا .

مستهل جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة فدخل عليه بغتة وعنده الملك العادل فنهض اليه صلاح الدين واعتنقه وسر به سرورا عظيما واخلى المكان وتحدث معه طويلا ، وقال قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه الله رأيت بخط القاضى الفاضل ورد الخبر بوفاة الامير سيف الدين المشطوب امير الاكراد وكبيرهم وكان وفاته يوم الاحد الثانى والعشرين من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بالقدس وخبزه يوم وفاته نابلس وعبرتها(١) ثلاثمائة الف دينار وكان بين خلاصه من اسره وحضور اجله دون مائة يوم ، فسبحان الحىّ الذى لايموت وتهدم به بنيان قوم ، والدهر قاض ما عليه لوم ، قوله تهدم به بنيان قوم حل به بيت عبدة بن الطيبب فى مرثية قيس بن عاصم المنقرى سيد اهل الوبر ٨٢ / ب من ثلاثة ابيات وهو الآخر منها (٢) :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ماشاء ان يترحما
تحية من غادرته غرض الردى اذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

واما الامير عماد الدين فكان السلطان صلاح الدين اقطعه معظم خبز والده بعد وفاته وبقى الى سنة ست عشرة وستمائة فاتفق مع الملك الفائز سابق الدين ابراهيم بن الملك العادل على الملك الكامل واستحلف جماعة من العسكر وكان مطاعا فيهم وعرف الملك الكامل فرحل الى اشمون وعزم على التوجه الى اليمن ويئس من البلاد واطلع على ذلك

---

(١) كذا (٢) منقول من حماسة أبى تمام - ك .

الملك المعظم فقال له لا بأس عليك وركب آخر النهار وجاء الى خيمة
ابن المشطوب وقال قولوا لعماد الدين يركب حتى نسير فأخبروه فخرج
من الخيمة بغير صباغات وركب ولحق الملك المعظم فأبعد به عن العسكر
وقال له الملك الاشرف قد طلبك وهو محتاج اليك فتسير اليه الساعة
فقال ما فى رجلى صباغات فقلع الملك المعظم صباغاته واعطاه اياها
ووكل به جماعـــة واعطاه خمس مائة دينار وقال كل مالك
يلحقك والله ما يضيع لك خيط واحد وسار بـه الموكلون
ورجع الملك المعظم الى خيمته فوقف حتى جهز خيله وغلمانه وثقله
ولم يبق له خيطا واحدا وساروا خلفه وعاد الملك المعظم الى دهليزه
فحضر اليه الملك الكامل وقبّل رجله وشكره على مافعل ، واما عماد الدين
فوصل الى حماة فأقام بها فبعث له الملك الاشرف منشورا بأرجيش
وغيرها وسير اليه الخلع والانعام فسار اليه فأكرمه واحسن اليه
فصار يركب بالشبابة ويعمل فى السلطة أعظم مما يعمل الملك الاشرف
٨٤ / الف ثم خامر على الملك الاشرف وعاث فى بلاده وساعده صاحب ماردين
ثم اتفق الملك الاشرف وصاحب ماردين واصطلحا فدخل عمادالدين
تل أعفر فسار اليه فارس الدين بن صبرة من نصيبين وبدر الدين لؤلؤ
من الموصل فحصراه وانزله بدر الدين لؤلؤ بالامان وحمله الى الموصل
ثم بعد مدة قريبة قيده وحمله الى الملك الأشرف فألقاه فى الجب
وبقى فيه الى ان مات رحمه الله فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة
وستمائة بحران وبنت له ابنته قبة على باب مدينة رأس عين ونقلته

من حرّان اليها ودفنته بها رحمه الله. وكانت ولادته فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة تقديرا ولما كان فى السجن كتب بعض من كان متعلقا بخدمته الى الملك الأشرف دوبيت وهو .

يا من بدوام سعده دار الفلك ما انت من الملوك بل انت ملك
مملوكك ابن المشطوب فى السجن هلك اطلقه فان الامر لله ولك

ولما كان فى السجن كتب اليه بعض الأدباء :

يا احمد ما زلت عمادا للدين
يا اشجع من امسك رمحا بيمين
لا تيأسن ان جعلت فى سجنهم
ها يوسف قد اقام فى السجن [بضع] (١) سنين

وهذا مأخوذ من قول البحترى من جملة ابيات (٢) .

اما فى رسول الله يوسف أسوة لمثلك محبوسا على الظلم والافك
اقام جميل الصبر فى السجن برهة فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقد رثى الامير جمال الدين ابو الطيب خشترين بن تليل الحكمى الاميرين المشار اليهما عماد الدين وحسام الدين رحمهما الله بقصيده طويلة مطلعها :

نعى الناعى فاعلن فى النحيب ففت كبود شان وشيب
نعى عيسى واحمد فاستهلت غريبات الدموع من الغروب

(١) سقط من الاصل. (٢) قاله البحترى فى ابى سعيد محمد بن يوسف الثغرى لما حبس : ديوان (٢ ١٢) .

نعى كسرى الملوك بكل ارض وقيصر فى الجلالة والمهيب
نعى قسّ بن ساعدة الايادى وقيس الرأى فى دفع الكروب

من ابيات طويلة ، وهذا الشاعر هو خشترين بن تليل بن ابى الهيجاء
٨٤/ب ابن افشين بن خشترين الكردى الحكمى الاربلى من بنى مروان بن الحكم ولد بمصر سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وتوفى ليلة الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة تسع عشرة وستمائة باربل وتخرج على المهذب سالم بن سعادة الحمصى، وله اشعار حسنة ، فمنها قصيدة مدح بها نسيبه الامير حسام الدين عيسى بن خشترين :

شاقنى بالغوير ربع يبابُ ظعنت عنه زينب والرباب
منزل طالما سقاه سحاب من جفونى إن ضن عنه السحاب
وغدا فى ربوعه كل يوم للغوادى وللدموع انسكاب (١)
شمرت نحوه الخطوب فأضحى لذيول السحاب فيه انسحاب
ولعهدى به وفيه شموس مشرقات افلاكهن القباب
كل مرتجة الروادف قدرق عليها الصبا وراق الشباب
لست ادرى وقد رشفت لماها امدام بثغرها أم رُضاب
وشقيق زها على وجنتيها عند وقت العتاب ام عنّاب
اظهرت ساعة السلام بنانا قد نمى من دمى عليه الخضاب
حجبوها وما دروا ان من اسياف اجفانها عليها حجاب
فلم ذا اعلل القلب منها بغرور الوعود وهى سراب

(١) الاصل « انكساب» خطأ .

بعد

بعد ان حطّ باز شيب عذارى في ربوع الصبا و طار الغراب
و اذا اولّ الشبيبة اخطأ فبعيد على الاخير الصواب
لازمان الشباب يبق على العهـد مقيما و لاالحسان الكعاب
و اذا جارت النوائب وامتــــدّلدهرى الىّ ظفر و ناب
حسم النائبات عنى حسام حكمىٌّ له القلوب قراب

من ابيات، و له من جملة قصيدة :

خليلى إن العيش فى الدهر عارة فاهبه الدهر الذى هو ناهبه
و بادر الى يوم ترنّ قيانه فلابد من يوم ترنّ نوادبه

و قال من ابيات :

ضحكت ثغور البيض لما إن بكت حدق السوابغ بالنجيع القانى
ابدا تريك من الأسنة ألسنا تتلو عليك مقاتل الفرسان (١)

السنة الثانية والستون وستمائة

دخلت هذه السنة و الخليفة الحاكم بأمر الله و ملوك الطوائف على القاعدة المستقرة فى السنة الخالية خلا الملك الصالح ركن الدين اسمعيل صاحب الموصل فان التتر قتلوه و استولوا على الموصل .

متجددات السنة

فى اولها انتهت عمارة المدرسة الظاهرية [التى] (٢) بين القصرين بالقاهرة و رتب فى تدريس الايوان القبلى القاضى تقى الدين محمد بن الحسين

---

(١) اسم كتاب لأبى عبيدة معمر بن المثنى - ك (٢) من البداية .

ابن رزين الشافعي وفى تدريس الايوان الذى يواجهه القاضي مجدالدين عبد الرحمن ابن العديم (١) والشيخ شرف الدين الدمياطي (٢) لتدريس الحديث فى الايوان الشرقى والمقرئ كمال الدين المحلى (٣) فى الايوان الذى يقابله لاقراء القرآن بالروايات والطرق ورتب جماعة يقرؤن السبع بهذا الايوان ايضا بعد صلاة الصبح ووقف بها خزانة كتب وبنى الى جانبها مكتبا لتعليم الايتام واجرى عليهم الخبز فى كل يوم وكسوة الفصلين وسقاية تعين على الطهارة وجلس للتدريس بهذه المدرسة يوم الاحد سادس(٤) عشر صفر وحضر الصاحب بهاء الدين[بن حنا] (٥) والامير جمال الدين بن يغمور والامير جمال الدين ايدغدى العزيزى وغيرهم.

وفى صفر لما توفى الملك الاشرف صاحب حمص تسلم الامير بدر الدين بيليك العلائى حمص عشية الاثنين رابع عشره ثم وصل بعد يومين بدر الدين يونس بن دلدرم الياروقى متوليا لها ومعه كمال الدين ابراهيم بن شبث (٦) وللرحبة وكان بها علاء الدين على الكرجاوى وتدمر سلمت بعد شهرين من وفاه الملك الاشرف .

٨٥/ب وفى صفر فوض الملك الظاهر قضاء القضاة بحلب واعمالها الى

---

(١) هو عبد الرحمن بن عمر بن احمد توفى سنة ٦٧٧ - ك (٢) هو عبدالمؤمن بن خلف توفى سنة ٧٠٥ - ك (٣) هو احمد بن على بن ابراهيم الضرير توفى سنة ٦٧٢ - ك (٤) النجوم (ج ٧ ص ١٢١) «ثالث» وبهامشه فى الاصلين «سادس» وما اثبتناه عن التوفيقات الالهامية (٥) من النجوم (٦) هو ابراهيم بن عبدالرحيم بن على توفى سنة ٦٧٤ - ك .

القاضي كمال الدين بن الاستاذ على ما كان عليه فتوجه من القاهرة يوم الجمعة السابع والعشرين منه ولم يطل مقامه بحلب وتوفي رحمه الله.
وفيها سمر جماعة من المعرّبين بالقاهرة فتكوا في المسلمين، ومماجرى لهم انهم طلبوا طبيبا حسن الملبس فقتلوه فلما سمر احدهم قال للنجار ارفق بي فاني مريض فقال له النجار فآتيك بطبيب آخر.

وفي يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الآخر جاءت بالقاهرة زلزلة عظيمة جدا.

وفيها استدعى الملك الظاهر لعلاء الدين ايدكين الشهابي اليه وامره ان يرتب الامير نورالدين على بن مجلى نائباعنه في حلب فلما وصل علاء الدين الى القاهرة عزله واقر ابن مجلى في نيابة السلطنة فاحسن السيرة وعمر البلاد ورفق بالرعية وافرد الخاص على ما كان عليه في الايام الناصرية.

وفيها امر الملك الظاهر بانشاء خان بالقدس الشريف لابن السبيل وفوض بناءه ونظره الى جمال الدين محمد بن نهار ونقل اليه من القاهرة بابا كان على دهليز بعض قصور الخلفاء ولم تم اوقف عليه قيراطا ونصفا بالطرة (١) وثلث وربع قرية المشيرفة من بلد بصرى ونصف

(١) النجوم (ج ٧ ص ١٢١) « بالمطر » وبهامشه في عيون التواريخ « من الطرة » ذكره في حوادث سنة احدى وستين وذكره في البداية في حوادث (٦٦٢) كما هنا

قرية لفيا(١) من اعمال القدس يصرف ريع (٢) ذلك فى خبز و فلوس و اصلاح نعال من يرد عليه من المسافرين و بنى به طاحونا و فرنا .

و فيها اشتد الغلاء بمصر و اعمالها فبلغ الاردب القمح مائة و خمسة دراهم نقرة و الشعير سبعين درهما و ثلاثة ارطال خبز بالمصرى بدرهم نقرة و رطل اللحم بالمصرى و هو مائة و اربعة و اربعون درهما بدرهم و ثلث نقرة ففرق الملك الظاهر الصعاليك على الاغنياء و الامراء و الزمهم باطعامهم و فرق من شونة (٣) القمح على ارباب الزوايا و رتب ان يفرق كل يوم فى الفقراء مائة اردب مخبوزة بجامع ابن طولون و دام ذلك الى ان دخلت الغلال الجديدة فى شهر رمضان و بيع القمح بالاسكندرية الاردب بثلاثمائة و عشرين درهما ورقا و انحط فى يوم واحد الى اربعين درهما و رقا .

و فيها احضر الى بين يدى الملك الظاهر طفل ميت له رأسان ٨٦/ الف و اربع اعين و اربع ايد و اربع ارجل فامر بدفنه .

و فى آخر هذه السنة قتل الزين سليمان الحافظى و سنذكره ان شاء الله تعالى .

فصل

وفيها توفى احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن عبدالله بن علوان بن رافع ابوالعباس(٤) كمال الدين الاسدى الحلبى الشافعى

(١) النجوم « لبنى » وبهامشه فى عيون التواريخ « قرية لفتا » (٢) فى الاصل « ربع » خطأ (٣) مخزن الغلة المصرية (٤) له ترجمة فى ذيل الروضتين =

المعروف بابن الاستاذ قاضي القضاة بحلب واعمالها مولده ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة احدى عشرة وستمائة سمع من ابى هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمى ومن جماعة كثيرة غيره وحدث ودرس وولى الحكم بحلب واعمالها سنة ثمان وثلاثين وستمائة وهو فى عنفوان شبابه فحمدت سيرته وشكرت طريقته كان سديد الاحكام وله المكانة العظيمة عند الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله وسائر ارباب الدولة وكلمته نافذة وحرمته وافرة ومكارمه مشهورة ومناقبه مذكورة ولم يزل على ذلك حتى تملك التتر حلب وقلعتها فى سنة ثمان وخمسين ومنّ الله تعالى بكسرهم فى رمضان من السنة المذكورة، وكان قاضى القضاة كمال الدين قد نكب واصيب بأهله وماله وبلده فقدم الديار المصرية ودرس بالمدرسة المعزية بمصر وبالمدرسة الكهارية بالقاهرة واقام على ذلك الى اول هذه السنة ففوض اليه الحكم بحلب على عادته فحمله حب الوطن على الاجابة فعاد الى حلب واقام بها مدة اشهر وتوفى بها فى نصف شوال ودفن من الغد رحمه الله، وكان رئيسا جليلا عظيم المقدار جوادا سمحا ديّنا تقيا نقيا حسن الاعتقاد بالفقراء والصالحين كثير المحبة لهم والميل اليهم والبر لهم والايمان بكراماتهم لاينكر مايحكى عنهم مما يخرق (١) العادات وكان احد المشايخ الاجلاء المشهورين بالفضل والدين وحسن الطريقة ولين الجانب وكثرة التواضع

= (ص ٢٣٢) وفى النجوم (ج ٧ ص ٢١٤) «ابو العباس» وبهامشه فى السلوك «ابو بكر احمد» (١) فى الاصل «يخزق» خطأ.

وجمال الشكل وحلاوة المنطق حضر الى زيارة والدى رحمه الله يعلبك فترجل عن بغلته من اول الدرب ، ولما دخل الدار قعد بين يدى والدى ٨٦ / ب متأدبا الى الطرف الاقصى ولم يستند الى الحائط وسمع عليه شيئا من الحديث النبوى ، وكان من حسنات الدولة الناصرية بل من محاسن الدهر وهو من بيت معروف بالعلم والدين والحديث ، وابوه القاضى زين الدين ابومحمد عبد الله تولى القضاء بحلب واعمالها مدة وسمع من غير واحد وحدث وكان من العلماء الفضلاء الصدور الرؤساء ، وجده عبد الرحمن احد المشايخ المعروفين بالزهد والدين رحمهم الله تعالى وبيتهم احد البيوت المشهورة فى حلب بالسنة والجماعة .

احمد بن محمد بن صابر بن محمد بن صابر بن منذر ابوالعباس ضياء الدين القيسى المالقى مولده فى المحرم سنة خمس وعشرين وستمائة ، وتوفى يوم الخميس ثامن شعبان ودفن يوم موته بالقرافة ، وكان اماما عالما فاضلا رحمه الله .

سليمان بن المؤيد بن عامر زين الدين العقربانى المعروف بالحافظى (١) قد ذكرنا فيما تقدم طرفا يسيرا من خبره وتوجهه الى التتر واقامته عندهم ، فلما كان فى اواخر هذه السنة احضره هولاكو الى بين يديه وقال له ما معناه انت قد ثبت عندى خيانتك وتلاعبك بالدول فانك خدمت صاحب بعلبك طبيبا فخنته واتفقت مع غلمانه على قتله حتى قتل ، ثم انتقلت الى خدمة الملك الحافظ الذى عرفت به فلم تلبث ان خنته

(١) ترجم له فى البداية (ج ١٣ ص ٢٤٤) ترجمة فيها موعظة فراجعها .

وباطنت

و باطنت عليه الملك الناصر حتى اخرجت قلعة جعبر من يده ثم انتقلت الى خدمة الملك الناصر ففعل معك من الخير ما فعل فخنته معى حتى جرى عليه ما جرى ثم انتقلت الىّ فاحسنت اليك احسانا لم يخطر ببالك فاخذت تكافينى بالافعال الردية و تعاملنى بما كنت تعامل به الملك الناصر و شرعت فى مكاتبة صاحب مصر فأنت معى فى الظاهر خارجا عنى فى الباطن و عدد له ذنوبا كثيرة من خيانته فى الاموال التى كان سيرها لاستجبابها (٢) من البلاد ثم امر بقتله و قتل اخوته و اولاده و اقاربه و من يلوذ به، فكان مجموعهم نحو الخمسين نفرا ضربت اعناقهم صبرا ولم ينج منهم الا ولده مجير الدين محمد و ولد لأخيه شهاب الدين اختفيا فى السوق.

فمن الاسباب المؤكدة لقتله ان الملك الظاهر استدعى اخاه العماد ٨٧ / الف احمد المعروف بالاشتر من دمشق الى الديار المصرية وعوقه اياما ثم افرج عنه و انعم عليه و قرر له فى الشهر خمسمائة درهم و رتب له خبزا و لحما و غير ذلك و امره ان يكتب الى اخيه المذكور كتابا يعرفه فيه نية الملك الظاهر له و شكره منه و انه يعرفه ان ماله ذنب و انه برئ مما نسب اليه و ان الملك الظاهر عالم بان مقامه عند التتر على غير اختيار منه بل خوفا لما شاع عنه و يضمن له عنه انه متى وافق الملك الظاهر على ما فى نفسه من المواطاة على التترفله (١) ما يقترحه من الاقطاع و يكون بعد ذلك على حسب اختياره فى التوجه الينا و الاقامة عند

(١) لعله سيره لاستجبائها (٢) الاصل « قلد » خطأ.

هولاكو فكتب اليـه فلما وصلته الكتب حملها الى هولاكو وقال له ان صاحب مصر انما يكتب الى بمثل هذا [القع](١) ليقع فى يدك فيكون سببا لقتلى وقد عزمت ان اكاتب اعيان دولته ورعيته بمثل ماكاتبنى لاكيده كما كادنى فلم ير هولاكو ذلك صوابا فعاوده مرارا فأذن له فكتب كتبا لجماعة (٢) فوقعت فى يد الملك الظاهر فعلم انها مكيدة فكتب اليه يشكره على عرض الكتب على هولاكو واستصوب رأيه فى ذلك لتزول التهمة عنه وبعث هذه الكتب مع قصاد وقرر معهم اذا وصلوا شاطئ جزيرة ابن عمر يتجردون من ثيابهم على انهم يسبحون ويختالون (٣) فى اخفاء انفسهم ليظن انهم غرقوا وتكون الكتب فى ثيابهم ففعلوا ذلك ورأى نواب التتر فأخذوها فوجدوا فيها الكتب فحملت الى هولاكو فوقف عليها وأسرّها فى نفسه واضمر قتله .

والسبب الآخر ان هولاكو كان سيره لكشف الموصل واعمالها وماردين والجزيرة وكان نائب هولاكو بالموصل شمس الدين الباعشيقى فدفع للحافظى ستة عشر الف دينار رشوة لترك محاققته والكشف عنه وكذلك اعتمد نواب الجزيرة وماردين وديار بكر كلها، وكان الزكى ٨٧/ب الاربلى مقيما بالموصل وعلم بما اخذه من الرشا فتوجه الى هولاكو ورفع اليه وعلى الباعشيقى فعقد لهم مجلسا فظهر صـدق الاربلى فقتل الباعشيقى وزادت هذه الحالة هولاكو الاغراء بقتل الحافظى فقتله ومن معه كما تقدم ومخازى الحافظى وخياناته على الاسلام اكثر من

(١) كذا ولعله زائد محرف عما بعده (٢) الاصل «جماعة» (٣) لعله يحتالون .

ان تحصر منها اغراء التتر بالمسلمين و تطميعهم فى بلادهم و ممالكهم بحيث ان كل دم سفكوه فى الشام هو شريكهم فيه، و لما توجه الملك العزيز ابن الملك الناصر الى هولاكو فى اواخر سنة خمس و خمسين انفرد الحافظى بهولاكو و قال له من جملة ما قال بعد ان اخذت بغداد، بغداد قد اخذتها و الشام بلا ملك، و متى قصدته اخذته و انا المساعد فيه فان اكثر من بدمشق اهلى و اقاربى فاعطاه هولاكو سكاكينا و قال متى جاءنى احد و معه سكين من هذه اعلم انه من اقاربك و اخذ الحافظى مما سير معه من الهدية لهولاكو شيئا كثيرا و اخذ يغلغا للصالح اسماعيل ابن صاحب حمص بحمص، وكذلك لأمير حاجب و للوجيه ابن سويد و لغيرهم .

و قرر مع الملك الناصر ان هولاكو قال له ان وصل الملك الصالح الى ابقيت عليه بلاده و ان تعذر وصوله خوفا من عسكره فليهرب بين يدى الى ان يتفرق عسكره و يعود فانى ابقى عليه بلاده، فلما اخذت حلب و خرج الملك الناصر من دمشق لم يصحبه الحافظى فبعث اليه يطلبه فلم يجب فسير وراءه الامير سابق الدين بيبرس امير مجلس و معه عسكر لاخراجه فغلق ابواب البلد وعصى فيه و رحل الملك الناصر على ما تقدم شرحه و تفرقت جموعه فكتب اليه الحافظى ان الذى قررته معك انا باق عليه و متى عدت عادت البلاد اليك و قصده بذلك ايقاعه فى يد التتر، فلما عاد الملك الناصر الى دمشق سير اليه [من](١) استدعاه فقال لرسوله قل له ما اقدر احضر عندك فانى كنت

(١) سقط من الاصل .

بالأمس غلامك و انا اليوم غلام هولاكو و انت عدوه .

و لما خرج الملك الناصر من دمشق اولا و استولى عليها الحافظى ٨٨/الف قصد القلعة فامتنع واليها بدرالدين محمد بن قزلجا (١) و نقيبها جمال الدين محمد بن الصيرفى من تسليمها اليه وكذلك امتنع الشجاع ابراهيم والى قلعة بعلبك من تسليمها اليه و لم يزالوا كذلك الى ان وصل كتبغا (٢) بالعساكر فتحققوا العجز بعد ان قاتلوه فضمن لهم كتبغا (٢) سلامتهم و سلامة من بالقلعتين من المسلمين و اموالهم ان سلموا فسلموا و امنهم و وفى لهم بالأمان، فحملت الحافظى نفسه الكافرة كونهم لم يسلموا القلعتين اليه على ان كتب الى هولاكو يغريه بهم فوصله الجواب بقتلهم فحضر مجلس كتبغا (٢) بالمرج و اوقفه على الكتاب فاستدعى بدرالدين محمد بن قزلجا و جمال الدين محمد بن الصيرفى و شجاع الدين ابراهيم و ولده و نسيبا له فلما حضروا قال كتبغا (١) للحافظى كيف قدمت على أن تكاتب فى حق من أمنتهم و مع هذا فلا يسعنى مخالفة مرسوم هولاكو فقم انت اقتلهم و الا صار لك عندنا ذنب نقتلك به فقام اليهم و ضرب رقابهم ولم يزل الحافظى بدمشق الى ان كسروا التتر على عين جالوت فهرب و توجه الى حلب و استصحب معه اخوته و اولاد اخيه و تحدث معهم فى الطريق فكان من جملة الكلام ان قال ما كنت اظن أن الاسلام بقى يقوم له قائمة فقال له اخوه شرف الدين ما تعلم ان الله غار على الاسلام و قد اصبحت و ان احماك من الملوك

(١) كذا فى الاصل ويروى قربجا - لـ (٢) تقدم فى غير ماموضع كتبغا نوين .

وكان

وكان عند الحافظى فضيلة ومشاركة ولم تكن الإمرة لائقة به وقتل وهو فى عشر السبعين وقدم على ما قدم وما ربك بظلام للعبيد .

صالح بن ابى بكر بن ابى الشبل بن سلامة بن شبل بن سلامة ابو البقاء تقى الدين الفقيه الشافعى الحاكم بمدينة حمص مولده بمصر فى ذى القعدة سنة سبعين وخمسمائة سمع ببغداد من الحسين بن سعيد بن شنيق (١) وغيره وبدمشق من ابى اليمن الكندى وغيره وحدث بحمص مدة وولى القضاء بها وكان حسن السيرة محمود الطريقة فقيها عالما فاضلا توفى فى صفر رحمه الله تعالى .

٨٨/ب عابدة بنت (٢) الشيخة الصالحة كانت مقيمة برباط زهرة خاتون بدمشق وهى شيخة وكانت امرأة كبيرة وهى عذراء مقعدة عمياء مشهورة بالخير والصلاح والعبادة وكانت وفاتها بدمشق فى جمادى الاولى رحمها الله .

عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف ابو محمد الصاحب (٣) شرف الدين الانصارى الاوسى الدمشقى الاصل والمولد الحموى الدار والوفاة الامام العلامة مجموع الفضائل شيخ الشيوخ (٤) قرأ القرآن الكريم بالروايات واشتغل بالادب على ابى

---

(١) توفى سنة ٦١٠ - ك (٢) بياض فى الاصل (٣) له ترجمة فى فوات الوفيات ٢/٣٦٨ - ك (٤) مثله فى فوات الوفيات والنجوم الزاهرة وطبقات السبكى وفى ذيل الروضتين « بن شيخ الشيوخ » كذا وزاد فى الشذرات «الشافعى ويعرف بابن الرفا» وفى طبقات ابن السبكى (ج ٥ ص ١٠٨) له ترجمة فى بضعة=

اليمن زيد بن الحسن الكندى وسمع منه كثيرا وسمع ببغداد من ابى الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب (١) وغيره وحدث بحماة ودمشق ومصر وغير ذلك ومولده ضاحى نهار يوم الاربعاء ثانى وعشرين جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمائة بدمشق بدرب كشك وكان احد الفضلاء المعروفين وذوى الادب المشهورين جامعا لفنون من العلوم ومعارف حسنة ذا سمت ووقار وجد وحسن خلق واقبال على اهل العلم وطلبته وتقدم عند الملوك وترسل عنهم غير مرة وكانت له الوجاهة التامة والمكانة المكينة وله النظم الفائق واليد الطولى فى الترسل والأصالة فى الرأى مع الدين المتين ومكارم الاخلاق ولين الجانب وحسن المحاضرة والمباسطة والافضال على سائر من يعرفه والتكرم على من يقصده، وكان بينه وبين والدى رحمه الله مودة اكيدة وصحبة كثيرة وسمعت عليه بدمشق وكان لى من اقباله وبشره اوفر نصيب لما بينه وبين والدى رحمهما الله من الاتحاد، وتوفى بحماة ليلة الجمعة الثامن من شهر رمضان ودفن من الغد ظاهر حماة فى تربة كان اعدها لدفنه، ومن شعره :

عاتبت (٢) أنسان عينى فى تسرعه فقال لى:(خلق الانسان من عجل)(٣)
ياعاذلى ليس مثلى من تخادعه وليس مثلك مأمونا على عذلى

= اسطر غير انه قال فى آخرها وانشدنا قاضى القضاة بدر الدين فى كتابه عنه فيما قاله من مستحسن شعره ..... بياض فى الاصل » (١) توفى سنة ٥٩٦ - ك (٢) الفوات «عابنت» خطأ (٣) فى الفوات خمسة ابيات قبل هذا - ك .

ما دمت خلوا فلاتنفك متهما   فاعشق (١) و قولك مقبول على ولى   ٨٩/ الف

و قال:

لها معاطف تغريى برقتها   و لينها ان اقاسى قلبها القاسى(٢)

باتت موسدة رأسى على يدها   عطفا و كانت يدى منها على رأسى

و قال:

أتطمعنى سلمى بتقبيل خالها   غرورا و قد ضنت بطيف خيالها

و انى و ما ارجوه منها بوعدها   كراقٍ الى شمس الضحى لينالها

و قال:

أعنّى فى المحبة و اعدنى (٣)   من العذل الذى يغرى و دعنى

افرق بين اجفانى و غمضى   و اجمع بين احشائى و حزنى

على عيش تقضى لى حميدا   نعمت به و زايلنى كأنى

رأيت الوصل منه فى منام   تصرم وقته و فتحت جفنى

فلم ارغير وجدى و اشتياقى   و اشجانى التى تتق (٤) و تفنى

قرارى و اصطبارى فاعترانى   نفيك فى الوقار فان فنى (٥)

ملازمة الخلاعة فى غزال   اغنّ اذا نظرت اليه يغنى

عن القمر المنير على قضيب   تمايل فى كثيب فهو يثنى

اليه عنان قلبى بالتثنى   و يسلب لبّه لولا تمنى

وصال منه زادت نار شوقى   الى فوزى به فبللت ردنى

---

(١) الاصل «فاعشقى» (٢) فى الفوات اربعة ابيات قبل هذا - ك (٣) لعله و اعذنى
(٤) لعله تبقى (٥) كذا.

بدمع كان خوف الهجردرّا فصيّره عقيقا بالتجنّى
علىّ و ما جنيت اليه ذنبا سوى افراط حبى فليزدنى
عذابا مُرّه فى القلب عذب يباعد سلوتى عنى و يدنى
غراما لا يغيره ملام فان قلدتنى فاعلم بانى
صديقك ان عذرت على هواه و الا فاطّرحنى و اتخـذنى

و قد الّم بقول القائل :

فأما ان تكون (١) اخى بصدق فأعرف منك غثى من سمينى
و الّا فاطّرحنى و اتخذنى عدوا اتقيك (٢) و تتقينى

و قال :

اعجم السكر لفظه فغدا معربا (٣) عن ال
عذر لى فى تهتكى بهواه فقلت لل
عاذل المستطيل و يـ حك ماذا صنعت بال
مستهام الذى يزيد به الوجد عند إل
حاح لوّامه فلا يلزم العذل بعد إل
زامك الحجة التى لاح برهانها لذل
عقل فاعذر فلا تلم اوفلمْ ان اردت فى ال
حب للشادن الذى شفنى طرفه الثملِ

٨٩/ب

و قال :

شيطان عذل نزغا فى بدر تمّ بزغا

---

(١) وقع فى الاصل «بكرن» خطأ (٢) وقع فى الاصل «اتيتك» خطأ (٣) لعله معربا .

بالغ لكن ساءنى فسؤله ما بلغا
اقنى الهوى باثمه لما تعدى ولغا
هيهات أن يشغل عن إلف لصبرى فرغا
ذى ملح اوصافها (١) تعجز اصناف اللغا
الثغ اضحى عنده كل فصيح الثغا
إن قلت ياظبى الفلا قال انا ليث الشغا (٢)
او قلت صِلنى قال لى اين الثغيا والثغا
او قلت اسلو بسوا ك قال مثلى ماتغا (٣)
سبحان من بلّغه من دلّه ما بلغا
وجلّ عن اضفى برو دحسنه واسبغا
وعقرب العقرب اذ صدّغ منه الصدغا
فاعجب لها لديغها الا آمن من ان تلدغا
تيمّنى بمقلة اصمت فؤادى فصغا
فقرى الى انسانها ابدى غناه فطغا
ذو وجنة فى صحن ماء الشباب افرغا
دون اقتباس نارها ثشب نيران الوغى
لاطفى حتى اذا اصلح شأنى اوتغا (٣)
وما بدا لى انه يُسر (٤) حسوًا فى ارتغا

٩٠ / الف

(١) لعله اوصافه (٢) كذا ولم اجده فى مادة «ش غ و» ولا فى مادة «ت غ ى» من الاقرب فحرره (٣) كذا (٤) وقع فى الاصل «بره» خطأ وهذا مثل مشهور .

مولاى وجدى فيك ما اشدّه و ابلغا
وعينى العبرا فما اغزرها و ارزغا
فاحكم بما اوجبه شرع الهوى وسوّغا
ان كان فى قتلك لى رضاك فهو المبتغى

و قال :

لا تنس وجدى بك ياشادنا بحبه انسيت احبابى
مالى الى هجرك من طاقة فهل الى وصلك من باب

و قال :

شكوت اليها أليم الجوى فأصغت له أدنا واعيه
و قالت بعينى ما قد لقيـ ـت فقلب (١) على عينك الواقيه

و قال يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله تعالى :

لنامن ربة الخالين جاره تواصل تارة و تصول تاره
تؤانسنى و تنفر عن قريب و تعرض ثم تقبل فى الحراره (٢)
و تقلقنى بما يحلى (٢) سلوى و لكن ليس فى جوفى حراره
و مالى فى الغرام بها شبيه و ليس لها نظير فى النضاره
وفى الوصفين من كُحل وكَحل حوت حسن البداوة والحضاره
وفى خلخالها خرس و لكن اذا اومأت تفهّم بالاشاره
و قتل العمد قد قتلته عمدا وما وصلت الى باب الاجاره
وقالوا قد خسرت الروح فيها فقلت الربح فى تلك الخساره
بأيسر نظرة اسرت فؤادى كما نشأ اللهيب من الشراره

---

(١) كذا ولعله فقلت (٢) كذا .

اطارت شمل حسن الصبر منى بأحسن شمله من فوق طاره

وقلت لها قفى ان لم تزورى فقالت والوقوف من الزياره ٩٠/ب

شمرت (١) ازارها عنها فصدت فقلت تقدمى ودعى الشماره

جسرت فنلت ما أملت منها وما نيل (٢) المنى الا جساره

ادرت على مزررها عناق فبتُّ ومعصمى للبدر داره

ترى فى خدها آثار عضى كغصن بنفسج فى جلّناره

اذا استشفى بريقتها نديم ازالت خمرها عنه خماره

ويهتك ستر صبر الصب عنها اذا اعتنه من خلف الستاره

ويفتك طرفها فيقول قلبى اشن (١) ترى صلاح الدين غاره

ومنها:

اذا ما حجّ بيت نداه وفدٌ رمى فى قلب حاسده جماره

قال :

يعرض براجح الحلى (٣) وعز الدين بن معقل (٤) من ابيات :

وما زال جود ابن المعز يمدنى فيرحل فى ركبى وينزل منزلى

الى ان غدا مالى كنقصان راجح واعهده قدما كعقل بن معقل

وقال فى الزهد:

نل فوق ما ناله سيف بن ذى يزن وافخر بماشئت من قيس ومن يمن

---

(١) كذا (٢) الاصل « ينل » (٣) هو شرف الدين راجح بن اسماعيل توفى سنة ٦٢٧ ـ ك وقد تقدم التنبيه عليه قريبا (٤) هو احمد بن على بن معقل الحمصى توفى سنة ٦٤٤ ـ ك .

و اعط نفسك اقصى ما تلذ به من مركب فارهٍ او ملبس حسن
اليس غاية هذا قعر مظلمة تفرى اديمك بين القطن و الكفن
فابتت علائق دنياً انت منتقل عنها و لا تسكنن منها الى سكن
لا تغلون فى تمنى رتبة عظمت قدراً فكم منح انكى من المحن
و اثبت على سنن الاخلاص منتهيا الى الفرائض تقفوهن بالسنن
و احلم ولا تستشر فى حالة غضبا فانه مستشار غير مؤتمن
واركن الى و اجب التفويض متكلا و لا تفيضن فى عتب على الزمن

و قال فى مغنى رومى يلقب بالموزون :

نفسى فداؤك ياموزون من قمر تهتكى فيه معدود من الفرص
ظبى من الروم نسج العنكبوت له عهد فكم زمر قد ساق فى غصص
اضللت احزابنا ياسين غرته فاعجب لمقتبس للنور مقتنص
سبحان مورثه من حسن يوسف ما لم يبق فى الحجر لى و الصبر من حصص
اقام للشعراء العذر عارضه فكم لهم فى دبيب النمل من قصص

٩١ / الف

قال الشيخ شرف الدين رحمه الله و انشدت والدى الابيات فاستحسنها و قال بديها :

بادر الى توبة عنه تنيلك من ذى الطول فى الحشر اجراً غير منتقص

و قال :

قم فاصطبحنا و ارح سرّكا صبّحك الله بما سرّكا
و عاطى منها المدام التى اشرب منها دائما سرّكا
يا يوسف الحسن الذى وصفه ان يملك الناس ولا (١) يملكا

---

(١) الاصل «لا» بحذف الواو .

يابدر

يا بدر تمّ منذ سايرته لم الق لى فى سلوتى مسلكا
يا من رمى لما رنا مقلتى اليك من الحاظك المشتكى
ان دمعت عينى فمن اجلها ابكى عـلى قلبي من لا ابكى
اوقعى انسانها فى الهوى يا ايها الانسان ماغرّكا

وقال:

بعين الله احباب جفونى وعهدهم على الايام عونى
فان انكر (١) بهم افراح قلبي فليس بغيرهم اقرار عينى
وقالوا كيف يصبح من يرانا ونعرض عنه قلت كما ترونى
فيا مولى اراه بعين قلبي وآمل ان اراه بقلب عينى
كملت اذا انفردت بكل زين وانت منزه عن كل شين
عدمت لك الشبيه فما احتفالى بوجه البدر او قدّ الرديني
غلوت تعززا ورخصت ذلّا فبعتك مهجتى نقدا بدين
وثبتنى على خفقان قلبي غرام طار بى فى الخافقين
ألا فابسط يديك الى وصالى فما لى بالقطيعة من يدين

وقال رحمه الله:

احبابنا هل علمتم من بعد كم كيف حالى ٩١ / ب
قلبي وطرفى جميعا لبينكم فى قتال
لأن قلبي خال بكم وطرفى خالى (٢)
فخففوا عن جفونى من دمعها الهطّال

---

(١) لعله ادكر (٢) كذا.

فى يقظتى بكتاب وفى الكرى بخيال

وقال رحمه الله ملغزا فى حمزة :

من لى بمن سميّه سما به سفك دمه
تصحيفه فى خدّه وفى فؤادى وفمه

وقال :

ان دام حبيكم على بغضكم فاننا فى منصب واحد
ما الأم الزاهد فى راغب ومثله الراغب فى الزاهد

وقال كتب الىّ الامير سيف الدين ابوالحسن على بن محمد الهذبانى رقعة فى مهمّ وطلب جوابها فى ظهرها فكتبت اليه الجواب فى غيرها وسيرت ورقته عطف الجواب وكان فى صدر جوابى له :

يا مالكا ملّكته من رقّ حمدى ما احب
وانالنى رتبا أنلت بها المناصب والرتب
احللت لى ظهر الكتاب ولم اخلّ بما وجب
فكتبت فى درج ورا قبت الذى لك من ارب
فدرجت خطّك طيّه وخلصت من سوء الادب

وقال فى شاعر ردئ النظم قبيح الوجه :

وجهم الوجه رذل الشعر منه رجوت النفع حيث يخاف ضير
بدا لى وجهه فخشيت شرا وانشدنى فقلت خرا وخير

٩٢ / الف

اخذه من قول دعبل الخزاعى (١) :

وكنت مبكّرا من سرّ من رى ابادر حاجة فاذا عمير
فلم ادع الطريق وقلت امضى فانك يا عمير خرا وخير

وقال الشيخ شرف الدين :

لعينى كل يوم فيك عَبره تصيرّنى لاهل العشق عِبره
فمسجد جفنها لا نقص فيه وكم جهزت منه جيش عسره
اذا غفل الوشاة اسلت دمعى فيغدو مرسلا فى وقت فتره
زيادة صبوتى نقصت ملامى وكفّت زيده عنى وعمره
علامة شقوتى فى الحب أنى ثقلت عليك لا عن طول عشره
ووتر الوصل لم يشفع بثان وهجرك زمرة من بعد زمره
وجفنك اكحل من غير كُحل وخدك احمر من غير حمره
وصبرى عنك ليس له وجود ووجدى فيك لا احصيه كثره
وبيت الحزن بيتى حين تنأى وحين تزوره دار المسره
وقالوا كم تُرَى غضبان راض فقلت رضيت زنبورا وتمره
سالزم باب خمّار الثنايا ليطلق لى ولو فى العمر سكره
وقدماً كنت مستورا الى ان لبست من الخلاعة ثوب شهره
اطعت غوايتى وعصيت رشد المُـناصح مرة من بعد مره
وما تنقى من الادناس نفسى ولو غسلت بصابون المعرّه

(١) هو شاعر مشهور مات سنة ٢٤٦ - والبيتان فى كتاب الأغانى (١٨ / ٣٥) - ك .

و أعجب حادثات الدهرانى احاول طاعة فتعود حسره

و اطمع فى خلاصى يوم بعثٍ و ما اخلصت فى مثقال ذره

و هذه الابيات عـلى وزن ابيات القاضى الفاضل (١) رحمه الله مطلعها :

لعينيه على العشاق امره وليس لهم اذا ما جار نصره

اذا ماسره قتلى فأهلا بما قد ساءنى ان كان سره

و لم اره عـلى الايام الا عقدت بوده وحللت صره

صببت عليه لما زار دمعى فانكره فقلت الماء نشره

٩٢/ب بكيت عليك يامولاى حتى وقعت و ليس فى عينى قطره

ايا قمر الكناس بقيت انى بقيت بادمعى فى الشمس عصره

فلو قبلتنى وقبلت منى فقال اخاف بعد الحج عمره

و منها :

و اما سوء حظى من صديق فذاك من الامور المستقره

و للقاضى الفاضل رحمه الله فى كحّال وكله رجل :

توكّل لى وكحّلنى فذهبت فى عينى وفى عينى (٢)

قال الشيخ شرف الدين رحمـه الله يمدح سيدنا النبى المصطفى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هى اول مدحة قالها فيه و انشده اياها تجاه حجرته الشريفة بكرة الجمعة خامس عشرى ذى القعدة سنة تسع عشرة و ستمائة و فى طرّتها مدحة العبد الضعيف عن حسن تدبيره القوى

---

(١) هو عبدالرحيم البيسانى وزير صلاح الدين الايوبى توفى سنة ٥٩٦هـ ك (٢) كذا.

فى

فى سوء تقصيره، المستوحش من انفراده، بذنبه، المستأنس الى شفاعة نبيه المشفوعة برحمة ربه، عبد العزيز بن محمد الانصارى جعل الله عاجل (١) جائزته مواصلة صالح العمل، ومقاطعة كاذب الأمل، والغنى عن الضراعة، بالقناعة، والتوفيق لتلقى اوامره بالسمع والطاعة، وآجله استقامته على الصراط المستقيم، واقامته فى جنات النعيم، وادخاله برحمته فى عباده الصالحين، والمغفرة له ولوالديه ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين وعلى ازواجه الطاهرات امهات المؤمنين وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين آمين اللهم آمين

هو موطن الشرف العريض الاطول فأرح قلوصك(١) من ركوبك وانزل

ياصاح هابحر الهدى فتملَّ من رِىّ وها بــدر الهدى فتأمل

فلطالما ارسلت دمعك سالحا شوقا الى هذا النبى المرسل

عفّر جبينك فى صعيد وصيده فتراه اطيب من رطيب المندل

واحطط ذنوبك فى رحيب جنابه وارحل وايقن أنها لم ترحل

ودع القنوط فقد سألت شفاعة من ليس يُهمل امر من لم يسأل ٩٣ / الف

امرتنى الهمم الرواع بقصده فاطعتها وعصيت عذل العذّل

وغريرة باتت تغمغم رأيها فتركته واخذت بالأمر الجلى

بكرت تخوفنى اعاريب الفلا وتخال ارجافا تشين توكلى

وتقول لى انى لاوّجل ان تسر عنا فقلت الأمن لى ان توجلى

لابد من حرم الآله ولوبــدا من دون ذاك الشُهد مرّ الحنظل

(١) الاصل « عاجله » (٢) الاصل « قلاصك » .

أنى وقد قطعت اليه عُقلها خوص الركاب ومثلها لم يعقل
تحدى بأوصاف النبي محمد فتكاد تسبق ايديا بالأرجل
وتبيت يهديها سناه سبيلَها والليل اليلُ كالرداء المسبل
ويعيرها الحادى بذكر حبيبها فتظل تقذفه بصم الجندل
قبّلت اخفاف المطىّ كرامة لما نزلت بهن اكرم منزل
وشنى سراها غُلنى فشغلتنى (١) عن كل ذات مسور ومخلخل
انى لاصفيها الوداد وربما غادرت منها معلما فى مَجهل
وبسرعتى فى قصده اوردتها من منهل وعللتها من منهل
يا ناظم الدر الثمين ومهدى ال نظم الرصين لفاضل اومفضل
جانب مخادعة الملوك عن اللُّهى فالمال يذهب والخصاصة تنجلى
واصرف مديحك عن كثير تطاول بزخارف الدنيا قليل تطول
وامدح نبيا آخرا فخرت به الشـ ـمّ الأنوف من الطراز الاول
من جوده وافٍ بكل مؤمل ورجاؤه كافٍ لكل مؤمل
من اصطفاه الله من دون الورى فأحله فوق الكواكب من على
وحباه بالقرب الذى اضحى له جبريل عن حجب الجلال بمعزل
وعلا عن الامثال فهو لمن علا فى الوصف اقصى غاية المتمثل
٩٣/ب وغزا العدى من نفسه وصحابه ومن الملائكة الكرام بجحفل
كم لله صبغ الحذار(٢) سوادها يققا فانصل صبغها بالمنصل

(١) لعله فشغلنى (٢) لعله العذار .

ولكم

و لكم اباد نكاله في مازق و لكم افاد نواله في محفل
و لكم ابان هدى بخطبة فيصل و لكم ابار عدى بطعنة فيصل(١)
ما زال فوق المنبر السامي الذرى يمرى الضنا و يبير تحت القسطل
حتى استقام الدين و انتصر الهدى فنهى الكمي عن اضطهاد الاعزل
ياخاتم الرسل الكرام و فارج الـ كرب العظام بفعله و المقول
بك اكمل الله النبيين الاولى كملوا و خصك بالفخار الاكمل
اظهرت فينا المعجزات فحققت صدق الرسول بلطف صنع المرسل
فأطاع من سبقت له الحسنى و من جاد القبول له بجد مقبل
و عصاك من كتب الآله شقاءه فطغى و امهله و لما يهمل
زحزحت عن طرق المظالم عادلا فينا و من للعدل إن لم تعدل
و قرنت بالشرس اللبان فأتربت كف المحق و خاب سعي المبطل
تلك النبوة لاسيادة مالك امر الأنام بمشرب او مأكل
و لطالما ملك البسيطة معشر خلوا و ذكرك نابه لم يخمل
سرنا نشق اليك اجواز الفلا و نسوق نحوك كل حرف معمل
فالعيس بين مجعجع و مجرجر و القوم بين مكبر و مهلل
حتى وردنا من ضريحك موردا نشفى به من كل داء معضل
ادعوك للجلى و تلك شفاعة لم ترض لى انى اخاف و انتلى
ان لم يكن عملى زكيا فارع لى قطع الفلا و تلذذى بتذلل
احسن و احمل (٢) بى لعلمى أننى فى الفعل لم احسن و لما اجمل

(١) لعله فيصل (٢) لعله اجمل .

و انظر الىّ بعين عونك نظرة اهدى بها سنن الطريق الامثل
فلقد ضللت عن الرشاد و انى بك استير و انت هادى الضلل
و اليك من دون الانام توجهى و عليك من بين الكرام معولى
٩٤/ الف و لقد اتيتك مادحا لتجزنى فى الحشر كأسات الرحيق السلسل
و اذا مدحتك مجملا قصرت فى وصنى فكيف تعرضى لمفصل
فلان غدوت ببعض و صفك قائما فهداك و التوفيق انطق مقولى
و لان عجزت فان فضلك مكتنف بثناء آيات الكتاب المنزل

و قال ايضا من قصيدة طويلة يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم ويذكر بعض معجزاته واولها :

تشرف بذكر حميد الثناء على احمد اشرف الأنبياء
على موضع الرشد بعد العمى على مظهر الحق بعد الخفاء
على خاتم الرسل السابقين و اولهم فى قديم القضاء
فكان نبيا نبيه المقام وآدم بين الطين و الماء(١)
تشفع به فهو نعم الشفيع و سله المنى فهو بحر السخاء
و قل عبدك القن عبد العزيز رهين البلا و قرين البلاء
امات العمى قلبه فاغتدى دليل (٢) المقام عزيز العراء
فعطفا على من تناهت به الـ خطايا و عطفت لانتهاء (٣)
بتحقيق اخلاصه فى رجاء علاك وتحقيق ذاك الرجاء
و بالعفو عنه وعن والديـ ـه واعمامهم من أليم الشقاء

(١) لعله وآدم من بين طين و ماء (٢) لعله دليل (٣) كذا .

فأنت

فأنت النبي الوجيه الذى حوى فى الشفاعة خضل(١) الجزاء
فشرفه الله مختاره بخير صلاة و ازكى ثناء
وصلى الاله على الاكرمين واصحابه الصفوة الاتقياء
وخصّ ضجيعيه من بينهم بألطاف رضوانه والحباء
ومن لهما كان ملكا مطاعا وكانا لديه خليلى صفاء
وحيا ابن عفان صهر النبى وخدن السماح و ترب الحياء
وزاد اباحسن زلفة على مجده الهاشمى البناء
شقيق الرسول وزوج البتول ومردى العدى ومزيل العداء ٩٤/ب
واعنى(٢) ابن عوف باحسانه والحف مبغضه بالعفاء
وصلى على طلحة والزبير كما اغنيا عنه حين الغناء(٣)
واولى سعيدا وسعدا يدا على بسط ايديهما بالولاء
وارضى امين البرايا ابا عبيدة رب التقى والوفاء
واعقب عميه اصفى (٤) النعيم بما اسلفا من جميل البلاء
وسبطيه عمّ وامهما وازواجه منه اسنى عطاء
سيرفع عنى عب (٥) الذنوب هوى الخمسة الغر اهل العباء
اعدّ ولاءهم عدّتى وابرأ من قائل بالبراء
وإن انا قصرت فى مدحهم فقد بالغت همتى فى هجائى

وقال :

يارب ان سؤال الباخلين ثنى وجهى وكفى بلا ماء ولا مال

(١) لعله خصل (٢) لعله احفى (٣) لعله العناء (٤) لعله اصفى (٥) لعله عبء أى ثقل.

فاصرف بلطفك قلبي عن رجائهم ولاتصل بسوى نعماك آمالى

وقال رحمه الله تعالى :

حتام تعذلني وحتى هو ما علمت وما جهلتا
حب لو انك ذقته لعذرت فيه وما عذلتا
فدع السفاهة لى انا وخذ الرشاد اليك انتا
او لا فاسعدنى على شوق سهرت به ونمتا
وتـأت للراحات وانتهـب السرور فقد تأتى
أدن المدام لعلى انسى به البين المشتا
راح هويت صريحها فنحت ماء المزن مقتا
فاذا شربت مشوبها لاتسقى ممـا شربتا
ان التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلتا
ارح المزاج من المزا ج وهات صرف الراح بحتا

٩٥/ الف عمل القاضى تاج الدين يحيي بن الشهرزورى فى بعض ولاة الجور وقد سقط من الفرس :

الى النار يا ولد الزانيه وهذا الهوى الى الهاويه
وقعت فيا بردها فى القلوب فياليتها كانت القاضيه

فنظم الشيخ شرف الدين رحمه الله ابياتا الم فيها بهذه القافية وان كان معنى الابيات غير متحد وهى :

سرورى بساقية جاريه ووجدى بجارية ساقيه
اهز بها تيك عطف القريض ليثنى على هذه الثانيه

مهاة نشأت على حبّها كما هى فى حسنها ناشئه
على الجسم حاكمة بالضنا وفى القلب آمرة ناهيه
سبتنى كاسية بالجمال فروحى عندى لها عاريه
تعالى عن الندّ نشرها يطيب به الند والغاليه
واولت من الوصل اضعاف ما رجوت ولم تكفنى كافيه
فؤادى علىّ رقيب لها تطالعها عينه الصافيه
ترانى اذا لم ازر بيتها كأنّى بيت بلاد قافيه
تقربنى فاجوز الفلا واجلس فى الدست والحاشيه
وتنأى فأخنس فى مسجدى وحيدا والتفّ فى البارية
فطورا بخفى حنين اعود وطورا بقرطين من ماريه
فهل من معين على عاذلى فيأخذه أخذة رابيه
تجسر (١) اذ لم اطع امره فياليتها كانت القاضيه
ولست ابالى بسخط العذول اذا انا الفيتها راضيه
ولما شكوت خفى الجوى وعته (٢) لها أذن واعيه
وقالت بعيبى ماقد لقيت فقلت على عينك الواقيه
اضاحكة السن لو زرتنى عجبت لمقلتى الباكيه
وانقذتنى من أسىً زادنى فلم تبق فى جَلَدى باقيه
وانى وان نال منى الأذى معافى اذا كنت فى عافيه

(١) لعله تجاسر (٢) فى الاصل «وعة» خطأ .

٩٥/ الف انشد الشيخ شرف الدين عبد العزيز رحمه الله لضياء الدين على بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رواحة رحمه الله :

مولاى عبدك ذوانقباض يرتجى من لطف صنعك ان تمنّ ببسطه
ليجوز(١) من شرف التأنس قسمه ويفوز من شكر العبيد بقسطه

وانشد للمذكور ايضا :

لا حظّ فى الدنيا لمستيقظ يلحها بالفكرة الباصره
ان كدرت مشربـــه ملّها وان صفت كدرت الآخره

وقال من قصيدة يمدح بها الملك الامجد رحمه الله واولها :

رفقاً بصبّ يرى سلوانكم عارا ماكان منحرفا عنكم ولا صارا
لم ينسه البعد روح الأنس عندكم فلم يجدد لعهد القرب تذكارا
اقصاه صرف النوى منكم الى نوب اقلها انه ما سرّ مذ سارا
سنا هواكم الى لبنان ارشده ولم يقل يا لُبينى اوقدى النارا
وان يزركم على قرب فذو كلف لو افرط البعد لم يستبعد الدارا
يا ربّة الخدر (٢) لو غادرتنى شبحا ماسمتُ حلقا(٣) ولا سميتُ غدارا
عاقبتنى بجحيم الشوق واجدة وانت حملتنى للبين اوزارا
وضقت ذرعا بحبى واعتذرت به ذنبا فاوسعت ذاك الذنب اصرارا
اذ اجتنى بك من روض الرضا زهرا او اجتلى فى سماء العز اقمارا
لله وصلك ما اغلاه يوم شرى وشُهد ريقك ما احلاه مشتارا

(١) لعله ليحوز (٢) الاصل « الخدو » خطأ (٣) كذا .

فيك

فيك الغنى لى عن طيب و عن سكر كأن فى فيك عطارا و خمّارا
و هبت روحى لآلام الغرام كما أنهبت قلبى طرفا منك سحارا
عيناك للقتل لا نصل و لا ظبة والأمجد الملك لا كسرى ولادارا

و قال:

الا يا مالكى مالى الى غيرك من ميل
اما تنظر فى حالى فقد اضعفت من حيلى
و وجدى فيك لايحصى بميزان ولا كيل
و أما دمع أجفانى فلا تسأل عن السيل ٩٦/ الف
و ما انس فلا انسى مراحى ساحبا ذيلى
وإجلابى على اللذا ت بالرجل و بالخيل
من الليل الى الليل الى الليل الى الليل

و قال:

تثعلبت ذلّا فى غزال تأسدت له لحظات بصرت بالتغزل
وكم نظرة فى نضرة من نعيمه رأيت بها من مقلتى عين مقتلى

و قال الشيخ شرف الدين رحمه الله قال ظهير الدين المبارك بن يحيى الشهرزورى ممازحا لابن الحكيم و قد جلس فى الشتاء الى جانب بركة عليها سبع من ثلج:

و سبع كوعظ ابن الحكيم رأيته على بركة تحكيه عند مجونه
يصففها (١) مرّ النسيم اذا سرى و رقّ عليها مثل رقّة دينه

(١) الصواب يصفقها.

واحسن من هذا الاستطراد قول الخباز البلدى (١) :

وليل كوجه البرقعيدى ظلمةً وبرد اغانيه وطول قرونه
سريت ونومى فيه نوم مشرد كعقل سليمان بن فهد ودينه
على اولق فيه اعوجاج(٢) كأنه ابو جابر فى خبطه وجنونه
الى ان بدا ضوء الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وقال :

ما لطرفى حين اعذل يطلق الدمع المسلسل
ادبر العاذل عنى موقنا ان لست اقبل
وجد الصبر جميلا ووجدت الوجد اجمل
فتنتى عينُ غزال بصّرت من يتغزل
منع العاشق خدا يتعالى ان يقبل
حسد الصدغ عليه فتلوّى وتبلبل
خلت فيه الخال قلبى ان غدا فى النار يشعل
كيف اسلوه وليلى جعل الآخر اول

(١) هو ابو بكر محمد بن احمد بن حمد ان من شعراء اليتيمة ولكن هذا الشعر ليس للخباز بل لابن الزمكدم يمدح قرواش بن المقلد الامير المتوفى سنة ٤٤٢ ويهجو سليمان بن فهد الموصلى الذى قتل نفسه فى حبس قرواش سنة ٤١٢، واصل برقعيد بليدة قريبة من الموصل يضرب باهلها المثل فى اللصوصية ـك، وفى معجم ياقوت « و قال شاعر يهجو سليمان بن فهد الموصلى مستطردا ويمدح قرواش بن المقلد امير بنى عقيل » (٢) لعله ا هو جاج .

فاعذروا

فاعذروا فيه عذولى فهو من باب محول ٩٦/ب

وقال رحمه الله (١) :

دعني وشأني من وجدى ومن تعبى فراحتى فى الذى انكرت من نصبى
اضنى فؤادى فتّان الجمال اذا طلبت شبها له فى الناس لم اصب
قرأت خط عذاريه فأطمعنى بواو عطف ووصل منه عن كثب
واعربت لى نون الصدغ معجمة بالخال عن نجح مقصودى ومطلبى
حتى رنا فسبت قلبي لواحظه (والسيف اصدق انباء من الكتب)
لم انس ليلة طافت بى عواطفه فزارنى طيفه صدقا بلا كذب
حيّا بما شئت من ورد بوجنته نهبته بالتثامى (٢) وهو منتهبى
وكان ثغر شهى منذ فزت به قلت العفاء على كأس ابنة العنب
ورحت لم ادر عقلى هل فجعت به من نخوة العزّ أم من نشوة الطرب
اقسمت ما فى ضروب السكر ابلغ من سكرى بريق له احلى من الضرب
نشوان اسأل عن قلبي فينكره تيها ويسأل عنى وهو اعرف بى
وكلما قال ممن انت قلت له ممن اذا عشقوا جاؤك بالعجب
لا تسألوا ميتكم عن حيّه فله من الاضافة ما يغنى عن النسب
وراقبوا منه حالا غير حائلة عما عهدتم وقلبا غير منقلب

قال الشيخ شرف الدين رحمه الله من طريق الاتفاق انني نظمت ابياتا فى زمن الصبا فى بعض رحلى عن حماة منها :

أمل كتمان الهوى وهو واضح ودمعى يوم البين بالسر بائح

(١) فى الشذرات نبذة من هذا الشعر ـ ك (٢) الشذرات « بابتسامى » ـ ك.

لعمرى لقد حاولت مالا أناله كما حاولت امساك قلبي الجوارح

لعل بعادى عن حماة يعيدنى تخاف السطى منى و ترجى المنائح

لأهزم جيش المال و هو عرمرم و ادفع صدر الخطب والخطب فادح

على انى قد كنت فيها مكرما تراع لكرائى القروم الجحاجح

٩٧/الف مقيما بربع الدير جسمى و صحبتى و قلبى بربع القصر غاد و رائح

يهيج اشجانى به كل ليلة و تصرفنى عما تقول النواصح

بدور من الباب المصرع طلّع و مسك من الباب المصرع فائح

لحفظ الابيات بعض السفارة و حفظت عنه فى الشرق، ثم قدم شاعر من اهل الموصل يقال له البدر محمد بن روضة وكانت والدته تتردّد الى دارنا ايام مقامنا بالموصل فانزله والدى و اكرمه وكان يجلس على حانوت الفخر عبدالرحمن بن الصياد بسوق العطر فى كثير من اوقاته يذاكره و يناشده و يخرج معه فى آخر النهار الى ظاهر البلد للتنزه و الرياضة فاتفق انه خرج معه يوما يريدان المصلّى فاجتازا بباب ذى مصراعين و قد ولد فى الدار مولود و الطيب ينفح والبخور يتضوع و فى الباب صبيات كالبدور الطلع و اصوات القيان فى باطن الدار و ظاهرها يطرب السامع فوقفا مع النظارة، فلما رأى ابن روضة ذلك انشد متمثلا :

بدور من الباب المصرع طلّع

البيت، فضحك الفخر بن الصياد و قال له أتعرف هذا الشعر لمن؟

فقال

فقال لا والله بل هذه الابيات سمعتها فى الشرق لا اعرف قائلها، فلما رأيت الصورة تمثلت بالبيت فقال له ان البيت لفلان الذى انت نزيله و نزيل والده و هذا البيت بعينه هو الذى عناه بهذا البيت فتعجب من ذلك و اطرفانى بالقصة فعجبت من هذا الاتفاق .

و قال الشيخ شرف الدين حدثنى بعض خلانى قال ابتليت بهوى بعض ابناء الاماثل ولم يكن من ابناء جنسى و لا لى به سابقة خلطة فأعملت الحيلة فى التعرف اليه و بذلت البذول السنية لمن جمع بينى و بينه بتوصلات متعته (١) الى ان التقينا راكبين فى خلوة بمكان مشرق (٢) على انهار حماة و بساتينها فتسالمنا ثم حرصت على ان اباسطه بشىء من النظم و النثر او بث وجد و استجلاب ود فحصرت عن المنطق بكلمة واحدة و لم ازد على ان قلت له انت ما تصلى فقال بلى و يكون مسلم ما يصلى ثم افترقنا، قال الشيخ شرف الدين فحكيت هذه القصة للملك المظفر صاحب حماة رحمه الله فاستظرفها، ثم اشار الى بعض فتيانه ممن له معه هوى و قال ايش تقول فى هذا يصلى فقلت سيماهم فى وجوههم من اثر السجود فاستطار طربا بقولى من اثر السجود و قال ايضا رحمه الله :

٩٧/ ب

ملّكت رقّى غلاما به سلوت الغلامه
عاملت فيه عذولى بالكيد لا بالكرامه

و قال رحمه الله فى الزهد :

كل داء لك داء ما لبلواك انتهاء

(١) كذا (٢) لعله مشرف .

طول آمال وحرص ونفاق وريـاء
وذنوب جّل فيها الخطب اذ عز العزاء
فتنصل من خطيّات لها النار جزاء
واسلُ عن دنيا يقضيها صباحٌ ومساء
وابغ اخرى دائم فيها نعيم وشقاء
لايقنطك ولايؤ منك خوف ورجاء
سابق الفوت الى الفوز فقد جدّ الجزاء
وانفرد فهو على دينك والعرض وقاء
واعف عن كل الورى ان احسنوا أو إن اساؤا
فبنو حواء فيما دون تقواهم سواء
فاز بالراحة ذوالهم وللغز (١) العناء
واذا صح لك القوت على الدنيا العفاء
جفت الأقلام بالكائن وأبتّ القضاء
كل ما فى هذه الدنيا قصاراه الفناء
ولأهل الخلد فى الخلد ولله البقاء

٩٨ / الف

وقال الشيخ شرف الدين رحمه الله :

هى الدنيا تحبّ ولاتحابى وتصحب ثم تغدر بالصحاب
دهتنى فى شباب خولته ولم يفجع بمنع مثل حاب

---

(١) لعله للغر .

فلاتعجب من الاضداد وانظر الى ضحك المشيب مع انتحابى

فلا تثقن واقل بنيها (١) جرائم ضيقت سعة الرحاب

وعاشرهم بأخلاق عذاب طواهر مثل امواه السحاب

وقال :

دخلت حمامكم فجاشت بألف كرب لكشف كربه

فقلت تبا لحب دنيا نعيمها بالشقاء أشبه

وقال:

رفقا بروحى فهى لك وعلى السخىّ بما ملك

افضل بحق من اصطفا ك على الملاح وفضّلك

فكأن ربك بالجما ل على اقتراحى مثّلك

احظاك منه بمنصب سوّاك فيه وعدّلك

من فرّ من ذل السؤا ل فعزتى أن اسألك

ان يحم طرفى أن يرا ك جعلت قلبى منزلك

انى أغار اذا أرا ك دنا اليك فقبّلك

ويروعنى واشى النسـ ـيم اذا ثناك وميّلك

ما اقبح الصبر الجميل بعاشقيك واجملك

ما انقص اللوّام فى ولهى عليك واكملك

قال الشيخ شرف الدين حدثنى شمس الدين حسن بن صالح السلمى خادم ملك النحاة ابى نزار(٢) رحمه الله ببعلبك قال رأيته فى المنام بعد

---

(١) كذا (٢) اسمه الحسن بن صافى كما فى بغية الوعاة ووفيات الاعيان .

موته فقلت له ما لقيت من ربك فقال لى ويلك ارفع صوتك ما اسمع
ما تقول فقلت يا مولانا ما لقيت من ربك فقال ويلك ارفع صوتك
ما اسمع فأعدت عليه القول ثالثا فقال لى ويلك وما ذكرته لك فقلت ٩٨/ ب
لا فقال والله انشدته [قصيدة] (١) ما فى الجنة مثلها ثم انشد .

يا هذه اقصري عن العذل فلست فى الحل ويك من قبلى

الى ان قال فيها:

يا رب ها قد اتيت معترفا بما جنته يداى من زلل
ملآن كف بكل مأثمة صفر يد من محاسن العمل
فكيف اخشى نارا مسعرة وانت يا رب فى القيامة لى

وقال رحمه الله ملغزا فى اسم عبد القادر [ثم قال والله ما سمعت حسيس النار(٢)]

ما اسم تعلقته مضافا (٣) الى انفرادى وطول فكرى
فشطره عند من بغاه مصحفا (٤) باله بخير (٥)
فلا تظننه وصف جمـــع من سنح فى الفلاة عفر
ولا نظيرا ليوم وصل أمنت فيه عناد دهرى
وشطره الآخر المرجى لكل (٦) عفو وكل غفر
قسمان فعل ماض وحال بغير امر وفعل امر
رأيتـــه جائزا (٧) لقلبي اذ قلبه مثل قلب هجرى

---

(١) من بغية الوعاة وقد سقط من الاصل (٢) لعل هذه الجملة من تتمة قصة ملك النحاة السابقة (٣) الاصل «مصافا» (٤) لعله مصحف ــ خبر فشطره (٥) كذا (٦) فى الاصل « لكو » (٧) لعله حائزا .

وان تلخص فالشطر وصفى والشطر وصف عليه تجرى

وقال:

أهلا بطيفكم وسهلا لو كنت للاغفاء اهلا

لكنه وافى وقد حلف السهاد علىّ الا

ان لم تزوروا فاجمعوا بخيالكم فى النوم شملا

ولقد قنعت بوعدكم فبرى (١) افوز بذاك أم لا

اطوى الزمان تعللا عنكم بليتَ ولو وعلاّ

واكرر الشكوى عسا ى يعيننى من كان ابلا

قالوا سلوتهم فقلـ ـت كذبتم حاشى وكلاّ

انى فطرت على النهى وتفطر العذال جهلا ٩٩/ الف

راموا فطامى عن هوى غذيته طفلا وكهلا

فوضعت فى جيبى يد ىَّ وقلت خلونى والا

يامن يتيه بناظر عزّ التصبر اذ تولّى (٢)

ياحاكما فى صبوتى وتصبرى عَقدا وحلا

قلبي لديك ومهجتى تفنيهما اسرا وقتلا

خاطبتنى (٣) ولحظتى فسحرتنى قولا وفعلا

الغصن انت اذا تثنى والبدر انت اذا تجلّى

بهرت محاسنك العقو ل فعزّ خالقنا وجلّ

وقال كتبت الى والدى رحمه الله ملغزا للثلج فى اوائل مانظمت :

---

(١) لعله فترى (٢) فى الاصل : يامن يتيه بناظر عز : ل التصبر اذ تولى : (٣) الاصل «=

ما بالكم فى مأكل طيب ومشرب عذب يزيل الأوام
نضربه من فرط اشفاقنا عليه ان يسلب ثواب الدوام
ودفنه فيه صلاح له مع انه من نجل قوم كرام
وان تصحفه فتصحيفه مدينة (١) من بعدها لاترام
وهو اذا صحفته ثانيا جنس (٢) من الاثمار قبل التمام
وعكسه من بعد تصحيفه بلدة (٣) ملك من بلاد الشام

فكتب تحتها واعادها الىّ ولم يجف الخطان لسرعة النظم وقرب المكان :

يا ملغزا فى شعره شعره حسبك قد اثلجتنا يا غلام
وقد فطنا واجبناك عن تفسيره فافطن لهذا الكلام

وقال كتبت الى والدى ملغزا للباب :

ياقائم فى مخرج يذهب طورا ويجى
لست تخاف شره ما كان غير مرتج

فكتب لى فى ظهر الورقة ذهاب ومجىء وخوف شر هذا باب خصومة ولو قلت يخاف منعه كان اجود وأليق وخيرا من الشرواصدق .

وقال رحمه الله :

٩٩/ب

صبٌ لحديه بالدموع يشى من جور واش بكم عليه يشى
ومولع تنطوى اضالعه على حشىً من جوى الغرام حشى
تيّمه الواصل القطوع فقد هيّمه بين ما رجا وخشى

=«وخاطبتنى» خطأ (١) يعنى بلخ - ك (٢) يعنى بلح - ك (٣) يعنى حلب - ك .

ظبى

ظبي من الانس كم لنفرته والأنس من مدنف ومنتعش

لايطمع البدرأن يقاس به وهو معيب بالنقص والنمش

بدا فابديت غير معتمد هواه لكن دهيت من دهشي

عقرب صدغا كالنون عرقها فى آخر السطر كف مرتعش

ويعين الشعر كى اراع فلا وقيت من لسع ذلك الحنش

راق جمالا ورقّ محتضنا فكدت اشتفه من العطش

ضممت اعطافه فبات على موسد من يدى ومفترش

وافى على ادهم الدجى ومضى ركضا على اشهب من الغبش

طاش وقارى له واى فتى فازبما نلته فلم يطش

مولاى عش وادعا فعبدك ان دام بـــه ذا السقام لم يعش

وانشد الشيخ شرف الدين لضياء الدين محمد بن المنصوربن الشهرزورى كتب بها الى ضياء الدين القاسم بن يحيي الشهرزورى ضمن هدية سيرها اليه:

ايا من حوى سبل المكارم كلها وزفّ اليه الصعب منها واسناها

واصبح فردا فى المعالى فلن ارى نظيرا له فى العالمين واشباها

بحكم انبساطى قد بعثت هدية وما كنت لولاه لمثلك ارضاها

بقيت ودامت لى حياتك انها بقية آمالى التى اتمنـاها

وانشد الشيخ شرف الدين المذكور لابن التلميذ (١) فى ولده :

اشكو الى الله صاحبا شرسا تسعفه النفس وهو يسعفها

(١) هو ابوالحسن هبة الله بن صاعد الطبيب النصرانى مـات سنة ٥٦٠ - لك .

كأننا (١) الشمس و الهلال معا تكسبه النور و هو يكسفها

١٠٠/ الف و انشد لشرف الدين عبد الله بن ابى عصرون (٢) :

و مروحة تفرج كل كرب ثلاثة اشهر لابد منها

حزيران و تموز وآب ويغى (٣) الله فى ايلول عنها

و له :

أومل ان احيا و فى كل ساعة تمر بى الموتى تهز نعوشها

و هل انا الا مثلهم غير ان لى بقايا ليال فى الزمان اعيشها

و قال رحمه الله الشيخ شرف الدين عبد العزيز :

قفانبك من ذكرى هوى ذلك الخشف وان كانت الذكرى تشف وتشفى (٤)

غزال غزا الآساد فى جيش حسنه فصادهم بين السوالف و الشنف

و بدر دجًى لم ينتقل كسميه و لكنه مازال فى القلب و الطرف

يلوح لعينى ما شقا (٥) نون صدغه فأعبد خلاقى على ذلك الحرف

تعرى و لم ينصف فؤادى اذغلا بحبيه و المغلى يرد الى النصف

و اقدم زحفا خارجىّ عذاره فهل عنده انى افرّ من الزحف

و لى فيه بلبال يدق حديثه ا قديم و اشجان تجلُّ عن الوصف

و لى ثوب سقم محرق من جفونه معار و اثواب العوارى لاتدفى

الأم و لى كف لوا كف مدمعى تكف و اخرى من ملامى تستعفى

و أنفى اساءات الوشاة بحسنه فيرجع كل منهم راغم الأنف

(١) لعله كأنهما (٢) هو عبد الله بن محمد بن هبة الله توفى سنة ٥٨٣ - ك (٣) الاصل «يغنى» بحذف حرف العطف (٤) كذا ولعله ولا تشفى (٥) لعله عاشقا .

ويرجو

ويرجو فلاحا عذّلى فأحيلهم على آخر العشرين من سورة الكهف

وقال كتبت الى والدى ملغزا للسراج :

ولى صاحب اختاره و اجالس يؤانسنى ان اوحشتى الوساوس
يدين بطوعى منه رب هداية على العرش و الكرسى للخلق جالس
اراجعه محض الفوائد جاهدا فأقبسه طورا و لى منه قابس
له من يدى جود و لى من لسانه هدى كلما التفت علينا المجالس
اغار من الانفاس صونا لنفسه فأحرص فى احرازه و انافس
اذا نام عنى اسرتى فهو ساهر و ان ضيعتى صحبتى فهو حارس ١٠٠/ب
فصحفه واعكسه تجده مفسرا وفى الوصف كاف ان تفطن حادس

فكتب الى جوابا :

فديتك يا وترا لشافعه عمّاً فلم ابق خالا فى الفداء ولا عما
تقارنتها نجمى ضياء شركته بما خص منه و انفردت بما عما
أتتركه نهبا لفهمى بحارس يبيح حماه ثم تسألنى عما
فان عبس الاظلام عند ابتسامه كفاك بايضاح لمشكله عما

يريد عمّ يتساءلون لما فى السورة من ذكر السراج و قال :

لاتبخلنّ بدمع منه مدرار من فارق الإلف قسرا غير مختار
ولا يروى ذوجهل تصبرّه ليس المشوق على بعد بصّبار
استودع الله فى الغادين بدر دجىً ودّعت منه لباناتى و اوطارى
ظبى يقنص (١) من طرفى كراه ولم احفل بمسراه لولا طيفه السارى

(١) لعله يتنغص .

اذا تثنى عن طوع لائمتي (١) خواطرى بقوام منه خطار
وان رنا قيل يا الله (٢) صنعت عين الغزال بقلب الضيغم الضارى
كم نلت فى وصله من فرحة ذهبت عني ودام لها حزني وتذكارى
وغض ورد بخديه لعزته لم يجن الا باسماع وابصار
وقبلة لم يطرق نحوها دنس اذ لم يكن غير تقدير واضمار
وخلوة فى التقى والأنس مخلية جفنى من الماء وقلبي (٣) من النار
احبابنا كيف حلت من حبالكم حبالنا بعد إحكام وامرار
وكيف ضيعتم عهدا حفظت له ودائع الحب فى جهر واسرار
ابان غدركم هجرى وما عرفت عصابة البغى لولاقتل عمار
وخان عهدى نصيح لج فى عذلى فقلت دعني وايرادي واصدارى
فما بقلبك اشجانى ولاذرفت عيناك دمعى ولاحملت اوزارى
الام فيكم ولا تجدى الملامة فى وجدى بكم غير اغرائي واصرارى
ان كنت لم افتقد غمضى لفقدكم فلاوجدت من الأنصار انصارى
اوكنت اجرمت جرما استحق به بعدا فلا قربت من داركم دارى
اوكان ما ضيقوه من مسالكنا ظلما فلاوسعتهم (٤) رحمة البارى
عابوا خلالى واغتابوا فوقرنى علمى بأنهم ليسوا بأنظارى
ان يفعلوا فكفاهم شاهدا لهم بالنقص جهلهم فى الفضل مقدارى
لولا هواكم لما عاثت ذئابهم فى سرح عرضى ولا مروا بأفكارى

١٠١/الف

(١) المصراع كما تراه (٢) لعله حذف من هنا «ما» (٣) لعله او قلبى (٤) الاصل «وسعتم» خطأ.

وقال رحمه الله :

اذا رمت امرا فاعتمد فى بلوغه على صاحب ذى حكمة وتجارب
ولاتتخذ فيما ينوبك مسعدا سوى عزمات كالنجوم التواقب
وكن كابى الاشبال غير مصاحب صحابا سوى انيابه والمخالب
ولا تغترر بالخل ان لاح بشره فان الافاعى لينات الجوانب

وقال ايضا رحمه الله:

عنى ملامك قد اكثرت تعذالى ليست شعاب الهوى من طرق امثالى
يا ربة الخال كفى عن عتاب فتى جم الوفاء كريم العم والخال
لم يثنه عنك بان من حديث هوى ولا مغاداة غزلان بأغزال
لكن انار زناد الشيب مفرقه بشعلة بصرته يقظة السالى
واصلنه قاطعات عن وصالكم واعتاض عن شغله فيكم باشغالى
فقرما جاش من عذر و من عذل وما يعارض من قيل و من قال
ولو أنست الى لهو لنفرنى ماتفر الغيد من شيب واقلال(١)
خذى اليك ابنة البكرى معذرتى اودى شبابى و حالت بعد كم حالى
لولا ثلاثون يحدوها ثمانية لكان مثلك من مثلى على بال
اصبوة بعدان اضربت عن طربى و قارع الموت اضرابى و اشكالى
طول التفكر فى التقصير اقعدنى عكم و سكن بالاقصار بلبالى ١٠١/ب
فالآن فليعتزل هزلى مصاحبتى وليكثر الجد فى اصلاح اعمالى

(١) كأنه يشير الى قول الشاعر :

اذا شاب رأس المرء او قل ماله فليس له فى ودهن نصيب

و قال رحمه الله :

و نادمت من اهوى على قهوة خلّت سرور القلب فى اسر
بدر لشمس الراح فى وجهه اضعاف نور الشمس فى البدر
و ريقه العذب اذا صحّ لى سلوت عن رائقها المر

و قال :

اسرفت فى ذا الصدود فاقتصد ان لم تعدنى يا مسقمى فعد
لاتبخلن بالمقال منك اذا كنت ببعض الفعال لم تجد
و قل غدا موعد الوصال و لا تقصد لانجازه و لاتكد
علك تحنو علىّ بعد غد او فلعلى اموت قبل غد

و قال :

و معرب اللفظ لى من نحوه ابدا حذف و صرف و اعلال و تنكير
و جدى به و افر والدمع منسرح والصبر والغمض منقوص ومقصور
و حسنه كامل و العهد مقتضب و الوصل و الصد مقطوع وموفور
و لحظه ساكن و القدّ منتصب و القرط مرتفع و المرط مجرور

و قال رحمه الله :

الا موت يباع الاحِمام فابذل فيه ما ملكت يمينى
فان الموت خير من حياة تواضع رتبتى فيها قرينى
اذا ما نال مَن دونى مرادا احاول دونه فيحال دونى

و انشد الشيخ شرف الدين للعماد الكاتب (١) رحمهما الله ملغزا

(١) هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الوزير توفى سنة ٥٩٧ - ك.

فى

فى غلبك :

لى حبيب تصف اسمه غل قلبي و اميرى باقيه بالتركيه
انا فى ذلة العبودة منه وهو منى فى عزة ملكيه

و انشد للعماد ايضا :

مرضى من هوى اللحاظ المراض انا راض به و ما انت راضى
انت يا عاذلى خلىٌّ من الوجد و قلبى شجٍ فخلى اعتراض
حويت خلالا على المخزيات جمعن و اخلاقذا الخلق شتى (١) ١٠٢ / الف
اذا ما أمرت بخير صددت و ان تنه عن ورد شر وردتا
و ما قيل تنشط الاّ كسلت و لا قيل تصلح الا فسدتا
يخالف قولك منك الفعال و يُكثر ذا عند ذى العرش مقتا
اتفعل و الذر يحصى عليك فليتك فى الذّر لاكنت كنتا
جعلت البطالة شغلا لديك تقضى بها الدهر وقتا فوقتا
اذا قيل جاف (٢) الخنا قلت قد و ان قيل ناف الدنا قلت حتى
و هبك تركت زمان الحيا ة فأين المفر اذا انت مُتا
وكيف الفرار اذا ما الجبا ل نسفن فلم ترفيهن امتا
سرى المتقين لكسب الفلاح ففيمن اقمت وفيما اقمتا
تضرع الى الله فى توبة نصوح مكفرة ما اقترفتا
و قلبك فاستفته مخلصا مطيعا اذا غيره الغر (٣) افتى

(١) لاعنوان لهذا الشعر وكأنه سقطت و رقة من الاصل ـ ك (٢) الاصل «صاف»
(٣) كذا .

متى ينجلى ظلم الظلم عنك اذا لم تناد نداء ابن متى
فيارب انت الغنى الحليم اجرنى من النار فيمن اجرتا
فمابك ضر اذا ما عصيت ولا بك نفع اذا ما اطعتا
وان كنت اسرفت فيما عملت فعفوك والصفح عما عملتا

وقال :

اغراه افراط اقبالى بجفوته (١) وما درى ان اعراضى كاقبالى
ان الصدود لعذب مرّ مورده عندى لمن لم يوافق حاله حالى

وقال :

مولاى لابت مبيتى على اخلاف ميعادك بالأمس
فاسعف اليوم بانجازه فديت بالمال وبالنفس
فان مضى حين على جفوتى مضى بى الحين الى رمسى
مالى سوى هجرك من مأتم ولاسوى وصلك من عرس
سلطك الحسن على مهجتى والقلب فى الاطلاق والحبس
١٠٢/ب فكيف تلبيسى على عاذلى وليس فى حالى من لبس
ما نور عينى فى الدجى والضحى غيرك يا بدرى ويا شمسى
يخرسنى خوفك عن حجتى وانى افصح من قُس
وتظهر الحبسة فى منطقى حتى كأنى حسن البرسى (٢)

(١) الاصل «بجفوته» (٢) برس بضم الباء وسكون الراء موضع بارض بابل ولكن لا ادرى من حسن هذا ـ ك .

وقال

وقال :

ربع اصطباری دمنه وسيوف عذالی كليله
فارعى جملی يا بثين واسلنی عندی جميله

وللشيخ شرف الدين رحمه الله اشعار كثيرة لايجمعها ديوان وكان من حسنات الدهر ومحاسنه وكان والده من الاعيان الافاضل العلماء الرؤساء متفننا فى العلوم وله معرفة بالفقه والاحكام ولى القضاء غير مرة نيابة واستقلالا وصحب القاضى ضياء الدين محمد بن المنصور بن الشهرزورى وكان له به اختصاص كثير وناب عنه فى الحكم وفى نظر الاوقاف وغير ذلك، ووقفت على كتاب جمع فيه الشيخ شرف الدين المذكور رحمه الله اشياء من اخبار والده القاضى زين الدين محمد بن عبد المحسن المشار اليه رحمه الله، فما علقت منه : قال الشيخ شرف الدين حضرت بين يدى والدى رحمه الله وقد قاربت خمس عشرة سنة فسألته عن عمره فقال خذ فى شأنك هكذا ورد فى حديث مسلسل فالححت عليه فأمرنى فأحضرت كتابا من كتب القراآت فأرانى صفحة فى آخره مكتوب عليها بخط جدى رحمه الله ولد الولد المبارك محمد فى الثانى والعشرين من جمادى الاولى سنة ست وستين وخمسمائة وتحته بخط والدى رحمه الله ولد الولد المبارك عبد العزيز ضحوة نهار الاربعاء ثانى وعشرين جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمائة فأخذنا نتعجب من هذا الاتفاق فى السنة والشهر والجزء من الشهر، ثم انصرفت من بين يديه الى حجرة كنت اخلو فيها بنفسى ففكرت انه فى يوم

مولدى كان قد اكمل والدى عشرين سنةفنظمت بيتين وكتبت بهما اليه وهما :

١٠٣ / الف يارب قد اوجدت (١) قبلي ابي في هذه الدنيا بعشرينا
فاجعله بعدى باقيا مثلها وارحم محبًّا قال آمينا

فكتب اليّ فى الحال :

لا بل اموت وتحيا فى غبطة وخير (٢) محيا
حتى تصرف صرف الز مان امرا ونهيا

ثم كتب اليّ بعدها .

لا بل اموت وتبقى من الخطوب موقّى
ويرحم الله خلّا يقول آمين حقّا
وما عهدك (٣) ممن اراد برّا فعقّا

وكتب تحتها انما اردت بقافية البيت الثانى دعائى حقيقة بخلاف دعائك وجعلت قدحى فى ادعائك عقوبة على اعتدائك ثم بات تلك الليلة فلما اصبح كتب الى ليعلم الولد، اسلكه الله الجدد، وهيأ له الرشد، انى فرقت الليلة وفارقت واستشعرت من مضمون شعره فنظمت :

ايها النجل الشفيق كيف اخطاك الطريق
راعنى منك دعاء لم يسغ لى منه ريق
قدك قد كلفت سمعى منه ماليس يطيق
لم اخلك الدهر تلقا نى بشيء لا يليق

(١) الاصل « اوحدت » خطأ (٢) لعله فى غبطه خير (٣) لعله وما عهدتك .

أعدوّ انت اخبرنى بصدق ام صديق
مسنى من شعرك البارد حرّ بل حريق
ما له لفظ جليل لا ولا معنى دقيق
لم يصح لى منه الا مقة منك وموق
اعف من بركَ هذا فمن البر عقوق

قال الشيخ شرف الدين رحمه الله حفظ والدى القرآن العظيم وعمره تسع سنين وصلى التراويح بجامع دمشق برواق الحنابلة وتلقنه من صالح المقرئ وتأدب على الشيخ يوسف البونى ثم على الشيخ العالم الحكيم ابى محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان(١)الغسانى الاندلسى ثم على شيخنا تاج الدين ابى اليمن زيد بن الحسن الكندى وتفقه على الشيخ شرف الدين عبد الله بن ابى عصرون ثم على الشيخ ضياء الدين الدولعى (٢) ونظم الشعر وانشأ الرسائل وعمره عشر سنين وما حولها ومما نظمه فى صباه:

وذات قوام اذا ما انثنى (٣) رأيت القلوب بـه (٤) فى عنا
تراءت لنا كهلال السماء وظبى الفلاة اذا ما رنا
كشفنا لها بلسان الجفون ونطق الحواجب ما عندنا
فأفهمنا لحظها انها تروم التواصل لو أمكنا
ولازمنا طرفها ناظرا يخبر ان بها مثلنا

---

(١) كناه ابن الابار ابا الفضل وقال انه توفى نحو سنة ٦٢٠ بالمشرق – ك (٢) هو عبدالملك بن زيد بن يس توفى سنة ٥٩٨ – ك (٣) لعله انثنت (٤) لعله بها .

ولولا محاذرة الكاشحين وشرهم نولتنا المنا
الم بها ما بنا من هوى الم فيتمنا (١) كلنا

ومن ذلك:

كأن الهلالي هلال السماء وقد لاح فى قمص من سواد
حبيب امات بهجرانه محبا وداري بلبس الحداد

وقال ملغزا للبيضة:

ها انا السابق او واضعتى (٢) خبّروا سابقنا بالتبديه
ان تكن منى فمن اين انا او اكن منها فمن اين هيه

وقال فى السواك (٣):

ومصحوب به امر الرسول له لونى المغير والتحول
تنعم فى مكان ما الخلق سواه الى تقحمه سبيل

وقال الشيخ شرف الدين انشدنى شيخنا تاج الدين الكندى فى التضمين:

يا ذا الذى فى الحب يلحى أما والله لو حُمِّلت منه كما
حملت من حب رخيم لما لمت على الحب فذرنى وما
اطلب انى لست ادرى بما قتلت الا اننى بينما
١٠٤/ الف انا بباب القصر فى بعض ما اطلب من قصرهم اذرما
شبه غزال بسهام فما اخطأ سهماه ولكنما

(١) لعله فتيمنا (٢) الاصل «واضعتنى» قال هذا على لسان البيضة (٣) الاصل «السؤال» خطأ.

عيناه سهمان له كلما اراد قتلى بهما سلما

قال فأنشدتها والدى فقال احسن منها ابيات حفظتها من ابى من شعر ابن المعتز وهى:

يا نفس ويحك طالما ابصرت موعظةً وما
نفعتك فأخشى وانتهى وعليك بالتقوى كما
فعل الأناس الصالحون وبادرى فلربما
سالم (١) المبادر فاحذرى يا نفس من سوف فما
خُدِع الشقىُّ بمثلها اياك منها كلّما
باحت (٢) مكايدها ضمير ك انما هى انما
خطر وكم قتلت واه لكت النفوس وقلما
تغنى امانيها اذا حضر الردى وكأنما
لم يحى (٣) من لاقى منيّته فيا عجبا أما
فى ذاك معتبر ولا شاف يقصر من عما
ياذى (٤) المنى ياذى (٤) المنى عش ما بدالك ثم ما

و لجمال الدين همام الدولة الحسن بن على بن نصر بن عقيل بن احمد ابن على العبدى الامير (٥) الموصلى :

وهب المدامة للمى واعتاض عن كأس فما
ظامٍ الى رشفات ما لولاه ما عرف الظما

(١) الديوان «سلم» (٢) الديوان «ناجت» (٣) الديوان «لم يحى» (٤) الديوان «ياذا» (٥) توفى سنة ٥٩٦ .

يا برد ما اذكى الجوى بين الضلوع واضرما(١)

وكتب زين الدين محمد بن عبد المحسن المذكور الى شمس الدولة ابن جميل وقد اهدى له ورقا :

حبّذا يا ابن جميل حبّذا ورق اهديته لكن اذا
كان من خطك(٢) موشيا بما معتدى(٣) الطف شئ يحتذا
لنفوس تتمارى فيه هل يحتذى(٤) او يحتدى او يحتذا

١٠٤/ب وكتب الى الشيخ تقى الدين ابى الحسن على بن ابى بكر الهروى الخراط الموصلى نزيل حلب يطلب منه ثوبا من ملبوسه يتبرك بـه فانفذه اليه وكتب معه :

قميص عبد مذنب غافل زمانه فى صفقة خاسره
فابك على من ظل فى غفلة قد خسر الدنيا مع الآخره

ثم كتب الهروى الى زين الدين يطلب منه ثوبا فانفذه اليـه وكتب معه :

قل لتقى الدين يا من هدى الى العلى منهاجه الواضح
وافاك ثوبى فاطّرحه فما يجتمع الصالح والطالح
البسه ادنى خادم مثلما يطعم كسب الحاجم الناصح(٥)

وقال زين الدين المذكور :

اقنع بايسر ميسور من الزمن واشكر لربك ما اولاك من منن
واذكر ملابس من عدن يخص بها ذو والتقى والهجر الأرداد من عدن

(١) الاصل «الصلوع ما اضرما»(٢) الاصل «حطك»(٣) كذا (٤) لعله يجتدى
(٥) لعله الناضح .

ان

ان(١)شئت ان تدخل الجنات مجتنيا قطوفها فتوق النار بالجنن
وعاشر الناس بالمعروف مجتهدا وراقب الله في سر وفي علن

وقال ايضا :

يا مولعا بالاماني غير معتبر كيف الاقامة والدنيا على سفر
لاتركنن الى دار الغرور ولا تسكن الى وطن فيها ولا وطر
وسالم الناس تسلم من مكايدهم مسلما لقضاء الله والقدر
كم منحة بدرت ما كنت تأملها ومحنة لم تكن منها على حذر

وقال ايضا :

ابناء دهرك موتى فاعظم الله أجرك
لاترج منهم حراكا فالميت لايتحرك
لاتعجبن لمسيء واعجب لمن كان سرّك
فانفر من الناس مهّد (٢) عند الآله مقرّك
وان تصاونت عنهم فان لله درّك

وقال :

لونفرنا عن السكون الى الدنـيا هدينا الى سواء السراط ١٠٥ / الف
دار غدر وحسرة وانقطاع وبلاء وقلعة واشتطاط
ابداً تسترد ما وهبتــه كخليل ابن يونس الخياط

ومعناه ان عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس الخياط كان له خليل يدعوه لمنادمته فاذا سكر خلع عليه ثوبا فاذا صحا من الغد بعث

(١) الاصل « وان » خطأ (٢) الاصل « بمهد » خطأ .

اليه فاستعاده منه وكان ابن الخياط هـذا منقطعا الى الزبيريين فقال فى ذلك :

كسانى قميصا مرتين اذا انتشى ويزعه عنى اذا كان صاحيا

فلى فرجة(١) فى سكره بقميصه وروعاته فى الصحو حصّت جناحيا

فياليت حظى من سرورى و روعتى يكون كفافا لا علىّ ولا ليا

وكتب ضياء الدين بن الشهرزورى الى زين الدين المذكور ورقة فى مهم وطلب كتب جوابها فى ظهرها فكتب فى غيرها وسير ورقة ضياء الدين عطفها وكتب فى ابتداء الجواب بديها :

ضياء الدين كم انهضت جدى (٢) فلم انهض بأنعمك الجسيمه

اتانى خطك المرسوم نورا بمرسوم عظيم فى عظيمه

ورمت جوابه فى الظهر منه لتأمن فيه غائلة النميمه

فلم أر ان اطيعك فى ابتذالى له والرقم فى طرس الرقيمه

فأرسلت الاجابة فى سطور عطفن على المشرفة الكريمه

وللفقيه عمارة اليمنى مقطعات فى طلب الاجوبة فى الظهور منها :

أعد لى جوابى فى ظهور رقاعى ليرجع سرى وهو غير مذاع

وان عقتها عنى لتصبح حجة علىّ فقد عاملتنى بخداع

ولعمارة ايضا :

١٠٥/ب ان شئت ان اكتب مسترسلا اليك فيما عنّ من امرى

فاكتب على الظهر (٣) ولا تعتذر فانـه اكتم للسرّ

---

(١) لعله فرحة (٢) الاصل «حدى» خطأ (٣) الاصل «الظهور» .

ولعمارة

و لعمارة:

اتانى جوابك عن رقعتى على غيرها فأسأت الظنونا
فلا تعتذر عن جواب الظهور فبعض الظهور يفوق البطونا
ولا ترتّهنى بـامسـا كهـا فلست بتارك خطّى رهينا

و لعمارة:

لم ارد الجواب فى الظهر الا عامدا فى خفاء شكواك حالك
ولان لا تبقى فيكشف بالى من خطوب كشفن بالفقر بالك

قال زين الدين كنت جالسا بسوق الخواصين بدمشق فى حدود سنة ثمان و ثمانين و خمسمائـــة و انا اذ ذاك اجمع بين التجارة و نيابة ضياء الدين بن الشهرزورى فى الاوقاف فوقف علىّ شاب، رث الحال و الثياب، ظاهر الاكتئاب، عليه اثر المرض و الفاقة مائل السمرة الى السواد فناولنى ورقه :فيها ابيات شعر يشكو فيها حاله ،فقلت هذا شعرك؟فقال نعم فرحمته وقلت له انظم ابياتا فى ضياء الدين بن الشهرزورى لاحملها اليه واستمنحه لك و خذ هذا الدينار فتنفق فى العاجلة ، فسرّ سرورا ظهر عليه ثم مضى و اتانى فى اليوم الثانى بأبيات رائية فى ضياء الدين ، فركبت ومشى معى يحادثنى و يدعو و يشكر الى ان وصلت الى دار ضياء الدين فأوصلته اليه فسلم عليه و لم اكلفه انشاد الابيات لما هو عليه من الضعف و سوء الحال ، ثم اخذت له من ضياء الدين خمسة دنانير و انصرف فرحا مسرورا ، ثم لم أره بعدها ولا علمت له نسبا ولا اسما و مضت على ذلك مدة طويلة و انتقلت الى حماة و وليت بها نظر الاوقاف و قدم حماة الرشيد المصرى

المعروف بالصفوى بعد انصرافه عن خدمة الملك الأشرف، فتعصب له
١٠٦ / الف جماعة من الدولة المنصورية حتى ولى وزارة المال للملك المنصور الكبير
فرام منى الحضور عنده فامتنعت فشكانى الى الملك المنصور فقال له
هذا ليس لك عليه اعتراض وما وليته الا بالاكراه ليكون ناظر اوقاف
الخليفة ناظر اوقافى فترك الرشيد معارضتى ثم اخـــذ فى استمالتى
ومباسطتى المودة فلم انبسط اليه وفاء لزين الدين بن فويج لأن امور
الديوان كانت اليه قبل ولاية الرشيد، فلما تغيّر الملك المنصور على الرشيد
وعزله واعتقله بجامع القلعة نفذت ولدى عبد العزيز اليه فعرض عليه
من المعونة والمساعدة على نكبته بكل ما يليق بالحال فشكر واثنى والتمس
التلطف فى خلاصه فسعيت بما امكن ولم يكن عليه تعلق بل خدم فى
مكانه بحملة كبيرة فتحنّ (١) له الملك المنصور ذنبا وقال انك لم تخدمنا
خدمة تستحق عليها معلوما فاردد ما اخذته فى مدة ولايتك فرده، ثم
حبس نوابه وطلب ان يسترجع ما اخذه من معاليمهم، فقال الرشيد
ان هؤلاء حبسوا بسببى وانا الذى عوقتهم عن مكاسبهم وانا اقوم بما
يطلب منهم فأدى عنهم نيفا عن اربعة آلاف درهم واخرجهم، وكانت
هذه الفعلة من مكارمه التى حببته فزرته وصادقته وهاديته وباسطته فقال
لى فى خلوة مرة والله يا مولاى ما كان طلبى لك عند ولايتى لما
توهمته من استضاقتك الى ولا للتحكم عليك بك فى عملك بل لأتعرف
اليك واتشرف بك واكافئك على جميلك، فشكرته وقلت واى جميل كان

(١) لعله فتجنى

منى

منى اليك فقال ما تعرف ذلك الاسود الفقير الاصيفر الرث الحال والهيئة الذى وقف عليك بالخواصين و اعطاك ورقة فيها ابيات منها:

يا اجمل الناس فى خلق و اخلاق عليك معتمدى من بعد خلّاقى

اسعد مريضا غريب الدار مفتقرا ابكى اعاديه من ضرّ و املاق

فاحسنت اليه و اعطيته و امرته بمدح ابن الشهرزورى فنظم فيه ابياتا منها:

غرة الظبي الغرير من هواها من مجيرى ١٠٦ / ب

فلاءن صد حبيبي و نفى عنى سرورى

و أماتتنى الليالى موت ذى سقم فقير

لحياتى بأخى الجو دابن يحيي الشهرزورى

ايها المولى ضياء الـ دين يا صدر الصدور

مسنى الضر فاسعد نى عــلى مشى امورى

فاوصله(١) اليه و اخذت له جائزته (٢) منه انـــا و الله ذلك الشخص فذكرت القصة و اطرقت خجلا و استحييت غاية الحياء فقال لى لاتطرق و لا تخجل فمن كانت حاجته الى مثلك ما عليه عار و لا غضاضة و اعرفك انى بعد ذلك الوقت مـا وقعت فى فاقة و لا احتجت الى بذلة(٣) و لا رأيت ابرك مما صار الىّ من مالك و جاهك فنبل فى عينى غاية النبل و صار بينى و بينه من المودة ما أربى على مودات غالب من تقدمه من الاصدقاء بهذا السبب و لولم يعرفنى بنفسه ما عرفته البتة، وكان يصلى الجمعة فى المقصورة التى اصلى فيها فانقطع فى بعض الجمع لعذر عرض

(١) لعله فاوصلتها (٢) لعله جائزة (٣) كذا .

فكتبت اليه :

يا ماجدا أُلسن الورى ابدا بشكره المستفاض منطلقه
ومن مداناته مروحة اذ هو روح الفؤاد والحدقه
ومن أكف الزمان تكتب ما امليه من شكره على الطرقه
ومن اغاث العافين من يده سحابة بالنوال منبعقه
اذا سحاب السماء جاد لهم بالقطر جادت بعسجد ورقه
ومن معانى مديح حضرته مأخوذة من علاه مسترقه
تؤمل سراقها اذا وصلوا اليه والقطع مقتضى السرقه
كان لنا كل جمعة منح بين المعالى والطول مفترقه
نقوم بالفرض ثم يلطفنا بحسن خلق سبحان من خلقه

١٠٧ / الف

فلم قطعت الايناس عن نفر اهواؤهم فى هواك متفقه
نعد(١) الى العادة القديمة كى تجمع بين الصلاة والصدقه
واسلم ودم فى سعادة وعلا تشمل هذى الشمائل العبقه

فكتب الجواب وكان اعتذر عنى الى الملك المنصور فى امر لبّس عليه فأشار اليه :

جادت عليك السحائب الغدقه بكل بيت علاه متفقه
وانت ذوفطنة لها حكم غزيرة لا تبيد بالنفقه
وليس شعرى كفوا (٢) لشعركم بل هو شكر الانعام بالصدقه
وما تكلفت باعتذارى عن ما كذب المدعى وما صدقه

(١) لعله نعد (٢) الاصل « كفو » .

ما الثانية فى معنى النى، فكتبت اليه :

ياذا الايادى الغر والمنبت الـ حلو الجنى والمنهل المستطاب
ومن حوى من كل فن فقد ناط الى الحكمة فصل الخطاب
ان قمت بالمعضل فينا وقد غاب عن الخدمة كل الصحاب
فليس بالبدع الذى جئته منفردا فيه ولا بالعجاب
مثلك من ساس عظيما ومن قام بأعباء الامور الصعاب
وهل لدفع الخطب مهما عرا جليله الا الجليل اللباب
شرفنى شعرك لما اتى منتظما نظم لآلى السخاب
فراقنى من لفظه رقة تقضى (١) لعلياك برق الرقاب
فلم اؤخر خدمتى هذه تأخير جان يستحق العتاب
واىما الشامى من بيته يأتى اذا كلّمته بالجواب.
فاسمع ثناء عنك الفاظه اعذب من رشف الثنايا العذاب
وعش سعيد الجدّ حتى ترى غرابة الشيب وشيب الغراب

فكتب الى مجيبا عنها :

رأيت ابياتا قصورا وما فيها قصور لا ولا مايعاب ١٠٧/ب
سكنت منها جنة زخرفت بطيب ألفاظ حسان عذاب
وقلت من انشأ لنا هذه لقد اتى من كل شىء عجاب
قالت انا انشأنى سيد يأخذ من كل المعانى اللباب
له رياضات وأخلاقه اعذب من رشف اللّمى والرضاب

(١) الاصل « تفضى » خطأ .

يستفتح الامر بتدبيره فيفتح المغلق من كل باب
يميد من يسمع ألفاظه حتى كأن اللفظ منه شراب
فقلت هذا وصف زين الد نا والدين اعلى كل مولى نصاب
ان عاق سوء الحظ عن قربه فان قلبي عنده فى اقتراب
او خانه الدهر فلا تكترث فكل ما فوق التراب تراب

وكان لزين الدين المذكور اليد الطولى فى الترسل فن انشائه مما كتب عن نفسه : كان الخادم ادام الله سعادات المجلس دواما يستنفد مدد الايام، ويستمد دواعى الانعام، ويسترق له احرار الانام، ويستحق بانوار سعده ان يمحو آيات الظلم والاظلام، انهى ما احاطت به العلوم المولوية من تلزمه بأستار كعبة المكارم الاكرمية، واكتفائه الاخطار فى تعلقه بأذيال المفاخر الخطيرية، واستيرائه زناد العزائم الوزيرية واستمطاره سحب الهمم الافضلية المفضلية مستجيرا بقبلة اقبالها ومستعيذا بحرم جلالها، من عدوان دهر، وانهضام وفر، وانقسام فكر، وشتات امر ١٠٨ / الف وثقل ظهر، وحرج (١) صدر، ومن حادثات كلما قلت انصرت عظائمها عى وولت توالت وما قولى كذا ومعى صبر ثم وقف بعد ذلك محففا (٢) عن الخواطر من التكرار، وعالما ان المولى بالمعتبة مستغن عن التذكار ثم قد جدد الآن تعلقه بأذيال كرمه، وتمسكه وتعبده فى مشاعر حرمه وتنسكه شاكيا من نبوة الدهر، وكرات الليالى، ولعمرى ان الشكوى عنوان الخور، ونتيجة الضجر، وتظلم على القضاء والقدر، لكن :

(١) الاصل « نحرج » خطأ (٢) لعله مخففا .

ولابد

ولابد من شكوى الى ذى حفيظة يواسيك او يسليك او يتوجع

ومن شكا الى غيره فقد ملكه من نفسه رقا واوجب لها عليه (١) حقا، فالشكوى على هذا القياس مجلبة رق، يجب لأجله اختيار السيد وموجبة حق، يتعين بسببه ارتياد الغريم الجيد، وقد اختار الخادم لرقه سيدا حفيا، وارتاد لحقه غريما مليّا وفيّا:

فشكا الى الماء الزلال أوامه وشكا السقام الى الطبيب الماهره

واجل شكواه من المولى بصدر واسع الصدر، ناصع الفخر، قادر على النفع والضر، مبسوط اليد بالخير وحاشاه من الشر:

يرد الحادثات على الموالى ويغريها بارداء المعادى

تصرف فى صروف الدهر حتى غدت وحزونها اسلس (٢)القياد

مقتضيا منه وعدا هو عليه دين قضاؤه واجب، وحق له من اريحيته مطالب، اذا اهمل اقتضاه الطالب، وقد علم المولى من طريقته العزلة فى الغزلة والنفار عما يقضى بذله من البذله، والآن فقد نزل به من الضرورات ما اباح له ركوب المحظورات، فان رأى المولى تصريفه فى بعض الخدم اللائقة وان لم تكن الفائقة ولا الرائقة، فقد استكتب فى مثل بغداد فكتب ورُسل فانجب وولى بها وبغيرها الولايات الجليلة، وعذق(٣)بنظره فيها وفى سواها حفظ الاموال الجزيلة، فنهض فى الولاية النهضة المرضية، وسعى فى الكفاية على الطريق المضية، فالمشير به آمن (٤) من ان يخطى، والشفيع له معط سلطانه اضعاف ما استعطى

(١)لعله له عليها(٢) كذا ولعله سلس(٣) لعله حذق (٤) الاصل «آمر» .

١٠٨/ب و الخادم قد خرج من لائمة العقل و العقلاء، وقام بوظيفة الفضل عند الفضلاء وسلك بملتمسه جدد (١) التوفيق ، و توخى لمقصوده اسهل طريق و جرد لمطلوبه حسام النجاح من قرابه ، وأتى بيت حبائه(٢) بمحبوبه من بابه و استسق لظمائه الزلال العذب، و استرهف لنصرته الجراز (٣) العضب و استنهض لمهمته الهمام الندب ، فان ظفر بمرامه ، و انتصر على ايامه فغير بعيد أن ينال مراده من اتخذ المولى وسيلة قصده و ان استمر حوول حاله التى شرحت و دامت عليه عقلة اموره التى جنحت ، و جمحت و طاشت كفة حظه التى كانت قديما رجحت ، و استفحل فساد حركاته التى طالما استقامت و صلحت :

فذاك لحظى لالعجز محكم اذا امر الايام فىّ اطاعت

و وجه الشكر متوجه الى المولى فى الحالين ، و ايدى الدعاء بدوام ايامه مبسوطة على كلا التقديرين ، و بالعناية المتعينة و الكفاية المتبينة يرتفع المنّ و العتب من البين ، و الرأى اسما (٤) ان شاء الله تعالى، و ندب لعقد نكاح ببغداد لبعض مماليك الخليفة على بعض جواريه ، فقال بديها : الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا، فجعله نسبا و صهرا ، و شرع النكاح لعباده و اثابهم عليه اجرا. احمده على نعمه التى اوجب التوفيق بحمدها شكرا ، ، اشهد أن لا اله الا الله شهادة أعدها للمعاد ذخرا ، واشد بها للرشاد ازرا، و اشهد ان محمدا عبده و رسوله المبعوث الى العالم طرا، الموروث عنه من الحكم ما يطبق الآفاق برا و بحرا ، و يدعو الى التناكح

(١)الاصل «حدد» خطأ(٢) الاصل بلا نقط ـك(٣)الاصل «الجرار» خطأ(٤) كذا .

والتناسل

و التناسل ليعود قلّ المؤمنين كثرا ، صلى الله عليه وعلى آله و صحبه صلاة هم بها احق و احرى ، وعلى عمه العباس بن عبد المطلب الذى فاق الاعمام شرفا و قدرا ، و اواد من الائمة المهديين نجوما زهرا ، جد مولانا و سيد نا الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين الذى اوسع الاسلام ١٠٩ / الف انجادا و نصرا ، واوسع الانام ارفادا و برا ، وقمع اهل الكفر والعناد ارغاما و قهرا ، صلى الله عليه صلاة ترفع له فى الدارين رتبا و ذكرا ، وبعد فالنكاح من السنن المنوه بها شرعا وعقلا و الاعمال المفضلة عند الحاجة اليها على افضل العبادات اذا كانت نفلا وبه تمت الحكم الالاهية ، و وردت الشريعة المحمدية ، ونسخت المسافحة الجاهلية ورسخت اقدام المناسب الطاهرة الزكية . وقد رسم اعلى الله المراسم و امضاها و انفذها فى اقصى الارض و ادناها انشاء عقدة النكاح بين فلان و فلانة مملوكى الخدمة الشريفة المكتفيين بهذه العبودية فى التلقيب شرفا . و بهذه المملوكية ملكا عظيما مؤتنفا على صداق مبلغه كذا وكذا فخارا لله لامير المؤمنين صلوات الله عليه صلاة دائمة الى يوم الدين فى هذا المرسوم المبين و لمملوكيه فى هذا العقد المتين ،وجعله مقرونا لامير المؤمنين، بالنصر والتمكين ولمملوكيه المذكورين بالرفاء و البنين، اقول قولى هذا و استغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين .

وكان لزين الدين اخ يدعى نجم الدين احمد وعنده سقوط همة ففارقه و صار وكيلا عند القاضى زكى الدين الطاهر(١) بدمشق و بلغ

---

(١)هو الطاهر بن محمد بن على ابو العباس توفى سنة ٦١٧ - ك .

زين الدين رعاية القاضى له بسببه و سأله النجم ان يكتب الى القاضى يشكره على احسانه اليه فكتب: اولى الا نعام ادام الله سعادات المجلس العالى الزكوى و جددّها، و مدمدة ايامه و ابدّها، و بسط يد اقتداره و ايدّها، و ابق على اوليائه مـــواهب الآئه و خلّدها، و حرس الشريعة المطهرة بحسن نظره و عضدها، و هيأ للامة بواضح(١) هديه و ارشدها، بأن يذكر و يشكر و يظهر، ويشهر، و يذاع و ينشر، و يعترف بعوارفه ولا ينكر، انعام لم يخدم المنعم به على ابتدائه بسالف خدمة و لا تقدمت له نهضة فى مهمة وكان فا عله متبرعا بفعله متطوعا بما فرضه على مكارمه من مغله كانعام المولى على مملوكه احمد اخى الخادم فان المولى اسبغ الله

١٠٩ / ب ظله شمله بانعامه، و رعـاه بطرف عنايته و اهتمامه، من غير تقدم خدمة يرعى لاجلها، و لا سابق موالاة يمتّ(٢) مثله بمثلها و هكذا انعـام ذوى الاصول الكريمة و المكارم الأصيلة مازال عاريا عن الاسباب الموجبة و الموجبات المسببة، و قد كان الخادم قاطعه مقبّحا عليه ما اختاره لنفسه من الحرفة التى هى كاشتقاقها، و المهنة التى تفضى الى انخرام (٣) الحرمة و انخراقها، حتى ورد كتابه انه بين يدى المولى محفوظا بعنايته، و ملحوظا برعايته، و منتظما فى سلك خدمه، و معتصما بركن حرمه، و ملازما لبابه و معدودا من جملة خدمه و اصحابه فعدل الخـادم، عن استقباح اختياره الى استحسانه وعن استهجان رأيه الى استمتانه، فان من جمع الله عزّوجلّ له ما جمعه للمولى من كرم المولد و شرف المحتد و طيب الاصول، و التفنن

---

(١) كذا (٢) الاصل «تمت» خطأ (٣) الاصل « تقضى الى انحرام» خطأ .

فى علم الفروع و الاصول، و مواظبة اقتباس العلم، و ايناس الاتباع بالتواضع و الحلم، الى غير ذلك من الفضائل التى يضيق عنها العد، و لا يحصرها الحد، كان للمتعلم منه فضيلة العالم، و للوكيل، بين يديه رتبة الحاكم، و للقائم فى خدمته منزلة القاعد المتصدّر، و للماشي فى ركابه مكانة الراكب المتأمر، فانه لا نقص فى خدمة كامل، و لا وهن فى قبول الافضال من فاضل، و لقد اصبح انعام المولى عليه مسترقّا للخادم و جارًا لولائه (١) و باسطا لسان دعائه، و ثنائه، و ماسمع قبل المولى بمسترق سرى الرقّ الى اخيه و لا بعبد انجز الى مولاه و لا اقاربه (٢) و ذويه، و انما المعهود فى مواضع الوفاق العمل بالسراية (٣) فى العتق لا فى الاسترقاق و جر المولى من جهة مخصوصة بعد وجود الحرية و مع بقاء العبودية فلا زال المولى بما (٤) يوليه من الرغائب مخصوصا بفضائل الغرائب، و لقد وصل الخادم فى كتابه ما تواترات به الاخبار على كل لسان مجملا من خصائص فضائل المولى و حسن سيرته و غزارة احسانه ومروءته ما تمنى معه الكون فى الخدمة المولوية متشرفا بمشاهدتها، و متمنيا بمرافدتها ١١٠/الف و مستعينا بما ضدتها و مستديلا من الايام بمساعدتها، والله تعالى يقرب من ذلك ما يقوم للخادم برفع قدره و للمخدوم بواجب شكره ان شاء الله تعالى .

عبد الكريم [بن جمال الدين] (٥) بن (٦) عبد الصمد بن محمد بن

(١) الاصل «لولاية» خطأ (٢) ولعله انجر ولاء مولاه الى اقاربه (٣) الاصل «بالسرانه» خطأ (٤) لعله بما (٥) من البداية (٦) البداية « الدين عبد الصمد» .

أبى الفضل بن علـى بن عبد الواحد ابوالفضائل عماد الدين الانصارى الخزرجى الدمشقى الشافعى المعروف بابن الحرستانى ، مولده فى سابع عشر شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدمشق سمع من ابن ابى(١) القاسم عبد الصمد و من رجب الخشوعى و القاسم بن على الدمشقى و حنبل و غيرهم و تولى قضاء دمشق نيابة واستقلالا بعد ابيه ثم تولى الخطابة والامامة بجامعها الأعظم الى ان توفى و درس بزاوية الغزالى و غيرها، و تولى مشيخة دار الحديث الاشرفية و كان من الاعيان و توفى بدمشق فى التاسع والعشرين من جمادى الاولى ودفن من يومـه بجبل قاسيون و شهده خلق عظيم لايحصون كثرة و والده جمال الدين قاضى قضاة الشام كان احد الفقهاء المشهورين بالعلم و المشايخ المذكورين بالدين والصلاح و الحكام المعروفين باتباع الحق وتوخيه والصلابة فى الاحكام و الوقوف عند ما توجبه الشريعة الهادية .

وكان يعرف وينعت بتقى القضاة و ولى القضاء بدمشق مدة نيابة واستقلالا وسمع من جماعة كثيرة وعمر حتى تفرد بأشياء من مروياته وكانت الرحلة اليه فى وقته رحمه الله .

على بن محمد بن على بن محمد بن على ابوالحسن ضياء الدين احـد كتاب الحكم بدمشق كان فاضلا من اعيان العدول ، وله اشتغال بسماع الحديث وكتابته وسافر الى الديار المصرية لشهادة تحملها فادركه اجله هناك و توفى بالقاهرة ليلة السبت رابـع صفر ودفن خارج باب

(١) الاصل «سمع بن ابى ابى القاسم» .

النصر شرقي القاهرة وقد نيف على الستين(١) رحمه الله .

عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن ايوب بن شاذى الملك المغيث فتح الدين ابو الفتح صاحب الكرك وقد ذكرنا فى حوادث السنة الخالية ١١٠/ب حضوره الى الملك الظاهر وقبضه عليه و اخذ الكرك منه و انفاذه الى الديار المصرية وكان والده الملك العادل سيف الدين ابوبكر محمد بن الملك الكامل قد ملك الديار المصرية بعد وفاة ابيه وصار الشام ايضا فى حكمه و ابنه (٢) الجواد نائبا عنه، و اتفق حضور الملك الصالح نجم الدين و اخذه دمشق من الجواد و انه قصد التوجه الى الديار المصرية ليملكها، وجرى ما قدمنا ذكره من خروج دمشق عنه وامساكه واعتقاله بالكرك ثم خروجه و تملكه الديار المصرية، وكل هذا مشهور وبقى الملك العادل معتقلا بقلعة الجبل فلما عزم الملك الصالح على السفر الى الشام فى اواخر سنة خمس و اربعين تقدم بتسييره الى الشوبك ليعتقل بقلعتها فضربت له خيمة ظاهر القاهرة ليخرج اليها ثم يمضى به الى الشوبك فامتنع من ذلك و قال ما اروح اصلا و مهما اردتم فعله فافعلوه هنا فغضب الملك الصالح لما اخبر بذلك و حنق و امر بخنقه فدخل عليه الطواشى محسن الصالحى و معه نفر يسير من مماليك الملك الصالح و تقدم اليهم بخنقه فخنقوه بقلعة الجبل و جهز و اخرج الى مقبرة شمس الدولة ابن صلاح الدين خارج باب النصر فدفن بها رحمه الله و ذلك فى شوال

(١) فى هامش الاصل« بخط البرزالى : قلت لم يبلغ الستين فان مولده على ماذكر الذهبي و السيد عز الدين وغيره سنة خمس» - ك (٢) الاصل « وبه » خطأ .

سنة خمس واربعين فكانت مدة اعتقاله بعد القبض عليه قريبا من ثمان
سنين وعمره نحو ثلاثين سنة لانه ولد سنة خمس عشرة عقيب وفاة
جده الملك العادل سيف الدين ابى بكر محمد بن ايوب وكان جوادا
كثير البذل انفق الخزائن التى جمعها والده فى السنين المتطاولة فى مدة
يسيرة وكانت ايامه زاهية زاهرة والاسعار فى غاية الرخص لكنه لم
يكن فيه سياسة يضبط بها الجند ولا معرفة يدبر بها المملكة وقدم
الاراذل وأخر الاكابر ولما مات كان الملك المغيث صاحب هذه الترجمة
صغيرا فأنزل الى القاهرة وجعل عند عمات ابيه القطبيات بنات الملك ١١١ / الف
العادل الكبير وانما عرفن بالقطبيات لأنهن اشقاء الملك المفضل
قطب الدين بن الملك العادل فبقى عندهن الى ان مات الملك الصالح
فقيل ان الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ اراد أن يسلطن الملك
المغيث ويكون هو اتابكه وعزم على ذلك والامير فخر الدين يومئذ
بالمنصورة قبالة الفرنج وبلغ ذلك الامير حسام الدين بن ابى على وهو
اذ ذاك نائب السلطنة بالقاهرة فتقدم بأخذ الملك المغيث من عند عمات
ابيه واعتقاله بقلعة الجبل والاحتراز عليه فبقى فى القلعة معتقلا فلما
وصل الملك المعظم الى المنصورة امر بنقل الملك المغيث من قلعة
الجبل الى قلعة الشوبك واعتقاله بها فنقل اليها وكان الملك الصالح
نجم الدين لما تسلم الكرك من اولاد الملك الناصر داود رحمه الله سير
اليها الطواشى بدر الدين بدر الصوابى نائبا بها وبالشوبك فلما وصل
اليه الملك المغيث اعتقله بالشوبك كما رسم، فلما قتل الملك المعظم وبلغ

الصوابى اخرج الملك المغيث وملكه الكرك والشوبك وأعمالها وتولى تدبير اموره وقد ذكرنا من تفاصيل احواله نبذة فيامضى وكان ملكا كريما حليما شجاعا عادلا محسنا الى رعيته غير انه لم يكن عنده حزم ولا حسن تدبير فانه انفق جميع ما كان عنده من المال على البحرية والشهرزورية فى طمع تملك الديار المصرية ولم يحصل له ذلك وذهب ذلك المال العظيم فى غير فائدة وكان جملا عظيمة فان الملك الصالح نجم الدين لما تسلم الكرك حمل اليها مائة الف دينار عينا غير الدراهم والاقمشة وغيرها والجأت الضرورة للملك المغيث بذهاب ذلك الى النزول من الكرك وخروجها من يده وذهاب روحه .

وكان الملك المغيث على مذهب ابيه فى تقريب الاراذل والاصغاء اليهم وقد ذكرنا فى السنة الماضية كيفية امساكه وما نسب اليه والله اعلم بحقيقة ذلك وقيل ان جميع ما نسب اليه لم يكن له اصل بل مجرد شناعة ليقوم عذر الملك الظاهر عند الامراء والناس فيما فعله فان سائر الامراء فى ذلك الوقت الا القليل منهم كانوا غلمان بيته . ١١١ / ب

وحكى لى ان الملك الظاهر قال للامير عز الدين ايدمر الحلى نائب السلطنة بالديار المصرية فى ذلك الوقت دع من يقتل المغيث صاحب الكرك ممن تثق به غاية الوثوق وتوكد عليه فى كتمان ذلك وطيه عن جميع الناس وادفع اليه الف دينار فأحضر الامير عز الدين المذكور لاستاذ داره وكان رجلا دينا فيه خير وعنده تقوى وقال له اريدأن اندبك فى امر مهمّ تفعله وتكتمه عن جميع الناس ولا تطلع

عليه احدا من خلق الله فقال السمع و الطاعة قال هذه الف دينار مصرية تأخذها لك و تدخل الى الملك المغيث صاحب الكرك تقتله فقال و الله لوأعطيتنى ملء هذه الدار دنانير ما فعلت هذا و لوضربت رقبتى بل يأمرنى الامير بغير هذا و يبصر ما افعل فانتهره و حاوله بكل طريق فلم يجبه الى ذلك فأعرض عنه و طلب شخصا آخر من اصحابه فيه شر و عنده شهامة و اقدام و قال له ذلك فبادر اليه و دخل على الملك المغيث فقتله خنقا و اخذ الألف دينار و شرع يشرب فى دار له على بركة الفيل ويخرج من الذهب فقال له ندماؤه فى حال سكره من اين لك هذا الذهب فأخبرهم انه قتل صاحب الكرك وأعطى الف دينار فشاع ذلك و اتصل بالملك الظاهر وكان حريصا على كتمانه و يظهر للامراء ان المغيث فى قيد الحياة موسعا عليه فعظم ذلك على الملك الظاهر و انكر على الامير عز الدين الحلى و طلب الشخص القاتل منه فأحضره اليه فامر باستعادة الالف دينار منه و قتله .

وكان قتل الملك المغيث فى اوائل هذه السنة و قيل فى اواخر سنة احدى و ستين رحمه الله .

لاجين بن عبد الله الامير حسام الدين الجوكندار العزيزى كان من اكبر الامراء و اعظمهم مكانة فى وقته و اعلاهم قدرا و اوسعهم صدرا و اكثرهم تجملا وكان شجاعا بطلا جوادا حازما و له فى الحروب المواقف المشهورة و اليد البيضاء و الآثار الجميلة خصوصا فى وقعة التتر ظاهر حمص فى اول سنة تسع وخمسين فانه فاز بأجرها و شكرها وقد ١١٢ / الف

 اشرنا

اشرنا الى شيء من احواله فيما تقدم من هذا الكتاب .

وكان له فى الفقراء والصالحين عقيدة حسنة ويكثر من الاحسان اليهم والبر بهم وافتقادهم بالنفقة والكسوة وغير ذلك وكان يعمل لهم السماعات ويحضر فيها من المآكل والمشارب والارابيح الطيبة والشموع ما يبهر العقل ويتجاوز الحد فكان يقدر ما يغرمه على السماع الواحد تقريب ثمانية الآف درهم وكنت اسمع باحتفاله فى امر السماع وعلو همته فاحمل الامر على المجازفة فى القول من الحاكى فاتفق انه طلبنى ليلة لحضور ذلك فحضرت عنده فكان الامر على ما بلغنى واكثر فاننى لما دخلت داره التى بالعقيبة رأيت من الشموع الكافورى الكبار فى الاتوار (١) الفضة والمطعمة ما يقصر عنه الوصف ثم مد بعد صلاة المغرب سماطا عظيما يشتمل على قريب مائة زبدية عادلية كبار فى كل زبدية منها خروف صحيح رضعى وقريب ثلاثمائة زبدية دون تلك فى كل زبدية ثلاثة طيور دجاج وغير ذلك من انواع الاطعمة، فلما فرغ الناس من الاكل صلوا العشاء الآخرة وشرع المغنى (٢) فى الغناء ورقص هو بنفسه بين الفقراء كاحدهم وكان يسلك من الادب معهم والتواضع لهم ما لامزيد عليه .

فلما فرغ المغنى (٢) من النوبة الاولى مد سماطا عظيما يشتمل على عدة اطباق وصحون خزافية حلوى سكب وقطائف رطبة ومقلوة ومشبك وغير ذلك مما جميعه بالسكر المكرر المصرى والفستق والمسك فأكل

(١) لعله فى اتوار (٢) الاصل «المغانى» هنا وفيما سيأتى .

النـاس من ذلك ما امكنهم وحملوا بحيث شيل معظم ذلك فى خرق الحاضرين فلما فرغوا من ذلك شرع المغنى فى الغناء من النوبة الثانية فرقص هو وغلمانه ومن حضر من الفقراء والمشايخ وغيرهم فلما فرغ المغنى من النوبة الثانية مد سماطـا عظيما من الفواكه النـادرة من السفرجل والتفاح الفتحى والكمثرى الرحبي والرمان اللفان والحـلو والعنب النادر والبطيخ الأخضر وكانت هذه الفاكهة التى حضرت ١١٢/ب معدومة فى مثل ذلك الوقت يتعذر وجودها على غيره لان ذلك كان فى اواخر فصل الشتاء وانما كان يدخر له ذلك بالقصد فان قريـة كفر بطنا وزبدين وعدة قرى من الغوطة كانت جارية فى اقطاعه وبها الفواكه النادرة فأكل الناس من ذلك ما أمكنهم ثم غنى المغنى النوبة الثالثة ورقص الجمع فلمـا فرغوا مد لهم سماطا من المكسرات على اختلاف انواعها من القصب العراقى والفستق والبندق والزبيب الجوزانى والفستق المملح والخشكنانـ والكعك المحشو والبقسماط المعمول بالسكر والسمن وغير ذلك فأكل الناس من ذلك وحملوا وجميع ما يمد على كثرته لا يرفع منه بقية البتة بل يؤكل منه ما يمكن ويتفارق الحاضرون ما بقى وينهب وجميع ما شرب فى تلك الليلة من اولها الى آخرها من الماء المصنوع بالثلج والسكر وماء الخلاف والورد والمسك والسقاة يملأون الكيزان من ذلك على الدوام ويسقون الناس والمباخـر تعمل بالندّ والعنبر والعود الهندى النادر المعلّى من اول الليل الى آخره .

فلما كان وقت السحر اغلى حمام ابن السرهنك المجاورة لداره و دخل اليه و معه معظم الجمع و لم ادخل انا .

فحكى لى الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ محمد اليونيني رحمه الله وكان حاضرا قال بعد خروجك دخلنا الحمام فجعل الامير يخدم الفقراء بنفسه و غلمانه فلما خرجوا كان منهم جماعة خلعوا قمصانهم و دلوقهم فأحضرلهم قمصا جددا و ثيابا جددا فى نهاية الحسن و المناسبة لما يليق بهم ثم خرج و استدعاهم الى داره و سقاهم من الاشربة ما يناسب الحمام و يلائمه و مدلهم سماطا عظيما من الططماج (١) و احضرلهم حلوى سخنة فأكلوا و انصرفوا ، اما هو فانه خلع على المغنى من ملبوسه عدة بغالطيق(٢) تساوى جملة كبيرة وكذلك غلمانه وكان هـــذا السماع فى آخر سنة تسع و خمسين و الغرارة القمح بدمشق فوق ثلثمائة درهم و الرطل اللحم ١١٣ / الف بالدمشقى بمبلغ سبعة دراهم و الدجاجة بمبلغ ثلاثة دراهم و جميع الاشياء غالية جدا وكانت وفاته رحمه الله فى رابع عشر المحرم و دفن بسفح قاسيون مجاورا لقبر الشيخ عبد الله البطائحى رحمة الله عليه و قد ناهز خمسين سنة من العمر و قيل انه سم و ان مملوكه جمال الدين كندغدى واطأ عليه و قابل احسانه العظيم المفرط بذلك فانه كان قد خوله ومول وهو عنده اعز من الولد فباعه بأبخس الاثمان و الله اعلم بحقيقة ذلك و خلف الامير حسام الدين تركة جليلة المقدار من الخيول و العدة و الاموال و غير ذلك رحمه الله .

---

(١) لا ادرى ما هذا ـ ك (٢) جمع بغلطاق فرجية قصيرة بلا جيب موشى ـ ك .

محمد بن حمدان بن جراح بن الحسن بن محمد بن احمد بن مال (١) وعبد الله شرف الدين النميرى كان فاضلا ينظم الشعر على طريقة العرب وتلقب (٢) نفسه زعيم نمير وكان شيخا لطيفا رأيته غير مرة عند والدى رحمه الله بدمشق وسمعته ينشد مقاطيع من شعره وكانت وفاته بقرية كفربطنا فى ثانى شهر رمضان المعظم ودفن بها وهو فى عشر السبعين رحمه الله تعالى .

محمد بن على بن عبد الوهاب بن محمد بن ابى الفرج ابو الفرج زين الدين الاسكندرى سمع من الحافظ على بن المفضل المقدسى (٣) وغيره وتولى القضاء والخطابة ببلده مدة وكان احد رؤسائها ومن ذوى بيوتها ولأهله بها الآثار الجميلة من الاوقاف على ابواب البر و‍ ذلك وكان زين الدين عالما فاضلا سقط عليه بعض جدار داره فمات فى العاشر من شهر رجب رحمه الله تعالى .

محمد بن محمد بن ابراهيم بن الحسين بن سراقة ابوبكر محى الدين الانصارى (٤) الاندلسى الشاطبى مولده فى شهر رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسماية بشاطبة سمع الكثير وولى مشيخة دار الحديث البهائية بحلب ثم قدم الديار المصرية وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة الى حين وفاته وحدث وكان احد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل ١١٣ / ب

(١) بالهامش « كذا فى الاصل غير منقوطة » ـ ك (٢) لعله يلقب (٣) بالهامش « توفى سنة ٦١١ » (٤) بالهامش « نقل الصفدى فى الوافى نبذة من هذه الترجمة نخبط فى موضعين صوبهما ابن حجر » ـ ك .

وكثرة العلم والجلالة والنبل واحد المشايخ المعروفين بمعرفة طريق القوم وله فى دلك الكلام الحسن والاشارات اللطيفة مع ما جبل عليه من كرم الاخلاق واطراح التكلف ورقة الطبع ولين الجانب، وكانت وفاته فى يوم الثلاثاء العشرين من شعبان بالقاهرة ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله، ومن قلائد الجمان: الشيخ محى الدين من ابناء القضاة الفقهاء حفظ الكتاب الكريم وتفقه على مذهب مالك بن انس رحمة الله عليه ورحل الى مدينة السلام فى طلب الحديث فلق بها جماعة من مشايخها كابى حفص عمر بن كرم الدينورى (١) وابى على الحسين بن المبارك ابن محمد الزبيدى وابى الفضل عبد السلام بن عبد الله بن احمد بن بكران وغيرهم وقدم مدينة إربل وقرأ على ابى الخير بَدَل التبريزى فى سنة ست وعشرين وستمائة، وكان محى الدين رجلا فاضلا متنسكا عاقلا ذا دين وعفاف وبشر ووقار جيد المعرفة بمعانى الشعر صالح الفكرة فى حل التراجم ومن شعره:

الى كم امنّى النفس ما لا تناله فيذهب عمرى والامانىّ(٢) لا تُقضى
وقد مرّ لى خمس وعشرين حجة ولم ارض فيها عيشتى فتى ارضى
واعلم انى والثلاثون مدتى حريمغانى اللهو (٣) اوسعها رفضا
فما ذا عسى فى هذه الخمس ارتجى ووجدى(٤) الى اوب من العسر (٥) قد افضى

(١) توفى سنة ٦٢٩ ـ ك (٢) الاصل « الامالى » خطأ (٣) الصفدى « وخير مغانى اللهو » ـ ك (٤) الصفدى « ووحدى » ـ ك (٥) الصفدى « العشر ».

فيا رب عجل لى حياة لذيذة والّافبادربى الى العمل الأرضى(١)

وكتب الى بعض ملوك المغرب :

لقاؤك عيد بالنجاح بشير وتقبيل يمنى راحتيك حبور

بهاؤك فى لحظ المواسم موسم ونشرك فى ريّا العبير عبير

وما عادنا من عيدنا غير وافد يحول عليه الحول ثم يزور

١١٤/الف له أمل فى لثم لقياك مدرك وطرف بها يرنو اليك قرير

سرى نحوكم مذ عام اول جاهدا يجوب عراض البيدوهى شهور(٢)

فبشراه وفى النفس ملء فؤادها سرورا وان اعيت وطال مسير

وناجيت نفسى والهوى يبعث الهوى وطال بى التسويف وهو غرور

أأترك موسى ليس بينى وبينه سوى ليلة إنى اذن لصبور

فملت بودى وانحياشى وهمتى اليك وفيها عن سواك نفور

وايقنت انى اذ أخذت بحبلكم على ريب دهرى من اشاء أجير

هما منثنى الاعناق نحو علائه كمال باهواء النفوس جدير

ينوب عن الدر النفيس كلامه وما ناب عن جدوى يديه بحور

اذا اصفرت ايدى السحاب فكفه سحاب بآفاق السماح درور

وقال محى الدين ايضا وقيل كنيته ابو القاسم :

وصاحب كالزلال يمحو صفاؤه الشك باليقين

لم يحص الا الجميل منى كأنه كاتب اليمين

وهذا عكس قول الشهاب المنازى وهو :

---

(١) ليس هذا البيت عند الصفدى ـ لك(٢) كذا .

وصاحب خلته خليلا وما جرى عذره(١) ببالى

لم يحص الا القبيح مني كأنه كاتب الشمال

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن هبة الله بن احمد بن على ابن الحسين بن قرناص ابو عبد الله ناصر الدين الحموى الخزاعى وبقية نسبه مذكور فى ترجمة عمه الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن قرناص فى سنة اربع وخمسين›› مولده فى سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوفى الى رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من شوال هذه السنة وكان عالما فاضلا زاهدا عابدا ورعا كريم الاخلاق حسن الاوصاف جميل العشرة جم الفوائد، ومن شعره فى ترتيب حروف كتاب المحكم فى اللغة لابن سيده :

عليك حروفا هن خير غوامض قيود كتاب جل شانا ضوابطه ١١٤ / ب

صراط سوى زل طالب دحضه تزيد ظهورا ذا ثبات (٢) روابطه

لذلكم نلتذ فوزا بمحكم مصنفه ايضا يفوز وضابطه

وهذه الابيات انسب من الابيات التى عملها بعض ادباء المغرب فى مثل ذلك وأليق بالكتاب والابيات القديمة :

علقت حبيبا همت خيفة غدره قليل كرى جفن شكا ضرّ صده

سبى زهوه طفلا ديانة تائب ظلامته ذنب ثوى ربع لحده

نواظره فتاكة بعميده ملاحته اجرت ينابيع وجده

وكتاب المحكم فى اللغة كتاب نفيس فى خمس عشرة مجلدة لم يصنف

(١) الصفدى « غدره » ـك (٢) الصفدى « ادتاءت » ـك .

فى بابه مثله وهو تأليف ابى الحسن على بن احمد(١)المعروف بابن سيده قال الحافظ ابو عبد الله محمد بن ابى نصر ابن عبد الله الحميدى عنه كان إماما فى اللغة والعربية حافظا لهما على انه كان ضريرا وقد جمع فى ذلك جموعا، وله مع ذلك فى الشعر حظ وتصرف كان منقطعا الى الامير ابى الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى ثم حدث له نبوة بعد وفاته فى ايام اقبال الدولة بن الموفق خافه فيها فهرب الى بعض الاعمال المجاورة لاعماله وبقى بها مدة ثم استعطفه بقصيدة اولها:

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى سبيل فان الأمن فى ذاك واليمنا

ضحيت فهل من برد ظلك نومة لذى كبد حرى وذى مقلة وسنا

ونضو هموم طلّحته طياتة (٢) فلا غاربا ابقىر (٣) ولا متنا

هجان نأى اهلوه عنه وشفه قراف(٤)فامسى لايدس ولايهنا

فيا ملك الاملاك انى(٥) محوم(٦) على الورد لاعنه أُذاد ولا أُدنا

تحيفنى دهرى واقبلت شاكيا اليك أمأذون لعبدك أم يثنا

١١٥/الف وان تتأكد فى دمى لك نية بسفك فانى لا احب له حقنا

دم كوّنته مكرما تك (٧) والذى يكوّن لاعتب عليه اذا افنى

اذا ما غدا من حرسيفك باردا فقد ما غدا من برد برّك لى سخنا

---

(١) اسمه على بن اسماعيل عند ابن خلكان وفى اسم ابيه اختلاف ذكره ياقوت فى الارشاد (٨٤/٥) ـك(٢) معجم الادباء« طباته »(٣) المصراع غير مستقيم فلعله سقط لفظ منه (٤) ارشاد: غريب نأى ... هواهم فأمسى لايقر ولايهنا (٥) الاصل«الى»خطأ(٦)معجم الادباء« محلاً عن»(٧) الاصل« مكر مابك» خطأ

وهل هي الآ ساعة ثم بعدها ستقرع ما عمّرت من ندم سنا
ولله دمعي ما اقل استهانه اذا في دمي امسى سنانك مستنا
ومالي في دهري حياة الذها فيعتدها نعمى عليّ ويمتنا
اذا قتلة (١) ارضتك منّا فهاتها حبيب الينا ما رضيت به عنا

وهي طويلة صرف فيها القول ووقع عنه الرضا بوصولها، ومات بعد خروجي من الاندلس قريبا من سنة ستين واربعمائة رحمه الله، وذكره قاضي القضاة شمس الدين احمد بن خلكان رحمه الله في وفيات الاعيان (٢) فقال الحافظ ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرسي كان اماما في علم اللغة والعربية حافظا لها وقد جمع في ذلك جموعا من ذلك كتاب المحكم في اللغة وهو كتاب كبير جامع مشتمل على انواع اللغة، وله كتاب المخصص في اللغة وكتاب الأنيق في شرح الحماسة في ست مجلدات وغير ذلك وكان ضريرا وابوه ضرير، قال ابوعمر الطَّلَمَنكي دخلت مرسية فتشبث بي اهلها يسمعون عليّ غريب المصنف (٣) فقلت لهم انظروا من يقرأ لكم وامسك انا كتابي فأتوني برجل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه علي من اوله الى آخره فعجبت من حفظه، وكان له في الشعر حظ وتصرف وتوفي بحضرة دانية عشية يوم الاحد لاربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين واربعمائة وعمره ستون سنة اونحوها، قال قاضي القضاة رحمه الله ورأيت على ظهر مجلد من المحكم بخط بعض فضلاء الاندلس ان ابن

(١) ارشاد « ميتة » (٢) (ج ١/٣٤٢) - ك (٣) لابي عبيد القاسم بن سلام - ك .

سيده المذكور كان يوم الجمعة قبل الصلاة (١) صحيحا سويا الى وقت صلاة المغرب فدخل المتوضأ فأخرج منه وقد سقط لسانه وانقطع كلامه فبقى على تلك الحال الى العصر من يوم الاحد ثم توفى الى رحمة الله وقيل سنة ثمان واربعين واربعمائة والاول اصح [واشهر](٢) ١١٥/ب ودانية مدينة فى شرق الاندلس .

محمد بن ابى بكر بن سيف ابو عبد الله شمس الدين التنوخى الموصلى الوتار (٣) ولد بالموصل فى سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وسبعين وخمسمائة واشتغل بالادب وكان فاضلا وله نظم جيد وسكن دمشق مدة وتولى خطابة المزة وخطب بها الى ان توفى بها فى ثامن عشر ذى الحجة رحمه الله، ومن شعره فى المشيب والخضاب :

وكنت واياها مذ اختط عارضى كروحين فى جسم ومانقضت عهدا
فلما اتانى الشيب يقطع بيننا توهمته سيفا فألبسته غمدا

موسى بن ابراهيم بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذى ابوالفتح الملك الاشرف مظفر الدين ملك بعد وفاة ابيه الملك المنصور ناصر الدين ابراهيم فى سنة اربع واربعين حمص وتدمر والرحبة وزلوبية (٤) وهو صغير السن وقام بتدبير دولته وزيره مخلص الدين

(١) ابن خلكان « قبل صلاة الصبح » (٢) من ابن خلكان (٣) مثله فى ذيل الروضتين (ص ٢٣٢) وذكر البيتين الآتيين وفى البداية « الوبار »
(٤) النجوم (ج ٧ ص ١٨٧) « دلويا » وبهامشه « فى الذيل على مرآة الزمان « زلوبيا » وفى عيون التواريخ « زوليا » وفى المنهج السديد « زلموتا » وقد=

ابراهيم بن اسماعيل بن قرناص فسلم قلعة شميميس الى الملك الصالح نجم الدين ليعتضد به باشارة وزيره مخلص الدين فعظم ذلك على الملك الناصر صلاح الدين يوسف وجهز اليه العساكر مع الامير شمس الدين لؤلؤ واخذ حمص وعوضه عنها تلّ باشر وقد اشرنا الى ذلك، ولما قصد الملك الناصر رحمه الله التوجه الى الديار المصرية فى سنة ثمان واربعين كان فى خدمته فلما كسر العسكر بالسابح كان الملك الاشرف فيمن اسر وحمل الى قلعة الجبل بالقاهرة فحبس بها الى ان وقع الصلح بين الملك الناصر والملك المعز فى المحرم سنة احدى وخمسين بسفارة الشيخ نجم الدين البادرائى (١) فاطلق مع من اطلق من اصحاب الملك الناصر وقدم عليه طامعا فى ان يعيد عليه حمص، فلما يئس من ذلك توجه الى تلّ باشر وكتب الى الملك الناصر يستأذنه فى مراسلة صاحب الموصل وصاحب ماردين وقال انهما كتبا الى يهنيانى بخلاصى وذكر ان صاحب الموصل يضايقه فى الرحبة ويلزمه بعمل جسرقرقيسيا فأذن له فراسلهما وجعل ذلك وسيلة الى ارساله قصّاده الى التتر ثم طلب اذنا ثانيا ان يبعث الى بلاد الروم جواسيس يكشفون له اخبار التتر ويطالعونه بها ليكون المسلمون على يقظة منهم فأجابه الى ذلك وكل ذلك وسيلة الى مراسلتهم لحقد كامن فى صدره للملك الناصر بسبب اخذه حمص منه ولم تزل كتبه واردة على الملك الناصر بما ١١٦/ الف

= بحثنا فى كتب المعاجم عن كل هذه الاسماء فلم نوفق الى معرفة الصواب فيها»

(١) الاصل «الباذرانى» خطأ وهو منسوب الى بادرايا قرية من اعمال واسط.

يحدث له الرهبة وكتب التتر تصل اليه بما يعتمده من تثبيط عزم الملك الناصر ولما استولت التتر على حلب خرج مع الملك الناصر من دمشق يوم الجمعة خامس عشر صفر سنة ثمان وخمسين الى الصنمين (١) ثم فارقه منها وتوجه الى تدمر وقصد هولاكو وهو على قلعة حلب يحاصرها فأقبل عليه هولاكو وامره بالحديث مع اهل قلعة حلب فتوسط بينه وبينهم حتى سلموها فى تاسع ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وبقى عنده يسمر بينه وبين من فى القلاع حتى سلمها له، فلما اراد هولاكو العود الى بلاده ولّاه الشام بأسره نيابة عنه واعاد اليه حمص مع تدمر والرحبة وغيرها مما كان فى يده، ولما توجه الملك الناصر الى هولاكو نزل عليه فى طريقه فلم يلتفت اليه ولا احتفل به واغلظ له فى التوبيخ والتقريع . ولما عزم الملك المظفر قطز رحمه الله على لقاء التتر كتب اليه كتابا يسفه رأيه فيه على ما اعتمده من ميله الى التتر وانحيازه اليهم واختياره لهم على المسلمين ويعده انه متى خرج عنهم ومال اليه بشرط ان لايقاتل معهم اذا كان بينه وبينهم مصافا (٢) ابقى عليه ما فى يده من البلاد فاجابه الى ذلك ولما عزم كتبغا (٣) على لقاء الملك المظفر رحمه الله طلبه اليه فاعتذر وتمارض وبعث ابن عمه الملك المعظم وصارم الدين ازبك الحمصى مقدم عسكره فلما منّ الله تعالى بكسرة التتر وهرب من كان من اتباعهم كان الملك الاشرف بدمشق فهرب مع الزين الحافظى ونواب التتر بدمشق فلما وصلوا قارا (٤) فارقهم

(١) كذا (٢) لعله اذ . . . مصافاة (٣) هو كتبغا نوين مقدم التتار (٤) لعله قارة وهى قرية كبيرة بين دمشق وحمص راجع النجوم (ج ٧ ص ١٤٠) .

و توجه الى تدمر و راسل الملك المظفر فحلف له على ما كان بيده من البلاد خلا تلّ باشر ثم وصل دمشق وافدا على الملك المظفر رحمه الله ١١٦/ب فاكرمه و تقدم اليه بالمسير الى حمص و التصرف فى بلاده التى حلف له عليها، فلما قتل الملك المظفر وولى الملك الظاهر و استولى الامير علم الدين الحلبي على دمشق حلف للملك الظاهر باطنا وللامير علم الدين الحلبي ظاهرا ولما قصدت التتر حلب فى اواخر سنة ثمان وخمسين وخرج منها من بها من العزيزية و الناصرية قصدوا حمص فآواهم و احسن اليهم و قام لهم بالضيافات و الاقامات وخرج التتر من حلب فى طلبهم. فلما وصلوا حمص فى اوائل شهر المحرم سنة تسع وخمسين خرج اليهم وحاربهم مع العزيزية والناصرية وصاحب حماة فكسروهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وكان التتر زهاء ستة آلاف فارس وهرب من سلم منهم ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد وكان الملك الاشرف فى هذه الوقعة اعظم غناء فرأى له الملك الظاهر ذلك ونبل قدره عنده واعاد اليه تلّ باشر لما خرج الى الشام فى شوال سنة تسع وخمسين مع ما فى يده ولم يزل ملحوظا منه بعين الرعاية الى ان حصل عنده تخيل عن الملك الظاهر عند عوده الى حمص من خدمته لما كان على الكرك وقبض على صاحبها فتواتر الاخبار عنه باظهار امور كامنة كانت فى نفسه فعزم الملك الظاهر على الوثوب به(١) واستئصاله بالكلية فعاجله المرض و توفى فى حادى عشر صفر او عاشره من هذه السنة

(١) لعله عليه .

بحمص قبل صلاة الجمعة ودفن ليلا على (١) جده الملك المجاهد اسد الدين شيركوه بالمدرسة التى انشأها بباطن حمص رحمه الله وكان ملكا جليلا حازما خبيرا مدبّرا متيقّظا شجاعا ساوسا (٢) علىّ الهمة كبير النفس ابيها له باطن وغور وتحيل ودهاء وتأتى فى بلوغ مقاصده واغراضه وافر العقل قليل البسط والحديث مقيدا لألفاظه ملازما للناموس فى سائر اوقاته حتى فى خلواته مع غلمانه وخواصه يحذو فى ذلك حذو الملك

١١٧ / الف الصالح نجم الدين، ولما توفى الى رحمة الله وجد له من الصين المصرى والدراهم والجواهر والذخائر ما يعظم خطره ويكثر بعضه على مثله ولم يخلّف ولدا وتسلم الملك الظاهر سائر بلاده وحواصله عقيب موته خلا قلعة تدمر فان تسليمها تأخر الى بعد شهرين من وفاته ثم سلمت وهو آخر الملوك من بيت شيركوه رحمه الله تعالى ومولده فى اواخر سنة سبع وعشرين وستمائة .

نصر بن تروس (٣) بن قسطة بن عبد الله الافرنجى الاصل الحاج ابو محمد العضوى الزكوى، سمع من ابى اليمن زيد بن الحسن الكندى وحدث وكان رجلا خيرا دينا سليم الصدر ملازما للصلوات الخمس فى الجماعة مثابرا على قضاء حوائج المعارف ذا ثروة وجدة وتوفى فى جمادى الاولى بدمشق رحمه الله وخلف عدة من الاولاد ذكورا واناثا .

يحيى بن على بن عبد الله بن على بن مفرج بن ابى الفتح ابو الحسين رشيد الدين القرشى الاموى النابلسى الاصل المصرى المولد والدار

(١) لعله عند (٢) لعله سائسا (٣) البداية (ج ١٣ ص ٢٤٣) « نصر بن دس ».

والمالكى

و المالكى العطار (١) مولده فى شعبان سنة اربع و ثمانين و خمسمائة و توفى بمصر فى ثانى جمادى الاولى من هذه السنة و دفن من الغد بسفح المقطم سمع من خلق كثير وحدث بالكثير وخرّج تخاريج مفيدة و جمع جموعا حسنة، وكان اماما عالما فاضلا حافظا ثبتا عارفا بالصناعة الحديثية و اليه انتهت رئاسة الحديث بالديار المصرية بعد الحافظ زكى(٢) المنذرى رحمه الله وكتب بخطه الكثير و كان خطه حسنا ووقف جملة من كتبه على من ينتفع بها من المسلمين وكنت قصدت رؤيته فى منزله بمصر فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وخمسين و ستمائة فخرج الىّ و ناولنى كتابا من مروياته و اجاز لى ما تجوز له روايته و يجوز لى روايته عنه رحمه الله .

ابو القاسم بن منصور بن يحيى المالكى (٣) الاسكندرانى الشيخ الصالح الزاهد المعروف بالقبارى كان احد العباد المشهورين بكثرة الورع و التحرى فى المأكل و المشرب و الملبس معروف بالانقطاع و التخلى و ترك الاجتماع بابناء الدنيا و الاقبال على ما يعنيه من امر نفسه ١١٧ / ب و طريقه الذى سلكه قل ان يقدر احد من اهل زمانه عليه و خشونة عيشه و ما اخذته نفسه من الوحدة وعدم الاجتماع بالناس و الجد و العمل و الاحتراز من الرياء و السمعة لا يعلم فى وقته من وصل اليه

---

(١) له ترجمة ضئيلة فى البداية (٢) لعله زكى الدين او الزكى (٣) ذكره السيوطى فى حسن المحاضرة وقال فى نسبته المالكى ــ ك و ذكر له قصة عجيبة لم تذكر هنا و ذكرها فى البداية (ج ١٣ ص ٢٤٣) .

وكان يقصد زيارته و رؤيته و التبرك به الملوك و من دونهم فلايكاد يجتمع باحد منهم واخباره فى الورع و العبادة مشهورة فلاحاجة الى الاطالة بشرحها و توفى فى ليلة الاثنين السادس من شعبان ببستانه بجبل الصيقل ظاهر الاسكندرية و دفن به بوصية منه، وقبره يزار و يتبرك به و زرته فى شهر ذى القعدة سنة ثمان و ثمانين و ستمائـــة و دعوت الله تعالى عند قبره بدعوات توسلت به فيها و ظهر لى اثر بركة زيارته و التوسل به فى اجابة دعائى فى بعض ما سألته و ارجو الاجابة فى جملته ان شاء الله تعالى و بيع الأثاث الموجود فى منزله و قيمته دون خمسين درهما ورقا بما يزيد عن عشرين الف درهم تزايد الناس فيه رجاء البركة حتى بلغ الابريق الذى كان يستعمله و يتوضأ فيه للصلاة جملة كبيرة و قيمة مثله لا يبلغ ثلاثة فلوس وكان قد تناهى فى الورع و لما رأى ما ينال الناس من الظلم فى كرى (١) الخليـــج الواصل الى الاسكندريه من النيل اعرض عن مائه و حمله التدقيق فى الورع على ان حفر له بئرا كان يشرب منها و ينقل الماء منها بالجرار على دابـــة ليسقى بستانه وكان اذا وجد رطبة ساقطة تحت نخله ولم يشاهد سقوطها منه لا يرفعها ولا يأكلها لاحتمال ان طائرا جناها من نخل غيره و سقطت منه تحت نخله، و بالجملة لم يخلف بعده مثله رحمه الله و اعـاد علينا من بركاته و اوصى ان يطمس قبره، و مولده فى سنة سبع و ثمانين و خمسمائة و عمى فى آخر عمره قدّس الله روحه .

---

(١) الكرى الحفر ـ ك .

السنة الثالثة والستون وستمائة

دخلت هذه السنة والخليفة والملوك على القاعدة المستقرة فى السنة ١١٨ / الف الخالية خلا الملك الأشرف صاحب حمص فانه توفى وانتقل ما كان بيده الى الملك الظاهر وكان الملك الظاهر بقلعة القاهرة .

متجددات هذه السنة

فى العشر الأخر من المحرم بلغ الملك الظاهر ان جماعة من الامراء والاجناد اجتمعوا على اكل طظماج فى دار فزادوا فى الكلام بما معناه القدح فى الدولة وغالى فى ذلك ثلاثة نفر فسمر احدهم وكحل الآخر وقطعت رجل الثالث فانحسمت مادة الاجتماعات بعد ذلك .

وفى تاسع عشرى ربيع الاول قطعت ايدى جماعة من نواب بهاء الدين يعقوب بن حاتم والى القاهرة والخفراء واصحاب الارباع والمقدمين وكانوا ثلاثة واربعين رجلا وسبب ذلك ظهور شلوح ومناسر (١) بالقاهرة وضواحيها فنهبوا وقتلوا وانتهى بهم الفساد الى التعرض بالعربان (٢) النازلين تحت القلعة ليلا فكثر اللغط والصياح وسمعهم الملك الظاهر فسأل فأخبر بصورة الحال فقال تنتهك الحرمة الى هذا الحد، فلما اصبح حمل الوالى رقع الصباح ولم يذكر فيها ما فعله المنسر بالعربان فوبخه وانتهره واخبره بما اتفق فقال ما لى ذنب فان النواب والخفراء لم يطلعونى على ذلك فامر السلطان بما ذكرناه آنفا

---

(١) الشلوح قطاع الطريق والمنسر بكسر الميم وسكون النون وفتح السين الشرذمة منهم - ك (٢) لعله للعربان .

فمات بعضهم و بقي بعضهم .

و فيها وردت الاخبار بنزول التتر على البيرة و حصارهم لها فجهز الملك الظاهر فى شهر ربيع الآخر عسكرا قـدم عليه الامير عزالدين يغان الركنى المعروف بسم الموت والامير جمال الدين آقوش المحمدى و تقدم الى صاحب حماة بالتوجه معهم بعسكره وكذلك الى عسكر حلب فسارت العساكر و عبرت الفرات وكان الملك الظاهر قد امر عيسى بن مهنا بعد ان بعث اليه اجنادا بسلوك البرية الى حران و الغارة عليهـا فلما بلغ التتار عبور العساكر و غارة ابن مهنا رحلوا عن البيرة وعادت العساكر الى الديار المصرية .

١١٨ / ب و فى يوم السبت رابع ربيع الآخر توجه الملك الظاهر بعساكره قاصدا قيسارية فنزل عليها و حاصرها الى ان فتحهـا عنوة فى ثامن جمادى الاولى و عصت عليه قلعتها بعد فتحها عشرة ايام ثم فتحها و هرب من كان بها الى عكا فأخرب الملك الظاهر المدينة والقلعة و تركهما دمنة و ملك لاعيان الامراء الذين كانوا معه و الغائبين عنه بالبيرة لكل واحد منهم نصف قرية و ملك ولدى صاحب الموصل سيف الدين و علاء الدين و ملك الامير ناصرالدين القيمرى و قدمه على العسكر و رتبه بجيبين (١) و اعطاه خبزا و ملك الامير شرف الدين ن أبى القاسم و هو (٢) بطال نصف قرية ثم رحل الى ارسوف و نزل عليها و نصب المجانيق و رمى

(١) الاصل « محسى » بلا نقط ـ ك (٢) هو عيسى بن محمد بن ابى القاسم الهكارى الكردى توفى سنة ٦٦٩ ـ ك .

ابراجها

ابراجها فعبثت بها وعاثت فيها واخذتها النقوب من جهاتها وتكرر عليها الزحف الى ان تداعى برج من ابراجها تجاه الامير بدر الدين الخزندار فهجم البلد منه بمن معه من العسكر على غفلة من اهلها فوقع القتل فيهم والاسر واقتسم العسكر ما كان بها من الحواصل، وذلك يوم الخميس ثانى عشر شهر رجب ثم خربت ايضا واصدرت كتب البشائر من السلطان بالفتوح فمن ذلك مكاتبة الى قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه الله من انشاء فتح الدين عبد الله (١) بن القيسرانى من مضمونها :

جدد الله البشائر الواردة على المجلس السامى القضائى واسره بما اسمعه، وابطل ببركته كيد العدو ودفعه، وجاء بها سبب الخير وجمعه، ولازالت التهانى اليه واردة، والمسرات عليه وافدة، ونعم الله وبركاته لديه متزايدة، هذه المكاتبة تبشر بنصر من الله وفتح قريب، وهناء يأخذ له المجلس منه اوفر نصيب، وتوضح (٢) لعلمه الكريم انه لما كان يوم الاثنين التاسع من شهر رجب المبارك قدمنا خيرة الله تعالى وزحفنا على مدينة ارسوف بعساكرنا المنصورة وادرنا بها الاطلاب للزحف، وكانت مرتبة على احسن صورة وتناولناها مناولة القادم اذا ضم ضمة المشتاق، واستولينا على جميع اهلها فأضحى كل منهم ١١٩ / الف من القيد فى وثاق، واضرمنا بها النيران فعجّل الله لهم بها فى الدنيا قبل الآخرة الاحراق، وجرّعناهم غصص الموت فتجرّعوها مرّة المذاق،

(١) هو الصاحب عبد الله بن محمد بن احمد بن خالد المخزومى - ك (٢) لعله وتوضح

وكانت مدة القتال ثلاثة ايام آخرها يوم الخميس ثانى عشر شهر رجب المبارك فلم يفلت منهم احد. وعاجلناهم فى هذه المدة القريبة فلم يغنهم (١) ما فعلوه فى تحصن البلد ولم يمس احد منهم فى ليلة الجمعة وقد نجا من القتل الا وهو اسير، واحتطنا بها فما نجا منهم بحمد الله صغير، ولا كبير وعجلنا للمجلس بهذه البشارة ليأخذ منها حظا وافـــرا، ويقرأ آيات نصر الله على اصحابه من الفقهاء والعدول ويحدث بها فيكون تاليا لهـا بين الانام وذاكرا، ويكتب بمضمون ذلك الى نوابه من الحكام، وليشهر هذا الخبر السعيد بين الانام، ويواصلنا بدعائه فانا نرجو به الزيـادة والله تعالى يجزينا ويجزيه من الطافه على اجمل عادة، بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى: كتب ثانى عشر شهر رجب المبارك وبين الا سطر وعدة الاسرى الف اسير واما القتل (٢) فكثير لأن القلعة اخذت بالسيف .

وعاد الملك الظاهر الى القاهرة وزينت لدخوله فدخلها فى ثانى عشر شعبان من باب النصر وخرج من باب زويلة وعبر بالاسرى على الجمال وكان يوما مشهودا، وفى جمادى الآخرة وقعت نـار بحارة الباطلية بالقاهرة فاحرقت ثلاثة وستين دارا جامعة ثم كثر الحريق بعد ذلك بمصر حتى احرق ربع فرج (٣) وكان وقفا على اشراف المدينة النبوية صلوات الله على ساكنها وسلامه بحيث لم يبق فيه مسكن والوجه المطل على النيل من ربع العادل وكان وقفا على تربة الامام الشافعى رحمة الله عليه وكانت توجد لفائف مشاق فيها النار والكبريت عـــلى

(١) الأصل « يغنيهم » (٢) لعله القتلى (٣) كذا ولم نقف عليه .

اسطحة الآدر وعظم هذا الامر على المسلمين ورتب بالشوارع والازقة دنان الماء واتهم بذلك النصارى الكركيين والملكيين، فلما قدم الملك الظاهر الديار المصرية عزم على استئصال النصارى واليهود بسبب الحريق ١١٩/ب فأمر بوضع الاحطاب والحلفاء فى حفرة كانت فى وسط القلعة وان تضرم فيها النار ويطرح فيها النصارى واليهود فجمعوا على اختلاف طبقاتهم حتى لم يبق الا من هرب وذلك يوم الاربعاء ثامن عشر شعبان وكتّفوا ليرموا فى الحفرة فشفع فيهم الامراء فأمر أن يشتروا انفسهم فقرر عليهم خمسمائة الف دينار يقومون منها فى كل سنة بخمسين الف دينار يؤخذ منهم بحسب قدرة كل واحد منهم وضمنهم راهب يعرف بالحبيس كان مبدأ امره كاتبا فى صناعة الانشاء ثم ترهب وانقطع فى جبل حلوان فيقال انه وجد فى مغارة منه مالا للحاكم احد الخلفاء المصريين، ولما وجد المال واسى به الفقراء والصعاليك من كل ملة واتصل خبره بالملك الظاهر فطلبه اليه وطلب منه المال فقال أما انى اعطيك من يدى الى يدك فلا ولكنه يصل اليك من جهة من تصادره وهو لا يقدر على ما تطلبه منه فلا تعجل، وشفع فيه فلما كانت هذه الواقعة ضمنهم وحضر موضع الجباية منهم فمن قرر عليه شىء وعجز عن ادائه ساعده ومن لم يكن معه شىء ادى عنه سواء كان نصرانيا او يهوديا وكان يدخل الحبوس ويطلق منها من عليه دين ومن وجده ذا هيئة رثة واساه ومن شكا اليه ضرورة ازاحها عنه فانتفعت به سائر الطوائف، ولما طلب من اهل الصعيد المقرر على الذمة (١) الذين

(١) لعله اهل الذمة .

بها سافر اليهم و أدى عنهم وكذلك سافر الى الاسكندرية و غيرها .

و فى يوم السبت ثانى شوال خرج الملك الظاهر من القاهرة لحفر بحر اشموم و فرقه على الامراء و حفر فيه بنفسه .

و فى ثامنه طلع من الشرق نجم له ذؤابة و بقى الى نصف ذى القعدة وغاب وهو كوكب الذنب .

و وصل رسول صاحب سيس يبشر الملك الظاهر بهلاك هولاكو ثم ورد الخبر بان عساكره اجتمعت على ولده ابغا و ان بركة قصده فكسره فعزم الملك الظاهر على التوجه الى العراق ليغتنم الفرصة فلم يتمكن لتفرق العساكر فى الاقطاعات، ولما فرغ من حفر الخليج ١٢٠ / الف ركب فى الحراقة واخذ معه زاد ايام قلائل و ادلاء البلاد و مضى ليسد فم جسر على بحيرة تنين انفتح منه مكان خرج منه المياه فغرق الطريق بين الورادة و العريش و اقام هناك يومين و حصل له توعك فعاد الى مصر فى حادى عشر شوال .

و فى ثانى عشر شوال يوم الخميس سلطن الملك الظاهر و لده الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قآن(١) و اركبه بابهة الملك فى القلعة و حمل الغاشية بين يديه بنفسه من باب السر الى السلسلة (٢) ثم عاد و سير الملك السعيد على ظاهر القاهرة و دخل من باب النصر و شق البلد و خرج

(١) النجوم(ج ٧ ص ٥٥)« قاقان »وبهامشه« فى الاصلين« قان » و التصويب عن السلوك للقريزى وعقد الجمان » (٢) لعله القلعة وراجع النجوم (ج ٧ ص ١٩٠).

من باب زويلة و سائر الامراء مشاة بين يديه و الامير عز الدين الحلى راكب الى جانبه و الوزير بهاء الدين و القاضى تاج الدين راكبان أمامه و عليهم الخلع و الامير بدر الدين بيسرى حامل الجتر(١) على رأسه.

و فى يوم الخميس خامس ذى القعـــدة خُتن الملك السعيد باكرا و خُتن معه جماعة من اولاد الامراء و الخواص وحضر الملك الظـاهر ذلك بنفسه وحصل للحكماء خلع كثيرة و اموال جمة .

و فى هذه الشهور ورد على الملك الظاهر عز الدين ايبك الاغاجرى من الاسكندرية وكان قد سير اليها لشنق الشريف حصن الدين بن ثعلب وسبب ذلك ان الشريف السرسنائى احـــد عدول الثغر كان يتردد الى ابن ثعلب لتأنيسه و قضاء حوائجه فذكر عنه انه اعمل الحيلة فى هروبه و سفرّ له عند من يعينه و يساعده وكان السرسنائى بمصر فى بعض حوائجه فأخذ من جامعها و احضر الى القلعة و سئل عما ذكر عنه فأنكر فأرى الخطوط الواردة من الاسكندرية بالشهادة عليه فأمر بشنقه تحت القلعة و بشنق ابن ثعلب فى الاسكندرية فشنقا.

ذكر قبض الملك الظاهر على سنقر الاقرع

و سبب ذلك ان رسولا ورد من بركة على الملك الظـاهر فى ذى القعدة ومعه رجـــل ادعى انه الملك الاشرف بن الملك المظفر شهـاب الدين غازى فشهد له سنقر الاقرع وغيره فاستكشف الملك ١٢٠/ب الظاهر عن امره فظهر له ان سنقر الاقرع بعث اليه و استدعاه لغرض له فامر الملك الظاهر بالقبض عليه و حبسه و حبس من شهد له فى خزانة

(١) معناه المظلّة بالفارسية.

البنود فى ذى الحجة .

وفى ذى الحجة كتب توقيع وخلد فى بيت المال بالديار المصرية يتضمن اسقاط بواقى تعذر استخراجها والمسامحة بها .

وفى رابع وعشرين منه قبض الملك الظاهر على الامير شمس الدين سنقر الرومى وسببه انه غضب على مملوكين له فشفع الملك الظاهر فيهما عنده فاجاب ، فلما كان تلك الليلة قتل احدهما فهرب الآخر واعلم الملك الظاهر فأمر بالقبض على سنقر الرومى ولم يتعرض الى ماله واجرى على اولاده وحريمه واتباعه رواتب .

وفيها ولى من كل مذهب قاضى قضاة مستقل بالديار المصرية وسبب ذلك كثرة توقف قاضى القضاة تاج الدين فى تنفيذ الاحكام وكثرة الشكاوى منه فى يوم الاثنين ثانى عشرى (١) ذى الحجة والامير جمال الدين ايدغدى العزيزى فى المجلس وكان يكره القاضى تاج الدين فقال الامير جمال الدين نترك مذهب الشافعى لك ونولى معك من كل مذهب قاضيا فمال الملك الظاهر الى قوله وكان له منه محل عظيم فولى الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ العماد الحنبلى (٢) والشيخ صدرالدين سليمان الحنفى (٣) والقاضى شرف الدين عمر السبكى المالكى (٤) وفوض الى كل منهم ان يستنيب فى الاعمال وابقى على تاج الدين

(١) البداية (ج ١٣ ص ٢٤٥) « الثانى والعشرين » (٢) هو محمد بن ابراهيم بن عبدالواحد الجماعيلى توفى سنة ٦٧٦ - ك (٣) هو سليمان بن ابى العز بن وهيب توفى سنة ٦٧٧ - ك (٤) هو عمر بن عبد الله بن صالح توفى سنة - ك .

النظر

النظر فى مال الايتام والامور المختصة ببيت المال وكتب لهم تقاليد وخلع عليهم ثم فعل ذلك فى الشام .

وفى هذه السنة احضر بين يدى الملك الظاهر نعجة قد ولدت خروفا على صورة الفيل له خرطوم طويل وانياب .

وفيها قوى اهتمام الملك الظاهر بتمام عمارة الحرم الشريف النبوى وجهز الاخشاب والحديد والرصاص ومن الصنّاع ثلاثة وخمسين رجلا وما يمونهم وانفق فيهم قبل سفرهم وبعث معهم جمال الدين محسن الصالحى وشهاب الدين غازى بن فضل اليغمورى مشدا والرضى ناظرا ومجير الدين احمد بن ابى الحسين بن تمام طبيبا ومعه أدوية واشربة، ١٢١ / الف وكان سفرهم فى سابع عشر شهر رجب فوصلوا المدينة فى ثانى عشر شوال واخذوا فى العمارة وكلما عازهم شىء من الآلات والنفقات سير اليهم من الديار المصرية ودامت العمارة الى سنة سبع وستين .

فصل

وفيها توفى ابراهيم بن عبد الملك بن يونس المعروف بمريد الله الشيخ الصالح وهو ابن اخت سيدنا الشيخ عبد الله اليونينى الكبير قدس الله روحه ادركه وصحبه وانتفع به وسافر الى البلاد وعاد الى بعلبك وسكن زاوية انشأها مقاربة لتربة خاله الشيخ عبد الله رضى الله عنه ظاهر بعلبك وتوفى بها فى ثانى عشر ذى الحجة ودفن بحريمها رحمه الله وقد نيف على سبعين سنة وكان حسن المجالسة كثير النقل عن المشايخ والفقراء كريم الاخلاق معانقا(١) للفقراء متوفرا على العبادة

---

(١) كذا .

رحمه الله : قال كتب فى هذه السنة سهوا و وفاته فى التاريخ المذكور من الشهر فى سنة اربع و ستين و ستمائة .

ابراهيم بن عمر بن عبد العزيز بن الحسن بن على بن محمد بن يحيى ابن على بن عبد العزيز بن على بن الحسين بن القاسم بن الوليد بن القاسم ابن الوليد بن ابان بن امير المومنين عثمان رضوان الله عليه ابو اسحاق معين الدين القرشى الاموى، مولده فى السابع و العشرين من ذى الحجة سنة ثلاث و ستمائة بدمشق، سمع الكثير وكتب بخطه ولم يزل يسمع ويكتب الى ان توفى فجأة بدمشق فى ثامن ربيع الاول و دفن بسفح قاسيون، وكان عدلا مبرزا فاضلا متيقظا حسن الخط من بيت العلم و القضاء و التقدم و الرئاسة رحمه الله .

حمزة بن محمد بن حمزة بن الحسين بن حمزة ابو يعلى محى الدين البهرانى الحموى الشافعى تولى الحكم بحماة مدة وكان فاضلا سمع وحدث و توفى بحماة رحمه الله تعالى و ولى القضاء بحماة سنة اثنتين و اربعين وستمائة وعزل عنه سنة اثنتين و خمسين .

خالد بن يوسف بن سعد بن الحسن بن مفرج بن بكار ابو البقاء زين الدين النابلسى الشافعى مولده بنابلس سنة خمس و ثمانين و خمسمائة، ١٢١ / ب سمع الكثير و حفظ من غريب الحديث جملة و قطعة جيدة من المختلف و المؤتلف من اسماء الرواة و حصل كتبا حسنة و اصولا جيدة كان فاضلا و توفى فى سلخ جمادى الاولى بدمشق و دفن من يومه بمقابر باب الصغير رحمه الله .

عبد الله بن يحيى بن الفضل ن الحسين بن احمد بن سليمان ابو محمد نظام الدين الحميرى الدمشقى المعروف بابن البانياسى كان من العدول الاعيان بدمشق و مولده فى منتصف ربيع الاول سنة تسع و سبعين و خمسمائة سمع من ابى طاهر الخشوعى(١)و حنبل و عبد الوهاب ابن سكينة (٢) و غيرهم و حدث بدمشق و بيته مشهور بالحديث و الرئاسة و التقدم و توفى الى رحمة الله فى شهر صفر ببستانه بكفرسوسية (٣) ظاهر دمشق و دفن بسفح قاسيون .

عثمان بن عبد الوهاب بن يوسف بن معالى ابو عمرو شرف الدين التغلبى المعروف بابن السائق كاتب الحكم العزيز بدمشق مولده فى ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين و خمسمائة بدمشق سمع من الكندى و غيره و حدث وكان من العدول الاعيان المبرزين، و له صدقة و بر و معروف و عنده ديانة و افرة و خطه حلو و محاضرته حسنة و لديه فضيلة و توفى بدمشق فى مستهل شعبان و قيل فى خامسه و دفن بسفح قاسيون رحمه الله .

فتح بن موسى بن حماد بن عبد الله بن على بن يوسف ابو نصر نجم الدين الاموى المعروف بالقصرى ولد فى رجب سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة بالجزيره الخضراء من بلاد الاندلس و نقله والده الى قصر ابن عبد الكريم المعروف بقصر كتامة و عمره مقدار خمس سنين فنشأ

(١) هو بركات بن ابراهيم بن طاهر توفى سنة ٥٩٨ - ك (٢) هو ابو احمد عبد الوهاب بن على بن على توفى سنة ٦٠٧ - ك (٣) ذيل الروضتين « بكفرسوسة » .

بالقصر فلهذا نسب اليه و لما بلغ خمس عشرة سنة عاد الى الجزيرة الخضراء و اشتغل بها فى النحو، ثم عاد الى القصر و ورد عليهم الشيخ ابو موسى عيسى الجزولى (١) صاحب المقدمة فقرأها عليه سماعا لا بحثا

١٢٢ / الف فى القصر ثم سافر بعد ذلك الى بلاد الشرق فى سنة سبع و ستمائة فوصل الى افريقية و اقام بها مدة فى تونس ثم توجه الى الديار المصرية ثم انتقل الى الشام فى سنة عشر و ستمائة و اشتغل بحماة على الشيخ سيف الدين الآمدى (٢) رحمه الله بالاصولين (٣) و الخلاف ثم انتقل الى بلاد الشرق و تولى التدريس بمدرسة الامير عماد الدين ابن المشطوب رحمه الله التى بمدينة رأس عين سنة سبع عشرة و ستمائة و اقام بها سنين كثيرة ثم تولى وكالة بيت المال لما ملك الكامل رحمه الله بلاد الشرق و نظم كتاب المفصل للزمخشرى وكتاب الاشارات للرئيس ابى على بن سينا و لما انفصل الى الديار المصرية نظم بها سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى اثنى عشر الف بيت وكلها علىٰ حرف الراء و له عدة تواليف و تولى التدريس بالمدرسة الفائزية بمدينة سيوط زمانا ثم تولى القضاء بها ايضا وكان دخوله الى الديار المصرية فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث و اربعين و ستمائة و توفى يوم الاحد رابع جمادى الاولى من السنة بسيوط من صعيد مصر رحمه الله قال قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان رحمه الله انشدنى لنفسه بقلعة

(١) هو ابو موسى عيسى بن عبدالعزيز توفى سنة ٦٠٧ - ك (٢) هو ابو الحسن على بن ابى على بن محمد بن سالم توفى سنة ٦٣١ - ك (٣) لعله الاصلين .

الجبل من الديار المصرية فى يوم السبت الرابع من شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة بيتين كتبهما من حلب الى بعض اصدقائه برأس عين وهما :

حلب مذ حللتها حلّ فيها عين رأسى والقلب فى رأس عين
هى فى القلب لا بل القلب فيها جمع الله بين قلبى وعينى

فراس بن على بن زيد بن معروف بن احمد بن مهنا ابو العشائر نجيب الدين الكنانى العسقلانى الاصل الدمشقى المولد والدار والوفاة، مولده فى ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، سمع من الخشوعى والكندى وغيرهما وكان من العدول الاعيان ذوى الثروة واليسار والوجاهة والرئاسة وتوفى فى الخامس والعشرين من شعبان ودفن بمقابر باب الصغير ظاهر دمشق رحمه الله .

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبد الله بن احمد ١٢٢/ب ابو عبد الله القسطلانى التوزرى المولد المكى الدار والوفاة المالكى المذهب امام حطيم المالكية بمكة شرفها الله تعالى ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة سمع من ابى حفص عمر بن محمد الهروروى (١) وغيره وحدث وكان شيخا صالحا عالما فقيها فاضلا له نظم جيد وتوفى بمكة شرفها الله تعالى فى الثامن والعشرين من شوال ودفن من الغد بالمعلى رحمه الله .

محمد بن الحسين بن على المعروف بابن امرأة الشيخ على الفرنثى

---

(١) لا ادرى من هو ـ ك .

رحمه الله كان شيخا صالحا حسنا مليح الشكل حلو المحادثة سليم الصدر عليه آثار الخير والصلاح بادية زاويته بسفح قاسيون على نهر يزيد من احسن الزوايا وانضرها وفى جانبها الشرقى قبة بها ضريح الشيخ على الفرثى وكان والده رحمه الله يحب الشيخ محمد ويؤثره وبنى فى زاويته المذكورة مكانا يختص به على النهر ولما نزل دمشق فى شهور سنة خمس وخمسين وستمائة صعد الى مكانه الذى بناه بالزاوية واقام به اياما وحضر السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف الى زيارته وهو به وكان الشيخ محمد كثير التردد الى بعلبك لزيارة والدى والاجتماع به وتوفى الشيخ محمد المذكور فى الحادى والعشرين من شهر ربيع الاول فى زاويته ودفن بها وهو فى عشر الثمانين رحمه الله وخلف اولادا جماعة درجوا الى رحمة الله عن آخرهم وآخر من توفى منهم احمد فى اول سنة تسعين بظاهر عكا .

موسى بن يغمور بن جلدك بن يلمان (١) بن عبد الله ابوالفتح جمال الدين مولده فى جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالقرية قرية بالقرب من سمنهود (٢) من اعمال قوص وهو ياروقى الاصل سمع من جماعة وحدث وتوفى فى مستهل شعبان بالقصير من اعمال الفاقوسية بين الغرابى والصالحية وحمل الى تربة والده بسفح

(١) النجوم (ج ٧ ص ٢١٨)« بليمان » وبهامشه « كذا فى الاصلين وفى تاريخ الدول والملوك« ابن بلبان»وفى عقدالجمان« ابن يلهان»(٢) النجوم« بالقوب» وبهامشه « القوب اوقرية ابن يغمور: من قرى سمهود» .

المقطم فدفن بها فى رابع الشهر المذكور وكان اميرا كبيرا عظيما رئيسا ١٢٣/ الف
عالما فاضلا جليل المقدار خبيرا حازما ساوسا (١) مدبرا جوادا ممدحا
تنقلت به الاحوال وهذبته الايام واحكمته التجارب وناب بالديار
المصرية فى الايام الصالحية النجمية مـدة ثم نقله الى الشام وجعله
نائب السلطنة به فاقام بدمشق الى ان توفى الملك الصالح نجم الدين وقدم
الملك المعظم توران شاه ولده دمشق وتوجه منها الى الديار المصرية
وقتل على ما هو مشهور وتقرر الملك المعز بالديار المصرية فراسله فى
موافقته فلم يجبه وبقى بدمشق الى ان قدمها الملك الناصر صلاح الدين
يوسف رحمه الله وملكها فاعتمد عليه فى سائر اموره وكان هـو
اميرالدولة ومشيرها وله عند الملك الناصر المكانة العالية والمرتبة
الرفيعة ولم يكن فى امراء الدولة من يضاهيه فى منزلته ومكانته وقربه
ومحله الا الامير ناصر الدين القيمرى رحمه الله وكان الامير جمال الدين
من رجال الدهر عقلا وحزما وسدادا وحشمة وله الآراء الثاقبة
والفراسة الصائبة وانعامه واصل الى الامراء والفقراء والرؤساء وكان
بينه وبين والدى رحمه الله مودة كبيرة ومكاتبات فى حال الغيبة وكان
فى الدولة الناصرية كثير البر والاحسان الى الامير ركن الدين بيبرس
البندقدارى فلما افضت السلطنة اليه اعرض عنه بعض الاعراض ثم
اقبل عليه ورعى له سالف خدمته وعظم قدره وجعله استاذداره
وفوض اليه امورا كثيرة لعلمه بكفايته وعظم غنائه ولم يزل على ذلك

(١) لعله سائسا وفى النجوم « سيوسا » .

الى ان درج الى رحمة الله تعالى كما ذكرنا .

يوسف بن الحسن بن علي ابو المحاسن بدر الدين السنجاري(١) الزرزاري كان رئيسا جليلا جوادا ممدحا موصوفا بالكرم و الرئاسة لا ينازع ١٢٣/ب في ذلك و تنقلت به الاحوال فكان في اول امره بسنجار و تلك البلاد المشرقية وكان له عند الملك الاشرف مظفر الدين ابى الفتح موسى بن الملك العادل رحمه الله مكانة و وجاهة فلما ملك دمشق و ما معها و لاه القضاء ببعلبك و مضافاتها و هى البقاع البعلبكى و البقاع العزيزى و الزبدانى و الجبال فكان القضاة فى هذه النواحى نوابه و من قبله و يكتب له فى اسجالاته(١) قاضى القضاة و وقفت على كثير من اسجالاته(١) لما كان متوليا ببعلبك وكنيته فيها ابو العز وكان مع صغر ولايته بالنسبة اليه يسلك من التجمل وكثرة المماليك و الحاشية و الدواب وحسن الزى مالا يسلكه وزير الممالك الكبار فضلا عن قضاتها ثم عاد الى سنجار .

فلما مات الملك الكامل خرجت الخوارزمية عن طاعة ولده الملك الصالح فتوجه الى سنجار فطمع فيه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وحصره فيها ولم يبق الا ان يتسلمها و يأخذ الملك الصالح اسيرا و يتملك البلاد الشرقية بأسرها وكان بدر الدين قاضى سنجار اذ ذاك فارسله الملك الصالح وهو محصور بها الى الخوارزمية ليصلح بينه وبينهم و يستميلهم اليه و يستدعيهم لنصرته فخرج من سنجار سرا

(١) له ترجمة فى البداية (ج ١٣ ص ٢٣٩) (٢) لعله سجلاته .

بحيث

بحيث لا يشعر به المحاصرون للبلد و خاطر بنفسه و ركب الاهوال فى ذلك ومضى الى الخوارزمية فاستمالهم وطيب قلوبهم و وعدهم الوعود الجميلة بعد ان كانوا قد اتفقوا مع صاحب ماردين و قصدوا بلاد الملك الصالح و استولوا على الاعمال و نازلوا حران فأجفل اهلها .

وكان بقلعة حران الملك المغيث ابن الملك الصالح نجم الدين فخاف منهم فسار مختفيا نحو قلعة جعبر وطلبه الخوارزمية ونهبوه ومن معه و افلت فى شرذمة من اصحابه و وصل الى منبج ثم عاد الى حران ووصله كتاب ابيه يأمره بموافقة الخوارزمية و ارضائهم فاجتمع بهم ايضا القاضى بدر الدين و التزم لهم القاضى بدر الدين ان يقطعوا حران والرها وغيرهما من البلاد الجزرية و حلفهم القاضى بدر الدين للملك الصالح نجم الدين و اشملوا على خدمة ولده الملك المغيث .

١٢٤ / الف

و لما اتفق الخان مع الخوارزمية ساروا معه و مع الملك المغيث قاصدين سنجار و مقدمهم الامير حسام الدين بركة خان فلما سمع صاحب الموصل و من معه قربهم افرجوا عن سنجار و ادركتهم الخوارزمية فأوقعوا بهم و هرب صاحب الموصل و احتوت الخوارزمية على خيمه واثقاله و نهبوا من ذلك ما لا يحصى وكان الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح بآمد معه الامير حسام الدين بن ابى على الهذبانى وعلى آمد عسكر السلطان غياث الدين صاحب الروم و قد اخذ بعض قلاعها فقصدهم الخوارزمية و واقعوا بعض عسكر الروم فانهزم الباقون عن آمد ولم ينالوا منها غرضا فقلد القاضى بدر الدين بفعلته هذه للملك

الصالح نجم الدين منة (١) عظيمة و اوجب عليه حقوقا رعاها له ثم ان
الملك الصالح عماد الدين سير القاضى بدر الدين وكان قدم الشام فجهزه
فى رسالة عنه الى صاحب الروم فلما عاد بلغه خروج الملك الصالح
نجم الدين من الاعتقال بقلعة الكرك و تملكه الديار المصرية فخاف على
نفسه من تخيل الملك الصالح عماد الدين منه لما يتحققه من ميله الى جهة
الملك الصالح نجم الدين فجهز اليه جواب الرسالة و اقام بحماة لكون
صاحبها الملك المظفر مع الملك الصالح نجم الدين و مباينا للملك الصالح
عماد الدين ثم توجه فى سنة ثمان و ثلاثين من حماة الى طرابلس
و ركب فى البحر الى الطينة و حصل له مرض يئس (٢) منه ثم ابلّ و دخل
الديار المصرية فسر به الملك الصالح نجم الدين و اكرمه غاية الاكرام
و جازاه على يده عنده وكان القاضى شرف الدين بن عين الدولة قاضى
الاقليم بكماله فافرد عنه مصر و الوجه القبلى و فوضه الى القاضى
بدر الدين و ابقى القاهرة و الوجه البحرى مع شرف الدين بن عين الدولة
و كان عنده فى اعلى المراتب و نقله الى القاهرة و الوجه البحرى بعد
وفاة القاضى شرف الدين وكان الامير فخر الدين يوسف بن الشيخ ١٢٤ / ب
رحمه الله يكره القاضى بدر الدين فكتب مرة الى الملك الصالح نجم الدين
كتابا يغض من القاضى بدر الدين فيه و ينسبه الى انه يأخذ من نوابه
بالأطراف اموالا يحملونها اليه و انه اذا عدل شاهدا اخذ منه مالا
و اشباه ذلك فلما وقف الملك الصالح على كتاب الامير فخر الدين كتب

(١) الاصل « مانة » (٢) الاصل « يؤس » .

اليه

اليه بخطه على رأس كتابهما معناه يا اخى فخر الدين للقاضى بدر الدين على
حقوق عظيمـــة لا اقوم بشكرها و الذى قد تولاه قليل من حقه و ما
قمت له بما يجب على من مكافأته فلما وقف الامير فخر الدين على ذلك
لم يعاوده فى قضيته و ترك الورقة فى جملة من اوراق عنده فلما استشهد
بالمنصورة و خلف بنتا صغيرة احتيط على ما فى داره فوجدت الورقة
فى اوراقه فحملها نواب الايتام الى القاضى بدر الدين فكان يوقف عليها
بعض من يدخل اليه من الاعيان .

و بالجملة فلم يزل فى المناصب فانه ولى سنجار و تلك النواحى
ثم ولى بعلبك و اعمالها ثم عاد الى سنجار ثم قدم الديار المصريـــة
فولى مصر و الوجه القبلى مرة و القاهرة و الوجه البحرى تارة و جمع
له الاقليم بكماله و ولى تدريس المدرسة الصالحية النجمية التى بـــين
القصرين للطائفة الشافعية مدة و باشر وزارة الديار المصرية مدة وكان
فى حال تولية الحكم يشارك فى الامور المتعلقة بالدولة و يشاور فيها
و يرجع فى معظمها الى رأيه ولم يزل ينتقل فى المناصب الجليلة و الولايات
الخطيرة الى اوائل الدولة الظاهرية صرف عن ذلك فلزم منزله و الناس
يترددون الى خدمته و الاعيان يعترفون بتقدمه و رئاسته و حرمته وافرة
عند ارباب الدولة و محله عظيم عند الخاص و العام و مكارمه مشهورة عند
سائر الانام وكان كثير الاحسان و افر العطاء جميل الصفح عن الزلات
و إقالة العثرات و رعاية الحقوق و المودات مقصدا لمن يرد اليه من
الفقهاء و الفضلا و ذوى البيوتات و حج سنة اثنتين و خمسين سافر على ١٢٥ / الف

البحر و صام بمكة شهر رمضان و اقام الى الموسم و عاد فى اوائل سنة ثلاث و خمسين وكان بينه و بين والدى رحمه الله مودة اكيدة فكان من يتوجه الى الديار المصرية يتوسل اليه بكتب والدى فيبالغ فى اكرامه و الاحسان اليه وكانت وفاته فى رابع عشر شهر رجب بالقاهرة و دفن بتربته بالقرافة رحمه الله .

ابو القاسم بن (١) .... الشيخ المشهور صاحب الزاوية بقرية حوارای من عمل السواد كان رجلا صالحا و له ثروة و اتباع (٢) وصيت فى تلك النواحى و يضيف من يرد عليه من الفقراء وغيرهم و صلى عليه بالقدس صلاة الغائب فى يوم عيد النحر و بجامع دمشق فى تاسع عشر ذى الحجة يوم الجمعة رحمه الله تعالى .

السنة الرابعة والستون وستمائة

دخلت هذه السنة و الخليفة و ملوك الطوائف على الصورة المستقرة خلا صاحب مراكش الملقب بالمرتضى فانه قتل وولى بعده ابو العلاء ادريس الملقب بالواثق و الملك الظاهر بقلعة الجبل .

مجددات الاحوال

خرج الملك الظاهر من القلعة الى الصيد فى رابع ربيع الاول

(١) بياض فى الاصل ومحله فى البداية (ج ١٣ ص ٢٤٦) « يوسف بن ابى القاسم ابن عبد السلام الاموى » (٢) البداية « وله مريدون كثير من قرايا حوران فى الحل والثبنية وهم حنابلة لايرون الضرب بالدف بل بالكف وهم امثل من غيرهم » .

وعاد فى رابع عشر ربيع الآخر فأقام بالقلعة يومين ثم توجه الى تروجه فاقام بها الى تاسع عشرى جمادى الاولى و فى رابع عشر جمادى الآخرة توجه لحفر خليج الاسكندرية فى شهر رجب .

و فى العشرين من جمادى الآخرة سمر على الجمال احدا و عشرين نفرا من مقدمى العربان بالشرقية و حملوا عليها الى بلادهم فماتوا فى الطريق .

و فى هـذه السنة ظهر كتاب وقف المدرسة النورية رحم الله واقفها ببعلبك و فيه اشتراك بين الشافعية و غيرهم من المشتغلين بالعلم من اهل السنة و كان بنى (١) عصرون الذين يدعون النظر على الاوقاف النورية يخفون لذلك (١) فلما ظهر امره جدد اثباته و اخذ به نسخة و تنجز عليها فتاوى العلماء و مراسيم نواب السلطنة و نزل بالمدرسة المذكورة من اراد الاشتغال ١٢٥ / ب من الحنابلة وغيرهم و استمر الحال على ذلك بعد فصول يطول شرحها .

و فى يوم السبت مستهل شعبان برز الملك الظاهر الى بركة الجب قاصدا صفد و ترك نائبا عنه بالديار المصرية الملك السعيد و الحلىّ فى خدمته و الوزير بهاء الدين و سار حتى نزل عين جالوت و بعث عسكرا مقدمه الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى و عسكرا آخر مقدمه الامير سيف الدين قلاون الألفى للغارة على بلاد الساحل فاغاروا على عكا و صور و غرقد و اطرابلس و جلبا و حصن الاكراد فى يوم واحد وهو سلخ شعبان على مواعدة كانت بينهم فغنموا وسبوا ما لايحصر ثم نزل الملك الظاهر على صفد فى ثامن شهر رمضان ونصب عليها المجانيق و دام الاهتمام

(١) كذا .

بعمل الآلات الحربية الى مستهل شوال فشرع فى الزحف و الحصار و القتال و اخذت النقوب على الباشورة من جميع الجهات الى ان ملكت بكرة الثلاثاء خامس عشر شوال و استمر الزحف و القتال و نصبت السلالم على القلعة و سلطت عليها النقوب و الملك الظاهر يباشر ذلك بنفسه فبذل اهل الحصن التسليم على ان يؤمنوا على انفسهم و طلبوا اليمين على ذلك فأجلس الملك الظاهر الامير سيف الدين كرمون من التتر فى دست السلطنة و حضرت رسلهم فاستحلفوه لخلف وهم يظنونه الملك الظاهر وكان فى قلب الملك الظاهر منهم لما انكوا و لما فعلوا بالمسلمين ثم شرط عليهم ان لا يأخذوا معهم من اموالهم شيئا فلما كان يوم الجمعة ثامن عشر شوال طلعت السناجق على القلعة و وقف السلطان بنفسه على بابها واخرج من كان فيها من الداوية و الاسبتار (١) والفلاحين وغيرهم و دخل الامير بدر الدين الخازندار و تسلمها و اطلع على انهم اخذوا شيئا كثيرا من التحف له قيمة فأمر الملك الظاهر بضرب رقابهم فضربت على تلّ هناك و انشئت كتب البشائر فمنها ما كتبه كمال الدين احمد بن العجمى (٢) عن الملك الظاهر الى قاضى قضاة الشام شمس الدين

١٢٦/الف احمد بن خلكان رحمه الله و مضمونه : سرّ الله خاطر المجلس السامى و اطلع عليه وجوه البشائر سوافر، و امتع نواظره باستجلاء محاسنها النواضر، و واصلها اليه متوالية تواجهه كل يوم بمراتبها الزواهى الزواهر، واماثلها لديه متضاهية الجمال متناسبة فى حسن المبادى و الاواخر، و لم تزل وجوه

(١) كذا وراجع النجوم (٢) هو احمد بن عبد العزيز بن محمد توفى سنة ٦٦٧ـ ك.

البشائر احسن (١) وجوه تستجلى، و ألفاظه اعذب الفاظ تستعاد و تستحلى، و اذا كررت على المسامع احاديث كتبها لا تمل بل تستملى، لاسيما اذا كانت باعزاز الدين، و تأييد المسلمين، و نبأ فتح نرجو ان يكون طليعة فتوحات كل فتح منها [هو الفتح المبين، فان انباءها تجل وقعا و تعظم فى الدنيا و الآخرة نفعا، وتود كل جارحة عند حديثه ان تكون سمعا، لحديث](٢) هذا الفتح الذى كرم خبرا، و خبرا و حسن اثره فى الاسلام وردا وصدرا، و طابت اخبار ذكره فشغل به السارون حداء و السامرون سمرا، و هو فتح صفد و استنقاذه من اسره و استرجاعه الى الاسلام و قد طالت عليه فى النصرانية مدة من عمره، و اقرار عين الدين بفتحه وكان قذى فى عينه و شجى فى صدره، و قد كنا لما وصلنا الشام بالعزم الذى نفرته (٣) دواعى الجهاد، وانقذته(٤) عوالى الصعاد، و قربته ايدى الجياد ملنا على سواحل العدو المخذول فغرقناها ببحار عساكرنا الزاخرة، و شننا بها من الغارات ما ألبسها ذلاّ رفل بها الاسلام فى ملابس عزه الفاخرة، و هى و ان كانت غارة عظيمة شنت فى يوم و احد على جميع سواحله و استولى بها النهب و التخريب على امواله و منازله، و استبيح من حرمه و حرمه مصونات معاقله، و عقائله، الاّ انها كانت بين يدى عزائمنا المنصورة نشيطة نشطنا بها الغازين و استرهفنا بها همم الجاهدين و قدمناها لهم كاللُّهنة قبل الطعام للساغبين، و اعقبنا ذلك بما رأيناه اولى بالتقديم و احرى، و تبيناه اشد وطأة على الاسلام و اعظم ضرا، و هى

---

(١) الاصل« احن »خطأ (٢) من هامش الاصل - ك (٣) كذا (٤) لعله نفذته .

صفد التى باء بأثمها حاملها على النصرانية ، و مسلطها بالنكاية ، على البلاد
١٢٦/ب الاسلامية ، حتى جعلها للشرك مأ سدة آساده و مراد مراده، و مجر
رماحه و مجرى جياده، كم استبيح بسببها للاسلام من حمى، وكم استرق
الكفار بواسطتها مسلمة من الاحرار و مسلما ، وكم تسرب منها جيش
الفرنج الى بلاد المسلمين فحازوا ومغنما (١) وقوضوا معلما، فنازلناها منازلة
الليل بانعقاد القساطل، وطالعناها مطالعة الشمس ببريق المرهفات وأسنة
الذوابل، وقصد ناها بجحفل لم يزحم بلدا الآهدمه و لاقصد جيشا الآهزمه
و لا أمَّ ممتنعا طغا جبارة (٢) الاسهله و قصمه. فلما طالعتها اوائل طلائعنا
منازلة و قابلتها وجوه كماتنا المقاتلة اغتر كافرها فبرز للمبارزة و القتال
ووقف دون المنازلة داعيا نزال، فتقدم اليه من فرساننا كل حديد الشباجديد
الشباب يهوى الى الحرب فيرى منه و من طرفه أسدفوق عقاب، و يخف
نحوها متسرعا فيقال أذا لقاء اعداء ام لقاء احباب ، فهم فوارس
كمناصلهم رونقا و ضياء، تجرى بهم جياد كذوابلهم علانا (٣) و مضاء، اذا
مشوا الى الحرب مزجوا المرح بالتيه فيظن فى اعطافهم كسل، وهزوا قاماتهم
مع الذوابل فجهلت الحرب من منهم الاسل، فحين شاهد اعداءالله آساد
الله تصول من رماحها باساودها، و تبدى ظمأ لاينفعه (٤) الا ان ترد من
دماء الاعداء محمرّ مواردها، و انها قد اقبلت نحوهم بجحافل تضيق رحب
الفضاء، و تحقق بنزولها و نزالها كيف نزول القضاء، و انه جيش بعثه الله
باعزاز الجمعة و اذلال الاحد، و عقد برايته مذ عقدها ان لاقبل بها

(١) لعله فحازوا مغنما (٢) لعله جباره (٣) كذا و لعله غلابا (٤) لعله لاينقعه .

لاحد، وان الفرار ملازم اعدائه ولا قرار على زائر(١) على الاسد ولّوا مدبرين وادبروا على اعقابهم ناكصين ولجأوا الى معقلهم معتقلين لا متعقلين، فعند ذلك زحفنا اليه من كل جانب حتى صرنا كالنطاق بخصره، ودرنا به حتى عدنا كا للثام بثغره، وامطرنا عليه من السهام وبلا سحبت ذيول سحبه المتراكمة، واجرينا حولها من الحديد بحرا غرقه امواجه المتلاطمة، وضايقناها حتى لو قصد وفد النسيم وصولا اليه لما تخلص، او رام ظل الشمس ان يعود عليه فيئا لعجز لاخذنا عليه ان يتقلص، ثم وكلنا به من المجانيق كل عالى الغوارب عارى المناكب عبل ١٢٧ / الف الشوى، سامى الذرى، له وثبات تحمل الى الحصون البوائق وثبات تزول دونه ولا يزول الشواهق، ترفع لمرورها الستائر فتدخل احجاره بغير استيذان، وتوضع (١) لنزوله رؤوس الحصون فتخر خاضعة للاذقان، فلم يزل يصدع بثبات اركانه حتى هدمها، وتقبل ثنيات ثغره حتى ابدى ثرمها، وفى ضمن ذلك لصق الحجارون بجداره وتعلقوا باذيال اسواره ففتحوها اسرابا، واجّجوها جحيما يستعر جمرها التهابا، فصلى اهل النار بنارين من الحريق والقتال، ومنوا بعذابين من حر الضرام وحد النصال، هذه تستعر عليهم وقودا، وهذه تجعل هامهم للسيف غمودا .

فعند ذلك جاءهم الموت من فوقهم ومن اسفل منهم، واصبح ثغرهم الذى ظنوه عاصما لايغنى عنهم، ومع ذلك فقاتلوا قتال مستقتل لايرى من الموت بدّا، وثبتوا متحايين(١) يقدّون ببيضهم البيض والابدان

(١) كذا .

قدّا، فصبر اولياء الله على ما عاهدوا الله عليه، و قدموا نفوسهم قبل اقدامهم رغبة اليه، و رأوا الجنة تحت ظلال السيوف فلم يزودونها مقبلا(١) و تحققوا ما اعده الله لأهل الشهادة فاستحلوا وجه الموت على جهامته جميلا، فعند ذلك خاب ظن اعداء الله و سُقط فى ايديهم و صار رجاء السلامة برؤوسهم اقصى تمنيهم فعدلوا عن القتال الى السؤال و جنحوا الى السلم و طلب النزول بعد النزال و تداعوا بالامان صارخين، وجاؤا بدعاء التضرع لاجين، فاغمد الصفح عنهم بيض الصفاح، و قاتلوا من التوسل بأحد سلاح، و استدعوا راياتنا المنصورة فشرفوا بها الشرفات و نزلوا على حكمنا فاقالت القدرة لهم العثرات، و تسلم الحصن المبارك وقت صلاة الجمعة ثامن عشر شوال، و تحكم نوابنا على ما بها من الذخائر والاموال، و نودى فى ارجائها بالواحد الاحد، و استديل للجمعة يوم الجمعة ١٢٧/ب من يوم الاحد، و نحن نحمد الله على هذا الفتح الذى اعاد وجه الاسلام جميلا، و انام عين الدين فى ظل من الأمن مدة ظليلا، و ألان من جانب هذا الثغر ما لاظن ان سيلين، و ذلل (٢)من صعبه ما شرح به صدر الملك و الدين، فانه حصن مرّ عليه دهر لم يدر فتحه بالاوهام، و لا تطاولت اليه يد الخطب و لا همّة الايام، وربما كان يجد منفسا فيدعو الملوك الى نفسها(٣) فيتصامموا و تخطبهم و مهرها ادنى حرب فيرغبوا فى العزلة و المسالمة فيسالموا انهاهم عن خرقتها الرعية فى رفاهية عيشه ظنوها راضية و وقف بهم دون السعى فيه همة لنزول الدنايا متغاضية و جنح بهم مراد السلم

(١) لعله : فلم يروا دونها مقيلا(٢) الاصل «ذلك» خطأ (٣) كذا .

و ارادة

وارادة السلم كانت عليهم القاضية، والمجلس ايده الله يأخذ حظه من هذه البشرى، ويقر بها عينا ويشرح بها صدرا، ويحلى وجوه بشائرها من هذه المكاتبة على عيون الناس من كل حاضروباد، ويستنطق بها ألسن المحدثين وفى (١) كل محفل وناد، والله يحرس (٢) المجلس ويسهل بهمته كل مراد، ان شاء الله تعالى فى التاريخ المذكور من وقت الفتح .

ثم أمر بعمارتها وتحصينها ونقل الذخائر والاسلحة اليها واقطع بلدها لمن رتبه لحفظها من الاجناد وجعل مقدمهم الامير علاء الدين الكبكى وجعل فى نيابة السلطنة بالقلعة الامير عز الدين العلائى(٣) وولاية القلعة للامير مجدالدين الطورى ثم رحل الى دمشق فى تاسع عشر شوال.

ولما كان الملك الظاهر منازلا صفد وصل اليه فى خامس عشر شهر رمضان رسول صاحب صهيون بهدية جليلة ورسالة مضمونها الاعتذار من تأخره عن الحضور فقبل الهدية والعذر ووصلت رسل صاحب سيس ايضا بهدية فلم يقبلها ولا سمع رسالتهم ووصلت البريدية من متولى قوص يخبر انه استولى على جزيرة سواكن وهرب صاحبها وبعث يطلب من السلطان الدخول فى الطاعة وابقاءها عليه فكتب ١٢٨ / الف له بذلك .

وفى يوم الخميس مستهل ذى القعدة حل الملك الظاهر بدمشق ثم تقدم الى العساكر بالمسير الى بلد سيس للغارة فخرجوا من دمشق يوم السبت ثالث الشهر وقدم عليهم الملك المنصور صاحب حماة وتدبير

---

(١) لعله المحدثين فى (٢) الاصل يخرس (٣) النجوم « العلائى ».

الامور الى الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى فوصلوا الدرب(١) الذى يدخل منه اليها وكان صاحبها قـد بنى عليه ابرجة وجعل فيها المقاتلة. فلما رأوا العساكر تركوها و مضوا فملكها المسلمون و هدموها و دخلوا الى بلد سيس فاسروا و قتلوا و سبوا وكان فيمن اسران صاحب سيس و ابن احه (٢) و جماعة من اكابرهم و دخلوا المدينة يوم السبت ثانى و عشرين من ذى القعدة فنهبوها و اخذوا منها ما لايحصيه الا الله تعالى، و لما عادوا خرج الملك الظاهر من دمشق لتلقيهم فى ثانى ذى الحجة و جاز بقارا (٣) فى سادسه فأمر بنهبها و قتل من فيها، و سبب ذلك ان بعض ركابية الديار المصرية خدم مع الطواشى مرشد و خرج معه عند عوده من مصر الى حماة فحصل له مرض فانقطع بالعيون قريبا من قارا (٣) و امسى عليه المساء فأتاه نفران من اهل قارا(٣) و حادثاه وحملاه الى قارا(٣)ليمرضاه فبقى عندهما ثلاثة ايام فعوفى فأخذاه تحت الليل و وصلا به الى حصن الاكراد و باعاه بأربعين دينـارا صورية و اتفق توجه بعض تجار دمشق الى حصن الاكراد لمشترى اسراء فاشتراه فى الجملة و اتفق انه خدم بعض الاجناد و خرج صحبته، فلما حل ركاب الملك الظاهر بقـارا (٣) حضر الركابى بمجلس الاتابك و انهى اليه صورة حاله فسير معه جاندارية فطوق عليهما فصادف احدهما بباب الخان فحمل الى الاتـابك فدخل الاتابك على الملك الظاهر و قص عليه القصة فأمر

(١) النجوم « الدربند » (٢) بلا نقط فى الاصل ـ ك وفى النجوم « اخته »
(٣) قارا كانت بقعة اكثر سكانها نصارى ـ ك وفى النجوم (ج٧ص٠١٤٠)«قارة».

باحضارهما فحضرا و تقابلا فانكر القارى فقال الركابى اعــرف داره و ما فيها، فلمـا سمع اعترف و قال ما انا وحدى افعل هذا بل جميع من ١٢٨/ب بقارا(١) يفعله و اتفق حضور رهبان من اهل قارا(١) الى باب الدهليز بضيافة فقبض الملك الظاهر عليهم و ركب بنفسه و قصد الديـارة التى خارج قارا(١) فقتل من بها و نهبها ثم امر العسكر بالركوب و قصد التل الذى ظاهر قارا(١) من الشمال و استدعى ابا العز رئيسها و قال نحن قـاصدون الصيد فمر اهل قارا(١) بالخروج بأجمعهم فخرج منهم جماعة الى ظاهر القرية فلما بعدوا امر العسكر فضرب رقابهم ولم يسلم الا من هرب و اختفى بالمغائر و الآبار وعصى بالارجة جماعة فآمنوا و اخذوا اسرى وكانوا الفا و سبعين نفرا ما بين رجل و امرأة وصبي و انتمى جماعة الى ابى العز رئيسها فاطلقوا له لانه كان خدم السلطان و ضيفه فى الايام المظفرية عند عوده من خلف منهزمى التتر فرعى ذلك له ثم امر بالرهبان الذين كانوا قبضوا فوسطوا عن آخرهم و تقدم الى العسكر بنهب قارا (١) فنهبت و جعلت كنيستها جامعا و رتب بها خطيبا و قاضيا و نقل اليها الرعية من التركمان قناة الاغنام و غيرهم ثم رحل للقاء العسكر الراجع من سيس فالتقى بهم على افامية وعاد معهم فدخل دمشق و الغنائم و الاسرى بين يديه يوم الاثنين خامس عشرى(٢) ذى الحجة و خرج منها طالبا للكرك مستهل المحرم سنة خمس و ستين .

و فى ذى الحجة دخل رجل الى دار العدل بالقاهرة و بيده قصة

(١) تقدم ما فيه آنفا (٢) بهامش النجوم « خامس عشرين » .

و سأل ايصالها الى الامير عز الدين الحلى فأذن له فلما دخل جرد سكينا
و وثب عليه لجرحه فقام اليــه الصارم قيماز المسعودى متولى القاهرة
ليدفعه عنه فضربه بالسكين فقتله فنهض الحلى و الوزير و تاج الدين ابن
بنت الاعز و هربوا و وثب الجاندارية على الرجل فقتلوه و زعم قوم
١٢٩ / الف انه من جهة زين الدين بن الزبير (١) و بحث عن ذاك فلم يعرف له خبر .

و فى هذه السنة امر الملك الظاهر بعمارة جسر بالغور على الشريعة
ما بين دامية و قراوا (٢) فشرع فيه و كان المتولى لعمارته جمال الدين محمد بن
نهار و محمد بن رحال والى(٣) نابلس و الاغوار و لما تكاملت عمارته اضطرب
بعض اركانه فقلق الملك الظـاهر لذلك و اعاد الناس لاصلاحه فتعذر
ذلك لزيادة المـاء فاتفق وقوف الماء عن جريانه بحيث امكن اصلاح
ما يحتاج الى اصلاحه فلما تم اصلاحه عاد الماء الى حاله قيل و قع فى
النهر قطعة كبيرة مما يجاوره من الاماكن العالية فسكر به و هذا من
عجيب الاتفاق .

و فيها سير الملك الظاهر سبيلا الى مكة شرفها الله تعالى و كسوة
للكعبة الشريفة على العـادة صحبة جمال الدين يوسف نائب دار العدل
امير الحاج و عادوا الى مصر فى العشرين من صفر سنة خمس و ستين .

و فى هذه السنة هلك هولاكو بن قاآن بن جنكز خان فى

(١) هو يعقوب بن عبد الرفيع وزر من سنة ٦٥٧ الى سنة ٦٥٩ وتوفى سنة ٦٦٨ - ك (٢) هامش النجوم (ج ٧ ص ١٤١) « فراوى » (٣) لعله « والى » .

كوكرجلك (١) و سنذكره ان شاء الله تعالى و جلس ولده أبغا على التخت مكان ابيه و كتب الى ممالكه يعرفهم بجلوسه و سير يغلغا (٢) الى الروم بضم الدعاء له و طلب السلطان ركن الدين و البرواناة فتوجها بهدية سنية و هنؤه بالملك و طلبوا منه يغلغا (٢) بالبلاد التى كانت فى يد آبائه و ان البلاد التى خرجت عن ايديهم فى ايام السلطان عز الدين وآبائه يسترجعها وكانت سنوب فى ذلك التاريخ فى يد كناقوس ملك جانت تغلب عليها فى الايام التى وقع فيها الخلف بين عز الدين و ركن الدين فى سنة سبع و خمسين فعاد ركن الدين و بقى معين الدين سليمان البرواناة مقيما لقضاء الاشغال فتحدث معه أبغا سرا فقال البرواناة هؤلاء بنو سلجوق مايؤمنوا و ربما لركن الدين باطن مع صاحب مصر فقال أبغا قد و ليتك نيابة السلطنة بالروم فان تحققت احدا يخالف طاعتى اقتله ثم استأذنه فى محاضرة سنوب فأذن له و عاد الى الروم و اجتمع بركن الدين و عرفه خدمته فشكره على ذلك ثم جمع و حشد ما امكنه و قصد سنوب و هى قلعة حصينة يحفها البحر من جوانبها و كان مقدم العسكر بها اذ ذاك غضراس ١٢٩ / ب الكافر وكان قد عمد الى المساجد فجعلها كنائس، فلما وصل البرواناة بالعساكر الى سنوب سير اليغلغ الى غضراس و طلب تسليم البلد فابى فرتب البرواناة حوله مراكب فيها المجانيق و المقاتلة و زحف عليها وكان من امراء الروم تاج الدين قليج و بينه و بين البرواناة شنآن فاتفق انه

(١) اسم الموضع الذى هلك فيه هولاكو فى تاريخ كريدہ جغا تومراغة ـ ك

(٢) لغة مغلية بمعنى كتاب الامان ـ ك.

ركب فى مركب وزحف على القلعة فارسى به مركبه على طرف النهر فانقلب بمن فيه وغرق الرجالة وخرج الركاب من البحر وكان باب القلعة مفتوحا فخرج غضراس راكبا وقصدهم وحمل على تاج الدين ليطعنه فتقنطر (١) به فرسه فقتله تاج الدين وهجم القلعة فأخذها فلما استولى البرواناة عليها ادعى أنها فتوحه وكتب الى ابغا والى مخدومه وجميع المجاورين بالفتح ونسبه الى نفسه فعظم قدره فاستشعر منه ركن الدين واستشعر هو ايضا منه وحصل بينهما باطن اوجب انه اوسع الحيلة فى قتل ركن الدين على ما يأتى ان شاء الله فى سنة ست وستين ٠

وفيها جمع أرِّى جرّل اخو ريدا فرنس وقصد جزيرة صقلية وحارب الانبرور ملكها على مدينة سرقوسة فهزم عسكره وقتله فى المصاف واستولى على جزيرة صقلية ٠

فصل

وفيها توفى ابراهيم بن عمر بن خضر بن محمد بن فارس بن ابراهيم بن احمد ابو اسحاق رضى الدين المضرى الواسطى البرزى التاجر المعروف بابن البرهان مولده بواسط سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة سمع صحيح مسلم بنيسابور على ابى الفتح منصور بن عبد المنعم (٢) الفراوى وحدث به مرارا عدة بدمشق ومصر والقاهرة واليمن وذكر انه سمع من ابى الحسن المؤيد بن محمد الطوسى (٣) واجاز له جماعة كثيرة، وكان شيخا صالحا دينا حسن الشكل من اكابر التجار المتمولين المعروفين باخراج الزكاة

(١) لعله فتقطر (٢) توفى سنة ٦٠٨ – ك (٣) توفى سنة ٦١٧ – ك .

على

على وجهها وكان له صدقات وبر وعنده سكون وخشوع وكان ١٣٠/ الف
يقال ان معه اربعين الف دينار فكان يخرج من الزكاة فى كل سنة
الف دينار غير ما يتصدق به على وجه التبرع وجميع ما يكتسبه ينفقه
على نفسه وفى الطاعات والقرب ورأس المال بحاله لاينقصه ولايزيده
وكانت وفاته فى حادى عشر شهر رجب بالاسكندرية ودفن بين
الميناوين رحمه الله، وبرز بضم الباء قرية من عمل واسط .

احمد بن سالم بن .... (١) ابو العباس جمال الدين المصرى النحوى كان
بداية امره فقيرا مجردا متزهدا مع فضيلته التامة واقام بحلب مدة ثم
قدم دمشق وتصدر لاقراء النحو بالمدرسة الناصرية وبمقصورة الحنفية
الشرقية بجامع دمشق وتأهل بابنة الشيخ زين الدين ابراهيم بن احمد بن
ابى الفرج الحنفى (٢) امام المقصورة المشار اليها واولدها اولادا وتوفى
الى رحمة الله تعالى فى ثانى عشر شوال بدمشق ودفن بمقابر باب
الصغير رحمه الله وتوجع زين الدين المذكور لوفاته وحزن لفقده كثيرا
فكتب اليه بدر الدين يوسف بن الحنفى (٣) :

عزاءك زين الدين فى الذاهب الذى بكته بنو الآداب مثنى وموحدا
هموفارقوا منه الخليل بن احمد وانت فقارقت الخليل واحدا

وكان الشيخ احمد المذكور حسن العشرة كريم الاخلاق كثير
التواضع لين الجانب وافر الدين مشاركا فى كثير من العلوم مستقلا

(١) بياض فى الاصل ولابياض فى النجوم (٢) ابراهيم بن احمد هذا توفى سنة ٦٧٧ - ك (٣) هو فيما اظن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عطاء المتوفى سنة ٦٩٧ - ك .

بعلم النحو و العربية و انتفع به جماعة كثيرة رحمه الله .

احمد بن عبد الله بن شعيب بن محمد بن عبد الله ابو العباس جمال الدين التميمي الصقلي ثم الدمشقي قرأ القرآن الكريم على الشيخ علم الدين السخاوي (١) رحمه الله و سمع الكثير و حدث وكانت عنده كتب كثيرة نفيسة و اصول حسنة وكان في عنفوان شبابه قد تزوج ابنة الشيخ علم الدين السخاوي و اولدها و توفيت هي و الولد فلم يتزوج بعدها وكان ١٣٠/ب شديد الشح على نفسه كثير التقتير عليها مع الجدة الوافرة، و لما حصل له المرض الذي مات فيه تمرض في بيته بالمدرسة العزيزية و بقي مضيعا(٢) و لا يمكن احدا من دخول البيت لخوفه على ما فيه و وقف داره على فقهاء المالكية و اوصى لهم بثلث ماله فنفذت وصيته و توفي في ليلة خامس جمادى الاولى او رابعه و دفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله وهو في عشر السبعين و احتاط ديوان الحشر على تركته و بيعت كتبه النفيسة التي كان يشح برؤيتها على ارباب الجاهات بأبخس الاثمان و لم يوف ثمن اكثرها جملة كافية انشد الجمال المذكور لنفسه او لغيره :

نحن الكلغنيون لا نأتلي في ذم من اطعمنا او سقى
سيان من اطعمنا حبة في الذم او اطعمنا او سقا

ايدغدي بن عبد الله الامير جمال الدين العزيزي سمع و حدث وكان اميرا كبيرا عظيم القدر مشهورا بالشجاعة و الكرم و الديانة و الحشمة و سعة الصدر وكبر النفس و علو الهمة كثير الصدقات و البر

(١) هو علي بن محمد بن عبد الصمد توفي سنة ٦٤٣ - ك(٢) كذا .

و المعروف و للفقراء و المشايخ اصحاب الزوايا و ارباب البيوتات عليه
من الرواتب فى كل سنة ما يزيد على مائة الف درهم و الوف كثيرة
ارادب قمح هذا غير ما يتصدق به و يطلقه فى بسط(١) السنة مما هو فى غير
حكم الراتب المستقر وكان مقتصدا فى ملبسه لا يتعدى لبس ثياب القطن
من القماش الهندى و البعلبكى و غيره مما يباح و لا يكره لبسه، و حكى
لى بعض الناصرية قال لما دخلنا الديار المصرية اتفق ان بعض الامراء
الاكابر عمل سماعا و حضر بنفسه الى الامير جمال الدين رحمه الله و دعاه
فوعده بالمضىء اليه و الحضور عنده فلما كان العشاء الآخرة مشى و نحن
معه جماعة من خواصه و مماليكه الى دار ذلك الامير فلما دخل
وجد فى الدار جماعة من الامراء جلوسا فى ايوان الدار و جماعة من ١٣١ / الف
الفقراء جلوسا فى وسط الدار فوقف ولم يدخل و قال لصاحب
الدار و للامراء اخطأتم فيما فعلتم كان ينبغى ان تقعد الفقراء فوق
و انتم فى ارض الدار ولم يجلس حتى تحول الفقراء الى مكان الامراء
و الامراء الى مكان الفقراء و قعد هو و نحن بين الامراء، فلما غنى
المغانى (٢) قام احدهم و الدف بيده و دار على الجماعة لينقطوه (٣) وهذه
كانت عادة المغانى (٢) فى سماعات الديار المصرية فلما رآه الامير جمال الدين
انتهره وقال و اللا انت فى الحلق و اشار الى خازنداره فوضع فى الدف
كيسا فيه الف درهم فلما رقص الجمع دار بينهم و رمى على المغنى بغلطاقه
و هو ابيض قطن بعلبكى ما يساوى عشرين درهما فرمى سائر مماليكه

---

(١) لعله وسط (٢) لعله المغنى (٣) لعله ليعطوه .

بخالطيقهم موافقة له و قيمتها فوق ثلاثة آلاف درهم ثم دار فى النوبة
الثانية و رمى على المغنى منديله و هو ابيض كتان يساوى درهمين فرمى
سائر اصحابه مناديلهم و فيها ما هو بالذهب و غيره و لعل قيمتها فوق
الف و خمسمائة درهم فحسبت ان المغانى (١) حصل له منه ومن غلمانه فى
تلك الليلة قريب ستة آلاف درهم و لما عزم العزيزية على قبض الملك
المعز اطلعوا الامير جمال الدين فلم يوافقهم و نهاهم عن ذلك و عرفهم
ما يترتب عليه من المفاسد و ان ضرر هذا العزم يلحقهم دون الملك
المعز و لم ير الامير جمال الدين ان يشى بهم الى الملك المعز و بلغ المعز
ما عزموا عليه وعلم العزيزية انه علم و هو و هم فى الميدان للعب الكرة
فى العشر الاوسط من شهر رمضان سنة ثلاث و خمسين فهربوا على
حمية و المشار اليه فيهم الامير شمس الدين آقش البرلى و اما الامير
جمال الدين فلم يهرب لعلمه ببراءة ساحته فساق الملك المعز الى قريب
خيمة الامير جمال الدين فخرج اليه فأمر بقبضه و سيره الى قلعة الجبل
فاعتقل بها مضيقا عليه فلما تحقق براءة ساحته وسع عليه وتركه فى
١٣١/ب الاعتقال مكرما مرفها وكان ذنبه عنده كونه لم يطلعه على ما عزم عليه
اصحابه و اذن لأهل الامير جمال الدين ان يحملوا هليه(٢) الطعام و الشراب
و الملابس وكل ما يحتاج اليه ثم اظهر موته و اخفى خبره بالكلية فلما
وقع الصلح بين الملك الناصر صلاح الدين يوسف و بين الملك المعز
بسفارة الشيخ نجم الدين الباذرانى (٣) وتوجه الشيخ نجم الدين المذكور

(١) تقدم آنفا (٢) لعله اليه (٣)صوابه البادرائى و قد تقدم .

الى الديار المصرية طلب من الملك المعز الافراج عن الامير جمال الدين
فقال له الملك المعز ما بقى المولى يراه الا فى عرصات القيامة اشارة الى
انه قد مات ولم يكن مات بل كان فى قاعة بقلعة الجبل وعليه الملبوس
الفاخر والملك المعز يدخل اليه فى بعض الاوقات ويلعب معه بالشطرنج
ولم يزل الامير على ذلك حتى قتل الملك المعز وجرى ما اشرنا اليه
عند قتله واستمر فى الاعتقال الى ان خرج الملك المظفر سيف الدين
قطز رحمه الله لقتال التتار فى سنة ثمان وخمسين، فلما منّ الله سبحانه وتعالى
وكسرهم كتب الى النواب بالديار المصرية بالافراج عنه وتجهيزه اليه فافرج
عنه وسير اليه فلقيه فى الطريق وقد خرج من دمشق فعاد معه واجتمع به
الامير ركن الدين البندقدارى واطلعه على شيء مما عزم عليه فاغلظ له فى
الجواب ونهاه عن ذلك وصده بكل طريق وقال له لو كان للملك المظفر فى
عنقى يمين لأخبرته بذلك واطلعته عليه فاياك اياك ان تقع فى ذلك
فأظهر له الاصغاء الى قوله وفعل ما كان عزم عليه من قتل الملك
المظفر رحمه الله، ولما استقل بالسلطنة عظم الامير جمال الدين فى عينه
ووثق به وسكن اليه وكان عنده فى اعلى المراتب واعطاه اقطاعا عظيما
وكان يرجع الى رأيه ومشورته فى الامور الدينية وما يتعلق بالقضاة
والعلماء والمشايخ وارباب الخرق فانه لم يكن يعدل عن رأيه فى ذلك
البتة وجهزه فى هذه السنة الى بلاد سيس والساحل مقدما على طائفة
من الجيش والامير سيف الدين قلاون الألفى مقدما على طائفة اخرى
فاغاروا وغنموا وقتلوا وسبوا واسروا وفتحوا حصونا كثيرة وعادوا ١٣٢/الف

فى شهر رمضان و اجتازوا ببعلبك وكان بيننا و بين الامير جمال الدين رحمه الله صحبة ومعرفة و مودة فحضر الى مسجد الحنابلة و اشار الى بانه يريد الدخول الى الحمام فادخلته اليه، فلما خرج دفع الى الحمامى جملة كثيرة من الدراهم وجمع بيننا و بين الامير سيف الدين قلاوون رحمه الله فى تلك الدفعة فحصلت المعرفة به من ذلك التاريخ ثم توجه الى صفد و باشر الحصار بنفسه وكان فى غزوات الكفار يبذل جهده و يتعرض للشهادة فجرح عليها و بقى مدة و الم الجراحة يتزايد و حمل الى دمشق فتمرض بها الى ان درج الى رحمة الله تعالى و ختم الله اعماله الصالحة بالشهادة و توفاه الى رضوانه ليلة عرفة و دفن فى مقبرة رباط الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله بسفح قاسيون، وكان فى محبة الصلحاء و الفقراء و الاعتقاد فيهم و البر بهم و التواضع لديهم اوحد عصره رحمه الله .

جلدك بن عبد الله ابو الجود الرومى الفائزى كان اميرا جليلا فاضلا خبيرا بالسياسة و له نظم جيد و تولى عدة ولايات وكان مشكور السيرة و توفى بالقاهرة فى سابع عشر شوال و دفن بالقرافة رحمه الله .

الحسن بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن احمد ابن الحسين ابن صصرى ابو المواهب بهاء الدين التغلبى الدمشقى مولده ١٣٢ / ب سنة اربع و تسعين و خمسمائة تخمينا، سمع من عمر بن طبرزد و ابى اليمن الكندى و غيرهما و حدث وكان من اعيان العدول الرؤساء و الصدور الاماثل و بيته معروف بالحديث و التقدم و الرئاسة و النبل، و توفى فى

رابع صفر بدمشق و دفن بسفح قاسيون رحمه الله .

عبد الرحمن بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن ابن احمد بن الحسين بن صصرى ابو محمد شرف الدين التغلبي مولده سنة احدى و تسعين و خمسمائة تخمينا بدمشق ، سمع من عمر بن طبرزد و حنبل و الكندى و غيرهم و حدث وكان من الرؤساء المتعينين و ذوى الثروة و الوجاهة و تولى عدة مناصب جليلة بدمشق و بيته معروف بالعدالة و الرواية و توفى فى حادى عشر شعبان بدمشق و دفن بسفح قاسيون رحمه الله .

على بن الحسين بن محمد بن الحسين بن زيد بن الحسن بن مظفر ابو الحسن الحسينى الارموى الاصل المصرى المولد و الدار و مولده سنة ثلاث و ستمائة سمع و حدث و تولى نقابة الاشراف بالديار المصرية مدة و توفى بالقاهرة فى الحادى و العشرين من صفر و دفن من الغد رحمه الله .

محمد بن عبد الجليل بن عبد الكريم ابو عبد الله جمال الدين الموقانى الاصل المقدسى المولد الدمشقى الدار و الوفاة ، سمع الكثير وكتب و حدث وكان يعانى مشترى الكتب النفيسة للانتفاع و المتجر وكان عنده يقظة و معرفة و ادب و فضيلة وكان يشترى الاشياء المستحسنة من كل نوع ظريف و توفى فى حادى عشر ذى القعدة و دفن بسفح قاسيون رحمه الله وهو فى عشر السبعين تقريبا اهدى الى الامير جمال الدين ابى الفتح موسى بن يغمور رحمه الله كتبا و موسى و كتب مع هديته :

بعثت بكتب نحو مولى قد اغتدت كتائبه يزهو بها الغور و النجد

و اهديت موسى نحو موسى فلاتخل بتشريكه فى اللفظ قد اخطأ العبد

فهذا له حـد و لا فضل عنده و ذاك له فضل و ليس له حد

و ظاهر الحال ان هذه الابيات لسعد الدين محمد بن العربى(١) فان الجمال لم يكن له يد فى النظم و الله اعلم ، و طلب الشيخ نجم الدين الباذرانى(٢) رحمه الله من الموقانى صحاح الجوهرى فكتب اليه من نظم سعد الدين :

ما كان من كتبى نفيسا بعته اذكنت انت من النجوم المشترى

و البحر انت و قد اتيتك قاصدا فاطلق بفضلك(٣) صحاح الجوهرى

١٣٣ / الف

و من المنسوب اليه ايضا :

لذيذالكرى مذ فارقوا فارق الجفنا و واصل قلبى بعد بُعدهم الحزنا

فما رحلوا حتى اسباحوا نفوسنا كأنهم كانوا أحق بها منّا

و لولاالهوى العذرى ما انقادللهوى نفوس رأت فى طاعةالى(٤) ان تفنى

محمد بن منصور بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن محمد بن الفضل بن الحضرمى ابو عبد الله المالكى العدل ، سمع الحديث وحدث بالثغر وكان ظريف الشكل حسن المحاضرة يحفظ كثيرا من الادبيات و الاناشيد ، قال ابو المظفر منصور ابن سليم(٥) انشدنا محمد بن الحضرمى بالاسكندرية قال انشدنا صاحبنا الشرف ابو محمد عبد الملك بن

---

(١) هو محمد بن محى الدين محمد بن العربى توفى سنة ٦٥٣ - ك (٢) تقدم ما فيه آنفا (٣) لعله سقط لفظ «لى» (٤) كذا (٥) توفى سنة ٦٧٣ وله ترجمة فى هذا الكتاب - ك .

عتيق الشاعر لنفسه فى البحر :

يا قوم ما بال لجّ البحر فى قلق كأنه من فراق الحب فى فرق
تراه يخشى وقد وافيت ساحله من بحر (١) دمعى ان يغشاه بالغرق

قال ابو المظفر قال وانشدنا لنفسه يصف شقائق النعمان :

لله زهر شقيق حين رمت له وصفا تقاصر تعبيرى وتحبيرى
كأنه وجنات الغيد قد نقطت بالمسك من تحت اطراف المواسير

توفى محمد بن الحضرمى رحمه الله فى يوم الاحد العشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة وصلى عليه ودفن بين الميناوين بثغر الاسكندرية .

هولاكو بن قاآن بن جنكزخان ملك التاركان من اعظم ملوك التتار حازما شجاعا مدبرا ذا همة عالية وسطوة عظيمة ومهابة شديدة ونهضة تامة وكفاية بالغة واستقلال بتدبير الممالك والاقاليم وخبرة بالحروب وافتتاح المعاقل والحصون ومحبة فى العلوم العقلية من غير ان يتعقل منها شيئا البتة واستدعى اليه من العلماء كالمؤيد العرضى والتقى على الحديثى(٢) وابن طليب وغيرهم وجمع حكماء مملكته وامرهم ان يرصدوا الكواكب ويحققوا امرها ولم يكن فى ملوك التتر من يضاهيه فى ذلك ولا يدانيه ١٣٣ / ب وكان واسع الصدر يطلق الكثير من الاموال والبلاد مما يشح التتر بمثله فان الغالب عليهم الشح وكان على قاعدة المغل فى عدم تقيد بدين او ميل اليه وانما كانت زوجته طقزخاتون قد تنصرت فكانت تعضد

(١) الاصل « بحور » (٢) الاصل « الجديثى - لـ » .

النصارى و تقيم شعارهم بتلك البلاد التى استولى عليها وكان سعيدا فى
حروبه و حصاراته لم يرم امرا الا و يسهل عليه و لم يتعذر و حصل فى
قلوب الناس كافة من الرعب منه ما اوجب انقيادهم اليه او هربهم بين
يديه فطوى البلاد و استولى على الممالك و الاقاليم فى ايسر مدة ففتح
بلاد خراسان و اذربيجان و فارس و عراق العجم و عراق العرب و الشام
والجزيرة والموصل و ديار بكر والروم والشرق و غير ذلك من البلاد
و هزم جيوشها و اباد ملوكها ، وكانت و فاته فى هذه السنة بكوكر جلك .
و قيل ان و فاته كانت فى سابع ربيع الآخر سنة ثلاث و ستين و ستمائة
ببلد مراغة و نقل الى قلعة تلا فدفن بها و بنى عليه قبة و وكل به ولد
الكانوين(١) وكان هلاكه بعلة الصرع فانه كان حصل له منذ قتل الملك الكامل
صاحب ميا فارقين رحمه الله الصرع فى كل وقت فكان يعتريه فى اليوم
الواحد المرة والمرتين والثلاث و لما عاد من كسرة بركة فى المحرم اقام
بجمع العساكر وعزم على العود فزاد به الصرع فمرض و لم يزل ضعيفا
نحو شهرين و هلك فاخفوا موته و صبروه و جعلوه فى تابوت من خشب
و قيل انهم لم يدفنوه بل علقوا تابوته بسلاسل فى قلعة تلا من اعمال
سلماس ثم اظهروا موته وكان ولده أبغا فى بلد بايغز(٢) فى مقابلة برق
فسير اكابر المقدمين فى طلبه فلما حضر اجلسوه على التخت مكان ابيه
و كتب الى ممالكه يعرفهم بجلوسه و استقامة الامر له، و خلف
١٣٤ / الف هولاكو من الاولاد سبعة عشر ذكرا غير البنات و هم ابغا المذكور ملك

(١) سماه ابن الفوطي ابلكا نوين - ك (٢) كذا فى الاصل و المراد باد غيس - ك .

الامر بعده ويشموط (١) وهو الذى كان تولى حصار الملك الكامل رحمه الله بميا فارقين وسن (٢) وتكشي وهو سفاك للدماء جبار كثير القتل واجاى ويستر (٣) ومنكوتمر وهو الذى قدم بالعساكر والجحافل الى الشام فى سنة ثمانين وستمائة ومنّ الله تعالى بالنصرة عليه ظاهر حمص ولله الحمد وباكودر وارغون ونغاى دمر (٤) واحمد وهو الذى ملك البلاد بعد ابغا وكان مسلما حسن السيرة والباقون صغار لم تحقق اسماؤهم وكان تقدير عمر هولاكو وقت وفاته فوق الستين سنة افنى فيها من الأمم ما لا يحصيه الا الله تعالى، حكى القاضى سراج الدين الارموى (٥) رحمه الله انه توجه الى هولاكو رسولا من جهة صاحب الروم بعد اخذه بغداد قال سراج الدين فلما دخلت عليه وجدت حوله صبيا صغيرا يلعب فلما وقعت عينى على الصغير اخذ بمجامع قلبى ولم استطع كف بصرى عنه فلما رأى ذلك منى هولاكو قال للترجمان قال له تعرف هذا الصبي من هو قال سراج الدين فلما قال لى الترجمان ذلك قلت لا قال فلم تديم النظر اليه فقلت اجد فى نفسى الميل اليه من غير اختيار منى فقال هذا ولد الخليفة قال سراج الدين فقمت قائما وقبلت قدمى ذلك الصغير فقال هولاكو للترجمان عرفه اننا قد اقمنا له من يؤدبه بآداب المسلمين ويعلمه دين الاسلام ولم ندخله فى دين المغل

---

(١) النجوم (ج ٧ ص ١٢١) «اشموط» (٢) كذا فى الاصل وفى النجوم «تمشين» (٣) النجوم «تستر» (٤) النجوم «تغاى تمر» (٥) هو ابو الثناء محمود ابن ابى بكر بن احمد توفى سنة ٦٨٢ ك .

قال سراج الدين فقلت ما ناسب من الشكر له على ذلك وتحققت رجحان عقله .

السنة الخامسة والستون وستمائة

دخلت هذه السنة والخليفة والملوك على القاعدة المستقرة فى السنة الخالية .

متجددات الاحوال

فى غرة السنة خرج الملك الظاهر من دمشق متوجها الى الديار المصرية فلما وصل الفوار عرج منه الى الكرك وسار العسكر والثقل الى غزة مع الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى ونزل الملك الظاهر ١٣٤ / ب بركة زيزا فى الثامن منه وركب ليتصيد فكبا به الفرس فانكسر فخذه فاقام بالبركة يعالج نفسه حتى قارب الصحة وتماثل فركب فى محفة وسار الى غزة فوصلها غرة صفر ثم سار فنزل مسجد التبن فأقام به يعالج فخذه حتى امكنه الركوب ودخل القاهرة من باب النصر وقد زينت فشقها وخرج من باب زويلة وصعد القلعة يوم السبت سادس ربيع الاول .

وفى ثامن عشره اقيمت الجمعة والخطبة بالجامع الازهر بالقاهرة وهذا الجامع بنى لما بنيت القاهرة لاقامة الجمعة فلما بنى الحاكم الجامع الانور نقل الخطبة اليه وبقى الجامع الازهر تقام فيه الصلوات الخمس فقط فلما عمر الحلى داره الى جانبه رمه وبيضه وعمل فيه منبرا ومقصورة فتنازع الناس فى جواز الجمعة فيه وكتب فى ذلك فتاوى فمن منع

الجواز القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز و جماعة و ممن اجازها الشيخ شمس الدين الحنبلي (١) و جماعة فعمل بقول من جوز ذلك وحضر الصلاة الصاحب و جماعة كثيرة من العلماء و الامراء .

و فيها و رد الملك المنصور صاحب حماة الى القاهرة فخرج الملك الظاهر لتلقيه و احتفل به فسأل التوجه الى الاسكندرية فأجيب و سير معه الامير شمس الدين الفارقاني و تقدم الى شمس الدين بن باخل متولى الثغرأن يحمل اليه فى كل يوم من بيت المال مائة دينار و ان ينسج له فى دار الطراز ما يقترحه و ينفق عليه من بيت المال ايضا .

و فيها شرع فى بناء جامع الحسينية فى ميدان قراقوش فى منتصف جمادى الآخرة و المتولى لذلك الصاحب بهاء الدين و علم الدين سنجر المسروري(٢) متولي القاهرة اذ ذاك فبنى احسن بناء و زخرفت جهة القبلة وعمل على جهة المحراب قبة عظيمة و تمت عمارته فى شوال سنة سبع و ستين و رتب به امام حنفي و وقف عليه حكر مابقي من الميدان .

١٣٥ / الف

و فى يوم السبت العشرين من جمادى الآخرة توجه الملك الظاهر الى الشام و صحبته صاحب حماة عازما على عمارة صفد و استصحب معه البنائين و النجارين فاقام عليها مدة ووصله الخبر بأن طائفة من التتار قصدت البيرة فسار مبادرا الى دمشق فبلغه عودهم فعاد الى صفد و عمر الباشورة و جدد فى القلعة ابراجا ثم رحل عنها و قصد الكرك .

(١) هو محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد الجماعيلي المتوفى سنة ٦٧٦ـك (٢) لعله المنصوري كما فى النجوم .

وفى تاريخ خروجه من الديار المصرية الى الشام وصل فارس الدين آقوش عائدا من الرسالة التى كان توجه فيها سنة احدى وستين الى بركة فاستولى عليه وعلى من معه واعاقه مدة ثم افرج عنه بعد ان اخذ جميع موجوده .

وفى شعبان ولى الخطابة بمصر عز الدين بن الشهاب بحكم وفاة خطيبها شرف الدين عبد القادر الطوخى وولى قضاء القضاة بالقاهرة والوجه الشرقى تقى الدين محمد بن الحسين بن زرين فى التاسع من شعبان وولى القضاء بمصر والوجه القبلى محى الدين ابو محمد عبدالقادر بن قاضى القضاة شرف الدين محمد المعروف بابن عين الدولة الاسكندرى وولى النظر فى ديوان الاحباس تاج الدين على بن القسطلانى(١) وولى تدريس الشافعية بالمدرسة الصالحية صدر الدين بن قاضى القضاة تاج الدين وولى النظر فى الخانكاه الشيخ شمس الدين الحنبلى وفوض النظر فى مدرسة الشافعى رضى الله عنه بالقرافة لبهاء الدين على بن عيسى(٢) نيابة عن الصاحب فخر الدين بن الوزير بهاء الدين وهذه المناصب جميعها كانت بيد تاج الدين خلا الخطابة .

وفى ثامن ذى القعدة توجه الامير عز الدين الحلى الى الحجاز وباشر نيابة السلطنة بالديار المصرية (٣) الخازندار .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة وصل الملك الظاهر من الشام الى القاهرة وفى العشرين منه امر بتسمير جماعة كانوا محبوسين

---

(١) هو على بن احمد بن على توفى سنة ٦٦٥ - ك (٢) ولد سنة ٦١٣ وتوفى سنة ٧١٠ - ك (٣) فى الاصل القاهرة والتصويب فى الهامش .

بخزانة البنود منهم الملك الاشرف بن شهاب الدين غازى و الناصح ضامن بلاد الواحات وغيرهما .

١٣٥ / ب

وفيها توفى بركة ملك التتار وقام مكانه منكوتمر بن طغان بن صرطق بن باتو بن تولى بن جنكزخان فجمع عساكره وقدم عليها مقدما وسيره الى بلاد أبغا فجمع ابغا عساكره وساق الى ان نزل على نهر كور واحضر المراكب والسلاسل وعمل جسرين على النهر وعدا الى جهة منكوتمر ومازال سائرا حتى نزل على النهر الابيض فعدا منكوتمر بعساكره من شماخى وشروان وهما جبلان ومازال الى ان وصل الى النهر الابيض ونزل من الجانب الشرقى وعسكر أبغا فى الغرب ولبسوا آلة الحرب وتراسلوا وبعد ثلاث ساعات من النهار حرك ابغا كوساته وقطع النهر الابيض وحمل على منكوتمر وكسره ولم يزل فى طلبه والسيف يعمل الى جبلى شماخى وشروان فرد عسكر منكوتمر الى عسكر ابغا فلم يتحرك ابغا وثبت لهم ولم يزالوا كذلك الى العشاء الآخرة وهرب منكوتمر الى بلاده ورجع ابغا بعد ان كسب كسبا عظيما وعدا من الجسور المنصوبة ونزل على نهر كور وجمع كبراء دولته وشاورهم على عمل سور من خشب على نهر كور فقالوا مصلحة فقام وقاس البحر من حد تفليس الى حد كسيسى فكان جزء كل مقدم مائة فارس عشرين ذراعا بالعمل فقام السور فى سبعة ايام ورحل ونزل حاجى وعان وبلغان فشتى تلك السنة هناك .

فصل

و فيها توفى اسحاق بن خليل بن فارس ابو يعقوب كمال الدين الشافعى المعروف بالسقطى كان فقيها عالما فاضلا عارفا بالمذهب اشتغل على الشيخ فخر الدين ابن عساكر (١) و غيره و افتى و درس و سمع و حدث تولى الحكم بزرا مدة و ناب فى الحكم بدمشق مده اخرى و توفى بدمشق فى العشرين من شهر رجب و هو فى عشر الثمانين و دفن بسفح قاسيون رحمه الله .

اسماعيل بن محمد بن ابى بكر بن خسرو الكورانى الشيخ الصالح توفى بمدينة غزة وهو قافل من الديار المصرية الى القدس الشريف و دفن بظاهرها وكانت و فاته فى الثانى و العشرين من شهر رجب و كان ١٣٦ / الف من المشايخ المعروفين بالزهد و الورع و العبادة و الجد و العمل منقطعا عن الناس مؤثرا للتخلى مشتغلا بنفسه و عبادة ربه و الاقبال على آخرته كثير التحرى فى ملبسه و مأكله و مشربه يسأل العلماء عما يشكل عليه من امر دينه قل ان يوجد مثله فى زمنه رحمه الله .

بركة بن تولى بن جنكز خان ملك التتار و هو ابن عم هولاكو المقدم ذكره و بلاده متسعة جدا و هى بعيدة عنا و له عساكر عظيمة وافرة العدد و مملكته تفوق مملكة هولاكو بكثرة البلاد و العساكر و الاموال لكن جند هولاكو استغنوا بما نهبوه من الاقاليم التى استولوا عليها وكان بركة يميل الى المسلمين كثيرا و يعظم اهل العلم و يعتقد فى الصلحاء من المسلمين و يتبرك بمشايخهم و يرجع الى اقوالهم وكلمتهم

(١) هو ابو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن المتوفى سنة ٦٢٠ - ك .

عنده

عنده مسموعة وحرمتهم فى ممالكه وافرة وكان اعظم اسباب لوقوع الحرب بينه و بين هولاكو كون هولاكو قتل الخليفة المستعصم بالله وكان يميل الى مودة الملك الظاهر ركن الدين و يعظم رسله وكان جماعة من اهل الحجاز يتوجهون اليه فيبرهم و يعطيهم المال الكثير و يبالغ فى احترامهم و الاحسان اليهم وكان قد اسلم هو وكثير من جنده و المساجد الخيام(١) المحمولة معه و لها الائمة و المؤذنون و متى نزل فى مكان ضربها و اقيمت فيها الصلوات الخمس وكان شجاعا جوادا حازما عادلا حسن السيرة فى رعاياه يكره الاكثار من سفك الدماء و الافراط فى خراب البلاد و عنده رأفة و حلم و صفح و توفى ببلاده فى هذه السنة و هو فى عشر الستين و قام مكانه منكوتمر بن طغان بن صرطق بن باتوبن تولى ابن جنكزخان و عند ما استقل بالملك جمع عساكره و قدم عليها مقدما سيره الى بلاد ابغا بن هولاكو .

الجنيد بن عيسى بن ابراهيم بن ابى بكر بن خلكان ابو القاسم ظهير الدين الزرزارى الاربلى الشافعى، مولده سنة ثلاث و تسعين وخمسمائة باربل فى شهر صفر سمع من ابن طبرزد وحنبل وغيرهما ١٣٦ / ب وحدث وولى عدة جهات وكان مشكور السيرة فيما يتولاه عدلا امينا ضابطا وعنده رياسة ومكارم اخلاق ولين جانب وحسن عشرة و محاضرة حسنة و عنده فضيلة و ادب و توفى فى الرابع و العشرين من شوال بدمشق و دفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله .

---

(١) الاصل «الخام» .

الحسين بن عزيز بن ابى الفوارس ابو المعالى (١) الامير ناصرالدين القيمرى كان من اعظم الامراء و اجلهم قدرا و اكبرهم شانا و له المكانة المكينة و الوجاهة التامة و الكلمة النافذة و الاقطاعات الجليلة وكان شجاعا كريما عادلا حازما رئيسا كثير البر و الصدقة و هو الذى سلم دمشق و الشام الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بعد قتل الملك المعظم توران‌شاه وكان هو و اقاربه معظم عسكر الشام فى الايام الناصرية وكان الملك الظاهر ركن الدين قد اقطعه اقطاعا جيدا و جعله مقدم العساكر بالساحل قبالة الفرنج فتوفى به مرابطا فى يوم الاحد ثالث عشر ربيع الاول و عمل عزاؤه بجامع دمشق يوم الجمعة ثامن عشر الشهر المذكور و هو الذى عمر المدرسة المعروفة به بناحية مأذنة فيروز و هى من اجل مدراس دمشق و احسنها و عمل على بابها ساعات لم يسبق الى مثلها قيل انه غرم عليها ما يزيد على اربعين الف درهم وكان عالى الهمة يضاهى الملوك فى موكبه و تجمله وكثرة غلمانه و حاشيته و خيوله و بيوتاته و ما يجرى هذا المجرى رحمه الله تعالى، و والده الامير شمس الدين عزيز كان جليل القدر وكان الامير ناصر الدين كثير العقل و المداراة و الاحتمال سمع مرة بعض الامراء الاكراد يقع فى البحرية و ينتقصهم فسبه و انتهره فقال يا خوندهم اعداؤنا فقال بئس ما قلت ليس بيننا و بينهم عداوة وكلمة الاسلام تجمعنا ونحن وهم شيء و احد و انما القوم فى خدمة ملك ونحن فى خدمة ملك آخر و بين الملكين وحشة كما جرت العادة ان

(١) فى الاصل ابو عبدالله وفوقه ابو المعالى ــ ك .

تكون بين بعض الملوك فلو زالت الوحشة من بين الملكين صرنا نحن ١٣٧/ الف
وهم كالنفس الواحدة وهذا الكلام يدل على عقل كثير وسداد رأى
وحسن تأن(١) رحمه الله .

عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان بن ابى بكر بن عباس
ابن محمد ابو القاسم شهاب الدين المقدسى الاصل الدمشقى المولد والدار
والوفاة الفقيه الشافعى المعروف بابن أبى شامة مولده فى ليلة الجمعة
الثالث والعشرين من ربيع الآخر بدمشق سنة تسع وتسعين قرأالقرآن
والعربية وتفقه وسمع وحدث واختصر تاريخ دمشق للحافظ ابن
عساكر وصنف فى فنون كثيرة وكان عالما فاضلا متقنا متفننا عنده
مشاركة فى كثير من العلوم واستقلال ببعضها لكنه كان كثير الغض
من العلماء والاكابر والصلحاء والطعن عليهم والتنقص بهم(٢) وذكر
مساوى الناس وثلب اعراضهم ولم يكن بمثابة من لا يقال فيه فقدح
الناس فيه وتكلموا فى حقه وكان عند نفسه عظيما فسقط بذلك من
اعين الناس مع ما كان عليه من ثلب العلماء والاعيان وذكرما يشينهم
به وله نظم متوسط وفيه كثرة وكانت وفاته فى التاسع عشر من
شهر رمضان سحرا ودفن من يومه بمقابر باب الفراديس رحمه الله وكان
ولى فى آخر عمره مشيخة دار الحديث الاشرفية رحم الله واقفها بدمشق
بعد القاضى عماد الدين عبد الكريم بن الحرستانى (٣) رحمه الله ودرس
وأفتى ومن شعره :

---

(١) الاصل « تأنى » (٢) لعله لهم (٣) توفى سنة ٦٦٢ ـ ك .

قلت لمن قال الا تشكى ما قد جرى فهو عظيم جليل
يقيض الله تعالى لنا من يأخذ الحق و يشفى الغليل
اذا توكلنا عليه كفى فحسبنا الله ونعم الوكيل

وكان قد وقف معظم كتبه و شرط شروطا ضيق فيها فاوجب ذلك الغاء شروطه بالكلية و عدم التقيد بشيء منها، وبالجملة فكان غير موفق فى معظم حركاته رحمه الله تعالى و ايانا و سامحه بما نال من اعراض المسلمين و تجاوز عنا و عنه و من تواليفه شرح مدائح النبى صلى الله عليه و سلم مجلد، شرح قصيدة الشاطبي مجلدين، مختصر تاريخ دمشق الاكبر خمسة عشر مجلدا، المختصر الاصغر خمس مجلدات، الروضتين مجلدين، شرح حديث ١٣٧ / ب المبعث، تفسير آية الاسراء، ضوء السارى الى معرفة رؤية البارى، المحقق من علم الاصول فيما يتعلق بافعال الرسول، كتاب البسملة، مختصر، الروضتين، الباعث على انكار البدع و الحوادث، كشف حال بنى عبيد، الواضح الجلى فى الرد على الحنبلى، مقدمة فى النحو، نظم مفصل الزمخشرى القصيدة الدامغة للفرقة الزائغة، قصيدتان فى وصف افعال الحاج، و ذكر منازل الطريق من جهة الشام، و غير ذلك .

عبد العزيز بن ابراهيم بن على بن على بن ابى حرب ابو الفضل مهاجر ابو محمد تاج الدين و يعرف بابن الوالى الموصلى وكان اصلهم اجنادا وكان شرف الدين ابراهيم والد تاج الدين المذكور قد وزر لمظفر الدين صاحب اربل رحمه الله ثم قبض عليه سنة ثمان و عشرين وستمائة .

و استوزر بعده شرف الدين المبارك بن المستوفى (١)رحمه الله وكان تاج الدين عبد العزيز المذكور رئيسا عالى الهمة عنده مكارم و عفة و هو مشكور السيرة فى ولاياته، حسن التأنى فى تصرفاته، تنقل فى المناصب الجليلة و آخرما ولى وزارة الشام بعدان صرف عنها عز الدين عبد العزيز بن وداعة الآتى ذكره فقدم دمشق و باشر ما عذق(٢) به من ذلك ولم تطل مدته و درج الى رحمة الله فى هذه السنة بدمشق رحمه الله و قد نيف على الستين سنة من العمر، و ناب تاج الدين عن ابيه ايام تقلده وزارة اربل و سير رسولا غير مرة الى الديوان ببغداد فاكرم و انعم عليه وكان متجملا فى زيه و متنعما يتأنق فى مأكوله و ملبوسه و مولده ليلة الاربعاء سابع عشر شهر رمضان سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة قال المبارك بن ابى بكر بن حمدان (٣)انشدنى لنفسه :

اذا أمت الآمال كعبة رفدكم فلا عجب ان تنتحى بالرغائب
و من عذبت منه الموارد اجمعت عليه رجال الوفد من كل جانب

عبد الوهاب بن خلف بن [محمود] (٤) ابو محمد تاج الدين العَلَّامى الفقيه الشافعى المعروف بابن بنت الأعز قاضى القضاة بالديار المصريه كان* اماما عالما فاضلا متبحرا انتقلت به الاحوال وولى المناصب الجليلة كنظر الدواوين و الوزارة و قضاء القضاة و درس بالمدرسة الصالحية النجمية للطائفة الشافعية و بالمدرسة المجاورة لضريح الامام الشافعى رحمة الله

(١) توفى سنة ٦٦٢ - ك (٢) لعله ماعلق (٣) توفى سنة ٦٥٤ وهو مؤلف كتاب عقود الجمان فى شعراء الزمان - ك (٤) من النجوم .

عليه وبغيرها وتقدم عند الملوك تقدما عظيما وكانت له الحرمة الوافرة والمكانة العظيمة عند الملك الظاهر ركن الدين وهو احد العلماء المشهورين والرؤساء المذكورين ذا ذهن ثاقب وحدس صائب وجد وعزم وحزم ورأى سديد مع النزاهة المفرطة وحسن الطريقة وجميل السيرة والصلابة فى الدين والتثبت فى الاحكام وتخير الاكفاء لولاية المناصب لا تأخذه فى الله لومة لائم ولا يعدل عما يوجبه الشرع الشريف من الاحكام والناس كلهم عنده فى ذلك سواء لا يراعى احدا ولا يداهنه ولا يقبل شهادة من يوجب الشرع الشريف التوقف فى قبول شهادته ومن ارتاب منه اسقطه وكان قوىّ النفس عالى الهمة ومولده فى مستهل شهر رجب سنة اربع عشرة وستمائة وتفقه وسمع من أبى الفضل جعفر بن ابى الحسن الهمذانى(١) وغيره وحدث وافتى وكانت وفاته فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله وكان لقوة نفسه وعظم محله يترفع فى قعوده على الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر ولا يحتفل بأمره فكان ذلك يعظم على الوزير ويقصد نكايته فلا يقدر على ذلك ولا يستطيعه ولا يجد عليه مطعنا فكان يوهم الملك الظاهر ان للقاضى اموالا ومتاجر كبيرة ويقصد تقرير ذلك فى ذهن الملك الظاهر واتفق ان بعض التجار ورد الاسكندرية وذكر لارباب الزكاة ما معه من المتجر والمال وقام بما جرت به العادة ثم وجد معه الف دينار غير ما اعترف به فانكر عليه ذلك فقال ١٣٨ / ب

(١) توفى سنة ٦٣٦ - ك .

ما هى لى و انما هى معى وديعة للقاضى تاج الدين فكتب بذلك الى الوزير فقال للملك الظاهر ليحقق ما قرره عنده فسأل الملك الظاهر القاضى تاج الدين عن ذلك فما رأى ان يعترف ليحصل غرض الوزير ولا امكنه ان ينكر لكونها له فقال الناس يقصدون التجوه(١) بالناس ليراعوا (١)و ان كانت هذه الالف دينار لى فقد خرجت عنها لبيت المال فاخذت و سهل عليه ذهابها مع كثرة شحه ولا يبلغ الوزير مقصوده منه، و حكى ان الوزير بهاء الدين كان يختار ان يحضر القاضى تاج الدين الى داره و لو عائدا له فاتفق ان مزاجه تغير و انقطع عن القلعة اياما و تردد اليه الناس لعيادته و لم يفتقده القاضى تاج الدين فقال له اصحاب الوزير المختصون به لما يعلمون من ايثار الوزير لحضور القاضى لعيادته يا مولانا الصاحب بهاء الدين فى شدة عظيمة و هو منقطع فلو عاده مولانا ما كان به بأس فقال الى يوم الاربعاء وكان من عادته ان يتوجه الى مصر فى كل يوم اربعاء للحكم فيها بنفسه فلما كان يوم الاربعاء و اراد التوجه الى مصر سلك الطريق الذى يمر فيها على دار الوزير فلما قرب من الباب اخبر الوزير بحضوره فقام من فراشه و نزل من الايوان متلقيا له فلما دخل وجده فى ارض الدار قائما قال بلغنا انك فى شدة عظيمة و انت تتوم سلام عليكم و عطف راجعا و لم يزد على ذلك .

على بن احمد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن احمد بن ميمون

(١) كذا .

ابو الحسن تاج الدين القيسى المصرى المالكى المعروف بابن القسطلانى مولده ليلة السابع عشر من جمادى الاولى سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة بمصر، تفقه و سمع من جماعة كثيرة و حدث بالكثير مدة و درس بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق بمصر و تولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة الى حين و فاته وكان احد المشايخ المشهورين بالفضل و الدين و العدالة و حسن الخلق و لين الجانب و محبة الحديث و اهله و التواضع و الصلابة فى الدين و توفى بكرة السابع و العشرين من شوال بمصر و دفن من يومه بسفح المقطم رحمه الله وكانت جنازته متوفرة الجمع .

١٣٩/الف

محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عمروك وهو عمرو ابو الفضل بن ابى عبد الله ابن أبى الفتوح بن ابى سعد بن ابى سعيد شرف الدين القرشى التيمى البكرى مولده بالقاهرة سنة تسعين و خمسمائة سمع من جماعة و اجاز له جماعة و حدث هو و ابوه و جده و اخوه صدرالدين البكرى تقدم ذكره و نسبه الى الصديق رضوان الله عليه فأغنى عن اعادته هنا توفى شرف الدين المشار اليه فى الرابع من المحرم بالقاهرة و دفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله .

ملكشاه بن [عبد الملك] (١) شمس الدين الحنفى المعروف بقاضى بيسان كان فقيها عالما فاضلا تولى نيابة الحكم بدمشق مدة و درس بالمدرسة المعينية وكانت وفاته فى سادس عشر صفر بدمشق و دفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

---

(١) بياض فى الاصل و الزيادة من الجواهر المضيئة (٢ / ١٨٠) - ك .

يعقوب بن نصر الله بن هبة الله بن الحسن بن يحيي بن محمد بن على ابن صدقة ابو يوسف تاج الدين التغلبي الدمشقي المعروف بابن سنى الدولة وهو خالى شقيق والدتى مولده بدمشق فى السابع من جمادى الاولى سنة ست وتسعين وخمسمائة سمع من حنبل وغيره وكان من الرؤساء العدول تولى عدة مناصب وكان موصوفا بمعرفة صناعة الكتابة وتوفى ببعلبك وهو ناظرها وما اضيف عليها (١) من الاعمال وكانت وفاته فى العشر الآخر من ذى الحجة ودفن فى حجرة الشيخ عبد الله اليونيني قدس الله روحه وكان تاج الدين سليم الصدر حسن الظن بالفقراء والصلحاء رحمه الله تعالى .

يعقوب بن... (٢) ابو يوسف شهاب الدين المعروف بابن الانبارى كان فاضلا اديبا حسن النظم توفى فى هذه السنة بحماة وقد جاوز سبعين سنة ومن شعره فى الصفى بن الدجاجية وقد ولى الاهراء :

ألا قل لسيف ملوك الزمان ... ومن هو إلب على من قسط
وكلت وانت امرؤ حازم ... الى ابن الدجاجة رعى الحنط
وانت العليم بــه انه ... اذا جاع وهو عليها لقط

السنة السادسة والستون وستمائة

دخلت هذه السنة والخليفة والملوك على ماكانوا عليه فى السنة الخالية والملك الظاهر بقلعة الجبل .

وفى ثالث صفر قدم الامير عز الدين الحـلى من الحج فخرج

(١) لعله اليها (٢) بياض .

الملك الظاهر لتلقيه الى البركة ثم توجه الحلى لزيارة القدس و الخليل عليه السلام و عاد فى سادس عشر ربيع الآخر فاعيدت اليه نيابة السلطنة بالديار المصرية .

و فى عاشر صفر عقد مجلس بين يدى الملك الظاهر للضياء بن الفقاعى بحضور الصاحب بهاء الدين و جرى فيه ما اقتضى صرف الضياء و الحوطة عليه و اخذ خطه بجملة من المال و لم يزل يضرب الى ان مات و احصيت السياط التى ضربها فى نوب متفرقة فكانت سبعة عشر الفاونيف و سبعمائة سوط .

و فيها وصل رسول المظفر شمس الدين يوسف صاحب اليمن الى مصر و معه فيل و حمار وحش معمد بأبيض و اسود و خيول و صينى و مسك و عنبر و غير ذلك من التحف و طلب معاضدة الملك الظاهر له و شرط انه يخطب له فى بلاده فجلس الملك الظاهر بقلعة الجبل يوم الاربعاء حادى عشر ربيع الاول و استدعى الرسول و قبل الهدية و بعث فى جواب الرسالة الامير فخر الدين اياز المقرى و على يده خلع و سنجق و تقليد بالسلطنة .

و فى يوم السبت ثانى جمادى الآخرة خرج الملك الظاهر الى بركة الجب عازما على قصد الشام و ترك نائبا عنه للسلطنة الامير بدر الدين الخازندار و رحل فى رابع الشهر فوردت عليه رسل صاحب يافا بضيافة فاعتقلهم و امر العسكر بلبس العدة ليلا و سار فصبّح يافا فأحاط بها من كل جانب فهرب من كان بها الى القلعة فملكت المدينة

و طلب

و طلب اهل القلعة الامان فأمنهم و عوضهم عما نهب لهم أربعين الف
درهم فركبوا فى المراكب الى عكا و ملكت القلعة فى الثانى و العشرين ١٤٠/ الف
منه و هدمت و المدينة وكانتا من بناء ريدافرنس لما نزل الساحل بعد
كسرته و خلاصـــه من الأسر سنة ثمان و اربعين و ستمائة و اصدرت
كتب البشائر عن السلطان بفتحها فمن ذلك مكاتبة الى قاضى القضاة
شمس الدين بن خلكان رحمه الله من انشاء القاضى محى الدين عبد الله
ابن عبد الظاهر مضمونها: هذه المكاتبة الى المجلس السامى اسمعه الله من
البشائر اجملها، و من التهانى اشملها، و من تحيات النصر افضلها، و من سور(١)
الاتحاف بالظفر منزلها، تعلن يبشرى بفتح حسن استفتاحـــه، و تساوى فى
الجلالة غرره و اوضاحه، و اتى بسملة لهذه الغزاة المباركة التى بها تتبرك
المهارق، و مفتاحا لمغلق الحصون التى إن فتحها الله فلا مغلق، و إن سهلها
فلا عائق، و ذاك لأن يافا كانت قد كثر عدوان من فيها، و حصل من
اضرارهم ما لا يقدر احد على تدارك تحيفاتها ولا تلافيها، و صارت
لعكا يسر الله فتحها طليعة مكر، و مادة كفر، منها يمتارون من كل ممنوع،
و ربما يأمنون من خوف و يشبعون من جوع، و يتطلعون الى دار
الاسلام منها من وراء زجاجة، و يجعلونها لهم بابا يتوصلون منه عند
الاجاحة(٢) الى ما فى نفوسهم من حاجة، فلما توجهنا هذه الوجهة المباركة،
و تعوضنا فيها عن انجاد الملوك بالملائكة حرفنا(٣) اليها العنان يسيرا، و عرجنا
عليها تعريج(٤) مستروح ثم يستأنف مسيرا، و طرقناها بكرة يوم الاربعاء

(١) كذا (٢) لعله الاجاجة (٣) لعله صرفنا (٤) الأصل « تفريج » .

العشرين من جمادى الآخرة فما مضى الا بقدر ما جردت السيوف من الاغماد، اخذت المعاول فى العويل عــلى اهل الالحاد، و نطقت ألسن الاعلام بالنصر المبين، و تلق النصر رايتنا باليمين، وطفنا بهــا طواف المناطق بالخصور، و الشفاه بالثغور، و اذا بأهلها يطلبون الامان على النفوس خاصة و انهم يبذلون لنا كل مالهم من مال و علال(١) و سلاح و غير ذلك فاجبناهم الى ذلك و مــا فتحوا الا بواب الا و الرجال قد فتحت النقوب، ولا جيبوا الاطواق الا و السيوف قد فتقت الجيوب، ولا خرجوا من قلتها الا و الابطال عليها قد علت، و لا طلعوا منهــا الا و الاولياء اليها(٢) و مــا حصلوا خارجها الا و المقاتلة بها قــد حصلت

١٤٠/ب و تسلمناها و قلعتها فتحا قريبا، و تسنمناها مرتعا مريعا و مربعا خصيبا، و سطرناها فى الساعة التى قام لسان العلم قبل لسان القلم عــلى منبرها خطيبا، فيأخذ حظه من بشرى جاءت طليعة لما بعدها من البشائر، و اقبلت مقهمة(٣) بأن لابد بعدها من فتوحات تتبع الاوائل منها الا و اخر و الله تعالى يوفقه فى الموارد و المصادر، ان شاء الله تعالى .

فلما فرغ من هدم يافا رحل يوم الاربعاء ثانى عشر شهر رجب طالبا للشقيف فنزل عليه يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر و ظفر بكتاب من الفرنج الذين بعكا يتضمن اعلام النواب بالشقيف ان المسلمين لا يقدرون على اخذ الحصن ان احتفظوا به وجدّوا فى تحصينه و ينبهونهم على اماكن يخاف عــلى الحصن منها ان اهملت فاستدعى ببعض من يكتب بالفرنجى

(١) لعله علال (٢) لعله سقط لفظ « وصلت » (٣) لعله مقهقهة .

وامره ان يكتب كتابا يذكر فيه امارات بينهم وبين اهل عكا استفادها
من الكتاب ويحذر الكمندور المقيم بالشقيف من الوزير المقيم عنده
ومن جماعة كانت اسماؤهم فى الكتاب وكتابا آخر الى الوزير يحذره
من الكمندور ويأمره ان احتاج الى مال يأخذه من فلان وسمى شخصا
كان اسمه فى الكتاب وتحيل فى وصول الكتابين اليهم فلما وقفوا
عليهما اختلفوا مع شدة الحصار بالزحف والمنجنيقات فالجأهم الخلف
الى ان ارسلوا الى الملك الظاهر وقرروا تسليم الحصن وان لا يقتل
من فيه فتسلمه يوم الاحد تاسع عشرين شهر رجب وكان ملك الباشورة
بالسيف فى سادس وعشرين منه واصطنع الكمندور وكانت عدة من
كان فيه اربعمائة وثمانين رجلا واثنين وعشرين اخا(١) فاركبهم الجمال الى
صور وسير من معهم يحفظهم ممن يؤذيهم وانشئت كتب البشائر الى
الاطراف فمنها كتاب الى قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان
رحمه الله من انشاء كمال الدين احمد بن العجمى(٢) رحمه الله مضمونه : صدرت
هذه المكاتبة الى المجلس السامى القضائى لا زالت البشائر تحل به ربعا،
وتصنع لديه فى الابلاغ حسنا وتحسن صنعا، وتسر بالافهام والالمام
والاعلام له قلبا وبصرا وسمعا، تعلمه بفتح أمست وجوه البشائر ١٤١/ الف
بشره متهللة، واسماع المنابر لوعيه متبتلة(١) وفروض الجهاد به مؤداة ولكنها
مشفوعة بالسيوف المسنونة والغزوات المتنفلة(١) وهو فتح الشقيف الذى
جاء بتناوب الاتحاف الى القلوب، ويتناسب انباؤه كالرمح انبوب على

(١) كذا (٢) هو احمد بن عبد العزيز بن محمد توفى سنة ٦٦٧ - ك .

انبوب، و يتعاقب مسراته الى الاسلام كما تتعاقب الانواء لنفع(١) الثرى المكروب، و اقبل بعد فتح يافا كما تقبل البكر التى لابد لها بعد سهولة الهداء من الامتناع عند الافتراع(٢)، و تهادى تهادى الغيث الذى لا بد له عند نزوله من الرعد المرعج و البرق اللماع، وكان نزولنا عليها فى تاسع عشر شهر رجب المبارك سنة ست و ستين و ستمائة بعدان سلكنا اليها فى اوعار تتعثر بها ذيول الرياح، و هبطنا فى اودية لا يأنس فيها الا بمجاوبة الصدى لقعاقع السلاح، و صعدنا فى جبال لا يرى الاشباح، منها الا كالذر و الذرى الا كالاشباح، و هذه القلعة من وجه هذه الشواهق بمكان الغرة، و من كتابها (٣) بمنزلة الطرة، كأنها سمع تناجيه النجوم بأسرارها، او راحة بما بسطته من اصابع شرفاتها و تلك البواشير منها بمنزلة سوارها، يكاد الطرف ينقلب عنها خاسئا و هو حسير، وكل ذى جناح يغدودون منالها يطير، قدأحكم بناؤها فلا ايدى المعاول لاطراف اسوارها مجاذبة، وحصن فناؤها فلا غير الغمائم لها مجاورة و لا غير الرعود لها مجاوبة قد تحصن بها من الكفر كل مستقتل، و توطنها منهم كل جاهل يرجع فى التحصن بها الى منعتها وكيف لا و هولها مستعقل، و قد انتخبهم الفرنج من بينهم انتخاب المناصل(٤) بسريع سهامه و المفاضل(٥) لبديع كلامه وحلوا(٦) منه ذروة بعيدة المنال، و توقلوا صهوة لا تتخطى اليها الآمال، وكنا كما قد علم المجلس السامى اعزه الله قد سيرنا اليها العساكر الشامية تمسك

١٤١ / ب

(١) الاصل لنفع (٢) الاصل «الاقتراع» خطأ (٣) كذا (٤) لعله المناضل (٥) لعله الفاضل (٦) الاصل «وجلوا».

منها الخناق، و تأخذ منها بمجامع الا طواق، فحفت بها كما حفت الخواتم بالخناصر، او كما حفت بالعيون الاهداب و دارت حولها سورا ما له غير الخود من شرفات و غير نواهد الخيل من ابراج و غير حنايا السيوف من ابواب، و احدقت بثغرها كما تحدق الشفاه بالثغور، و اطافت بها قبل اطافتنا كما يطوف البند قبل المنطقة بالخصور، و اقامت السمهرية ترمقهم بزرق عيونها و المشرفية، تتناعس لاستنامتهم بتغميض جفونها، و بقيت السنة الصاجق(١)فى افواه غلفها صامتة لسماع الزحافات مصغية، وكواسر الآساد فى آجامها من الرماح السمهرية مقعية، و صارت السهام فى كنائنها تقلق، و اخشاب المجانيق لتفرق اجزائها تفرق، الى ان بعثنا الله من فتحها الى المقام المحمود، و انقضت مـدة ارجائها فى يد الكفر و ما كان تأخيره الّا لأجل معدود، و نزلنا ربعها بالعساكر التى سيوفها مفاتيح الحصون، و رماحها ارشية المنون، فما نزلنا من ظهر جوادنا الا على ظهر جبلها الذى حرته عن يمينها جنيبا، و لا القينا (٢) عصى التسيار حتى حملنا اعواد المجانيق على عاتقنا لنقدمها الى الله تقربا و اليهم تقريبا، و للوقت نفخ امرنا فى صور الايعاز بالمضايقة، و نشر العالم فى صعيد و اخذ للسابقة الى صعودها و المساوقة، و فى الوقت الحاضر اجتمعت اعضاء المجانيق المنفصلة، و تخطت فى الهواء كفالها (٣) المتعلة، و اعتزلت كل فرقة من اوليائنا بمنجنيق يقيمه و اعجب شئ انها الظاهرية و اصبحت المعتزلة، وعن قريب اهوت الى الاعداء محلقة صقور الصخور و تتابعت

(١) لعله السناجق (٢) الاصل « القتنا » خطأ (٣) كذا.

حجارتها اليهم عند ما حصلت من المجانيق فى الصدور ، فبعثرت من اجسادهم المرسومة بالقلعة ما فى القبور، وكانت هذه القلعة المذكورة قد قسمها العدو قسمين، و خاصم الاسلام منها بخصمين، و جعلها قلعة دون قلعة، و صيرها ملكا مقسوما حتى لا تكون فيه شفعة، و جعل احديهما ١٤٢/الف مهبط قباله (١) و محط نزاله، و مأوى رجاله، و الأخرى مستودع نفسه و ماله، فلما احسوا بأسنا و رأوه شديدا و شاهدوا حزمنا عتيدا، وعزمنا مبيدا، و اقتحموا (٢) الاسوار بتسورها الرجال، و المجانيق تحف بهم عن اليمين و عن الشمال، وضعفوا عن ان يحموا من تلك القلل جهتين ، او ان يقتسموا بهما فئتين، او يجمعوا مع كفرهم الّا ما قد سلف بين الاختين ، او ان يغدو نجس شركهم الا وهو فيما دون القلتين(٣)، حرقوا ما بالقلعة من مصون ، و اضرموا بها نيرانا اعجب شيء كونها لم تطف بما اجروه من الجفون، و غالبتهم اليد الاسلامية قبل تركها ، و دخلتها عليهم قبل الخروج عن ملكها ، و ذلك يوم الاربعاء سادس و عشرين شهر رجب المذكور وكانت المجانيق ترمى عليها فصارت ترمى منها ، و تصدر حجارتها اليها فصارت تصدر عنها، و تملكناها معقلا شيده لنا العدو و بناه، وحصنا منيعا دافع عنه حتى تعب فلما تعب أخلاه وخلاه، و اصبح بحمد الله شك فتوحها لنا يقينا، و ما كان من خنادقها و اسوارها يق الكفار وغدا (٤) يق عساكرنا و يقينا(٥) و صارتا جارتين

(١) لعله قتاله (٢) لعله اقتحموا بدون واو جواب لما (٣) الاصل «القلبين» خطأ (٤) لعله غدا بحذف الواو (٥) لعله يقينا بحذف الواو .

تتحاسدان

تتحاسدان على قربنا وما زال يغرى بين الجيرة الحسد، ورأسا وجسدا فرق بينهما النصر ولابقاء للرأس بعد زوال الجسد، ولما امكن الله من القلعة الواحدة لم نر أن نبشر بالاولى، حتى نبشر بالأخرى، ولا ان نقصر الاعلام على الاعلان بالبطشة الصغرى، حتى نجمع اليه الاعلام بالبطشة الكبرى، ولما جاز القصر والجمع فى الفروض المؤداة فى هذه السفرة المباركة قصرنا وجمعنا فى اداء هذه البشرى، وكتابنا هذا وقد منّ الله بها علينا، وقال الاسلام هذه بضاعتنا ردت الينا، وذلك فى سابعه يوم الاحد سلخ شهر رجب المبارك وبحمد الله قد اصبحت تلك الضالة التى فقدها الاسلام منشودة، وتلك العارية التى استولت عليها يدالكفر مردودة، فشكرا لسيف رد الضالة واردت(١) الضلالة، ومضى لايكل حتى استفتى فى الكلالة، واحاله فرض الجهاد على الكفر بحق فاستخلص بحول الله وقوته تلك الحوالة، فليأخذ المجلس السامى حظه من هذه ١٤٢/ب البشرى بماجعله الله للمتقين من عقبى الدار، وبما قدره من انقيادالكافرين صاغرين فى قبضة الاسار، وبما سهله من عتق من كان فيها من الحرم والاطفال والصغار، وليملأ بحسن هذا الخبر المسامع، وليعمر بذكره المجامع، والجوامع، فطالما اشتاقت اليه اعواد المنابر، وانتظرت ايداعه فى سرائر السر السنة الاقلام وافواه(٢) المحابر، والله تعالى يوفق المجلس فيما يحاول ويجاور،(٣) ان شاء الله تعالى .

ثم رحل بعد ان رتب بها عسكرا فى عاشر شهر شعبان منها

(١) لعله واردى (٢) الاصل « اغواه » خطأ (٣) لعله يحاور .

وبعث اكثر الاثقال(١)الى دمشق وسار الى طرابلس فشن عليها الغارة. واخرب قراها وقطع اشجارها وغور انهارها وذلك فى رابع عشر الشهر ورحل الى حصن الاكراد ونزل المرج الذى تحته فحضر اليه رسول من فيه باقامة وضيافة فأعادها عليهم وطلب منهم دية رجل من اجناده كانوا قتلوه مائة الف دينار ثم رحل الى حمص ثم الى حماة ثم الى افامية ثم سار ونزل منزلة اخرى ثم رحل ليلا وتقدم الى العسكر بلبس العدة فنزل انطاكية فى غرة شهر رمضان فخرج اليه جماعة من اهلها يطلبون الامان وشرطوا شروطا لم يجب اليها، وزحف عليها فملكها يوم السبت رابع الشهر ورتب على ابوابها من الامراء جماعة لئلا يخرج احد من الحرافشة بشيء من النهب ومن وجد معه شيء اخذ منه فجمع منه ما امكن وفرق على الامراء والاجناد بحسب مراتبهم وحصر من قتل فيها فكانوا فوق الاربعين الفا واطلق جماعة من المسلمين كانوا فيها اسراء من حلب وبلدها وكان الابرنس صاحبها وصاحب طرابلس وانشئت كتب البشائر، فمن ذلك مكاتبة الى قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان رحمه الله من انشاء القاضى محى الدين عبد الله بن عبدالظاهر مضمونها: ادام الله سعادة المجلس السامى القضائى

١٤٣ / الف ولابرح يؤثر البشائر، حشايا المنابر، ويجرى من السرور الهاجم عيون المحابر، ويسجد لها قلم الناظم والناثر، ويتلقاها بيشر اذا تأمل قادمه(٢) قال كم ترك الاول للآخر، هذه المكاتبة تتحدث بنعمة الله التى تهلل بها

---

(١) لعله الانفال (٢) لعله قارئه.

وجه الايمان ، وهلل بها من اهله كل لسان، وجاءت بحمد الله حلوة المجتنى ، حافة بالنصر من هنا ومن هنا ، وذاك بفتح انطاكية التي لم تتطرق اليها الحوادث والخطوب ، ولا طرق حديث فتحها الاسماع ولا هجس فى القلوب ، وادخرها الله لنا ليخصنا بفتحها الوجيز، ويجعلها بابا لما يليها من بلاد الكفر نلج منه بمشيئة الله وما ذلك على الله بعزيز، وهو أنا لما فرغنا من فتوحاتنا التى سبق بها الإعلام ، واشاراتنا التى خصت وحصت طرابلس الشام ، ثنينا العنان الى هذه الجهة فشاهدنا منها ما يروق النواظر، ورأينا مدينة يجتمع داخل سورها الإنس والوحش والطائر، للاستبطان والبادى والحاضر ، يحف بها اسوار لا يقطعها الطائف فى يوم مسيرا ، ولا يدرك الناظر من اولها لها اخيرا ، وبها رجال غدوا اليها من كل حدب ينسلون، ومن كل هضبة ينزلون ، وفى ظلال كل مطهم يتقيلون، وكان نزولنا عليها فى يوم الاربعاء غرة شهر رمضان المعظم فلم يكن الا بقدر ما نزلنا الا ورسلهم قد حضروا ليمسحوا اطراف الرضا، ويتقاضوا من العفوا حسن ما يقتضى ، فما ألوى عليهم حلمنا ولا عرّج ، ولا نفس عنهم كربة ولا فرّج ، فزحفنا عليها فى يوم السبت بكرة وهو رابع الشهر، فلم يلبثوا الا ساعة من نهار وقد دخلت عليهم من اقطارها، وتسور العسكر المنصور من اسوارها ، وامتدت ألسنة الصوارم وأسنة الرماح ، وشهرت البيض الصفاح ، واريقت الدماء واستحيت النساء وغنمت الاموال ، وجدلت الابطال ، ووجد العالم من التحف والنعم ما لا كان يمر فى خلد ولا يخطر فى بال ، وكتابنا هذا واليد الاسلامية

١٤٣ / ب لها متسلمة، و فيها متحكمة، فالمجلس يأخذ حظه من هذه البشرى، و يرى منها هذه الآية الكبرى، و ما نريهم من آية الآهى اكبر من الأخرى، و يتلقاها بيشر(١) فقد بعثنا بها اليه فى احسن رونق النصرة، و اقبلت بحمدالله كما بدأت اول مرة، فليشعها المجلس فى كل باد و حاضر، و لينشر خبرها على اكباد المنابر، و الله بكرمه يجعل سعادته من اتم الذخائر، ان شاء الله تعالى: كتب رابع شهر رمضان المعظم سنة ست و ستين و ستمائة .

و انطاكية مدينة عظيمة مشهورة مسافــة سورها اثنا عشر ميلا، وعــدد ابراجها مائة و ستة و ثلاثون (٢) برجا، و عدد شرفاتها اربعة و عشرون(٣) الفا، و لما ملك الملك الظاهر انطاكية وصل اليه قصاد من بغراس يطلبون تسليمها اليه فسير شمس الدين الفارقانى بالعساكر فوصل اليها فصادف اكثر اهلها قد نزح فتسلمها فى ثالث عشر شهر رمضان وكان قد تسلم دركوش بوساطة فخر الدين الجناحى فى تاسع رمضان وصالح اهل القصير على مناصفته و مناصفة القلاع المجاورة له و عاد الى دمشق فدخلها سابع عشرى شهر رمضان و عيد بقلعة دمشق .

ذكر خلاص الامير شمس الدين سنقر الاشقر

كان الملك الظاهر لما اسر ليفون ابن صاحب سيس بعث اليه ابوه يطلب منه الفداء و بذل له مالا جزيلا فلم يقبله وطلب منه فى الفداء ان يخرج الامير شمس الدين من بلاد التتر فبعث اليهم متوسلا بموات طاعته

(١) لعله ببشرى (٢) الاصل ثلاثين (٣) الاصل وعشرين .

لهم وبذل لهم مالا كثيرا فلم يجيبوه، فلما استولى الملك الظاهر على انطاكية بعث اليه هيتوم صاحب سيس رسولا يبذل القلاع التى كان اخذها من التتر عند استيلائهم على حلب وهى دربساك وبهسنا ورَعْبان فأبى قبول ذلك الّا أن يحتال فى اخراج سنقر الاشقر فسار اليهم بحيلة الاستغاثة بهم على الملك الظاهر واستصحب معه علم الدين سلطان احد البحرية فكان يجتمع بسنقر الاشقر سرا وعليه زىّ الارمن والاشقر ١٤٤/الف يخاف ان تكون دسيسة عليه فلا يصغى الى قوله ويقول ما اعرف صاحب مصر ولا اخرج من عند هؤلاء القوم فانهم محسنون الىّ، ولم يزل سلطان يذكر له امارات وعلامات اهتدى بها الى صحة مرامه فأذعن للهرب فلما خرج صاحب سيس لبس زيّهم وخرج معهم فلما وصل به بلده سار علم الدين سلطان الى الملك الظاهر وعرفه فبعث الى القاهرة واحضر ليفون فوصل اليه وهو على انطاكية فساربه الى دمشق فدخلها يوم السبت سابع عشر شهر رمضان.

ثم سيره مع جماعة فى سابع شوال فوصلوا به الى سيس ووقفوا به على النهر بالقرب من دربساك ووصل الامير شمس الدين مع جماعة من سيس ووقفوا به على جانب النهر ثم اطلق كل واحد منهما وتسلم نواب الملك الظاهر دربساك ورعبان ولم يبق الابهسنا وكان صاحب سيس سأل الامير شمس الدين ان يشفع له عند الملك الظاهر فى ابقائها عليه على سبيل الاقطاع فوعده بذاك ولما اتصل بالملك الظاهر قدوم الاشقر خرج من دمشق تاسع عشر شوال ونزل

القطيفة و بلغه ان الاشقر على خان المناخ فساق اليه وحده سرا فما احسّ به الّا و هو على رأسه فقام اليه فترجل و اعتنقا طويلا و سارا حتى نزلا فى الدهليز ليلا، فلما اصبحا خرجا منه معا فعجب العسكر كيف اجتمعا و لم يشعر بهما و عاد الى دمشق فى ثانى ذى القعدة وسأله الامير شمس الدين فى امر بهسنا فتمنع فقال ياخوند قد رهنت لسانى و وعدته ببلوغ قصده و قد احسن الى لما كنت عند التتر بما لا اقدر على مكافأته فأجابه الملك الظاهر الى ما سأل .

ذكر قطيعة قررت على بساتين دمشق

١٤٤/ب كان الملك الظاهر قد احتاط عليها و على القرى الملك و الوقف(١) على اربابها و هو نازل على الشقيف و تحدث بذلك فى السنة الخالية بحضور العلماء فقال القاضى شمس الدين عبد الله بن عطاء الحنفى هذا لا يحل و لا يجوز لأحد أن يتحدث فيه و قام مغضبا و توقف الحال، و لما وقعت الحوطة على البساتين صقعت بحيث عدمت الثمار بالكلية و ظن الناس انه يرق لهم فلما اراد التوجه الى مصر عقد مجلسا بدار العدل و احضر العلماء و اخرج فتاوى الحنفية باستحقاقها بحكم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتح دمشق عنوة ثم قال من كان معه كتابا عتيقا اجريناه و الّا فنحن فتحنا هذه البلاد بسيوفنا ثم قرر عليهم الف الف درهم فسألوه ان يقسطها فأبى و تمادى الحال الى ان خرج متوجها الى مصر يوم الثلاثاء ثامن عشرى ذى القعدة، فلما وصل اللجون(٢) عاوده الأتابك

(١) كذا (٢) بلدة بالاردن .

و فخر الدين بن حناء وزير الصحبة فاستقر الحال ان يعجلوا منها اربعمائة الف درهم و يعاد اليهم ما كان قبضه الديوان من المغل و يقسط ما بقى كل سنة مائتى الف درهم وكتب بذلك توقيع قرئ على المنبر، ودخل القاهرة آخر نهار الاربعاء حادى عشر ذى الحجة .

و فى ثانى عشر شوال خرج الركب المصرى متوجها الى الحجاز و سافر فيه الصاحب محى الدين احمد بن الصاحب بهاء الدين و عاد الركب خامس عشر صفر سنة سبع .

ذكر اخذ مالك بن منيف المدينة الشريفة

كان مالك بن منيف بن شيحة الحسينى قد قصد الملك الظاهر سنة خمس و ستين بهدية جليلة لعلمه ما بين الملك الظاهر و بين عمه عز الدين جماز من الوحشة فقبلها وكتب له توقيعا بالمدينة و بعث معه سليمان بن حجى فلما عاد وجد جماز بالفلاة فهجمها فى هذه السنة و استولى عليها و حلف له اهلها و خرب دار جماز و استنجد جماز بأهل مكة و ينبع و سار اليها فحصرها اياما و وقع بينهما قتال أجلى عن قتلى كثير ثم اختلف جماز و اصحابه .

و فيها قتل السلطان ركن الدين صاحب الروم و جلس ولده ١٤٥/ الف السلطان غياث الدين كيخسرو على التخت و عمره مناهز العشر سنين و البرواناة فى نيابة السلطنة عن أبغا و جعل ابنه مهذب الدين على متكفلا بأمر غياث الدين و استولى البرواناة على جميع البلاد و نفذ حكمه فيها لا يشاركه فى ذلك غيره، ثم توجه البرواناة الى أبغا و اخذ معه فرس

ركن الدين و سلاحه و هدايا جليلة لأبغا و وجـوه دولته و وافى عنده صاحب سيس فجرت بينهما محاورة كل منهما يدعى على صاحبه انه يكاتب صاحب مصر ثم عاد البرواناة و معه احأى اخو ابغا و صمغرا ليكونا معه فى البلاد فلم تطل غيبته، فلما بلغ السلطان غياث الدين قدومهم خرج من قونية لتلقيهم فاجتمع بهم على سيواس .

و فيها توفى ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن احمد بن محمد بن قدامة ابن مقدام بن نصر ابو اسحاق عز الدين المقدسى الحنبلى مولده فى شهر رمضان سنة ستو ستمائة سمع من ابى القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستانى و غيره و حدث وكانت وفاته فى التاسع عشر شهر ربيع الاول بجبل الصالحية ظاهر دمشق و دفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله، وكان اماما عالما فاضلا زاهدا عابدا ورعا كريم الاخلاق لطيف الاوصاف لين الجانب شديد التواضع للفقراء و المساكين و الضعفاء كثير الصدقة و البر و المواساة حريصا على قضاء حوائج الناس و ادخال السرور عليهم لم يكن فى هذا الوقت من يضاهيه فى ذلك فيما علمنا، و هو من بيت العلم و العمل و الصلاح وكان والده الشيخ شرف الدين عبد الله رحمه الله شيخ الحنابلة و المشار اليه فيهم و جدّه شيخ الاسلام ابو عمر محمد فشهرته تغنى عن الاطناب فى وصفه رحمهم الله اجمعين .

احمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم ابو يوسف كمال الدين الحلبي المعروف بابن العجمى، كان رئيسا عالما فاضلا حسن الخط و الانشاء كتب للملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله ثم كتب للملك الظاهر

ركن الدين

ركن الدين وكان من اعيان الكتاب و اماثلهم واسطة خير غزير المروءة ١٤٥/ب
حسن العشرة كريم الاخلاق وكانت وفاته ظاهر صور من بلاد الساحل
فى العشر الاول من شهر ذى الحجة و حمل الى ظاهر دمشق فدفن
بمقابر الصوفية رحمه الله .

بولص الراهب المعروف بالحبيس ، قد ذكرنا طرفا من خبره فى
حوادث سنة ثلاث و ستين و انه كان كاتبا ثم ترهب و انقطع فى جبل
حلوان من الديار المصرية فيقال انه ظفر بمال مدفون فى مغارة فواسى
به الفقراء من كل ملة وقام عن المصادرين بحمل عظيمة و لم يزل على
ذلك الى هذه السنة فاحضره الملك الظاهر و طلب منه المال و ان يعرفه
من اين حصل له فلم يعرفه وجعل يغالطه (١) و يدافعه و لا يفصح له بشىء
البتة و هو عنده داخل الدور فلما يئس منه و اعياه امره حنق عليه
فعذبه حتى مات فى العذاب و لم يقر بشىء فاخرج من قلعة الجبل و رمى
ظاهرها على باب القرافة وكانت وصلت فتاوى فقهاء الاسكندرية الى
الملك الظاهر بقتله و عللوا ذلك بخوف الفتنة على ضعفاء النفوس من
المسلمين فقتله كما ذكرنا و قيل ان مبلغ ما وصل الى بيت المال منه
و ما واسى به فى مدة سنتين ستمائة الف دينار محصيا بقلم الصيارف الذين
كان يحمل عندهم المال و يكتب اليهم اوراقه و ذلك خارج عما كان
يعطيه سرّا بيده و مع هذا كان لا يأكل من هذا المال شيئا و لا يلبس
منه وكان النصارى يتصدقون عليه بما يمونه و يلبسه فانظر الى هذه

(١) الاصل يغالظه .

النفس الآبية مما هى عليه من الضلال و لم يظهر بعد موته من تلك الاموال الدينار الواحد فما يعلم هل نفدت مع نفاد اجله و خفى امر ما بقى منها و لم يطلع عليه و قيل كان اسمه ميخائيل و لم يشتهر الاّ بالحبيس الراهب و الله اعلم .

عبد الخالق بن على بن محمد بن الحسن ابو محمد تاج الدين ، كان كاتبا مجيدا عارفا بصناعة الحساب و ولى عدة جهات و مناصب بيعلبك و اعمالها وكان من عدول بعلبك و اكابرها وكان ينبز باحمر عينه لحمرة كانت فى عينه . ١٤٦/ الف

و والده القاضى مهذب الدين ابو الحسن على بن محمد الاسعردى ولى الحكم بيعلبك مدة فى الايام الصلاحية و غيرها وكان مشكور السيرة مشهورا بوفور العلم و الدين و السداد فى الاحكام رحمه الله، وكانت وفاة تاج الدين المذكور فى يوم السبت تاسع ذى القعدة من هذه السنة و هو فى عشر الثمانين و دفن بالقرب من دير الياس عليه السلام ظاهر بعلبك رحمه الله تعالى .

عبد العزيز بن منصور بن محمد بن محمد بن محمد بن وداعة ابو محمد عز الدين المعروف بابن وداعة الحلبي و قيل انه كان فى بداية امره خطيبا بجبلة من اعمال الساحل ثم اتصل بالملك الناصر صلاح الدين يوسف و صار من خواصه و لما ملك دمشق و لاه شد الدواوين بدمشق و اعمالها و كان يعتمد عليه و يثق به و كان عز الدين يظهر التنسك و الدين و يقتصد فى ملبسه و سائر احواله و كانت حرمته فى الدولة الناصرية

وافرة

وافرة و لما انقضت الدولة الناصرية و افضت المملكة الى الملك الظاهر
ركن الدين ولّاه وزارة الشام فلما ولى الامير جمال الدين آقوش
النجيبي رحمه الله نيابة السلطنة بالشام حصل بينهما وحشة باطنة وكان
الامير جمال الدين يكرهه لتشيعه فان الامير جمال الدين المذكور كان
غاليا فى السنة وكان عند عز الدين تشيع فكان الامير جمال الدين يسمعه
فى كل وقت من الكلام ما يؤلمه ويهينه فكتب الى الملك الظاهر
يذكر ان الاموال تنكسر وتساق الى الباقى ويحتاج الشام الى مشد
تركى شديد المهابة مبسوط اليد ويكون امور الاموال و الولايات
و العزل راجعة اليه لايعارض فى ذلك و الدرك فى سائر هذه الامور
عليه ليلتزم بتثمير الاموال و استخراجها و زيادة ارتفاعاتها وكان قصده
بذلك رفع يد الامير جمال الدين عن ذلك و توهم ان المشدالذى يتولى يكون ١٤٦/ب
بحكمه يصرفه كيف شاء و يبلغ به مقاصده وكان فى الشد.....(١) المسعودى
و هو شيخ عاقل ساكن ليس فيه عسف ولا شر فرتب الملك الظاهر
فى الشد الامير علاء الدين كشتغدى الشقيرى و بسط يده حسبما اقترح
عز الدين فلم يلبث ان وقع بينهما وكان الشقيرى يهينه بانواع الهوان
فيشكو ما يلقى منه الى الامير جمال الدين النجيبي فلا يشكيه و يقول انت
طلبت مشدا تركيا و قد جاءك الذى طلبت ثم ان الشقيرى كاتب الملك
الظاهر فى حقه و اوغر صدره عليه فورد عليه الجواب بمصادرته فاخذ
خطه بجملة عظيمة يقصر عنها ماله و افضى به الحال الى ان ضربه

(١) بياض فى الاصل - ك .

وعصره وعلقه فى قاعة الشد بدار السعادة وجرى عليه من المكاره مالا يوصف فكان كالباحث عن حتفه بظلفه وباع موجوده واماكن كان وقفها وقام شمنها فى المصادرة ثم طلب الى الديار المصرية فتوجه وحدثته نفسه بالعود الى رتبته فادركته منيته فى الديار المصرية عقيب وصوله اليها فانه تمرض فى الطريق ودخلها وهو مثقل فتوفى ودفن بالقرافة الصغرى قريبا من قبة الشافعى رضى الله عنه وقد نيف على خمس وسبعين سنة رحمه الله ومات فى آخر ذى الحجة من هذه السنة وقيل انه دفن فى مستهل سنة سبع وستين وستمائة وهو فى عشر السبعين وله وقف على وجوه البر وبنى بجبل قاسيون تربة ومسجدا وعمارة حسنة ولم يخلف ولدا ولارزقه فى عمره كله ولا تزوج الا امرأة واحدة فى صباه وبقيت فى صحبته اياما قلائل ثم فارقها كذا اخبرنى علاء الدين ولد اخيه بدر الدين .

١٤٧/الف علي بن عدلان بن حماد (١) بن على ابو الحسن عفيف الدين الموصلى النحوى المترجم كان عالما فاضلا اديبا مفتنا شاعرا توفى بالديار المصرية فى يوم الجمعة تاسع شوال ودفن من الغد بسفح المقطم ومولده بالموصل خامس وعشرين جمادى الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كتب الى قاضى القضاة شمس الدين ابى العباس احمد بن خلكان رحمه الله لغزا :

ايها العالم الذى فضل العا لم علما وسوددا وذكاء

(١) راجع النجوم (ج ٧ ص ٢٢٦) .

و الذي ان دعاه قاص و دان لملم (١) عرا أجاب الدعاء
اى لفظ عكست منه بناء لاترى عكسه يحيل البناء
وهو ان زال قلبه ينظر القلـب كما كان قبل ذاك سواء
هو فى الارض كلها لاترى الربـوة تخلو منه ولا البطحاء
هو فى الغرب موضع وترى التصـحيف فى الشرق بقعة غناء
يدخل الحصن غاديا لايرى الأذن ولو كان ربه عاديا
و له فى طب الطبيب مضاف (٢) ان تأملته تجده دواء
ان تصحف فقرقة عطفت من بعد اخرى فقد كشفت الغطاء
اظلمت طرق حله فابنه عادة الشمس ان تفيد الضياء

ذكر القاضى شمس الدين انه حله فوجده سوس الطعام وكتب اليه القاضى شمس الدين من دمشق الى مصر لغزا فى سراج :

ايها العالم الذى صار حبرا ممارسا
و الذى موضحاته يجتليها عرائسا
اى شىء ترى جميـع الورى منه قابسا
أن فى السرب نصفه حيثما كان كانسا
ثم صحف تمامه تلق ضوءا مؤانسا
و احذفن منه ثالثا تنظرن فيه فارسا
من يصحفه عاكسا يلف فى الليل حارسا

فكتب اليه عفيف الدين فى الجواب :

(١) الاصل « لمسلم » خطأ (٢) كذا .

ايها العالم (١) الذى قام للدين حارسا
والذى مبدعاته البستـــا الطيالسا
صخت لفظا جلوته كان مولاى جالسا
ابدا لابرحت تجـ ـلو المعانى عرائسا
يا ملاذى سررتنى بعد ان كنت عابسا (٢)
والذى انهج المعمـــى وان كان طامسا
شرح الصدر لغزك الـ ـمستنير الحنادسا
انت والله وصفه (٣) لامرىء كان قابسا
صحف الشرح لفظه لا تصحفه عاكسا
فهو من مركب الرجا ل اذا كان فارسا
وهو ان زال ربعه فهو يبدى الوساوسا
جاءنى بعد هجعة لم يخف فيه حارسا
فاقل عثرتى اذا كان ماقلت هاجسا

١٤٧ / ب

وكتب الى قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه الله من القاهرة الى دمشق لغزا فى القطائف المحشو والمقلو وذكر ان البيتين الاخيرين منها لابن عنين :

احاجيك ياقاضى القضاة ومن سمت به الهمة العليا الى المنصب العالى
ومن قد غدا فى كل فن مبرزا على كل حبر كان فى الزمن الخالى
واوضح بالفكر اللطيف عوامضا ثوت برهة ماببننا ذات إشكال
بمطوية طىّ القباطى غذّيت ألذ غذاء ثم علت بجريال

(١) الاصل « العاكم » (٢) الاصل عانسا (٣) كذا .

واخت

واخت لها من جنسها هائم بها جميع الورى لكن لها واحد قالى

عمر بن اسحاق بن هبة الله بن صديق بن محمود بن صالح ابوحفص الامير عماد الدين الخلاطى مولده بخلاط فى منتصف شعبان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وكان فاضلا عالما حازما جلدا خبيرا حسن التأنى (١) كريم الاخلاق جميل العشرة لطيف الحركات حلو المحادثة والمحاضرة توفى بحماة يوم الاحد الخامس والعشرين من المحرم ودفن من الغد ١٤٨ / الف رحمه الله ومن شعره:

كلفت بوجه صاحبَ الحسن صاحبه
تروّى بماء الحسن فاخضرّ شاربه
حوي قصص العشاق خط عذراه
ولا غرو فى الايجاز فالله كاتبه

وله:

لا تعجبن اذا ما فاتك (٢) المطلب
وعوّد النفس ان تشقى وان تتعب (٣)
ان دام ذا الفقر فى الدنيا فلا تعجب
مات الكرام وما فيهم فتًى أعقب

وله:

تجنب من الدنيا ولاتك واثقا اليها وان مالت اليك بمجهود

(١) الاصل « التأنى » (٢) كذا فى النجوم وفى الاصل « فاته » (٣) كذا فى النجوم وفى الاصل « تعتب » خطأ.

فاطيب مأكول بها قيئ نحـلة وآخر ملبوس بها كفن الدود

وله:

يا ليلة الحاجر هل عودة ترى لوصل النازح الهاجر
وهل يعيد الوصل قولى ترى هـل عودة يا ليلة الحـاجر
احبابنـا بانوا فـلم يكتحل بـالغمض من بعدهم ناظرى
كان التمنى فيهم اولى فصار يأسى منهم آخرى
واحربا (١) من عاذل عـادل فى الحكم عن انصافه جائر
يأمرنى بالصبر عنهم ومن اين لقلبي جلد الصابر
أبى شقائى فى الهوى اننى اعيش الا تَعب الخـاطر
فيا مريقا دم عشـاقـه بصارم من طرفه السـاحر
بالاسود الفاتر حتى متى تفعل فعل الابيض البـاتر

وله:

سبت فؤاد المعنى لواحظ منك ومنى
يمرضننا حيث ترنو(٢) وهن امرض منّا
يا اكثر الناس حسنا اقلّهم انت حسنى
رد(٣) الرقاد لعل الـ خيال يطرق وهنـا

وله:

ولما دنا عمن اؤمل قربه بعادا اذاب القلب بين الجوانح
وسارت(٤) نواجى العيس عن ارض بارق ١٤٨ / ب
بكل نضير الخـد للبدر فاضح

---

(١) لعله واحزنا (٢) الاصل «ترنو» خطأ (٣) لعله «ذر» (٤) الاصل «سارت» =

وعاينت

وعاينت وخد (١) الراقصات عشية
وهزّ حدوج القوم بين الصحاصح
والفيت ابناء الهوى شارفوا اسىً منايام ما بين باك ونائح
ربحت دنو الدار دهرا قضيته وكنت غداة البين آخر رائح

وله :

سحرته ألحاظ الحسان كما ترى وغذته البان الهوى فتحيّرا
وغدا يصون لذكر نجد دمعه (٢) فلاجل ذلك ما جرى الا جرى
يا طرف دع شكوى السهاد جهالة انت الذى فى بحره غرق الكرى
وانا الذى اصبحت انزح ماءة أبغى الغريق به وها انا لاأرى
تشكو وانت جنيت (٣) اسباب الهوى حتى حنيت (٤) بها العذاب الاكبر
ما كنت فى خلدى لرائعة النوى قبل الحمام مقدرا ومصورا (٥)
فدنا بها زمن اساء ولم يكن من قبلها بنوى الاحبة انذرا
وابادنى ببعاد اهيف خده كالورد أزهر فوق غصن ازهرا
فسرى الفؤاد وما اقام وحبه بين الجوانح قد اقام وما سرى

وله :

ومهفهف رطب المعاطف ناعم عذب المراشف طيب الانفاس
جمع المحاسن وجهه فكأنما هو روضة راقت على منعاس (٦)

= بدون واو العطف خطأ (١) الاصل « وجد » خطأ (٢) الاصل دمعة »
(٣) الاصل « حنيت » (٤) كذا ولعله حبيت (٥) الاصل « اومصورا » خطأ
(٦) كذا .

فالنرجس الطرف المضاعف لوعتى واقاحها ثغر جنى وسواسى
والخد يبدو محدقا بعذاره كالورد حفّ به جنىّ الآس
سبحان من انشاه من احسانه حسنا فأصبح فتنة للناس

قال كنت مجردا مع العسكر الناصرى على غزة سنة خمسين وستمائة وضجر العسكر من التجريد وطول المدة وكان الناس يقولون ان الشيخ نجم الدين البادرانى (١) رسول الخليفة خرج من دمشق متوجها الى الديار المصرية للصلح بين الملك الناصر وصاحب مصر وبعضهم يقول ما خرج فعملت:

قالوا الرسول اتى وقالو انه ما رام يوما عن دمشق نزوحا
كثر الخلاف وما ظفرت بمسلم يروى الحديث عن الرسول صحيحا

١٤٩ / الف وكان عماد الدين المذكور له حرمة وافرة عند الملوك ومكانة لطيفة منهم وكان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل شديد المحبة له والوثوق به والميل اليه والاعتماد عليه لا يفضل عليه احدا من خواصه واصحابه وكان مستحقا لذلك ولما هوا بلغ منه، حكى لى الامير عزالدين محمد بن ابى الهيجاء رحمه الله عنه ما معناه انه قال لما مات الملك الاشرف رحمه الله واستولى الملك الصالح عماد الدين على دمشق وما معها مما كان بيد الملك الاشرف من البلاد بالشام بلغه خروج الملك الكامل من الديار المصرية لقصده وانتزاع البلاد منه وعلم انه يعجز عن مقاومته وانه متى اظهر الانقياد الى الملك الكامل تخلل عنه سائر من عنده من

(١) صوابه البادرائى وقد تقدم آنفا.

الامراء وغيرهم طلبا للحظوة عند الملك الكامل فلا يحصل على مقصوده
منه: قال عماد الدين ما معناه فاتفقت معه فى الباطن على ان يختلق لى
حجة ويضربنى بمحضر من الامراء واعيان الدولة ويعتقلنى ويأخذ
موجودى ففعل بى ذلك واظهر انه اطلع على انى كاتبت الملك الكامل
وبقيت فى الجب اياما ثم شفع فى فأخرجنى بعد ان قطع خبزى
وابعدنى عنه فركبت وقصدت الملك الكامل فوافيته فى الطريق فلما
قيل له عنى تعجب وقال كيف يفارق هذا لأخى مع وثوقه به ومحبته
له فقيل له ما وقع فى حقى فسكت واكرمنى وعدت معه فلما كان بعد
يومين من وصولى الى خدمته كتبت اليه ورقة مضمونها سؤال الحضور
بين يديه خلوة فأحضرنى ليلا واخلى مجلسه وقال لى قل فقلت لما
كنت فى الجب بقلعة دمشق حملت رسالة الى مولانا السلطان وحلفت
ان لا اقولها الا بعد ان يحلف مولانا السلطان باليمين التى استحلفه
بها انه لا يطلع عليها احدا من خلق الله تعالى فقال نعم الا يوسف بن
الشيخ(١) (قا عن العجوز سمر محجوز) فقلت ياخوند الا الامير فخر الدين
ابن الشيخ فأمر باحضار المصحف الكريم واستحلفته على ما اردت
فلما فرغ من اليمين قمت وقبلت الارض وقلت ياخوند مملوك مولانا ١٤٩ / ب
السلطان اسماعيل يقبل الارض فعند ما ذكرت ذلك نهض قائما وخدم
وتهلل وجهه وقال قل فقلت يقول انه ما كان يحتاج مولانا السلطان
يتكلف الحركة بل كان سير قرا غلام من بابه الكريم بمثال شريف

(١) هو فخر الدين يوسف بن محمد بن عمر الجوينى استشهد سنة ٦٤٧ هـ ك .

منه سلم اليه البلاد وحضر بنفسه معه وليس هو عند نفسه ممن يقاوم
مولانا السلطان او يمانعه فقال اكتب اليه واخدمه منى وقل له يطيب
قلبه ويحصن مدينته ويجتهد عـلى حفظها فانى ما اختار اكسر حرمـة
اخى ولا حرمة دمشق عند الملوك ولا يزال على الى ان اقول له
ما يفعل ثم قال لى والله كنت قد سقطت من عينى بمفارقتك لاخى
والآن فقد نبلت عندى وعظمت فى صدرى فقبلت الارض ودعوت
له: قال عماد الدين فكتبت الى الملك الصالح وعرفته ذلك وجاءنى
الجواب ولم تزل المكاتبة بيننا متواصلة فكنت اوقف الملك الكامل
على كتب الملك الصالح واكتب ما يأمرنى به وحضر الملك الكامل وحاصر
دمشق وانا كل وقت اتقاضاه فى تسلم البلد وهو يقول اصبر فلما
كان فى بعض الايام طلبنى فدخلت عليه فوجدته شديد الغضب لقتل
بعض الامراء الاكابر من اصحابه فلما وقفت بين يديه انتهرنى وقال
وصلنا الى هذا الحد فقلت يا خوند لو رسمت دخلت القلعة يوم وصولك
لكن مولانا السلطان اقتضى رأيه الشريف ان يجرى الامر على هذه
الصورة فقال اكتب اليه وقل له يخرج فقد اخذت المسألة حقها وايش
يريد اعطيه حتى احلف له عليه فقلت ياخوند هو مملوك مولانا السلطان
واخوه ومايقترح شيئا بل مهما تصدق به مولانا السلطان عليه قبله وان
رسم ان يكون رمحه تحت ركاب مولانا السلطان فى الحلقة فهو راض
بذلك فقال لا والله الا اعطيه من البلاد ما يرضيه فكتبت اليه فخرج ١٥٠/الف
تلك الليلة بالليل فتلقاه الملك الكامل وبالغ فى احترامه واعظامه واعطاه

بعلبك واعمالها وبصرى وغير ذلك وجميع الحواصل واعاده فى ليلته الى القلعة فبات بها ثم خرج من القلعة وضرب دهليزه قريب دهليز الملك الكامل وكل يوم يحضر الى الخدمة فيجد من اكرامه ما لا كان يرجوه، فلما كان بعد ايام قال لى الملك الكامل ما تقول للولى الملك الصالح يروح الى بلاده فقلت يا خوند يريد سنجقا وخلعة قال ايش هذا الكلام؟ الملك الصالح ملك مثلى يريد خلعة و سنجقا قلت والله ياخوند ما يروح الا بهذا قال بسم الله وسير له خلعة عظيمة وعدة خيول وعشرة آلاف دينار مصرية وسنجقا فتوجه الى بعلبك وودعه الملك الكامل ثم قلت للملك الكامل يا خوند مملوك مولانا السلطان ليس له مكان يجيئه منه سكر يأكلـه وما يحسن به ان يشترى السكر فى ايام مولانا السلطان فأطلق له قرى فى الغور يتحصل منها جملة عظيمة من السكر وغيره وسافر الى بعلبك على هذه الجملة واعطانى من ذلك الذهب خمسمائة دينار اشتريت بها مملوكا، و والده ابو البشـائر قاضى خلاط كان فقيها شافعيا عالما اصوليا واعظا شاعرا حسن الكلام فى الوعظ والتذكير، له مصنفات فى علم الاصول وكان من محاسن القضاة وظرافهم يرجع الى عفاف ونزاهة ودين قدم مدينة اربل واستوطنها الى ان توفى بها يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة ومن شعره رحمه الله:

وقفت وربع العامرية داثر ودمعى ووجدى سابق متواتر
وقفت وذكراها تجدد لوعتى وابكى كما تبكى الغوادى البواكر

واذكر اياما مضت ولياليا   واظهر فيها ما تجن الضمائر
غداة النقا بالباهلية آهل   وحين الصفا بالعامرية عامر
وقفت ادير الطرف فى عرصاتها   واطلالها دارت عليها الدوائر
١٥٠/ب ومن حب تلك الغانيات عواطلا   لقد سكنت فيها المها والجآذر
لنفرة انسى وانتفاء (١) بمالكى   تملك ربع الآنسات النوافر
تخالفنى الآمال فى سائر المنى   ووافقنى بيت من الشعر سائر
(كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا   انيس ولم يسمر بمكة سامر)
فقلت لصحبى قد ثنتى عزيمة   اوائل حزن ما لهن أواخر
الى اشرف الاملاك موسى الذى له   اياد على وجه الزمان زواهر

ومن شعره:

قالوا الهلال وعندى فى مجالستى   بدر بوجه على شمس الضحى سادا
وفى فؤادى لهذا البدر منزلة   ما نالها احد قبلى ولا كادا
ليس الهلال بمحبوب لذى ارب   وان حبيناه احيانا واعيادا
هذا يزيد حياتى فى مجالستى   وذاك ينقص عمرى كلما زادا

محمد بن حامد بن كعب المنعوت (٢) بالقمر الشروى الاصل البعلبكى المولد والمنشأ والوفاة كان جسيما وسيما شجاعا شديد القوى وهو مع ذلك رقيق الحاشية يذاكر بالاشعار والحكايات والنوادر وهو عنده مكارم اخلاق وفتوة ومروءة وعصبية وحسن عشرة ومعرفة بالأكابر والأعيان وكلمته مسموعة عندهم وحرمته وافرة لديهم وكانت

(١) لعله وانتفاعى (٢) الاصل «المعوب».

وفاته ببعلبك فى شهر المحرم و دفن بظاهرها وهو فى عشر الثمانين رحمه الله.

محمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن محمد بن قاسم بن محمد ابن ابراهيم بن محمد بن على بن عبيد الله بن على بن عبيد الله بن ا لحسين ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ابو عبد الله الحسينى الكوفى الاصل المصرى المولد والدار المعروف والده بالحلبي مولده عشية السادس و العشرين من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث و سبعين وخمسمائة بالقاهرة قرأ القرآن الكريم واشتغل بالعربية والاصول و برع فيهما وسمع من ابى طاهر محمد بن محمد بن بيان الانبارى و الشريف ابى محمد عبدالله ابن عبد الجبار العثمانى و ابى محمد عبد القوى بن ابى الحسن القيسرانى ١٥١/ الف و الامير ابى الفوارس مرهف بن اسامة بن منقذ و آخرين غيرهم وحدث وأقرأ العربية و غيرها مدة: وكان عالما فاضلا رئيسا صدرا كبيرا ذا فنون متعددة و معارف جمة مع ما هو عليه من حسن الطريقة وكرم الاخلاق وكان مؤثر الانفراد و التخلى محبا فى الانقطاع و العزلة وعدم الاختلاط بالناس ذا جد وعمل وعبادة و ابوه ابو القاسم عبد الرحمن كان كان (١) الفضلاء المشهورين و له تصانيف حسنة و طريقة جميلة رحمه الله وكانت وفاة الشريف ابى عبد الله محمد المذكور ضحى نهار السادس من صفر بالقاهرة و دفن من يومه بسفح المقطم رحمه الله .

قليج ارسلان بن السلطان غياث الدين كيخسرو بن السلطان علاء الدين كيقباذ (٢) بن كيخسرو بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج

(١) مكرر ولعل مكانه احد (٢) النجوم كيقباد .

ارسلان بن سليمان بن قطلمش بن آتس (١) بن اسرائيل بن سلجوق بن دقاق (٢) السلطان ركن الدين السلجوقى صاحب الروم كان ملكا جليلا شجاعا كريما لكنه لم يكن احكمته التجارب فترك الحزم و فوض الامور الى معين الدين سليمان البرواناة و اشتغل بلهوه فاستقل البرواناة بالتدبير و استفحل امره ثم رام ركن الدين قتله و الراحة منه و استشعر البرواناة ذلك منه فعمل على قتله حتى قتل فى هذه السنة، و شرح الحال فى ذلك ان البرواناة لما عظم شأنه و استولى على الممالك و لم يبق للسلطان ركن الدين معه كلمة استشعر البرواناة منه فرتب ضياء الدين محمود بن الخطير معه حريفا و نديما ليطلعه على سره فى حال السكر و يكون عينا للبرواناة عليه فحمل السلطان ركن الدين السكر على ان قال لضياء الدين ابن الخطير قد اتخذت سكينا لقتل البرواناة وكانا بقونية فكتب ضياء الدين الى اخيه شرف الدين بن الخطير يعرفه فأخبر شرف الدين البرواناة بذلك فكتب البرواناة الى ابغا يذكر أن نية ركن الدين قد تغيرت فيك ١٥١ / ب و ربما كاتب صاحب مصر ليسلم اليه البلاد فعاد الجواب اذا (٣) ثبت ذلك عند نوابى المغل فافعل ما تختار ثم ان ركن الدين بعث يستدعى البرواناة فكتب اليه خواجا على الوزير يحذره من الوصول اليه فقصد البرواناة امراء المغل وهم تابشى و ينال وكداى و برد و ابكان و نوغاتمر (٤)

---

(١) كذا وفى النجوم (ج ٧ ص ٢٢٦) «أتسز» وبها مشه «فى الاصلين غير واضح و ما اثبتناه عن تاريخ الاسلام و عيون التواريخ» (٢) النجوم «دقاق» (٣) الاصل «اذ» (٤) لعل الصواب بوغاتمر بالباء التحتية - ك.

و غيرهم

وغيرهم بهدية سنية ففرقها فيهم وعرفهم ان السلطان ركن الدين استدعاه ليقتله ويتمى الى صاحب الديار المصرية ويقتلكم عن آخركم فرحلوا معه وقصدوا أقصرا فلما وصلوها كتبوا الى السلطان ركن الدين كتابا يطلبون الحضور ليجتمع معهم على مصلحة امرهم بها ابغا، فلما وقف على الكتاب خرج من قونية واشار عليه خواصه ان لايفعل فلم يصغ الى رأيهم فلما بلغ البرواناة قدومه ركب ومعه المغل فلما التقوا ترجل البرواناة على عادته وقبل الارض فقال له السلطان كيف انت يا أبي؟ فقال ياخوند تقصد قتلي وتسأل عني فقال له حاشاك ثم نزل الى الدار وشرب مع المغل فدك عليه (١) البرواناة سما فادرك ذلك فخرج وقاء ما شربه وركب فرسه وانصرف لينجو بنفسه فتبعه الصاحب فخر الدين خواجا وتاج الدين مبشر وغيرهما واشاروا عليه بالرجوع ليقرأ عليه يغلغا فقال لهم انى اخاف من القتل فحلفوا له فرجع معهم وانزلوه بخركاه نابشى بمفرده ولم يصحبه غير مملوك واحد وجميع من كان معه من الجند والمماليك وقوف على بعد ثم دخل عليه المغل وفاوضوه فى الكلام وقالوا له لم عزمت على قتل البرواناة فقال لم يكن ذلك وان كنت قلته ففي حال السكر فقالوا: ان أردت ان تنجو فقل لنا من كان اتفق معك على قتله؟ فذكر لهم جماعة فلما سماهم لهم قام احد المغل ووضع فى حلقه وترا وخنقه به حتى مات، وكان حول الخركاه جماعة من المغل ١٥٢ الف يصفقون ويلغطون لكى لا يسمع صوته وضربه شرف الدين بن الخطير

(١) كذا ولعله فدس اليه .

فكسر يده ثم جعلوه فى محفة وكتموا موته واذاعوا انـه ضعيف ولم يزالوا يدخلون عليه فى سيره بالمأكول والمشروب الى أن وصلوا قونية فاظهروا موته وانه وقع من على الفرس فمات وكان عمره يومئذ ثمانى وعشرين سنة واجلسوا ولده غياث الدين كيخسرو على التخت .

السنة السابعة والستون وستمائة

دخلت والخليفة والملوك على القاعدة فى السنة الخالية خـلا السلطان ركن الدين قليج ارسلان صاحب الروم فانه قتل وولى بعده ولده السلطان غياث الدين كيخسرو كما تقدم .

متجددات هذه السنة

استهلت والملك الظاهر بقلعة الجبل وفى يوم الخميس تاسع صفر جلس فى الايوان بالقلعة واحضر القضاة والشهود وتقدم بتحليف الامراء ومقدمى الحلقة لولده الملك السعيد فحلفوا ثم ركب الملك السعيد يوم الاثنين العشرين من الشهر بأبهة الملك فى القلعة ومشى والده امامه فى القلعة وكتب له تقليد وقرئ على الناس بين يدى الملك الظاهر بحضور الصاحب بهاء الدين واعيان الامراء والمقدمين .

وفى يوم السبت ثالث (١) عشر جمادى الآخرة خرج الملك الظاهر من قلعة الجبل متوجها الى الشام ومعه الامراء بأسرهم جرائد واستناب بالديار المصرية فى خدمة ولده الامير بدر الدين الخازندار ومن ذلك التاريخ علم الملك السعيد على التواقيع والمناشير وغيرها ووردت اليه

(١) النجوم (ج ٧ - ص ١٤٤) « ثانى » .

كتب والده وكتب نواب بسائر المملكة .

ولما استقر الملك الظاهر بدمشق وصل اليه رسل من التتر مجد(١) الدين دولة خان ابن جاقر و سيف الدين سعيد ترجمان وآخر من المغل ومعهم جماعة من اصحاب سيس فأنزلهم بالقلعة واحضرهم من الغد وادوا الرسالة ومضمونها: ان الملك أبغا لما خرج من الشرق تملك جميع العالم ومن خالفه قتل فانت لو صعدت الى السماء او هبطت الى الارض ما تخلص منا فالمصلحة ان تجعل بيننا صلحا وانت مملوك أبعت فى سيواس فكيف تشاقق ملوك الارض فأجابهم من وقته بانه فى طلب جميع ما استولوا عليه من العراق والجزيرة والروم والشام وسفّرهم .

١٥٢/ب

ووصل اليه الامير سيف الدين محمد بن الامير مظفر الدين عثمان ابن ناصر الدين منكورس صاحب صهيون باستدعاء وقدم مفاتيح صهيون فخلع عليه وابقاه على ما فى يده .

وفى آخر شهر رجب خرج الملك الظاهر من دمشق فنزل خربة اللصوص فأقام بها اياما ثم ركب ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان ولم يشعر به احد وتوجه الى القاهرة على البريد بعد ان عرف الفارقانى انه يغيب اياما معلومة وقرر معه انه يحضر الاطباء كل يوم ويستوصف منهم ما يعالج به متوعك يشكو تغير مزاجه ليوهم ان الملك الظاهر هو المتوعك فكان يعمل ما يصفونه ويدخل به الى الدهليز ليوهم العسكر

(١) النجوم «محب» .

صحة ذلك و وصل الى قلعة الجبل ليلة الخميس حادى عشرى (١) شعبان و اقام بها اربعة ايام ثم توجه ليلة الاثنين خامس عشرى(١) الشهر على البريد فوصل الى العسكر تاسع عشرينه وكان غرضه كشف حال ولده و غيره .

و فى يوم الاحد سادس عشر شهر رمضان تسلم نواب الملك الظاهر قلعة بلاطنس و قلعة بكسرايل بن (٢) عز الدين احمد بن مظفر الدين عثمان بن منكورس بن جيردكين صاحب صهيون و عوضه عنهما قرية تعرف بالحملة(٣) من اعمال شيزر كانت اقطاعا لمظفر الدين فى الدولة الناصرية و بعث اليهما نوابا و اموالا و ذخائر و سلاحا .

و فى يوم الخميس العشرين من رمضان توجه الملك الظاهر الى صفد فاقام بها يومين ثم شنّ الغارة على بلد صور و اخذ شيئا كثيرا و سبب ذلك انه لما كان نازلا على خربة اللصوص رفعت اليه قصة من امرأة تذكر ان ولدها دخل صور فقبض عليه و قتل .

١٥٣/ الف

و فيها عيّد الملك الظاهر عيد الفطر بالجابية و صلى به الشريف شمس الدين سنان بن عبد الوهاب الحسينى خطيب المدينة النبوية صلوات الله على ساكنها و سلامه وكان قد وصل رسولا من حجاز فى السنة الخالية فحبسه الملك الظاهر بقلعة دمشق ثم اطلقه فى شهر رمضان هذه السنة لرؤيا رآها وكتب له تواقيع باجرائه على عادته فى خطابته و قضائه و ادرار ما لمتولى المدينة بديار مصر و الشام من الوقوف و الرواتب

(١) النجوم « عشرين » (٢) النجوم « كرايل من » (٣) النجوم « الحميلة »

ثم جهزه و جهز معه الطواشي جمال الدين محسن و بعث معه خمسمائة غرارة من الكرك يفرقها فيمن بالمدينة من الضعفاء و المجاورين ثم رحل الى الفوار و اقام به الى خامس عشرى (١) شوال ثم توجه الى الكرك فوصله فى اوائل ذى القعدة ثم توجه فى سادسه الى الحجاز و صحبته بدر الدين الخازندار و صدر الدين سليمان الحنفى و فخر الدين بن لقمان و تاج الدين بن الاثير و نحو ثلاثمائة مملوك و جماعة من اعيان الحلقه فوصل المدينة الشريفة فى العشر الأخر من الشهر فاقام بها ثلاثة ايام وكان جماز قد طرد مالكا عن المدينة و استقل بامارتها فلما قدم الملك الظاهر هرب من بين يديه فقال الملك الظاهر لو كان جماز يستحق القتل ماقتلته لأنه فى حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم تصدق فى المدينة بصدقات كثيرة و خرج منها متوجها الى مكة فوصلها ثامن ذى الحجة فخرج اليه ابونمى و عمه ادريس صاحبا مكة و بذلا له الطاعة فخلع عليهما و سارا بين يديه الى عرفات فوقف بها يوم الجمعة ثم سار الى منى ثم دخل مكة و طاف الافاضة و صعد الكعبة و غسلها بماء الورد و طيبها بيده ثم اقام يوم الاثنين ثالث عشر ذى الحجة ثم توجه الى المدينة الشريفة فزار بها قبر النبى صلى الله عليه و سلم مرة ثانية ثم توجه الى الكرك فوصله يوم الخميس تاسع عشرى منه فصلى به الجمعة ثم توجه الى دمشق فوصل يوم الاحد ثانى المحرم سنة ثمان و ستين و ستمائة سحرا فخرج الامير جمال الدين النجيبى فصادفه فى سوق الخيل فاجتمع به ثم سار ١٥٣ / ب

(١) النجوم « عشرين » .

الى حلب فوصلها في سادس المحرم ثم خرج منها في عاشره و سار الى حماة ثم الى دمشق ثم الى مصر فوصلها يوم الثلاثاء ثالث صفر وكان الركب قد خرج من مصر صحبة الامير عزالدين الأفرم و فيه والدة الملك السعيد و والدة الخازندار و الصاحب زين الدين احمد بن الصاحب فخر الدين والصاحب تاج الدين اخوه و اتفق وصول الركب الى البركة ووصول الملك الظاهر فدخلا يوم الاربعاء رابع صفر .

و في هذه السنة تقدم الملك الظاهر بالحوطة على املاك حلب بأسرها و ان لايفرج عن شيء منها الآ بكتاب عتيق من الايام الناصرية او ما قبلها .

و في سابع عشرى ذى الحجة هبت ريح شديدة عاصف بالديار المصرية غرقت مراكب في النيل نحوا من مائتى مركب فهلك فيها خلق كثير و امطرت قليوب مطرا غزيرا وكان بالشام من هذه الريح صقعة احرقت الاشجار .

ذكر ماتجدد في هذه السنة من حوادث بلاد الشمال والعجم

منه عصيان باكودر بن عم برق و قيل اخوه على أبغاوسبب ذلك ان برق بعث الى عمه سرّا يشير عليه ان يخرج من طاعة ابغا و ينضم الى منكوتمر فاطلّع ابغا على ذلك فاستدعى المذكور فامتنع من الحضور وكان بقربه طائفة من عسكر أبغا فبعث طلبهم فأجابوه خوفا منه فرحل

بهم

بهم نحو بلاد منكوتمر فلما بلغوا اعمال تفليس اظهروا الخلف عليه وكانوا ثلاثة آلاف فارس و بعثوا الى ابغا يعرفونه فجمع اكابر دولته واستشارهم فأشاروا بارسال عسكر يقفوا اثره فبعث اباطى ومعه ثلاثة آلاف فارس و استدعى البرواناة و صمغرا و من معهما من العساكر فلما حضروا اردف بهم اباطى فلحقوه فكانت عدتهم ثلاثين الفا و دخلوا بلاد باباسركيس ملك الكرج و عضدهم بالفى فارس فلما التقى الجمعان كانت الكسرة على باكودر و نجا بنفسه فى ثلاثمائة فارس و انحاز باقى عسكره الى عسكر ١٥٤ / الف ابغا و أخذ باكودر نحو جبال الكرج وكان بها نبات مسموم فرعته دوابه فهلكت فلم يبق معه غير اربعة عشر فرسا فقصد ابغا مستسلما فعفا عنه ثم قصد ابغا بلاد بابا سركيس و استولى منها على قلاع كان قد تغلب عليها الكرج و اخذوها من الملك الاشرف بن العادل رحمه الله وهى موكرى (١) وقلعة مامرون وقلعة اولبي وكان بها بعض الكرج و طائفة من المسلمين فجلا الكرج عنها و ابقى المسلمين و عاد عسكر ابغا الى اردوه و صمغرا و البرواناة الى بلادهم، و لما بلغ برق ما جرى على ابن عمه باكودر جمع و حشد و قصد تبشير (٢) اخا ابغا فكسره واستأصل رجاله و نهب حريمه فبعث تبشير (٢) الى اخيه يستصرخه ويحرضه فعزم على قصده و بعث الى اطراف بلاده لطلب عساكره وسيأتى ذكره فى سنة ثمان وستين ان شاء الله تعالى.

---

(١) كذا فى الاصل و لا اتحقق اسماء هذه الاماكن - ك (٢) كذا فى الاصل - ك - و فى النجوم (ج٧ص٢٢١) «تبشير» و قد تقدم التنبيه عليه فى (ص٣٥٩) من هذا الكتاب .

فصل

وفيها توفى ابراهيم بن عيسى بن يوسف ابواسحاق المرادى الاندلسى كان فاضلا عالما عابدا ورعا وافر الديانة كثير الضبط و التحقيق لما يكتبه سمع وحدث وباشر امامة المدرسة الباذرانية بدمشق مدة وحصل كتبا جيدة نفيسة و وقفها على من ينتفع بها من المسلمين وجعل نظرها الى علاء الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق المعروف بابن الصائغ (١) رحمه الله، وكانت وفاة الشيخ ابى اسحاق المذكور بالديار المصرية فى ليلة الخامس من ذى الحجة و دفن من الغد بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة الامام الشافعى رضى الله عنه و هو فى عشر السبعين رحمه الله.

ابراهيم بن ....(٢) ابو زهير المباحى كان يجنى المباح من جبل لبنان و غيره و يتقوت به و لم يزل على ذلك الى ان اقعد فى آخر عمره فانقطع فى مغارة ظاهر باب دمشق من مدينة بعلبك يتعبد بها الى ان توفى الى رحمة الله تعالى ليلة الثلاثاء رابع و عشرين جمادى الاولى وقد نيف على المائة سنة، وكان رجلا صالحا متعبدا سليم الصدر جدا و دفن ١٥٤/ب بمغارته رحمه الله.

احمد بن عبد الواحد بن مرى بن عبد الواحد ابو العباس تقى الدين المقدسى الحورانى مولده فى نصف صفر سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة سمع و حدث وكان من المشايخ الصلحاء العلماء الزهاد العباد الجامعين بين العلم و الدين و الفضيلة و الزهد فى الدنيا و اهلها وعنده جد واجتهاد

---

(١) توفى سنة ٦٧٤ - ك (٢) بياض فى الاصل - ك.

وقوة نفس واقدام وتجرد وانقطاع ومعرفة بطريق القوم وكانت وفاته فى شهر رجب بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن بها رحمه الله .

ايدمر بن عبد الله الامير عز الدين الحلى الصالحى النجمى كان من اكابر امراء الدولة واعظمهم محلا عند الملك الظاهر وكان نائب السلطنة عنه بالديار المصرية فى حال غيبته عنها لوثوقه به واعتماده عليه وسكونه اليه وكان قليل الخبرة لكن رزق من السعادة ما مشى امـوره وكان محظوظا فى الدنيا له الاموال الجمة والمتاجر الكثيرة والاملاك الوافرة واما ماخلف من الخيول والجمال والبرك والعدة فيقصر الوصف عنه، وكانت وفاته بقلعة دمشق فى يوم الخميس سابع شعبان ودفن بتربته بسفح قاسيون جوار مسجد الامير جمال الدين موسى بن يغمور رحمه الله وقد نيف على الستين من العمر رحمه الله .

الحسن بن على بن ابى نصر ابن النحاس ابو البركات شهاب الدين الحلبى المعروف بابن عمرون منسوب الى جهة الأم التاجر المشهور كانت له نعمة ضخمه ومتاجر كثيرة واموال عظيمة وحرمته وافرة ومكانته عند الملك النـاصر صلاح الدين يوسف وسلفه واكابر امراء الدولة عظيمة ومنزلته لديهم رفيعة، ولما ملك الملك الناصر دمشق كان المذكور اذا قدم عليه بالغ فى اكرامه وتلقيه واقامة حرمته وانزاله فى اجل الاماكن وترتيب الاقامة له مدة مقامه وسائر ارباب الدولة يعاملونه بما يناسب ذلك ولما استولى التتار عـلى حلب سنة ثمان وخمسين ١٥٥ / الف

لم يتعرضوا لداره و ما يجاورها من الدرب جملة كافية كأنه ضمن لهم مبلغا كثيرا على ان يحموها من النهب ففعلوا و آوى اليها و الى دربه من اهل حلب و غيرهم و من الاموال ما لا يحصى كثرة فشملت السلامة لذلك جميعه و قام لهم بما كان التزمه من صلب ماله و لم يستعن(١) على ذلك بما لأحد ممن آوى اليه فكانت هذه مكرمة له و تمزق معظم امواله و خربت املاكه و بقي معه اليسير بالنسبة الى اصل ماله فتوجه بـــه الى الديار المصرية فى اوائل الدولة الظاهرية فلزمه مغرم عظيم للسلطان اتى على قطعة وافرة ممـا تبقى معه و استوطن ثغر الاسكندرية الى ان توفى الى رحمة الله تعالى بالاسكندرية فى يوم الجمعة ثالث و عشرين شعبان و دفن هناك رحمه الله و قد نيف على الثمانين سنة بقريب ثلاث سنين وكان عنده رياسة و سعة صدر وكرم طباع يسمح ما تشحّ انفس التجـار ببعضه اطلاقا و قرضا و اكابر الحلبيين يعرفون رئاسته و تقدمـــه لا ينكرون ذلك، و ابو نصر المذكور هو فيما اظن محمد بن الحسين بن على ان النحاس الحلبي كاتب تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس و هو صاحب المكاتبة الى سديد الملك بن منقذ (٢) صاحب شيزر .

و شرح الحال فى ذلك ان سديد الملك ابا الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني كان يتردد الى حلب قبل تملكه شيزر و صاحب حلب يومئذ محمود المذكور فجرى امر خاف سديد الملك على نفسه منه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يوم ذاك جلال الملك بن

(١) الاصل يستعين (٢) هو ابو الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ ـ ك .

عمار فأقام عنده فتقدم محمود بن صالح الى كاتبه ابى نصر محمد المذكور ان يكتب الى سديد الملك كتابا يشوقه و يستعطفه و يستدعيه اليه ففهم الكاتب انه يقصد له شرا وكان صديقا لسديد الملك فكتب الكتاب كما امر الى ان بلغ الى ان شاء الله تعالى فشدد النون و فتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على ابن عمار ومن بمجلسه من خواصه ١٥٥/ ب فاستحسنوا عبارة الكتاب و استعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه و ايثاره لقربه فقال سديد الملك انى ارى فى الكتاب ما لا ترون ثم اجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب فى جملة الكتاب انا الخادم المقر بالانعام وكسر الهمزة من انا وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود و وقف عليه الكاتب سرّ بما فيه و قال لاصدقائه قد علمت ان الذى كتبته لا يخفى على سديد الملك و قد اجاب بما طيب نفسى وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى : (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) فأجاب سديد الملك بقوله تعالى : (انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها) فكانت هذه معدودة من تيقظ الكاتب و فهمه و تيقظ سديد الملك ابن منقذ ايضا و افراط ذكائه و فطنته وكلاهما غاية فى ذلك و ابن منقذ اشد فطنة فى هذا الموطن و الله اعلم .

سليمان بن داود بن موسك ابو الربيع الروادى الهذبانى اسد الدين ابن الامير عماد الدين بن الامير عز الدين من بيت الامرة و التقدم و الاختصاص بالملوك كان والده عماد الدين اخص الناس بالملك الاشرف ابن العادل واظن بينهما قرابة من جهة النساء و جدّه الامير عز الدين

موسك كان من اكابر امراء صلاح الدين وذوى المكانة عنده وله به اختصاص عظيم وقرب كثير موصوف بالكرم والفطنة اما كرمه فمشهور لم يخيب مؤمله بل ينوله مقصوده بماله وجاهه، واما فطنته فحكى لى عنه ان ركن الدين محمد الوهرانى (١) المشهور كان قدم الديار المصرية فى الايام الصلاحية وتعرض للامير عز الدين مسترفدا له فأمر له بشىء لم يرضه فحضر بجلس الامير عز الدين احفل ما يكون وقال يا مولانا قد احتجت ان احلق رأسى فى هذه الساعة واشتهى ان تأمر بعض الطشت دارية ان يحلقه بحضرتك فأمر بذلك فلما حضر الحلاق فهم الامير عز الدين ما اراد بذلك فقال لبعض مماليكه اعطه (٢) مائة دينار وقال له يا ركن الدين

١٥٦/الف احلق بها رأسك غيرهنا فأخذها وانصرف وهو شاكر فقال بعض الحاضرين للامير عز الدين فى ذلك فقال اراد ان الحلاق اذا حلق يقول له يا مهتار موسك بحس فيشتمنا فى وجوهنا بحضوركم فافتدينا منه بهذه الدنانير فعرف بذكائه مراد الوهرانى، وكان اسد الدين صاحب هذه الترجمة عنده فضيلة وله يد جيدة فى النظم وترك الخدم وتزهد ولازم مجلس العلماء ولبس الخشن من الثياب وكان له نعمة عظيمة ورثها من ابيه فأذهب معظمها ولم يبق له الا صبابة يسيرة تقوم بكفايته يقتنع بذلك الى حيث توفى الى رحمة الله تعالى بدمشق فى يوم الثلاثاء مستهل جمادى الاولى من هذه السنة، ودفن بسفح قاسيون ومولده بالقدس

(١) هو محمد بن محرز او عبد الله المغربى كان صاحب مجون توفى سنة ٥٧٥ ــ ك
(٢) الاصل اعطيه .

الشريف في حدود سنة احدى وستمائة اوستمائة تقريبا رحمه الله ومن شعره:

ما الحب الآّ لوعــة وغرام   لحذار ان يثنيك عنــه ملام
الحب للعشـاق نار حرهـا   برد عـــلى اكبادهم وسلام
تلتذّ فيه جفونهم بسهادها   وجسومهم اذ شفها (١) الاسقام
ولهم مذاهب في الغرام وملة   انا في شريعتها الغداة امام
ولهم وللاحباب في لحظاتهم   خوف الوشاة رسائل وكلام
لطفت اشارتها ودقت في الهوى   معنًى لحارت دونها الأفهام
وتحجبت انوارهـا عن غيرهم   وجلت (٢) لهم اسرارها الاوهام

ومنها:

فاليك عذلي (٣) فان مسـامعي   ما للملام بطرقهـا المـام
أيروم سلواني الوشاة بنصحهم   كلا وان قعدوا لذاك وقاموا
انا من يرى حبّ الحسان حياته   فألام في حب الحياة(٤) ألام
عزي اذا كان الحبيب يذلني   وتلذذي في الحب حين اضام
وألذ ما تلق جفوني انهـا   تمسي لنار الشوق ليس تنام
كلفي بمن حمل السلاح جوارحا   فالقدّ رمح والجفون حسام   ١٥٦/ب
بدر ولكن لا يعاب بنقصه   شمس لها كللل النشور(٥) غمام

ومنها:

واذا نظرت الى بهاء جماله   شاهدت منه البدر وهو تمام
يفترّ عن عطر لواضح دره   برق لإلهاب الغليل بسام (٦)

---

(١) الاصل « تشمها » خطأ (٢) الاصل « حلت » خطأ (٣) لعله عدالى (٤) لعله الحسان (٥) لعله الستور (٦) الاصل « يشام » ـ كذ و لعله يشام .

يحوى رضابا كالسلاف مزاجها الـــــريحان و النسرين و النمام

و فيها :

متململ يرعى النجوم و تنطوى اضلاعه الحرّى و هن ضرام

عبد المجيد بن ابى الفرج بن محمد ابو محمد مجدالدين الروذراورى (١) كان اماما عالما فاضلا مفتّنا حسن الشكل و الملبس مليح العبارة فصيحا عارفا باشعار العرب يحفظ من ذلك ما لا يحصى كثرة و خطه فى غاية الجودة و الصحة و الحسن، وكان يديم تلاوة القرآن العزيز و درس بالمدرسة الظاهرية ظاهر دمشق وبالمدرسة الاكزية وغيرها وكان وافر الفضيلة ولم يكن حظه من المناصب على مقدار فضيلته و سيره الملك الظاهر ركن الدين رحمه الله رسولا الى بركة ملك التتر فعرض له فى الطريق من المرض ما منعه من التوجه فعاد بعد ان قطع مسافة عظيمة ولم يكن عقله المعاشى بذاك، و كانت وفاته فى صفر بدمشق رحمه الله وهو فى عشر السبعين وله نظم جيد لكنه منحط عن فضيلته فمن ذلك :

اهوى العقود لأنهن تألفــا يحكين درّ كلامك المنظوما

وأذمّ ارمد لا يعد لعينه كحلا تراب جنابك الملثوما

واعد امر المكرمات مشتتا ان لم اجــده بسعيه ملموما

واذا اجلت الفكر فى اخلاقه لم تلق الاّ روضــة و نسيما

و قال :

نسيم الروض يشبهه اريجا (٢) اذا ما فاح فى أعلى الروابى

---

(١) نسبة الى روذراور بلد بهمدان كما فى الشذرات (٢) الاصل « اريحا » .

اذا

اذا ما ديمة هطلت علينا ظننا جود كفّك فى السحاب

وقال :

ما عشت لا غيث السماح بمقلع عنا ولا روض النجاح مصوح ١٥٧/الف

تهمى فانجاد الرجاء عشية منه واغوار الأمانى طفّح

وقال يهجو العز الضرير (٢) :

اعمى البصيرة والبصر ضل السبيل وقد كفر

ذم الأفاضل ضلة كالكلب اذ نبح القمر

فليعلمن اذا فغر انى سألقمه حجر

وكان العز الضرير قد هجا الشيخ مجد الدين بالبيتين المذكورين فى ترجمته .

على بن افيس بن ابى الفتح بن ابراهيم ابو الحسن محى الدين الساوردى الاصل البعلبكى المولد والمنشاء الدمشقى الدار والوفاة كان صدرا رئيسا عاقلا منفردا فيما يعانيه من الحشمة والرئاسة وحسن الملبس والتأنق فى المسكن والمأكل والمركب وغير ذلك وولى نظر الزكاة بدمشق مدة زمانية الى حين وفاته وكان مشكور السيرة محبوبا الى التجار تجلب اليه الاشياء المستظرفة من البلاد الشاسعة وله الحرمة الوافرة والكلمة المسموعه وكان كثير الصدقة والتلاوة للقرآن الكريم فى كثير من الاوقات وعنده فضيلة وكلمة لينة وخلقه حسن وتوفى فى ليلة الجمعة تاسع عشر ربيع الآخر بدمشق ودفن من الغد بجبل

(٢) هو الحسن بن محمد بن احمد الاربلى توفى سنه ٦٦٠ ـ ك وقد تقدمت ترجمته .

قاسيون رحمه الله و قد جاوز ستين سنة من العمر، حدثني بعض الاعيان
ممن كان يصحبه انه وصى الدلالين على مشترى (١) جارية تعرف صناعة
الغناء فحضر اليه بعضهم و اخبره ان (٢) بحضور شخص من بغداد و هو من
الزام (٣) بن كر و معه جاريتين (٤) على الصفة المطلوبة فقال له احضرهم (٥)
فاحضر جارية واحدة فرآها وغنت فاعجبه غناؤها و هى لابسة بغلطاق
طرح ثم سيرها و طلب الأخرى فحضرت و عليها ذلك البغلطاق بعينه
١٥٧/ب فجعل يتأمله و سألها عنه فذكرت ان ليس لها سواه و ان استاذهما
يحبهما و انما الضرورة حملته على عرضهما للبيع فسأل عن منزله و اخذ
معه الف درهم و عشر قطع قماش و توجه بنفسه الى منزل الرجل فسلم
عليه و اعطاه ذلك فكسا الجوارى و استغنى عن بيعهن و لم يشتر منه
محى الدين رحمه الله شيئا .

على بن وهب بن مطيع بن ابى الطاعة ابو الحسن مجد الدين العشيرى (٦)
المنفلوطى الاصل و المولد القوصى الدار و الوفاة المالكى المذهب مولده
فى شهر رمضان سنة احدى و ثمانين و خمسمائة تفقه على غير واحد منهم
الحافظ ابو الحسن على بن المفضل المقدسى (٧) و صحبه مدة سمع منه
وحدث و درس وافتى و صنف و انتفع به الناس وكان احد الائمة
العلماء جامعا لفنون من العلم معروفا بالصلاح والدين معظما عند الخاصة
و العامة مطرحا للتكلف كثير السعى فى قضاء حوائج الناس على سمت

---

(١) الاصل «المشترى» (٢) كذا ولعل ان زائدة (٣) كذا (٤) الظاهر جاريتان
(٥) الظاهر احضرهما (٦) النجوم (ج٧ص٢٢٨) «القشيرى» (٧) هو شرف الدين
توفى سنة ٦١١هـ .

السلف الصالح وكانت وفاته فى ثالث عشر المحرم رحمه الله .

غازى بن حسن بن .... (١) ابو الحسن التركمانى كان رجلا متعبدا كثير الصيام منقطعا فى زاويته بقرية دورس ظاهر بعلبك ويحضر يوم الجمعة الى بعلبك لشهود صلاة الجمعة بجامع بعلبك ويعود الى زاويته، وكان سليم الصدر حسن الملتقى وزعم انه قد نيف عـلى مائة سنة من العمر وكانت وفاته بزاويته المذكورة فى نهار الأحد خامس وعشرين ذى الحجة ودفن بقرية دورس رحمه الله .

محمد بن عمر بن حسن بن على بن محمد الجميل بن فرج بن خلف ابن قومس بن مزلال بن ملال بن احمد بن بدر بن دحية بن خليفة الكلبى ابو الطاهر شرف الدين (٢) مولده فى العشر الوسط من شهر رمضـان سنة عشر وستمائة بالقاهرة سمع من ابيه الحافظ ابى الخطاب عمر بن دحية (٣) وغيره وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة مدة وحدث ١٥٨ / الف وكان فاضلا وتوفى فى الخامس والعشرين من شهر رمضان بالقاهرة دفن بالقرافة رحمه الله، وهذه النسبة نقلت من خط والده رحمه الله وذكر قاضى القضاة شمس الدين رحمه الله والده ابا الخطاب وساق نسبه لكنه قال فلان بن بدر بن احمد بن دحية قال وكان يذكر ان امه امة الرحيم

(١) بياض (٢) الوافى بالوفيـات (ج ٢ ص ٣٣٥) «محمد بن حسن بن عمر ... الجميل بن فرح بن خلف بن قوس بن ملاك» وراجع حسن المحـاضرة (ج ١ – ص ١٤٩) و دائرة البستانى (ج ٢ – ص ١٢٧) ووفيات ابن خلكان وقد تحرفت بعض الاعلام فى الاصل والوافى فصححها مما سواهما (٣) توفى سنة ٦٣٣ – ك .

بنت ابى عبد الله بن ابى البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر ابن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله عنه و لهذا كان يكتب بخطه ذو النسبين (١) دحية و الحسين رضى الله عنهما كان ابو الخطاب المذكور من اعيان العلماء و مشاهيرهم متقنا لعلم الحديث و ما يتعلق به عارفا بالنحو و اللغة و ايام العرب و اشعارها، اشتغل بطلب الحديث فى اكثر بلاد الاندلس الاسلامية و لقى بها علماءها ثم رحل الى بر العدوة و دخل مراكش واجتمع بفضلائها ثم ارتحل الى افريقية و منها الى الديار المصرية ثم الى الشام و الشرق و العراق و دخل عراق العجم و خراسان و مازندران و إربل و غيرها و مولده مستهل ذى القعدة سنة اربع و اربعين (٢) وخمسمائة و توفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الاول سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة بالقاهرة و دفن بسفح المقطم رحمه الله و اختلف فى سنة مولده اما الشهر فلاخلاف فيه (٣) وكان اخوه ابو عمرو عثمان بن الحسن (٤) أسن منه وكان حافظا للغة العرب قيّما بها وعزل الملك الكامل ابا الخطاب عن دار الحديث التى انشأها بالقاهرة ورتب اخاه المذكور مكانه فلم يزل بها الى ان توفى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الاولى سنة اربع و ثلاثين و ستمائة بالقاهرة و دفن بسفح المقطم، و له رسائل استعمل فيها حوشى اللغة .

(١) كذا فى دائرة المعارف للبستانى وفى الاصل « خوالنسبين » خطأ
(٢) دائرة المعارف للبستانى :(٥٨٧) (٣) الاصل«فيها»(٤) توفى سنة ٦٣٤ ــ ك

و وقع لى رسالة (١) بخط منشئها لا اعلم هل هو ابو الخطاب او ابو عمرو نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد وآله و صحبه وسلم تسليما: المملوك الداعي ابن دحية كان رسول الله ١٥٨/ ب عليه و سلم اذا جاءه امر يسرّبه و سرّبه خرّلله ساجدا رواه الامام ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني والعتكى بعده فى حديث الشفاعة الصحيح قال فأخرّ لله ساجدا قدر جمعة لم يخرج مسلم ولا البخارى هذه الزيادة وهى زيادة صحيحة وفيها الرد على ابى حنيفة و مالك فى انهما لا يجيزان سجود الشكر و ما ادرى لأى شىء قالوا ذلك و الحديث مشهور رواه الترمذى و السجستانى و النسأى و جماعة غيرهم و اما زيادة حديث الشفاعة قدر جمعة فلم يروها سوى احمد بن حنبل و العتكى و قد وافقنا السنة و فعلنا ما فعله النبي صل الله عليه و سلم و شكرنا الله شكرا رغدا كما قال تعالى : (فكلا منها رغدا حيث شئتما) اى دائما لاينقطع و ذلك لما اتصل لنا من عقايل ما كان الم الغطريف و هو السيد العظيم السلطان الكامل الكبار الهميسع الصنديد الصنتيت الجلواخ العيذاق الهلقام اللهموم الجحجاح الوحواح و واجب علىّ الاخرّواط فى منسبان الدعاء و الشكر لله عزوجل فيما ازل الى الناس اجمعين اكتعين ابصعين، بما مره عليه من الاطرغشاش و الارعشاش و الا بلال والقتقشة فأصبح صَمَجمَجًا عنطنطا عنسطا صُمُلاً عُردا حبعثنا سعطريا ما به ظظاب.

---

(١) لم نظفر بها فى غير هذا الكتاب ولا تخلو لغاتها عن تحريف النسخ فيصححها القارئ الكريم.

و لا قلبه كأنما قدّ سيره قد مصح الله عنه العقابيل و عرطن (١) عنه العصاويد و مذ بلغتنى شكاته لم يزل الدعاء له هجيراى و قد كنت فيما روى عن النبى صلى الله عليه و سلم انه قال حتى الشوكة يشاكها الاّ كفر الله عنه و زاد الترمذى حتى الهمّ يهمه الاّ كفر الله عنه، و فى الموطأ وما يدريك لعل الله ابتلاه بمرض يكفّر عنه من سيئاته و فى الحديث الغريب ما من مسلم ينشط من مرضه الا كان كيوم ولدته امه عطلا من الذنوب:

احمد ربا ساقنى اليكا وانا امشى الدألا اليكا (٢)

١٥٩/ الف وكنا فى هذه المدة ننظر فى جنح الكافر الزبرقان فنظنه حوارى و ننظر العتم فظن ذلك زغنجا (٣) و ما ادرى لاّى شىء انكر ابوعبيد لفظه الزعيج (٤) و قال ما اظنه من كلام العرب وقد حكاه الفراء عن العرب وهو ثقة فقال ثعلب عن يونس النحوى عن ابى عبيدة عن العرب الزغنج الزيتون و الزغنج (٥) الحسن من كل شىء و قد اصاب الفراء رحمه الله فى ذلك: (وكنت عبدا للانام اخضعا) والاخضع الذليل و الانام البشر وكنت لا اقدر على النوم اجأر الى الله بالدعاء فى كل توة من الليل حتى كان بالأمس جاء الفرج بالرش والهنيدة وافى ذلك يوم الميعاد والناس قد اذ لعبوا من كل اوب و اتلأبوا من كل سقع قد عطل بهم التاج و الباج لم يفرنقعوا عنى فسدلت علىّ السبّ السابرى و لذت

---

(١) اى نحى ـ ك (٢) انشده سيبويه و صاحب اللسان (٢٤٨/١٢):

اهدموا بيتك لا ابالكا وانا امشى الدألى حوالكا ـ (ك)

(٣) لعله الزعبج (٤) الاصل « رعيجا » ـ ك (٥) الاصل « الزغيج » ـ ك.

الشوذة و سدلت السدوسى و قعدت القرفصاء و اهبنقعت و اخزألت و ارجحننت و اكمخت و تجهضمت و رفعت عقيرتى بالدعاء بوجأة صهصلق وللتأدى بالتأمين عجيج فلقد اغنيت واقنيت وجعلتنى من الاحرار وكنت مملكا و قنجلا وكل احد من البرشاء جاء بمتخة (١) يضربى بها لحقّه علىّ، وفى الحديث الغريب ذكر ابوعبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق اليد واللسان فكففت ايديهم عنى و قطعت السنتهم دونى بنعمتك المثعنجرة الكنهور (٢)المنفيهقة المنقور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المصنفات جمع سوى الموطأ : من فرّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا و يروى من نفّس فرج الله او نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه و زاد الدارقطنى فرج الله عنه سبعين كربة من كرب يوم القيامة، و قال صلى الله عليه وسلم فى الصحيح [من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته و يروى فى الصحيح] (٣) ان الله يحب اعانة و يروى اغاثة اللهفان الملهوف، و قال فى حديث أبى ذر وان تفرغ فى دلوك من دلو اخيك او صاحبك وان تلق اخاك بوجه طلق فسرحتنى (٤) من وثاقى و نشطتنى من عقال الدين و فعلت ما امرك الله تعالى به وهو قوله سبحانه

(١) هامش الاصل لعله بميتخة كتبه محمد بن خطيب داريا مسترحما ـ ك (٢) هامش الاصل «قلت السحاب الكنهور الذى هراق مءه فلا ماء فيه ويكون ابيض لأن السحاب الذى فيه مطر اسود ووصف الممدوح بأنه سحب لا مء فيه غفلة والله اعلم» ك (٣) هامش الاصل: «هو من الاصل» ك (٤) الاصل «فسرختنى».

و تعالى: (و تعاونوا على البر و التقوى) قال ابن عمر و سالم و عطاء والشعبي
١٥٩ / ب ان ذلك واجب وسائر العلماء يقولون ان ذلك ليس بواجب انما هو
مندوب اليه فاخذت بقولهم و وقفت، و في الطبراني عن فاطمة عن النبي
صلى الله عليه و سلم ان في المال لحقا سوى الزكاة و هذا صحيح بهذا الطريق
والترمذي ضعّفه من طريق ابي حمزة الاعور واسمه ميمون وزدت ان زينتني
بالريايش الشّفّ قال الله تعالى: (و ريشا و لباس التقوى) قال اللغويون
الثقات الريش المال و الريش الخصب قال الشاعر :

ما لكم الليلة من إنفاش (١) ولا دثار لا و لا رياش

و الريش ماظهر من اللباس يقال اعطاني رحلا بريشه اى بجميع
ما فيه و قال الفراء الريش و الرياش بمعنى واحد مثل الدبغ والدباغ
وقد جعلت هاتيك الخلعة زينة لكل مسجد اناجي الله فيها وقد كنت
لا تجديد لي الا بالصابون، وفي الحديث الحسن خرجه الشيباني والترمذي:
من كسا مسلما على عرى كساه الله من خضرة الجنة و يروى من خضر
الجنة، وانت فعلت ذلك من غير واسطة ولا تنبيه الاصدق فراسة، وفي
الحديث : اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنورالله وعن قريب يجازيك الله
بالخير العظمطيط ويمكن لك في الارض وعن قريب يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق بالرغبة و الرهبة لقوله سبحانه :
(للذين احسنوا الحسنى و زيادة) الحسنى فُعلى من اسماء الجنة والزيادة النظر
الى وجه الله تعالى : والسلام الكريم النفاح الازج على حضرة الاملوك

(١) في الاصل انقاش بالقاف والتصويب من لسان العرب(٨/ ٢٥٠) - ك -

السرندى و رحمة الله و بركاته .

وقد تكلم الناس فى أبى الخطاب و نسبوه الى التزيد فى كلامه مع ما كان يعانيه من الوقوع فى بعض العلماء وكان الملك الكامل مقبلا عليه فلما تبين له ذلك منه اعرض عنه وكان قدم مرة دمشق و سأل الصاحب صفى الدين بن شكر (١) رحمه الله ان يجمع بينه وبين الشيخ تاج الدين الكندى (٢) رحمه الله فاجتمعا و تناظرا و جرى بينهما البحث فى ١٦٠ / الف قول العرب لقيته من وراءُ وراءَ فقال ابن دحية لا يقال بالرفع بل بالنصب فقال تاج الدين اخطأت فسفه على الشيخ تاج الدين فقال له يامدعى انت تكتب (وكتب-٣) ذوالنسبين (٤) بين دحية والحسين و دحية باجماع المحدثين ما اعقب فقد كذبت فى نسبك، وحكى لى انه قال للشيخ تاج الدين فى محاورته انا عندى كتب تسوى بغداد فقال الشيخ تاج الدين هذا محال ما فى الدنيا كتب تسوى بغداد و انما انا عندى كتب جلودها تساوى رقبتك فخجل و استحسن الحاضرون هذا الجواب من الكندى وحكى انه كان يدعى ان له بالمغرب اموالا عظيمة و املاكا كثيرة وغير ذلك من عظم القدر والجاه والمال و دكر ذلك للملك الكامل فاستبعده فلما قدم اخوه ابوعمرو عثمان المذكور سأله الملك الكامل عن ذلك فذكر

(١) هو ابوعبد الله محمد بن شكر الدميرى كان وزيرا من سنة ٥٩٦ الى سنة ٦٠٩ وتوفى سنة ٦٢٢ - ك (٢) هوزيد بن الحسن ابواليمن توفى سنة ٦١٣ - ك (٣) لعله زائد (٤) كذا فى دائرة السنى وفى الاصل « ذو الحسبين ».

انهم قوم فقراء لا يوبه لهم فى تلك البلاد و ليس لهم بها ذكر فأعجب الملك الكامل قوله و نبل فى عينه و سقط ابو الخطاب من عينه و تحقق تزيده فى الحديث و الله اعلم .

محمد بن محمد بن على بن محمد بن احمد بن عبد الله بن عربى ابو عبد الله عماد الدين كان فاضلا سمع الكثير و سمع معنا صحيح مسلم على الشيخ زين الدين احمد بن عبد الدائم المقدسى(١) رحمه الله و توفى بدمشق فى شهر ربيع الاول و دفن عند والده بسفح قاسيون و قد نيف على الخمسين من العمر رحمه الله .

محمد بن وثاب بن رافع ابو عبد الله تاج الدين النخيلى الحنفى كان فقيها عالما فاضلا حسن الشكل درس و افتى و ناب فى الحكم بدمشق وكان سديدا فى احكامه مشكور السيرة و توفى بدمشق فى شهر ربيع الآخر و هو فى عشر السبعين رحمه الله .

١٦٠/ب مظفر بن عبد الكريم بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الصافى بن على بن احمد بن ابراهيم بن يعيش بن عبد العزيز بن سعد بن عبادة ابو منصور تاج الدين الانصارى الخزرجى الدمشقى الحنبلى مولده فى السابع و العشرين من ربيع الاول سنة تسع و ثمانين و خمسمائة بدمشق سمع من ابى طاهر الخشوعى و عمر بن طبرزد و حنبل و غيرهم و حدث و بيته معروف بالعلم و الحديث وكانت وفاته بدمشق فى ثالث صفر فجأة و دفن بجبل قاسيون رحمه الله .

(١) توفى سنة ٦٨٦ - ك .

ابو

ابو الفضل بن ... (١) الصحراوى الشاغورى كان من الصلحاء الاخيار العارفين ملازما للخير و العبادة وكان كثيرا ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام وقيل انه كان يجتمع بالخضر عليه السلام وكان منقطعا عن ارباب الدنيا مقيما فى منزله بالشاغور ظاهر دمشق اجتمع بجماعة من ارباب الطريق و اخذ عنهم، زرته فى منزله وكانت وفاته فى جمادى الاولى بدمشق رحمه الله و نفعنا ببركته .

ابو محمد بن سلطان بن محمود كان رجلا صالحا عابدا منقطعا عن ارباب الدنيا عاكفا على العبادة و اشغال الناس بالقرآن العزيز لا يتكلم فيما لا يعنيه ولا يذكر احدا الّا بخير وكان عالما بما يحتاج اليه من امر دينه سمع البخارى من ابن الزبيدى (٢) وسمع من الشيخ بهاء الدين ابى محمد عبد الرحمن المقدسى (٣) وغيره ولازم صحبة الشيخ ابراهيم بن جوهر البطائحى رحمه الله و انتفع بـه وصحب والده ايضا وكان من اصحاب والدى رحمه الله قرأ عليه وسمع منه وكان والدى يحبه ويكرمه لصلاحه ودينه ولأجل والده سلطان رحمه الله فانه كان من الاولياء الافراد، وكانت وفاة الشيخ ابى محمد المذكور ببعلبك فى ليلة الخميس العشرين من شهر رمضان من هذه السنة ودفن بتربة الشيخ عبد الله اليونينى رحمه الله وهو فى عشر السبعين وكان متقللا من الدنيا قانعا منها بالكفاف سالكا انموذج السلف الصالح و توفى ١٦١/ الف

(١) بياض فى الاصل ـ ك (٢) هو الحسين بن المبارك توفى سنة ٦٣١ ـ ك
(٣) هو عبد الرحمن بن ابراهيم توفى سنة ٦٢٤ ـ ك .

ولم يشب رأسه و لحيته الا شعرات يسيرة جدا مع كونه نيف على سبعين سنة .

السنة الثامنة والستون وستمائة

دخلت و الخليفة و الملوك على ماكانوا عليه و الملك الظاهر بالصنمين عائدا من الحجاز الشريف .

متجددات هذه السنة

قد ذكرنا عود الملك الظاهر من الحجاز فى السنة الخالية لسياق الحديث بعضه بعضا فأغنى عن اعادته .

و فى يوم الجمعة ثالث عشر صفر توجه الملك الظاهر الى الاسكندرية و معه و لده الملك السعيد و سائر الامراء فتصيدوا اياما و عاد الى القلعة يوم الثلاثاء ثامن ربيع الاول و خلع فى هذه السفرة على الامراء و فرق فيهم الخيل و الحوائص و السيوف و الذهب و الدراهم و القماش .

و فى يوم الاثنين حادى عشرى(١) ربيع الاول توجه الى الشام فى طائفة يسيرة من امرائه و خواصه و رتب لهم الاقامات و العليق لدوابهم فوصل الى دمشق يوم الثلاثاء سابع عشر(٢) ربيع الآخر و لقى الناس فى الطريق مشقة شديدة من البرد و خيّم على الزنبقية و بلغه ان ابن اخت زيتون خرج من عكا فى عسكر ليقصد فرقة منهم المقيمين بحنسين (٣) و فرقة منهم المقيمين بصفد من عسكر المسلمين فبعث الملك الظاهر الى العسكرين عرفهما ثم سار فالتقى بهما فى مكان عيّنه يوم الثلاثاء

(١) النجوم (١٤٧/٧) «عشرين» (٢) النجوم «شهر» (٣) كذا فى الاصل .

حادى عشرى الشهر و سار الى عكا فصادف ابن اخت زيتون قد خرج فالتقى به فكسره و استأسره و جماعة من اصحابه و قتل منهم خلقا وذلك فى يوم الاربعاء ثانى و عشرين الشهر، ثم قصد الغارة على المرقب فوجد من الامطار و الثلوج ما منعه فرجع الى حمص و اقام بها نحو عشرين يوما ثم خرج الى تحت (١)حصن الاكراد و اقام يركب كل يوم و يعود من غير قتال الى الثامن و العشرين من شهر رجب فبلغه ان مراكب الفرنج دخلت ميناء الاسكندرية و اخذت منه مركبين للسلمين فرحل ١٦١ / ب من فوره الى الديار المصرية فوصلها ثانى عشر شعبان .

و فيها قدم على الملك الظاهر صارم الدين مبارك بن الرضى مقدم الاسماعيلية بهدية و شفع فيه صاحب حماة فكتب له منشورا بالحصون كلها ليكون نائبا عنه بها وكتب له باملاكه التى بالشام جميعها على ان يكون مصباث (٢) و بلدها خاصا للملك الظاهر و بعث معه نائبا فيها عز الدين العديمى فلما وصلا اليها عصى اهلها و قالوا لا نسلمها فانه كاتب الاسبتار و نحن نسلمها لنائب الملك الظاهر فقال لهم عز الدين انا نائب السلطان فقالوا له تأتينا من جهة الباب الشرقى فلما جاءهم و فتحوه هجمه الصارم و قتل منهم خلقا و تسلم هو و عز الدين القلعة ثم غلب الصارم على البلد و ازال عنه حكم عز الدين فاتصل ذلك بالملك الظاهر و اتفق ان ورد عليه نجم الدين حسن بن الشعرانى و هو نازل على حصن الاكراد

(١) النجوم « جهة »(٢) فى الدر المنتخب ص ٢٦٥ مصيت بكسر الميم و سكون الصاد ثم ياء مثناة من تحتها ـ ك وفى النجوم (٧ ١٨٧) « مصيف » .

ومعه هدية سنية فقبلها وكتب له منشورا بالقلاع التى كتب بها لصارم الدين وهى الكهف والخوابى والعليقة والرصافة والقدموس والمينقة والقليعة ونصف املاك الشام من جبل السماق وقرر عليه يحمل كل سنة مائة وعشرين الف درهم، ولما عاد الملك الظاهر الى مصر وتحقق صارم الدين اقباله على نجم الدين اخرج عز الدين من مصياث فوصل الى دمشق فسير الملك الظاهر الجمال معالى بن قدوس على خيل البريد ومعه نجم الدين الكنجى الى حماة فأخرجا صاحبها فى عسكره ومعهم عز الدين العديمى وتوجهوا الى مصياث فخرج منها الصارم وقصد العليقة فتسلموا مصياث فى شهر رجب وحكم بها عزالدين واستخدم اجنادا ورجالة ولما اتصل بالملك الظاهر سلامة الصارم كتب الى صاحب حماة يلومه والزمه باحضاره فتحيل عليه حتى نزل من العليقة فقبض عليه وحمله الى الملك الظاهر فحبسه فى برج من ابراج سور القاهرة فى ذى القعدة.

١٦٢ / الف وفيها عمرت القناطر على بحر ابن منجا (١) وفى يوم الخميس رابع عشرى شعبان فوض الى الصاحب تاج الدين وزارة الصحبة على ما كان عليه والده فخر الدين .

وفى شعبان لعبت الشوانى فى نيل مصر وحضرها الملك السعيد فى الحراقة ولما دخلت البر ازدحم الناس فى مركب منها فغرق ثم سافروا فى الشهر الى دمياط ووافاهم من الاسكندرية اربعة اخرى وخرجوا الى الغزاة جميعا فوجدوا بطشة هائلة وبها شجعان حموها وعلقوا من

---

(١) النجوم (ج ٧ ص ١٤٨) « بحر ابى المنجا » .

مراكب المسلمين مركبا فقاسوا الجهد فاطلقوه و قتل منهم خمس و عشرون رجلا ثم عادوا و لم يظفر بطائل .

و فى العشرين من شوال ورد البريد من الشام مخبرا ان الفرنج قاصدون البلاد والمقدم عليهم شرون (١) اخو ريدافرنس و ربما كان محطهم عكا فتقدم الى العسكر بالتجهز الى الشام و ورد الخبر من الاسكندرية بأن اثنى عشر مركبا للفرنج عبروا على الاسكندرية و دخلوا ميناءها و اخذوا مركبا للتجار و استأصلوا ما فيه و احرقوه و لم يجسر الوالى ان يُخرج الشوانى من الصناعة لغيبة رئيسها فى مهم استدعاه الملك الظاهر بسببه [و لما بلغ الملك الظاهر ذلك بعث] (٢) فامر الملك الظاهر بقتل الكلاب فى الاسكندرية و ان لا يفتح احد حانوتا بعد المغرب و لا توقد نار فى البلد ليلا ثم تجهز و خرج نحو دمياط يوم الخميس خامس ذى القعدة فى البحر .

و فى ذى الحجة امر بعمل جسرين احدهما من مصر الى الجزيرة و الآخر من الجزيرة الى الجيزة على مراكب لتجوز العساكر عليها الى الاسكندرية إن دهمها عدو و بقى منصوبا الى ان تواترت الاخبار بقصدهم تونس و نزولهم عليها .

و فى المحرم قتل ابو العلاء ادريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف صاحب مراكش (٣) فى حرب كانت بينه و بين ابى مرين على مراكش

---

(١) النجوم (٧ / ١٤٩) « شارل » (٢) من النجوم ج ٧ - ص ١٤٩ (٣) قتل يوم الاحد ثانى المحرم - ك .

و الذى يرجعون اليه ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن حمامة و انقرضت دولة بنى عبد المؤمن .

و فيها سير الدرابزين للحجرة الشريفة صلوات الله على ساكنها من الديار المصرية صحبة الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الخليلى فرض وحصل له طرف فالج فتعلق بالحجرة الشريفة بعد ان تصدق بجميع ما معه و تشفع بالنبىّ صلى الله عليه وسلم فعوفى فى المدينة و صحب الركب الى مكّة على ناقته .

١٦٢ / ب

ذكر كسرة ابغا لبرق (١)

قد تقدم القول بتسيير رسل تبشير(٢) الى ابغا يستصرخ به من برق فلما وصلت الرسل جمع ابغا امراء دولته واتفقوا ان يقصدوا برق فجمع عساكره و نزل بموغان فاكلت خيولهم الزرع خمسة عشر يوما ثم ساروا فوصلوا اردول فامر عساكره باخفائه و كل من ذكر ذلك قتل و رحلوا و ساروا مدة خمس و خمسين يوما و خيولهم ترعى الزراعات و نزلوا خنخان و بينهم و بين برق خمسة ايام فحملوا زادهم مطبوخا لأن لا يشعلوا نارا و عينوا من كل عشرة فارس يتقدموهم بنصف نهار يتحفظوا لهم الاخبار فكانت عدتهم خمسة آلاف فارس فساروا فى واد بين جبلين وقتلوا من وجدوه فى طريقهم الى أن اشرفوا على يزك (٣) برق فكبسوه سحرا واستأصلوهم عن آخرهم فلما وصل اليهم ابغا فرح بذلك وعرفوه

---

(١) بضم الباء وفتح الراء ـ ك (٢) تقدم ما فيه قريبا وسيأتى مثله (٣) فى الاصل بزك بالباء الموحدة واليزك بالياء المثناة من تحت مغلية بمعنى طليعة الجيش ـ ك .

انه

انه بقى لهم يوم ونصف ويصلون الى عسكر برق فساروا ليلا فلما اصبحوا لم يشعروا الا وعسكر برق قدامهم وكان فى طرفه مرغول مقدم ثلاثة آلاف فارس فكسر وهرب ناجيا بنفسه واتصل ببرق فأخبره وسار ابغا فنزل على مدينة هرى فاقاموا اثنى عشر يوما يطعمون خيولهم الزرع وهرب شخص من عسكر برق ووصل الى ابغا وعرفه ان سبب هروبه انه رأى فى لوح الغنم (١) ان ابغا يضرب مصافا مع برق ويكسره فقال ابغا ان صح ذلك ملكتك قرية تعيش فيها انت وعقبك واقبل عليه اقبالا عظيما ولما كسر برق وفى له ٠

ذكر المصاف

لما بلغ برق رجوع ابغا طمع فى لقائه وعبر النهر الاسود على الجسر والتقيا فخرج مرغول من عسكر برق بالف فارس وحمل فى عسكر ابغا فكسر منه تقدير ثلاثة آلاف فارس وكان مقدمهم شكتو بن ألكانوين وارغون بن جرماغون وعبد الله النصرانى وكان يصحب ١٦٣ / الف العساكر ومعه الكنائس والنواقيس فوقع فيه سهم قتله وجاء الى ابغا من عسكره اباطى (٢) وتبشير بن هولاكو وقالا نحن نلقى عسكر برق فأذن لهما فالتقياه وكسراه كسرة عظيمة ومازالا فى عسكره بالسيف الى الجسر وعجزوا عن العبور لكثرة الزحام فرموا انفسهم فى البحر فغاض (٣) الماء لكثرة عددهم وكان كل من تخلص ينزل عن فرسه ويعرقبه

(١) كانت كهنة المغل تتنبأ عن الواح الغنم بجهالتهم. ك (٢) الاصل اياطى. ك (٣) لعله ففاض .

على البر و يقصد الجبل هاربا و لحقهم عسكر ابغا بعد ان بعدوا عن الجسر بيوم فأما ابغا فنزل على جحشران وامرأن تكتب ورقة بعدة من عدم من عسكره فكانوا ثلاثمائة و سبعين فارسا ورجع عائدا الى بلاده وكان يموت من عسكره فى كل منزلة جماعة كثيرة وتدعق خيول كثيرة فعدم من الرجال والخيول مالا يحصى كثرة .

فصل

و فيها توفى احمد بن عبد الدائم بن نعمة بن احمد بن محمد بن ابراهيم بن احمد بن بكير ابو العباس زين الدين المقدسى الحنبلى الناسخ بدمشق و دفن بسفح قاسيون و مولده سنة خمس و سبعين و خمسمائة بفندق الشيوخ من ارض نابلس سمع الكثير بدمشق من يحيى بن محمود الثقفى (١) و ابى محمد عبد الرحمن بن على (٢) و غيرهما و ببغداد من ابى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى (٣) و ابى الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب ابن كليب (٤) و غيرهما وكتب الكثير بخطه من الكتب الكبار و الاجزاء المنثورة وكان سريع الكتابة كتب الخرقى فى ليلة و حدث بالكثير مدة و بقى حتى احتيج الى ما عنده و تفرد بالرواية عن جماعة من شيوخه و كان فاضلا متنبها و اليه انتهت الرحلة ببلده و سمعت عليه صحيح مسلم و غيره رحمه الله تعالى،وكانت وفاته فى السابع من شهر رجب ورأيت بخط اخى رحمه الله انه توفى يوم الاثنين تاسع شهر رجب

---

(١) توفى سنة ٥٨٤ ـ ك (٢) توفى سنة ٥٨٧ ـ ك (٣) توفى سنة ٥٩٧ ـ ك
(٤) توفى سنة ٥٩٦ ـ ك .

والله اعلم وقال سمع من الحافظ عبد الغنى (١) رحمه الله وروى عن السلفى بالاجازة العامة وقال كتبت باصبعى هاتين اكثر من الفى مجلدة ١٦٣/ب روى عنه الناس والحق الأصاغر بالاكابر وكان ديّنا فهما يحفظ كثيرا ويرد فى غالب الاوقات على من يقرأ عليه وسمع صحيح مسلم عن ابن صدقة الحرانى بسماعه من الفراوى غير شيء يسير من اوله فانه اجازه رحمه الله تعالى .

احمد بن القاسم بن خليفة ابو العباس موفق الدين الخزرجى المعروف بابن أبى أصيبعة الحكيم الفاضل له مصنفات منها كتاب عيون الانباء فى طبقات الاطباء توفى بصرخد فى جمادى الاولى وقد نيف على سبعين (٢) سنة رحمه الله .

ايبك بن عبد الله الصالحى الامير عز الدين المعروف بالزراد كان متولى قلعة دمشق وكان المذكور من المماليك الصالحية النجمية وحرمته وافرة فى الدولة الظاهرية وسيرته جميلة وله مهابة وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث ذى القعدة بقلعة دمشق المحروسة رحمه الله .

ايبك بن عبد الله الامير عز الدين الظاهرى النائب بحمص كانت عنده نهضة كبيرة وصرامة مفرطة موصوف بالعسف والظلم وكان من آحاد المماليك الظاهرية فامره الملك الظاهر وولاه حمص واعمالها فضبط عمله وساسه ولم يزل على ذلك الى ان توفى بحمص فى صفر من هذه السنة وكان عنده تشيع وجور على الرعية فسر اهل ولايته

(١) هو عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى المتوفى سنة ٦٠٠هـ. (٢) البداية تسعين.

بموته والراحة منه .

ايوب بن محمود بن نصر الله بن محمود بن كامل ابو الفرج البعلبكى الاصل كان من المعدلين بدمشق سمع من ابن اللتى (١) وغيره ودخل بغداد وسمع بها من جماعة وحدث وكانت وفاته بصفد فى العشر الاول من ربيع الآخر رحمه الله تعالى .

حسن بن محمد بن احمد الصوفى العجمى الاصل الفارسى المعروف بالبرسى كان يتزيد فى حديثه ويدعى كبر السن وانه قد تعدى تسعين سنة فسأل هل ادرك القاضى الزنجانى الذى قتل ببعلبك فقال نعم وكان عمرى عند قتله عشرين سنة او ما يزيد عليها والزنجانى قتل سنة ثلاث وستين وخمسمائة وتوفى حسن المذكور ببعلبك ليلة الجمعة سابع وعشرين شهر رجب ودفن فى منزله داخل باب دمشق من مدينة بعلبك . ١٦٤ / الف

صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمد بن الحسين ابو البقاء تقى الدين الهاشمى الجعفرى الزينبى مولده سنة احدى وثمانين وخمسمائة سمع وحدث وكان احد الفضلاء العارفين بالادب وغيره والرؤساء المذكورين بالفضل والنبل وتولى قضاء قوص مدة ونظرها ايضا مدة اخرى وله خطب حسنة ونظم جيد وتصانيف عدة مفيدة وكانت وفاته بالقاهرة فى مستهل ذى القعدة ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله تعالى .

على بن الحسن بن الفرج بن النعمان بن محبوب ابو الحسن تقى الدين

(١) هو ابو المنجا عبد الله بن عمر بن على توفى سنة ٦٣٥ - ك .

المعرى

المعرى الاصل البعلبكى المولد و الدار كان فقيها شافعى المذهب حسن العشرة كريم الاخلاق توفى بدمشق ليلة الجمعة رابع عشرى ربيع الآخر و دفن بسفح قاسيون رحمه الله و قد ناهز الستين سنة من العمر .

على بن ابى طالب بن محمد ابو الحسن علاء الدين الحسينى الموسوى كان شيخا(١) حسن الشكل من المعدلين بدمشق و مولده سنة ثمان و تسعين وخمسمائة سمع من الكندى و غيره و حدث وكانت وفاته بدمشق فى الثامن و العشرين من ذى القعدة رحمه الله تعالى .

محسن بن عبد الله ابو الخير الطواشى الصالحى النجمى سمع الكثير من جماعة من اصحاب ابى طاهر السلفى و غيره و حصل الاصول و حدث و تقدم عند الملك الصالح نجم الدين ايوب رحمه الله و بعد موت الملك الصالح سافر الى مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم و تقدم على خدام الضريح النبوى صلوات الله و سلامه على ساكنــه و رجع الى الديار المصرية فتوفى بها فى العشرين من شعبان رحمه الله .

محمد بن الحسن بن على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابو عبدالله الدمشقى الشافعى المعروف بالشمس بن عساكر مولده فى سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة سمع الكثير و حدث و هو من بيت الحفظ و العلم و الحديث و جده الحافظ ابو القاسم احد حفاظ الشام رحمه الله ١٦٤/ب و توفى فى ليلة السابع من صفر هذه السنة رحمه الله .

محمد بن على بن محمد بن سليم ابو عبدالله فخر الدين الوزير بن الوزير

(١) الاصل شيخا .

المصرى الشافعى سمع بمصر من ابى الحسن على بن أبى عبد الله البغدادى وغيره و بدمشق من ابى العباس احمد بن عبد الدائم وغيره و حدث فسمع منه جماعة وكان محبّا لأهل الخير و الصلاح مؤثرا لهم متفقدا لأحوالهم وعمر رباطا حسنا بقرافة مصر الكبرى و رتب فيه جماعة من الفقراء و جعل لهم ما يقوم بهم و درس فى مدرسة والده بمصر مدة وكان كثير البر و الصدقة و توفى بمصر فى الحادى و العشرين من شعبان و دفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله تعالى .

يحيى بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن على بن عبد العزيز بن على بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن عبد الرحمن بن أبان بن امير المؤمنين عثمان رضوان الله عليه بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابو الفضل محيى الدين القرشى الاموى العثمانى الدمشقى الشافعى الامام العالم قاضى قضاة الشام و رئيس عصره، ولد بدمشق فى ليلة الخامس و العشرين من شعبان سنة ست و تسعين و خمسمائة سمع من ابن طبرزد و حنبل و زيد الكندى و عبد الصمد بن الحرستانى وآخرين و حدث بدمشق و مصر و توفى بمصر فى صبيحة الرابع عشر من شهر رجب و دفن من يومه بسفح المقطم رحمه الله، وكان له عقيدة فى الفقراء و الصالحين يتلقى ما يحكى عنهم من الكرامات بالتصديق و القبول و صحب الشيخ محيى الدين محمد ابن العربى رحمه الله و له فيه عقيدة تجاوز الوصف، وكان يحكى عنه انه يفضل امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه على امير المؤمنين

عثمان بن عفان رضى الله عنه مع كون عثمان رضى الله عنه جدّه فتوهمت انه اقتدى بالشيخ محيي الدين فى ذلك فانه كان يرى هذا على ما حكى عنه .

ثم جرى بينى و بين الامير عز الدين محمد بن ابى الهيجاء رحمه الله الحديث فى مثل ذلك فذكر ما معناه ان قاضى القضاة بهاء الدين يوسف ١٦٥ / الف ابن محيي الدين المذكور حكى له ان والده اخبره انه رأى امير المؤمنين على بن ابن طالب رضى الله عنه فى المنام بجامع دمشق و هو مستند الى عمود من عمد الجامع قال محيي الدين فسلمت عليه فاعرض عنى فقلت له يا امير المؤمنين انا ابن عمك فقال صدقت و لكنكم ما اتقيتم او ما هذا معناه فاستيقظ قاضى القضاة محيي الدين رحمه الله و تلبس بالمغالاة فى حبّ على رضوان الله عليه و تفضيله و نظم قصيدة طويلة مدحه بها منها :

ادين بما دان الوصىّ و لا ارى   سواه و ان كانت اميّة محتدى
و لوشهدت صفين خيلى لاعذرت   و ساء (١) بنى حرب هنالك مشهدى
لكنت(٢)اسن البيض عنهم مواضيا   و اروى ارماحى و لما تقصّد (٣)
و اجلبها خيلا و رجلا عليهم   و امنعهم نيل الخلافة باليد

يعقوب بن عبد الرفيع بن زيد بن مالك بن موسى بن عبد الله ابن فضالة بن على بن عثمان بن محمد بن الحسن بن عيسى بن ثابت بن عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ابو يوسف

(١) الاصل «وشاء» (٢) من البداية وفى الاصل «اكنت» (٣) الاصل «تقصد» .

القرشي الاسدى الزبيرى المصرى الصاحب الوزير زين الدين مولده فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وقيل غير ذلك وتوفى ليلة الاربعاء المسفرة عن رابع عشر ربيع الآخر هذه السنة ثمان وستين وستمائة بالديار المصرية كان اماما عالما فاضلا ممدحا كبير الرئاسة وزر للملك المظفر قطز رحمه الله ثم وزر للملك الظاهر ركن الدين رحمه الله فى اوائل دولته مدة ثم صرفه بالصاحب بهاء الدين رحمه الله ولزم بيته الى ان ادركته منيته فى التاريخ المذكور وله نظم جيد فمنه :

١٦٥ / ب

لامني والعذر مشتهر   عاذل ما عنده خبر
فى هوى من حسن صورته   سجدت طوعا له الصور
رشأ ما قال واصفه   انه بالوصف ينحصر
رام غصن البان قامته   فانثنى من ذاك يعتذر
واستعار الظبي مُقلته   واكتسى من نوره القمر
اسمر اخبار عاشقه   بين اخبار الورى سمر
وامام فى ملاحته   واثق بالحسن مقتدر
امروا قلبي بسلوته   انا عاص للذى امروا
لو بقلبي مثله عشقوا   او بعيني حسنه نظروا
لرأوا غيي به رشدا   ولكانوا فى الهوى عذروا

السنة التاسعة والستون وستمائة

دخلت والخليفة والملوك على القاعدة فى السنة الخالية خلا ابى حفص عمر بن ابى ابراهيم يوسف صاحب مراكش فانه قتل فى حرب

بينه

بينه و بين ابى العلاء ادريس بن ابى عبد الله محمد بن يوسف ملك بنى مرين و انقرضت دولة بنى عبد المؤمن .

متجددات الاحوال

كان الملك الظاهر بالديار المصرية و توجه يوم السبت غرة صفر فى جماعة يسيرة من الامراء و الاجناد الى عسقلان فوصل اليها و هدم سورها ماكان اهمل هدمه فى ايام الملك الصالح و وجد فيما هدم كوزان مملوء ان (١)ذهبا بقدرة الفى (٢) دينار ففرقها على من فى صحبته و ورد عليه وهو بعسقلان البشير بان عسكر ابن اخى بركة كسر عسكر ابغا وعاد الى القاهرة يوم السبت ثامن شهر ربيع الاول .

و فى اوائل هذه السنة انتهى الجسر الذى عمل على بحر ابن منجا(٣) و وقف عليه الملك الظاهر وقفا يعمر ما دثر منه .

و فى اواخر ربيع الاول اتصل بالملك الظاهر ان الفرنج بعكا ضربوا رقاب جماعة من المسلمين الذين فى اسرهم ظاهر عكا صبرا فأخذ من اعيان من عنده من اسراهم نحو مائة نفر فغرقهم فى النيل ليلا .

١٦٦/الف

و فيها بنى جامع المنشية و اقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة ثامن عشرى (٤)ربيع الآخر .

و فيها قبض الملك الظاهر على العزيز بن الملك المغيث صاحب الكرك و على يعقوب بن نور الدين بدل مقدم الشهرزورية و على جمال الدين

(١) من النجوم وفى الاصل« مملوءة » (٢) النجوم(٧ / ١٤٩)«مقدار الفى»
(٣) النجوم « ابى المنجا » (٤) النجوم « عشرين » .

اغل مقدمهم ايضا و سببه انه بلغه وهو على عسقلان ان الشهر زورية عازمون على ان يثبوا على الملك و يسلطنوا ابن المغيث .

و فى اواخر جمادى الاولى وصلت النجابون الى مصر من عند نجم الدين ابى نمى محمد بن ابى سعد بن على بن قتادة بن الحسن الحسينى صاحب مكة و اخبروا ان الخلف وقع بينه و بين عمه ادريس بن على بن قتادة وكان شريكه فى الامرة فاستظهر ادريس عليه فخرج فارا من بين يديه و قصد ينبع فاستنجد بصاحبها و جمع و حشد و قصد مكة فالتقيا و تحاربا فطعن ابونمى ادريس القاه من جواده و نزل اليه وحز رأسه و استبد بمكة .

و فى ثانى عشر جمادى الآخرة توجه الملك الظاهر من الديار المصرية لقصد حصن الاكراد و فى صحبته ولده الملك السعيد و الصاحب بهاء الدين و استخلف بالديار المصرية الامير شمس الدين الفارقانى و فى الوزارة الصاحب تاج الدين و دخل السلطان دمشق يوم الخميس ثامن رجب ثم خرج منها يوم السبت عاشره و توجه بطائفة من العسكر الى جهة و ولده و الخازندار بطائفة اخرى الى جهة و تواعدوا الاجتماع فى يوم واحد بمكان معين ليشنوا الغارة على جبلة و اللاذقية و المرقب وعرقة ومرقية (١) والقليعات [و حلبا] (٢) و صافيثا و المجدل و انطرسوس(٣) ، فلما اجتمعوا و شنوا الغارة فتحوا صافيثا و المجدل ثم ساروا و نزلوا على

(١) النجوم «عرقة ومرقية»(٢) ليس فى النجوم (٣) النجوم « انطرطوس » هنا وفيما بعد .

حصن

حصن الاكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب واخذوا فى نصب المجانيق وعمل الستاير ولهذا الحصن ثلاثة اسوار فاشتد عليه الزحف والقتال وفتحت الباشورة الاولى يوم الخميس حادى عشرين الشهر ١٦٦/ب وفتحت الثانية يوم السبت سابع شعبان وفتحت الثالثة الملاصقة للقلعة يوم الاحد خامس عشره وكان المحاصر لها الملك السعيد والخازندار وبيسرى ودخلت العساكر البلد بالسيف واسروا من فيه من الجبلية والفلّاحين ثم اطلقهم الملك الظاهر ثم اذعن اهل القلعة بالتسليم وطلبوا الأمان فأمنهم الملك الظاهر وتسلم القلعة يوم الاثنين خامس عشرى (١) شعبان واطلق من كان فيها فرحلوا الى طرابلس ثم رحل عنه بعد ان رتب الافرم لعمارته وجعلت كنيسته جامعا واقيمت فيه الجمعة ورتب فيه نواب وقاضى .

وانشئت كتب البشائر بفتوحه فمن ذلك ماكتب عن الملك السعيد رحمه الله الى قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه الله بخط محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله وهو: هذه البشرى الى المجلس السامى القضائى لا زالت التهانى عنده وثيقة الاواحى (٢) حسنة التواخى، عجلة لارضاء اهل الايمان فلا يرخى له أعنة التراخى، تعلمه بفتوحات شملت بشائرها، وتعرفت بالنصر اماثرها، واستطعم الايمان حلاوتها، من اطراف المران، واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرصان، وذلك بفتح حصن الاكراد الذى كان فى حلق البلاد الشامية غصة، لم تسغ

(١) النجوم « ثالث عشرين » (٢) لعله الأواخى.

بمياه السيوف المجردة، وثجا(١) فى صدورها لم تقاومه (٢) ادوية العزائم المفردة.
طالما اكسبت البلاد رعبا، و رهبا و طالما استمرى من اخلاف الاسبتاو (٣)
حلبا، وكم صان كفترا فى بلاد الاسلام وحماه، وكم ابتى منها بكر اساء
صحبتها فما خشى معرة و لاخاف حماه، (٤) قد سما فى السماء فلا امل اليه يمتد،
و علا فى الهواء فلا بصر يلمحه الا و ينقلب خاسئا عنه و يرتد، ما كان
باكثر مما قد منا الا ستخارة، وتمننا على البلاد الا غارة، وعللنا بالمكاسرة
١٦٧ / الف عنه نفسه الامارة، و ابحنا العساكر من الغنائم كل ما اربح لهم من التجارة،
فكم احضروا من باد وا بادوا من حاضر، و تخولوا ما يعقد على حسابه
اصابع اليدين التى تدخل فى جملتها عقد الخناصر، و لساعة نزولنا بساحته،
و مصافحتنا بالصفاح مبسوط راحته، اذا صافيتا بذلت نفسها فى فدائه،
و تعلقت بذيول العسكر المنصور بأخذ الحسب من امرائه، فقبل فداؤها
و لكن بشرط فتوحه و تملكه و تكفل نصر الله على من فيه فوجدت
ارباضه جميعها من الذعر خاوية على عروشها، صائلة سخالها على و حوشها،
مُرخِصة للساوم، مرخِّصة فى اغتنام (٥) الغنائم، فملكت العساكر محمى تلك
الا موال، و حمى تلك القلل العوال، و تفيؤوا من هذه ما يصلح الا حوال،
و تبوؤا من هذه ما يغدو مقاعد للقتال، و اخذنا عليها من النقوب كل
سارى الجراحة فى دلك الجثمان، سارب فى ضمائرها كما يسرب الميل بين
الا جفان، و نصبنا عليه من المجانيق كل متبة فى مستقنع الموت رجلها،

---

(١) الاصل « سحا » (٢) الاصل « تقاومها » (٣) سيأتى شرحه (٤) الاصل
« حماه » (٥) الاصل « اغتيام » .

حاطّة (١) فى الهواء رحلها، جاثمة جثوم الهزم (٢) هادية هداية العلم، تحلق تحليق الصقور، وتحنى الصخور، بالصخور وما زالت بها حتى هدمت منها الاركان، وما برح النقابون حتى سروا فى ضمائرها سريان الدم فى مفاصل الانسان، وفصدوا بمباضع اقطاعاتهم عروق تلك الابدان، واستكنوا بها داء معضلا لا يجد العدو اليه من فتكاته دواء موصلا، تنموا بتنقيص المواد اخلاطه، ولا يرجى بيحارين الامطار المرسلة انحطاطه، حتى تجللت(٣) من الحصن المذكور قواه، واحترقت حماة من النيران الموقدة بأحشاء حماه، فحينئذ بلغت روحه التراقى، وعجلت عليه المجانيق المذكورة التى اصابته بعين ما لها من راقى، من كل ذات اعضاء واعضاد واعصاب من السرياقات (٤) وعروق تتخلل تلك الاجساد وذات زمانة كم لها خطوة فى الهواء بعيدة المنال، وامانة كم ردت الى الجبال، ما عجزت عن حملة (٥) الجبال، لها كف متسمحة، واعطاف لا تبرح حين تجود مترنحة، ما زالا هذا بعويل معاوله وهذا بأنين سهامه ينعيان الكفر مساء صباحا ١٦٧/ب ويترنمان بما يظنه المسلم له غناء وتحسبه للكفر عليه نواحا، حتى تسلمناه فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان المبارك فيأخذ حظه من هذه البشارة الحسنة، ويجعل الاصوات بها على الادعية الصالحة مؤمنة، والله يمتع الشريعة بمساعيه المستحسنة بمنه وكرمه: كتب فى التاريخ اعلاه .

ولما حصل الاستيلاء على حصن الاكراد كتب صاحب انطرطوس

(١) الاصل «حاطه» (٢) لعله الهرم (٣) لعله تحللت (٤) لعله السرداات
(٥) لعله حمله .

الى الملك الظاهر وهي للداوية (١) يطلب منه المهادنة ويبعث اليه مفاتيحها فصالحه على نصف ما يتحصل من غلال بلاده وجعل عندهم نائباله ووصل رسل الاسبتار (١) من المرقب فصالحهم مناصفة ايضا وذلك يوم الاثنين مستهل شهر رمضان وقررت الهدنة عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام ولما رحل نزل مرج صافيثا ثم سار يوم الاحد رابع عشر رمضان فاشرف على حصن ابن عكار ثم عاد الى المرج فاقام به الى ان سار ونزل على الحصن المذكور يوم الاثنين الثاني والعشرين من الشهر ونصب المجانيق عليه يوم الثلاثاء ثالث عشريه ووصل الصاحب بهاء الدين من دمشق يوم الاربعاء رابع عشريه، وفي يوم الاحد ثامن عشريه(٢) رمى المنجنيق الذي قبالة الباب الشرقي رميا كثير فخسف خسفا كبيرا الى جانب البدنة ودامت عليها حجارة المنجنيق الى الليل فطلبوا الامان على انفسهم من القتل وان يمكنهم من التوجه الى طرابلس فأجابهم وخرجوا يوم الثلاثاء سلخ الشهر وبعث صحبتهم الامير بدر الدين بيسرى فاوصلهم الى طرابلس .

وانشئت كتب البشائر بأخذه فمن ذلك مكاتبة عن الملك السعيد الى قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان بخط فتح الدين محمد بن عبد الظاهر ومضمونها : هذه المكاتبة الى المجلس السامي القضائي لازالت البركات مخيمة بفنائه، والتوفيق منوطا بجميع آرائه، وقلوب الناس متفقة على محبته وولائه، ولازالت البشائر اليه تتهادى، وترد على محله مثنى وفرادى،

١٦٨ / الف

(١) سيأتي تفسيرها قريبا (٢) النجوم « عشرينه » كذا .

تنضم(١) ما منّ الله به علينا وعلى المسلمين من المواهب العظيمة الموقع الجليلة المطلع ، وهو انه لما كان بتاريخ يوم الاثنين تاسع وعشرين من شهر رمضان المعظم سنة تسع وستين وستمائة تسلمنا حصن عكّار بعد ان رتبنا عليه المجانيق من كل جانب ، واذقنا من فيه العذاب الواصب ،ولم يزل الجاليش بسهامه يرشقهم والمجانيق تجدخهم (٢) ،والمنايا تتخطفهم ، فعند ما شاهدوا مصارع بعضهم نزلوا من الحصن المذكور خاضعين،وعفروا جباههم بالذل متضرعين ، فعند ماشاهدناهم على هذه الصورة رحمناهم لى مناهم(٣) على انفسهم خاصة وتسلمنا الحصن المذكور بحواصله وجميع مافيه وانتظم فى سلك ممالكنا ، ودخل فى جملة حصوننا وقلاعنا ، فليأخذ المجلس بحظه من البشرى بأوفر نصيب،ويذيعها بين القضاة والعلماء والفضلاء بين كل بعيد وقريب ، فانها من النعم التى يجب على كل مسلم شكرها ،ويتعين بثها بين الانام وذكرها ،فيحيط علمه الكريم بذلك والله يؤيده ويعضده ويحرسه فى سائر التصرفات والمسالك ان شاء الله تعالى :كتب فى التاريخ المذكور اعلاه .

ثم دخل الملك الظاهر الحصن ورتب به نوابا وامر بحمل بعض المجانيق الى حصن الاكراد فحملها الاجناد وعيّد ورحل الى مرج صافيثا وكان هذا الحصن كثير الضر على المسلمين ولم يكن له كبير ذكر وانما لما دخل ريدافرنس الى الساحل بعد فكاكه من الاسر رآه حُصينا صغيرا فأشار على صاحبه الابرنس ان يزيد فيه

(١) لعله تنظم(٢) لعله تشدخهم (٣) كذا ولعله وامناهم .

وهو يساعده فزاد فيه زيادة كبيرة من ناحية الجنوب وهو فى واد بين جبال تحيط به من سائر جهاته .

وفى يوم السبت رابع شوال خيم الملك الظاهر بعساكره على طرابلس فسيّر صاحبها اليه يسأل عن سبب قصده فقال لأرعى زرعكم واخرب بلادكم واعود فى السنة الآتية لحصاركم فبعث اليه يستعطفه

١٦٨ / ب فبعث اليه الملك الظاهر الاتابك وسيف الدين الرومى بمقترحات وهى ان يكون له من مكان عينه من اعمال طرابلس نصفا (١) بالسوية وان يكون له دارٌ وكالة فيها وان يعطى جبلة واللاذقية بخراجهما من يوم خروجهما عن الملك الناصر الى يوم تاريخه وان يعطى نفقات العساكر من يوم خروجه فلما علم الرسالة عزم على القتال ونصب المجانيق ثم ترددت الرسائل وتقررت القاعدة ان تكون عرقة والجبيل (٢) واعمالهما للبرنس وان يكون ساحل انطرسوس (٣) والمرقب وبلنياس (٤) وبلاد هذه النواحى بينه وبين الداوية (٥) والاسبتار (٥) والتى كانت خاصا لهم وهى بارين وحمص القديمة تعود خاصا للملك الظاهر وشرط ان يكون عرقة واعمالها وهى ست وخمسون قرية صدقة من الملك الظاهر عليه فتوقف وأنف فلما بلغ الملك الظاهر امتناعه صمم على ما شرط عليه فأجاب وعقد الصلح بينهما مدة عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام اوله يوم الاربعاء

---

(١) النجوم « نصف » (٢) النجوم « جبلة » (٣) تقدم ما فيه (٤) النجوم « بانياس »

(٥) هما طائفتان من رجال الدين عند الفرنج يحبسون انفسهم لجهاد المسلمين وراجع النجوم (ج ٦ ص ٣٣) .

ثامن شوال .

ولما كان الملك الظاهر نازلا على طرابلس بعث اليه اولاد الصارم مبارك بن الرضى ابن المعالى يستعطفونه عليهم وعلى ابيهم فاتفق الحال على ان ينزلوا من العليقة ويسلّموها لنوابه ويخرج والدهم من الحبس ويقطع بمصر خبز (١) مائة فارس ويكونوا عنده فلما نزلوا خلع عليهم وبعث بهم الى مصر فحبسوا وولى الحصن علم الدين سلطان ثم طلب صارم الدين مبارك فى محبسه بعد ايام من وصولهم فلم يعلم له خبر فأمر الملك الظاهر بحبس علم الدين المسرورى والى القاهرة بسببه ثم شفع فيه فأطلق .

وفى يوم الاحد ثانى عشر شوّال وصل الى دمشق سيل عظيم خرب كثيرا من العمائر واخذ كثيرا من الناس منهم معظم الحجاج الروميين وجمالهم وازوادهم فانهم كانوا نزلوا بين النهرين وبلغ السور فغلقت الابواب دونه وطما حتى دخل من المرامى وارتفع حتى بلغ ١٦٩ / الف احد عشر ذراعا وردم الانهار بطين اصفر ودخل البلد من باب الفراديس واخرب خان ابن المقدم واماكن كثيرة وكان ذلك فى زمن الصيف فكأن عز الدين احمد بن معقل رحمه الله اشار اليه بأبياته فى سيل مثله وهى :

لله أى حيا حنّت رواتمه ... وهمهمت اسده والشمس فى الاسد

فصب فى اغرب الاوقات صيبه ... غروب محتشك الاخلاق محتشد

(١) الاصل « حبز » خطأ .

وراحت الارض بحرا فالوهاد اذا تعلو الهضاب بمد دائم المدد

واقبل السيل بالامواج مرتميا مثل القروم اذا تهتاج بالزبد

فاعجب له من سحاب جاء يسحب من اذياله فوق نار الصحصح الجرد

يمدّه كل واد مزبد لجب فيه حطام من الينبوت والخضد

ارخى عزاليه ملأن محتفلا فطال شم الرُّبى فى اقصر المدد

وحين اهدى الينا الصخر يقذفها من السناخيب(١) اهدى الضر للبلد

فيا لها قدرة من قادر عجزت فيها البرية عن حصر وعن عدد

وفى يوم السبت حادى عشر شوال رحل الملك الظاهر عن مرج صافيثا واذن لصاحب حماة ولصاحب صهيون (٢) ولرسل اولاد الصارم مبارك فى العود الى اماكنهم ودخل دمشق يوم الاربعاء خامس عشر شوال وعزل قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان عن قضاء دمشق وكان قد وليها عشر سنين محررة وولى القاضى عز الدين محمد ابن عبد القادر بن عبد الخالق المعروف بابن الصائغ وخلع عليه وكان تقليده قد كتب ظاهر طرابلس .

وفى يوم الجمعة خامس عشرى (٣) شوال خرج الملك الظاهر من دمشق قاصدا القرين فنزل عليه يوم الاثنين ثامن عشرى (٤) الشهر ونصب عليه المجانيق ولم يكن به نساء ولا اطفال بل مقاتلة [من اللهان - ٥] فقاتلوا قتالا شديدا واخذت النقوب الحصن من كل جانب فطلب من فيه

(١) لعله الشناخيب (٢) النجوم (ج ٧ ص ١٥٣) « حمص » (٣) النجوم « رابع عشرين» (٤) النجوم « سابع عشرين » (٥) ليس فى النجوم .

الامان فأمنوا يوم الاثنين ثالث عشر ذى القعدة و بعث بهم على ١٦٩/ ب
الجمال مأمنهم مع يسرى و تسلم الحصن بما فيه من السلاح ثم هدمه
وكان بناؤه من الحجر الصلد و بين كل حجرين عمود حديد ملزوم
بالرصاص فأقاموا فى هدمه اثنى عشر يوما و فى حصاره خمسة عشر يوما.

وفى يوم الاثنين سادس عشرى(١) الشهر نزل الملك الظاهر على
كردانة قرية قريبة من عكا و لبس العسكر و سار الى عكا و اشرف عليها
ثم عاد الى منزله ثم رحل منها يوم الثلاثاء قاصدا مصر فدخلها يوم
الخميس ثالث عشر ذى الحجة و جملة ما صرفه الملك الظاهر فى هذه السفرة
من حين خروجه الى عوده ينيف (٢) عن ثمانمائة الف دينار عينا .

و فى اليوم الثانى من وصوله الى قلعة الجبل قبض على جماعة
من الامراء منهم الامير علم الدين سنجر الحلبي الكبير و الامير جمال الدين
آقوش المحمدى و الامير جمال الدين ايدغدى الحاجبي الناصرى والامير
شمس الدين سنقر المساح والامير سيف الدين بيدغان الركبى و الامير
علم الدين سنجر طرطج (٣) و غيرهم و حبسوا بقلعة الجبل و سبب ذلك انه
بلغه انهم تآمروا على قبضه لما كان بالشقيف فاسرّها فى نفسه .

و فيها بلغ الملك الظاهر وهو على حصن الاكراد ان صاحب
قبرس خرج منها فى مراكبه الى عكا فاراد الملك الظاهر اغتنام خلوها
فجهز سبعة عشر شينيا فيها الرئيس ناصر الدين عمر بن منصور بن سليمان

(١) النجوم «عشرين» (٢) النجوم (ج ٧ ص ١٥٣) «ما ينيف على مائة الف
دينار وثمانين الف دينار» (٣) النجوم طرطح.

ابن سلامــة بن اسحاق رئيس مصر و شهاب الدين محمد بن ابراهيم بن عبد السلام الهوارى رئيس الاسكندرية و شرف الدولة (١) علوى بن ابى المجد بن علوى العسقلانى رئيس دمياط و جمال الدين مكى بن حسون مقدما على الجميع فوصلوا الجزيرة ليلا فهاجت عليهم ريح طردتهم عن المرسى و القت بعض الشوانى على بعض فتحطم منها احد عشر شينيا و أخذ من فيها من الرجال و الصناع اسراء وكانوا زهاء الف و ثمانمائة نفر و سلم الرئيس ناصرالدين و ابن حسون فى الشوانى السالمة وعادت الى مراكزها .

و فى يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجــة تقدم الملك الظاهر ١٧٠ / الف باراقة الخمور فى سائر بلاده و الوعيد لمن يعصرهـا بالقتل فاريق على الاجناد و العوام منها ما لايحصى قيمة وكان ضمان ذلك فى ديار مصر خاصة الف دينـار فى كل يوم وكتب بذلك توقيع قرئ على منبرى مصر و القاهرة .

و فى الآخر (٢) من ذى الحجة اهتم الملك الظاهر بانشاء شوانى عوضا عما ذهب على قبرس و فيها نزل الفرنج على تونس و سبب ذلك ان تجارا منهم قصدوها فالزموا عــلى تجارتهم حقوقا فضربوا دراهم مغشوشة على سكة صاحب تونس و اخرجوها فى الحقوق الموجبة عليهم وظن العمال أن الامير تقدم بضربها فأخذوها ثم فحصوها فوجدوها ضرب خارج الدار فسأل عن اكثر الفرنج مالا فقيل له اهل جنوة

(١) النجوم (ج ٧ ص ١٠٤) «الدين» (٢) النجوم «العشر الأخير» .

فأمر باستيصال اموالهم فى سائر بلاده وحبسهم فاستصرخ اهل جنوة بريدافرنس وامدوه بالاموال فجمع وحشد وقصد تونس فى اربعمائة الف رجل منها ستة وعشرون الف فارس ومعه من الملوك صاحب نابرة وابن الفنش وزوجة صاحب صقلية وعدة مراكبهم اربعمائة مركب فامر صاحب تونس ان يخلى لهم الساحل ولا يقاتلهم احد فنزلوا فى البر فى ثامن عشر ذى الحجة سنة ثمان وبعث صاحب تونس الى قبائل العرب الذين فى بلاده وجمع مشايخهم وكبراء دولتـــه من الاجناد والكتاب ليشاورهم فكل اشار برأى ورأت الجماعة الاندلسيون ان يفسح لهم فى البر فان المكان الذى نزلوا به لا يتسع لقتال فنزلت زوجة صاحب صقلية فى البرج الذى على طرف المرسى واخرج صاحب تونس العدد وفرقها فى الجند والمطوعة فحملوا من غير امره وكان معهم جماعة من الفرنج فى طاعتهم فاشاروا على من معها ان تنزل من البرج الى البحر ويلحقوها بالمراكب لئلا تؤخذ ففعلوا ففهم الاندلسيون كلامهم فلما فاتهم مقصودهم منها عادوا الى البلد وحكموا فى نسائهم واولادهم السيف ونهبوا اموالهم وامر صاحب تونس الرعية بعدم القتال فاشتد طمع الفرنج وقصدوا المعلقة وقتلوا من اهلها سبعين رجلا ١٧٠ / ب واخذوا منبرها وبعثوا به الى بلادهم .

وذلك فى ثانى عشر ذى الحجة سنة ثمان ثم بعثوا الى صاحب تونس يطلبونه (١) لمبارزتهم فقال ليس فيكم ملك متوج حتى اخرج

(١) الاصل يطلبوه - ك

اليه و انما الذين (١) معكم كنود فانا ابعث اليهم اكفاءهم ثم انفق فى العربان و امرهم بالاحتياط بهم نخافت الفرنج و خندقوا على انفسهم جميع شهر ذى الحجة فلما هل المحرم سنة تسع و مضت منه ايام خرج الفرنج و قاتلوا قتالا شديدا و لم يكن فى المسلمين من الجند احد انما هم عربان و برر و عوام فاستظهر المسلمون عليهم و اخذوا لهم فوق المائتى فرس و قتلوا ابن ريدافرنس و صاحب نابرة و ابن صاحب قشتالة ابن القنش .

و علم ذلك المسلمون فى العشرين من ربيع الاول و اخبروا ايضا ان ريدا فرنس مات فى الليلة التى خرجوا فى صبيحتها و لم يبق عند الفرنج ملك غير اخيه شرون (٢) و طلب الفرنج الصلح فتوقف صحب تونس فقيل له المصلحة الصلح فان العرب لهم باطن مع الفرنج و لهم عليهم فى كل يوم اربعون الف دينار حتى لايقاتلونهم فأجاب فى ذلك فتمنع الفرنج حينئذ و قالوا كيف نصالح و قد حلفنا ان نموت بعضنا على بعض الى ان ترد اموال الجنويين عليهم و قال شرون(٢) لصاحب تونس تعطينى الذى كان ابوك يعطيه لانبرطور من حين قطعه و ذلك عشرون سنة فقال ان كنت قويا فاجلس و منى و منك (٣) و ان كنت ضعيفا مهزوما فلا تشترط فوقع الصلح على رد مال الجنويين و اتفقوا فى رابع و عشرين ربيع الآخر و رحلوا بعد ذلك بسبعة عشر يوما .

---

(١) الاصل الذى ـ ك (٢) النجوم « شارل » و قد تقدم قريبا (٣) كذا .

ذكر دخول اَجاىّ بن هولاكو وصمغرا صحبته الى بلاد الروم

قد تقدم القول برجوع أبغا الى أذربيجان بعد كسر برق ووصل الى ظاهر توريز ثم رحل الى مدينة رومى وضرب مشورة بسبب صاحب مصر وغيره فاتفقوا انهم يسيروا اجَاىّ بن هولاكو فى ثلاثة آلاف فارس وقال له تأخذ فى طريقك عول بألف فارس وابن نايجونوين بألف فارس ودرباى بألف فارس وجغل بألف فارس ونابجى بثلاثة آلاف فارس وعسكر الروم والبرواناة فوصلوا ١٧١/الف الى الروم واجتمعوا وسيأتى ذكر ذلك فى حوادث سنة سبعين ان شاء الله تعالى .

فصل

وفيها توفى ابراهيم بن المسلم بن هبة الله بن البارزى ابو اسحاق شمس الدين الحموى الفقيه الشافعى فقيه فاضل دين ورع وله شعر جيد قرأ على ابى اليمن زيد بن الحسن الكندى وولى التدريس بمعرة النعمان وصحب ابا منصور بن عساكر (١) واعاد عنده وولى التدريس بدمشق بالمدرسة الرواحية ثم ولى التدريس بحماة ثم ولى القضاء بها فوفق فى قضاياه وسلك الطريق المرضىّ وكانت ولايته فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة ولم يزل على ذلك الى ان توفى الى رحمة الله تعالى بحماة فى

(١) هو فخر الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسن توفى سنة ٦٢٠ ـ ك.

شعبان ومولده سنة ثمانين وخمسمائة ومن شعره فى وصف دمشق :

دمشق لها منظر رائق فكل الى وصلها تائق
وأنى يقاس بها بلدة وبها الله والجامع الفارق

احمد بن مقدام بن احمد بن شكر ابو السعادات كمال الدين ابن القاضى الأعز ابى الفوارس ابن ابى السعادات كان احد الكبراء المشهورين بالديار المصرية متأهل للوزارة وغيرها معروف بالمناصب الجليلة وله الرائ الصائب والعقل الثاقب والتقدم فى الدول وله يد فى النظم ومعرفة بالادب ومشاركة فى غيره توفى بالقاهرة فى السادس والعشرين من شهر رمضان المعظم ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله تعالى.

حسن بن ابى عبد الله بن صدقة بن ابى الفتوح ابو محمد الازدى الصقلى المقرئ الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع كان من السادات فى تعبده وزهده واعراضه عن الدنيا واهلها وتقلله منها مع قدرته على السعى فى المناصب وغيرها وكان مثابرا على قضاء حوائج الناس يسعى فيها بنفسه وله الحرمة الوافرة والمهابة فى الصدور والكلمة المسموعة والقبول التام من الخاص والعام وكانت وفاته بدمشق فى ليلة الثانى والعشرين من ربيع الآخر (١) ودفن من الغد بسفح جبل ١٧١ / ب قاسيون وهو فى عشر الثمانين رحمه الله تعالى ورضى عنه.

الحسين بن يحيى بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن على بن عبد العزيز بن على بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن الوليد بن القاسم

(١) النجوم (ج ٧ - ص ٢٣٥) « الاول ».

ابن الوليد بن عبد الرحمن بن ابان بن امير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ابوعبد الله زكى الدين القرشى الاموى العثمانى الشافعى مولده سنة اثنتين و اربعين و ستمائة و توفى فى رابع صفر هذه السنة بدمشق و دفن فى تربتهم بسفح قاسيون رحمه الله وكان من الفضلاء النبلاء اشتغل بالفقه و الاصول و الخلاف والعربية و افتى و درس وكان له مشاركة فى الادب و هو من بيت الرئاسة و الفضيلة و من شعره من جملة ابيات :

حيّا و اقبل يمشى مشية الثمل يستن فى حسن برد ناعم خضل

فى كفه طاسة يهدى لمغرمه رشاً(١)ألذ و أحلى من جنى العسل

فقلت هيهات لاخوف ولاجزع (انا الغريق فما خوفى من البلل)

سنجر بن عبد الله الامير علم الدين الصيرفى كان من اعيان الامراء بالديار المصرية و اكابرهم و ممن يخشى جانبه و يخاف فلما تملك الملك الظاهر و استقر قدمه اخرجه الى الشام ليأ من غائلته واقطعه خبزا منه(٢) عدة قرى فى بلد بعلبك فطلع الى بعلبك و تمرض و ادركته منيته بها فتوفى ليلة الاربعاء سادس صفر رحمه الله و هو فى عشر الستين .

سنجر بن عبد الله المستنصرى الامير قطب الدين البغدادى المعروف بالباغز (٣) كان من مماليك الامام المستنصربالله رحمه الله و لما ملك التتر بغداد فى سنة ست و خمسين على ما تقدم شرحه هرب جماعة كان قطب الدين المذكور منهم ووصل الى الشام وكان محترما فى الدولة الظاهرية و عنده معرفة و نباهة و حسن عشرة و يحاضر الاشعار (٤) و الحكايات و توفى

(١) لعله رشاً (٢) لعله من (٣) النجوم (٧ / ٢٣٢) «الياغز» (٤) النجوم بالاشعار .

فى العشر الاول من صفر رحمه الله وهو فى عشر الستين .

عباس بن محمد بن ايوب بن شاذى ابوالفضل الملك الامجد تقى الدين الملك العادل الكبير كان محترما عند الملوك من اهل بيته وعند الملك الظاهر لايترفع عليه احد فى المجلس ولا فى الموكب وهو آخر من مات من اولاد الملك العادل لصلبه وهو كبير البيت الأيوبى غير مدافع وكان دمث الاخلاق حسن العشرة لا تمل مجالسته وكانت وفاته يوم الجمعة ثانى وعشرين جمادى الآخرة ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

عبدالحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين ابومحمد قطب الدين الشيخ العارف المرسى الزقوطى (١) كان احد المشايخ المشهورين بسعة العلم وبعدد المعارف وله تصانيف عدة ومكانة مكينة عند جماعة من الناس واقام بمكة سنين عديدة الى ان توفى بها فى الثامن والعشرين من شوال هذه السنة ومولده سنة اربع عشرة وستمائة رحمه الله تعالى والزقوطى (١) نسبة الى حصن من عمل مرسية يقال له زقوطة (١) .

عبد الله بن احمد بن عبد الواحد بن الحسين بن ابى المضاء ابوبكر شمس الدين كان من اعيان اهل بعلبك وصدورها وولى فيها الحسبة مدة زمانية وولى غيرها من المناصب واصابه خلط يعتريه فى بعض الايام يشبه الصرع وكان له ثروة ووجاهة وحج فى سنة سبع وتسعين ١٧٢/ الف وخمسمائة وتوفى بمنزله ببعلبك عشية نهار الخميس سادس عشر جمادى

(١) النجوم (٧ / ٢٣٢) « الرقوطى » .

الآخرة و دفن من الغد ظاهر باب حمص من مدينة بعلبك وهو فى عشر التسعين رحمه الله .

عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سيد بن علوان البعلبكى كان من العدول الامناء و توفى فى ليلة الثلاثاء عاشر ربيع الاول و هو فى عشر الستين رحمه الله .

عبد الوهاب بن احمد بن محمد بن عبد العزيز بن الحسين بن عبدالله ابوالمكارم السعدى التميمى المصرى العدل المعروف بزين القضاة بن الحباب سمع وحدث وهو من بيت الرياسة والنبل والعدالة والفضل وبيته من البيوت المشهورة بالديار المصرية من حين استوطنوها وهم من ذرية زيادة الله بن الاغلب آخر ملوك افريقية الذين انتقل عنهم الملك الى الخلفاء الفاطميين وكانت وفاة زين القضاة فى التاسع و العشرين من جمادى الاولى بمصر و دفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله و مولده فى غرة المحرم سنة تسع و ثمانين و خمسمائة بمصر .

١٧٢ / ب

عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى ابوحفص شرف الدين السبكى الفقيه المالكى مولده فى عشر ذى الحجة سنة خمس و ثمانين و خمسمائة تفقه وسمع وحدث و افتى وتولى الحسبة بالقاهرة مدة ثم تولى الحكم بالديار المصرية حين جعلت القضاة بها من المذاهب الاربعة و درس بالمدرسة الصالحية بالطائفة المالكية وكان احد المشايخ المشهورين بالعلم والدين و الفضل والخير وتوفى بالقاهرة ليلة الخامس والعشرين من ذى القعدة و دفن من الغد بمقابر باب النصر رحمه الله تعالى و السبكى

نسبة الى سبك من اعمال الديار المصرية .

عمر بن على بن ابى بكر بن محمد بن بركة بن محمد ابو الرضا رضى الدين الحنفى المعروف بابن الموصلى مولده بميا فارقين سنة اربع عشرة وستمائة تفقه و درس وافتى وحدث وكان احد المشايخ المشهورين بالفضل والرياسة والديانة والنبل و له نظم حسن و خط جيد وكانت وفاته فى ثانى عشر شهر رمضان المعظم بالقاهرة و دفن من يومه بسفح المقطم رحمه الله تعالى .

عيسى بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن احمد بن ابراهيم بن كامل ابو محمد الكردى الهكّارى الامير شرف الدين سمع بالقدس من الخطيب ابى الحسن على بن جميل المعافرى (١) و اجاز له ابو حفص عمر بن محمد ابن طبرزد و ابو اليمن زيد بن الحسن الكندى و حدث و مولده يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة بالقدس الشريف وكان احد الامراء الكبار مشهورا بالشجاعة معروفا بالاقدام و له وقائع معروفة مع العدو المخذول بأرض الساحل و غيرها و مواقف مشهورة فى المصافات و ولى الاعمال الجليلة و تقدم على العساكر فى الحروب وكان ممن جمع بين الدين و الشجاعة و الكرم و المروءة و حاز الاوصاف الجميلة ما فاق به على كثير من ابناء جنسه و توفى بدمشق فى الثامن و العشرين من ربيع الآخر و دفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله . ١٧٣ / الف

محمد بن اسعد بن عبد الرحمن بن كبتى (٢) بن عبد الرحمن ابو عبد الله

(١) هو ابو الحسن على بن محمد بن على بن جميل توفى سنة ٦٠٥ - ك (٢) كذا .

الهمذانى الشيخ الصالح الزاهد العابد كان من الاولياء الافراد اقام بمشهد ابن عروة بجامع دمشق داخل باب البريد مدة سنين منعكفا على العبادة الى ان توفى الى رحمة الله تعالى ورضوانه بكرة نهار الاربعاء سادس صفر بدمشق ودفن من يومه بسفح قاسيون وهو فى عشر الثمانين رحمه الله تعالى .

محمد بن اسماعيل بن عثمان بن المظفر بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابو عبد الله الدمشقى الشافعى المعروف بالمجد ابن عساكر سمع من الخشوعى والقاسم بن على الدمشقى (١) وابى المعالى محمد بن على القرشى وابن طبرزد (٢) وحنبل (٣) والكندى وغيرهم وحدث ومولده مقارب سنة سبع وثمانين وخمسمائة وتوفى بدمشق فى الثامن من ذى القعدة ودفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله .

محمد بن تمام بن يحيى بن عباس بن يحيى بن ابى الفتوح بن تميم ابوبكر فخر الدين الحميرى الدمشقى كان من صدور دمشق واعيانها وعدولها ومولده فى خامس ذى القعدة سنة ثلاث وستمائة سمع من الامام موفق الدين ابى محمد عبد الله بن احمد بن قدامة (٤) وغيره وحدث بدمشق والقاهرة وتوفى بدمشق فى رابع رجب ودفن من يومه بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى .

محمد بن خطلبا بن عبد الله ابو عبد الله ناصر الدين الامير بن الامير

---

(١) توفى سنة ٦٠٠ـك (٢) توفى سنة ٦٠٧ـك (٣) توفى سنة ٦٠٤ـك (٤) توفى سنة ٦٢٠ ـ ك .

صارم الدين التبنيني كان اميرا جليلا كبير المقدار عالى الهمة و اسع الصدر خبيرا بالتصرفات تنقلت به الاحوال و احكمته التجارب و ولى الولايات الجليلة و كان نزها عن اموال السلطان و اموال الرعية لا يدنس بذلك هو و لا احد من حاشيته وكان صار ما ضابطا لما يتولاه يكف القوى عن الضعيف و له الحرمـــة الوافرة عند الملوك و وصله من

١٧٣/ب الاموال فى عمره ما لا يحصى كثرة و انفقها جميعها و قل ما بيده فى آخر عمره و توفى الى رحمة الله تعالى مجردا فى حصن الاكراد بظاهره فى شهر ذى الحجة و دفن ظاهر الحصن المذكور و قد نيف على السبعين وكان له المام بالادب و الفضيلة و معرفة تامـــة بالجوارح و معالجتها و صنف فى ذلك و فى البيطرة ما يحتاج اليه و ينتفع به رحمه الله .

محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر بن احمـــد بن حوارى ابو المكارم تاج الدين التنوخى المعرى الاصل الحنفى المذهب الدمشقى المولد و الدار و الوفاة المعروف بابن شقير مولده فى سنة ست و ستمائة سمع و حدث بدمشق و القاهرة و كان اديبا فاضلا و عنده رئاسة و مكارم اخلاق و دماثة و حسن محاضرة و هو من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد و له فيه مدائح جمة وكان الملك النـاصر يحبه و يقدمه على غيره من الشعراء الذين فى خدمته و توفى تاج الدين المذكور يوم الثلاثاء تاسع عشر صفر فى منزله بسفح قاسيون و دفن فى دهليز مغارة الجوع بقاسيون رحمه الله تعالى و من شعره :

لاح وهناً بالابرقين بروق فاعترى قلبى المشوق خفوق

طرق الدمع طرفه وله منـــه صبوح لا ينقضى و غبوق
انحلته مرضى الجفون فما ان يهتدى نحوه الخيال الطروق
ريقه رائق(١) السلافة و الثغـــر حباب وخدّه (٢) الراووق
حلّ صدغيه ثم قال أفرقٌ بين هذين قلت فرق دقيق
فأتى بالنطاق ينطق بالفر ق ولولاه اشكل التفريق

وله:

اسكرتنى عيناك يا ابن خمار سكرة ما لحزها من خُمار
ما رأينا من قبل شَعرك ليلا اشرقت فى دجاه شمس النهار
اطلع الحسن من ثناياك طلعا فى عقيق يسق بصافى العقار
ناله (٣) فى جماله من مصون فى هواه تهتكت استارى

محمد بن حيدر بن ... (٤) كان رجلا عابدا يقوم معظم الليل ١٧٤ / الف
و يكثر من الصلاة و التسبيح و يؤذن احتسابا وكانت والدته زوجة شيخنا الشيخ عبد الله الكبير رحمة الله عليه و توفى ببعلبك فى ثانى جمادى الاولى وقد نيف على سبعين سنة ودفن بالقرب من رأس العين ظاهر بعلبك رحمه الله .

مرشد بن عبد الله شجاع الدين المظفرى الخادم الامير الكبير عتيق الملك المظفر تقى الدين محمود بن الملك المنصور صاحب حماة كان من الابطال الشجعان و له فى الحروب مواقف مشهورة وكان الملك الظاهر

(١) الاصل « رابق » خطأ (٢) الاصل « وحده » خطأ (٣) لعله ماله (٤) بياض فى الاصل ــ ك .

ركن الدين رحمه الله يحبه و يعتمد عليه لكفايته و شجاعته وكان الملك المنصور ناصرالدين محمد صاحب حماة رحمه الله ابن استاذه هو مخدومه لا يخالفه فيما يشير به يتصرف فى مملكته كتصرفه وكان عنده ايثار و بر بالفقراء كثير الصدقة و توفى الى رحمة الله تعالى بحماة و دفن فى تربته بقرب المدرسة التى انشأها و هو فى عشر السبعين .

السنة السبعون وستمائة

دخلت هذه السنة و الخليفة و الملوك على القاعدة المستقرة و الملك الظاهر بقلعة الجبل بالقاهرة .

متجددات هذه السنة

فى يوم الاحد رابع عشر المحرم ركب الملك الظاهر الى الصناعة لالقاء الشوانى فى البحر و ركب فى شينى منها و معه الامير بدر الدين الخازندار فلما صار الشينى فى الماء مال بمن فيه فوقع الخازندار منه الى البحر فنهض بعض رجال الشينى و رمى نفسه خلفه فأدركه و اخذ بشعره و خلصه و قد كاد (١) فخلع عليه و احسن اليه .

و فى ليلة السبت السابع و العشرين منه خرج الملك الظاهر الى الشام فى نفر يسير من خواصه و امرائه و دخل حصن الكرك ثم خرج منه و قد اخذ معه الامير عزالدين ايدمر النائب كان فيه و سار الى دمشق فوصلها يوم الجمعة ثانى عشر صفر فعزل عنها الامير جمال الدين آقوش النجيبي و ولى مكانه الامير عزالدين ايدمر ثم خرج منها الى ١٧٤ / ب

(١) كذا و لعله سقط لفظ « يموت » .

حماة فى السادس عشر منه ثم عاد عنها فى السادس و العشرين منه .

ذكر توجه الملك الظاهر الى حلب

و سببه ان صمغرا و معين الدين سليمان البرواناة و عساكر المغل و الروم لما عادوا من عند ابغا فى السنة الخالية وردت عليهم اوامر ابغا بقصد الشام فى هذه السنة فحشد و خرج صمغرا و البرواناة بعسكر عدته عشرة آلاف فارس فوصلوا الى البلستين ثم الى مرعش و بلغهم ان الملك الظاهر بدمشق فبعثوا الفا و خمسمائة فارسا من المغل ليتجسسوا الاخبار و يغيروا على اطراف بلاد حلب وكان مقدمهم اقبال (١) بن بايجونوين فوصلت غارتهم الى عين تاب ثم الى قسطون و وقعوا على جماعة تركمان نازلين بين حارم وانطاكية فاستأصلوهم فتقدم الملك الظاهر بتجفيل البلاد و اهل دمشق ليحمل التتر الطمع فيدخلوا فيتمكن منهم و بعث الى مصر فخرجت العساكر ومقدمها الامير بدرالدين بيسرى فوصلوا اليه فى خامس ربيع الآخر و خرج بهم فى السابع منه فسبق الى التتر خبره فولوا على اعقابهم و لما مر الملك الظاهر بحماة استصحب معه الملك المنصور صاحبها وكذلك الامير نورالدين بن مجلى بمن عنده من عسكر حلب و سار حتى نزل حلب يوم الاثنين ثامن (٢) عشر الشهر المذكور فخيم بالميدان الأخضر ثم جهز الامير شمس الدين الفارقانى فى عسكر و امره أن يدوخ بلاد حلب الشمالية و لايتعرض لبلاد صاحب سيس وجهز الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى فى عسكر وامره بالتوجه الى حران

(١) الاصل اقال - ك، و فى النجوم (٧ / ١٥٦) « امال » (٢) النجوم « ثانى » .

فأما شمس الدين فانه سار خلف التتر الى مرعش فلم يجد منهم احدا ثم عاد الى حلب فوجد الملك الظاهر مقيما بها وقد امر بانشاء دار شمالى القلعة كانت تعرف بالامير (١) سيف الدين بكتوت استاذ دار الملك الناصر و اضاف اليها دارا تعرف بالملك(٢) الرشيد شرف الدين هارون ابن الملك ١٧٥ / الف المفضل موسى بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب و وكل بعمارتها الامير عزالدين الافرم .

و لما عاد الفارقانى الى حلب رحل الملك الظاهر منها قاصدا الديار المصرية فى ثامن و عشرين ربيع الآخر و دخل مصر فى الثالث و العشرين من جمادى الاولى، ولما كان بحلب خرجت طائفة من الفرنج من عتليث واغارت على قافون (٣) واخذت التركمان على غفلة منهم فلحقهم الامير جمال الدين آقوش الشمسى ببعض العسكر واسترد بعض الغنيمة ثم اغاروا ثانية على القرين فلحقهم و اقتلع منهم عشرين فارسا وعند وصول الملك الظاهر الى مصر قبض على الامراء الدين كانوا مجردين على قافون(١) غير الشمسى فشُفِع فيهم فاطلقهم .

واما الامير علاء الدين طيبرس فانه سار و معه عيسى بن مهنا فى جماعة من العرب فخاض الفرات و سار الى حران فخرج اليه من بها من نواب التتر فالتقاهم عيسى وطاردهم وطاردوه فخرج عليهم العسكر فلما رأوه نزلوا عن خيولهم و قبلوا الارض والقوا سلاحهم فقبضوا عن آخرهم و كانوا ستين رجلا و سار الامير علاء الدين الى حران

(١) النجوم « بدار الامير (٢) لعله بدار الملك (٣) النجوم (١٥٧/٧) « قاقون ».

فاغلقوا

فاغلقوا ابوابها و تركوا بابا واحدا فخرج منه الشيخ محاسن بن القوال(١) احد اصحاب الشيخ حياة (٢) و معه جماعة كثيرة و ذلك يوم الثلاثا سادس عشرى ربيع الآخر واخرج له طعاما تبركا فتلقاه الاميرعلاءالدين وترجل له فأخرج له مفاتيح حران وقال له البلد للسلطان ثم عاد علاء الدين ولم يدخل حران فعبر الفرات سباحة وعاد الى مصر.

وفى يوم الاربعاء ثالث جمادى الآخرة عبر الملك الظاهر الى برالجيزة فأخبر ان ببوصير السدر مغارة بها مطلب فجمع لها خلقا فحفروا امدا(٣) بعيدا فوجدوا قطاطا ميتة وكلاب صيد وطيورا وغير ذلك من الحيوان ملفوفا فى عصائب وخرق فاذا حلت اللفائف ولاقى الهواء ما كان فيها صارهباء واقام الناس ينقلون ذلك مدة ولم ينفد ما فيها فأمرالملك الظاهر بتركها وعاد من الجيزة يوم الثلاثاء ثالث وعشرين منه . ١٧٥ / ب

و فى يوم السبت سابع عشر (٤) جمادى الآخرة ركب الملك الظاهر الى الصناعة ليرى الشوانى التى عملت وهى اربعون شينيا فسربها .

و فى الشهر المذكور ولدت زرافة بقلعة الجبل و هذا امر لم يعهد وارضع ولدها لبن بقرة .

و فى ثالث شهر رجب امرالملك الظاهر جماعة منهم الاميرشرف الدين مختص و بهاء الدين ايوب اميرآخور وركن الدين منكورس الزاهدى واسد الدين قراصقل واسد الدين منكورس الحموى و ناصر الدين

(١) الاصل بلا نقط (٢) هو حياه بن قيس الحرانى الزاهد توفى سنة ٥٨١ - ك
(٣) النجوم « مدى » (٤) النجوم «عشرين» .

نصر اللالا . وتوجه الامير فخر الدين الطنبا الحمصى الى الساحل فى جماعة من الامراء والاجناد يوم الاثنين سادس شهر رجب .

وفى يوم الجمعة ثانى شعبان امر الملك الظاهر بالحوطة على بيت الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ العماد المقدسى الحنبلى (١) وحمل ما فيه من الودائع فحملت الى قلعة الجبل وسبب ذلك انه وقع بينه وبين التقى شبيب الحرانى الكحال (٢) شنآن كان اصله ان المذكور كان له اخ ينوب عن الشيخ قاضى القضاة فى المحلة فعزله لأمر اوجب عزله فحمل شبيب المذكور تعصبه لأخيه (٣) ان كتب رقعة الى الملك الظاهر ذكر فيها ان عند الشيخ شمس الدين ودائع للتجار من اهل بغداد وحران والشام وذكر جملة كبيرة قد مات بعض اهلها واستولى عليها فلما وصلت اليه استدعى الشيخ شمس الدين وسأله فانكر فحلفه فتأول وحلف فأمر بهجم بيته فوجد فيه كثيرا مما ادعاه شبيب بعضه قد مات اهله ولهم وراث وبعضه اهله احياء والغبار عليه عاكف لم تمسه يد فأخذ من ذلك زكاته عدة سنين وسلم لاصحابه وحنق الملك الظاهر على الشيخ وحبسه فتسلط عليه شبيب حينئذ وادعى انه حشوى وانه يقدح فى الدولة وكتب بذلك محضرا فعقد له مجلس يوم الاثنين حادى عشر شعبان بعد سفر الملك الظاهر الى الشام وكان المجلس بحضرة

(١) هو محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد الجماعيلى توفى سنة ٦٧٦ - ك (٢) توفى سنة ٦٩٥ وهو شبيب بن حمدان الحرانى - ك (٣) هو احمد بن حمدان توفى ايضا سنة ٦٩٥ - ك .

الامير

الامير بدرالدين الخازندار فاستدعى بالشهود الذين شهدوا فى المحضر فنكل ١٧٦/ الف
بعضهم عن الشهادة فاطلقوا و شهد الباقون فأخرق بهم و حرصوا(١) و تبين
للامير بدرالدين تحامل شبيب فأمر بحبسه و الحوطة عــلى موجوده
و اعيد الشيخ شمس الدين الى الحبس فأقـام به الى ان افرج عنه فى
نصف شعبان سنة اثنتين و سبعين .

و فى الثالث من شعبان توجه الملك الظاهر فى جماعة من الامراء
و الخواص الى الشام و خيم بين قيسارية و ارسوف وكان مركّزا بها
الامير شمس الدين الفارقانى فرحل عنها الى مصر و دخلها يوم الاثنين
تاسع عشر شعبان و تلقاه الملك السعيد و الامير بدرالدين الخازاندار ثم
ان الملك الظاهر شنّ الغارات على بلد عكا فخرجت اليه الرسل يطلبون
منه الموادعة و الصلح و ترددوا فى ذلك حتى تقررت الهدنة مدة عشر
سنين و عشرة اشهر و عشرة ايام و عشر ساعات اولها ثانى عشرى (٢)
شهر رمضان ثم رحل بالعساكر التى بالساحل و نزل بهم خربة اللصوص
ثم سار الى دمشق فدخلها فى الثامن من شوال .

و فى الخامس و العشرين من شهر رمضان وصل جماعة كثيرة من
التتر الى حران فاخربوا سورها وكثيرا من اسواقها و دورها و نقضوا
جامعها و اخذوا اخشاب سقوفه و استصحبوا معهم من فيها فخربت ودثرت .

ذكر وصول رسل التتر الى الملك الظاهر

كان قد وصل رسل صمغرا نوين المقيم بالروم فى السابع من شوال و هم

---

(١) كذا (٢) النجوم « عشرين » .

مجد الدين دولات خان و سعد الدين سعيد الترجمان من جهة صمغرا ومن جهة
معين الدين سليمان بن مهذب الدين بن محمد نائب السلطنة ببلاد الروم
فاحضرهم و سألهم عما جاؤا فيه فقالوا صمغرا نوين يسلم عليك و يقول
لك مذ جاورته فى البلاد لم يصله من جهتك رسول فى امر تختاره
و قدرأى من المصلحة ان تبعث الى أبغا رسولا بما تحب حتى يساعدك
على بلوغ غرضك و تتوسط عنده فاكرم الملك الظاهر الرسل و ركبهم
معه فى الميدان مرارا ثم عين الامير فخر الدين اياز المقرى و الامير
١٧٦ / ب مبارز الدين الطورى رسولين الى ابغا و بعث معهما جوشنا له و لصمغرا
قوسا فسارا مع رسل صمغرا فلما وصلا قونية حضرا جامعها يوم الجمعة
فسمعا الرعية يبتهلون بالدعــاء للملك الظاهر فأديا الرسالة الى صمغرا
و مضمونها شكره .

ثم اخذهما البرواناة و سار بهما الى ابغا فلما اجتمعا به قال لهما
ما الذى جئتما فيه فقالا ان صمغرا بعث الى السلطان و اخبره انك
احببت ان يأتى اليك من جهته رسول فأرسلنا نقول لك ان اردت
ان اكون مطاوعا لك فرد ما فى يدك من بلاد المسلمين فقال هــذا
لا يمكن و اقرب ما فى هذا ان يبقى كل واحد منا عــلى ما فى يده
فحصلت بينهما مفاوضات اغلظ لهما فيها و انفصلا عنه من غير اتفاق
فوصلا دمشق فى خامس عشر صفر سنة احدى و سبعين .

و فى ذى القعدة وصل الى دمشق رسل من بيت بركة من عند
منكوتمر بن طغان بن سرطق بن باتو فى البحر و كانوا لما خرجوا من

بلاد الأشكرى صادفهم مركب من البيسانيين (١) فأخذهم و دخلوا بهم عكا فقبح عليهم من بها ما فعلوه ثم جهـــزوهم الى دمشق ولم يرد البيسانيون ما اخذوا لهم وكان معهم هدية فلما اجتمعوا بالملك الظاهر عرفوه ماكان معهم فبعث الى الاسكندرية و منع من فيها من التجـار البيسانيين من السفر حتى يعوضوا ما اخذ اصحابهم و كان مضمون رسالتهم انهم احضروا كتابا للملك الظاهر بجميع ما كان فى ايدى المسلمين من البلاد التى استولى عليها هولاكو و طلبوا منه ان ينجدهم و يعينهم على استيصال شأفته .

و فى ذى الحجة توجه الملك الظـاهر من دمشق الى حصن الأكراد لنقل حجارة المجانيق الى القلعة و رؤية ما عمر فيها ثم سار الى حصن عكا فأشرف عليه ثم عاد الى دمشق فدخلهـا فى خامس المحرم سنة احدى و سبعين .

١٧٧ / الف و فى هذه السنة و هى سنة سبعين تسلم نواب الملك الظاهر قلعة الخوابى و القليعة(٢) من بلد الاسماعيليه و لم يبق خارجا عن مملكته من جميع حصونهم سوى الكهف و القدموس و المينقة (٣) لأن اهلها لـما قبض الملك الظاهر على نجم الدين بن الشعرانى و ولده عصوا بالقلاع المذكورة و قدموا عليهم مقدما .

(١) هـاهنا بالشين المعجمة يعنى من اهل مدينة پيزا من مدن ايطـالية ـ ك وفى هامش النجوم (٧ / ٥٥) « بلاد الاشكرى هى الامبراطوريه البيزنطية »

(٢) النجوم « العليقة » (٣) النجوم « المنيقة » .

فصل

وفيها توفى احمد بن سعيد بن احمد بن ابى بكر بن الحسين ابو العباس صفى الدين النيسابورى الاصل اللهاورى (١) المولد والمنشأ الصوفى توفى بالقاهرة فى حادى عشر شهر رمضان المعظم ودفن من الغد بمقابر باب النصر ومولده فى العشرين من ربيع الاول سنة احدى وتسعين وخمسمائة صحب جماعة من مشايخ الصوفية وتهذب بهم وتأدب بآدابهم وسمع وحدث وكان احد المشايخ المشهورين بالخير والصلاح والعفة والانقطاع والمعرفة وله كلام على طريقهم وتقدم فيهم مع ما كان عليه من لطف الاخلاق ولين الجانب وحسن الملتقى وجميل الطريقة رحمه الله .

الحسن بن داود بن عيسى بن محمد بن ايوب بن شاذى ابو محمد الملك الامجد مجد الدين بن الملك الناصر صلاح الدين بن الملك المعظم شرف الدين بن الملك العادل سيف الدين ابى بكر رحمهم الله تعالى وقد تقدم ذكر نسبهم فى ترجمة مجير الدين يعقوب بن العادل فاغنى عن اعادته كان الملك الامجد من الفضلاء عنده مشاركة جيدة فى كثير من العلوم وله معرفة تامة بالادب غير انه لم يكن له طبع فى نظم الشعر ثم وقفت بعد ذلك على سفينة بخط عز الدين محمود الىورمدى (٢) رحمه الله وفيها انشدنى نجيب الدين الحجازى للملك الامجد بن الملك الناصر داود رحمهما الله تعالى :

---

(١) نسبة الى لهاور - وفى معجم ياقوت « وهى لوهور والمشهور لهاوور وهى مدينة عظيمة فى بلاد الهند » (٢) كذا فى الاصل فلم اهتد الى صحته - ك .

من

مَن حاكم بيني وبين عذولي الشْجو شجوى والغليل غليلي
عجبا لقوم لم تكن اكبادهم لجوىً ولا اجسادهم لنحول
دقت معانى الحب عن افهامهم فتأولوها اقبح التأويل
فى اى جارحة اصون معذبى سلمت من التنكيد والتنكيل
إن قلت فى عينى فثّم مدامعى اوقلت فى قلبى فثم غليلي ١٧٧ / ب
لكن رأيت مسامعي مثوى له وحجبتها عن عذل كل عذول

ومحاسنه كثيرة ومكارمه غزيرة وتنقلت به الاحوال فى عمره فتزهد وصحب المشايخ وانتفع بهم واخذ عنهم واشتغل عـلى العلماء وحصل وكان كثير البر بمن يصحبه من المشايخ لا يدّخر عنهم شيئا وكانت همته عالية ونفسه ملوكية وعنده شجاعة واقدام وصبر على المكاره.

حكى لى انه لما عاد العسكر من انطاكية مع الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى رحمه الله فى سنة ستين وستمائة كان المذكور فى جملتهم وقد غرق اخوه شقيقه الملك الافضل نورالدين على رحمه الله فى تلك السفرة فبينا هو يساير بعض الامراء ويحدثه مربه الى جانبه رجل يجر جنيبا فضربه ذلك الجنيب كسر رجله فلم يتأوه ولا قطع حديثه ولا ما كان فيه فلما امتلأ الخف بالدم امر بعض من كان معه ان ينزل ويشق اسفل الخف ليذهب منه الدم وكان يتلقى جميع ما يرد عليه من الامور المؤلمة بالرضا والتسليم وكان له عقيدة عظيمة فى الفقراء والمشايخ وكان جميع اهل بيته يعظمونه ويعترفون بتقدمه عليهم حتى عم ابيه الملك الامجد تقى الدين بن العادل وكذلك سائر الامراء وارباب

الدولة وله اليد الطولى فى الترسل مع حسن الخط وانفق فى عمره اموالا جمة معظمها فى طاعة الله تعالى وكان مقتصدا فى ملبوسه ومركوبه ويتعلق بنفسه(١)مسرفا فى فعل الخير وبر الاخوان رحمه الله تزوج ابنة عم ابيه الملك العزيز عثمان ابن العادل ثم تزوج ابنة الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمهم الله وهى اخت الملك الناصر واولدها ولدا سماه صلاح الدين محمود وهو باق وكان عنده من الكتب النفيسة ما لا يوجد عند غيره فوهب معظمها لاصحابه واخوانه وسمع الكثير وحصل الفوائد وكان مقصدا لمن يقصده يقوم معه بنفسه وماله وجاهه لا يستحيل على اصحابه ولا يتغير عن مودتهم وان تغيروا اواسطه (٢) عقد بيتهم رحمه الله تعالى وكانت وفاته بدمشق ليلة الاثنين سادس عشر جمادى الاولى ودفن من الغد بسفح قاسيون فى تربة جده الملك المعظم .

١٧٨ / الف

وكانت والدة الملك الامجد المذكور ابنة الملك الامجد مجد الدين حسن بن الملك العادل الكبير فسمى صاحب هذه الترجمة باسمه والى جده المذكور ينسب الغور الامجدى وتلقاه اولاد الملك الناصر داود بالارث عنها وتوفى الملك الامجد صاحب هذه الترجمة وهو فى عشر الخمسين وقد (٣) نيف عليها ورثاه غير واحد من الفضلاء بعدة قصائد ومقاطيع فمن رثاه المولى شهاب الدين محمود (٤) كاتب الدرج ايده الله

(١) كذا (٢) لعله واسطة - اى الجوهر الذى فى وسط القلادة وهو اجودها .
(٣) لعله اوقد (٤) توفى سنة ٧٢٥ - ك .

تعالى

تعالى بقوله :

هو الربعُ ما اقوى واضحت ملاعبه مُشرعة الا وقد لان جانبه
وقفت به و الشوق نحو قبابه يجاذبني طورا وطورا اجاذبه
اسايله جهلا و من سفه الهوى مخاطبة الانسان من لا يخاطبه
اسايله والبين قد زار ربعه فنابت عن العيش الهنئ نوائبه
وعهدي به و العز عن كل ناظر يطوف به الاعزالوفد حاجبه(١)
لئن قلصت كف الزمان ظلاله و شابت هنئ العيش فيه شوائبه
فقد كان مغنى ضافيات ظلاله على نازليه صافيات مشاربه
عهدت به من آل ايوب ماجدا كريم المحيا زاكيات مناسبه
يزيد على وزن الجبال وقاره ويكثر ذرات الرمال مناقبه
اجار على صرف الزمان فغاله على غِرة و الثأر يحتال طالبه
قضى فاعتدت فينا الليالي و طالما غدت في عدانا قاضيات قواضبه
و يوم كليل الصب اذ ظل سمره مداه و نقع الصافنات غياهبه
حلا (٢) وجهه جلاه من حيث انه هلال و اطراف الرماح كواكبه
بكاه من السمر الكعوب و غيره اذا مات تبكيه من السمر كاعبه ١٧٨ / ب
غدت بذيول الحزن تعثر خيله وكم سبقت ريح الجنوب جنائبه
اذا ما بكت عجم العراب فقد بكى من الخلق طرا عجمه و اعاربه
ترى بعده العافين شتى و طالما حــواهم نداه و الزمان مصاحبه
فمن لاثم للترب من عتباته و مــن متصد للزمان يعــاتبه

(١) كذا (٢) لعله جلا .

اذا ما رثوه بالغرائب بعده   فمن قبل قد عمت عليهم رغائبه
هو ابن الذى لان الشديد بعد النهى(١)   له فلذا والدهر جم عجائبه
يحدث عن فصل (٢) الخطاب كتابه   ويخبر عن فصل الخطوب كتائبه
عليكم بنى الآمال باليأس بعده   فلليأس عز يأبن(١) الذل صاحبه
ولا ترقبوا نوء السماحة بعده   فأفق الامانى مقشعات سحائبه

الحسين بن على بن الحسن بن ماهد بن طاهر بن ابى الجن ابو عبد الله مؤيد الدين الحسينى كان من اعيان الاشراف و والده نظام الدين تولى نقابة الاشراف مدة و نظر بعلبك و اعمالها مدة اخرى وكان واسع النعمة كثير الاملاك وافر الحرمة نزها عفيفا فى ولاياته غير انه كان قليل النفع وكان له مكانة عند الملك الصالح عماد الدين اسماعيل وعند وزيره امين الدولة و اما ولده مؤيد الدين صاحب هذه الترجمة فكان شابا حسنا دمث الاخلاق كثير الاحتمال و الخدمة لمن يصحبه بنفسه مع عظم بيته وعدم احتياجه بل تحمله المروءة على ذلك وكان بينى و بينه صحبة اكيدة و مودة جمع الله بيننا فى جنته وكان عنده تشيع يسير ولكن لم يسمع منه كلمة تؤخذ عليه وكان يعظم الصحابة رضوان الله عليهم و يترضى عنهم و يذم من يسلك غير ذلك و يبرى منه وكانت وفاته يوم الاربعاء سادس ربيع الآخر بقلعة بعلبك لأنه تمرض فى مدينة بعلبك وحصل اراجيف وجفل اوجب انتقال معظم اهل البلد الى القلعة فانتقل المذكور وهو متمرض فى جملتهم فادركته

(١) كذا (٢) الاصل « فضل » .

منيته بها و دفن فى مقابر باب سطحا ظاهر باب دمشق من مدينة بعلبك ١٧٩ / الف
و لم يبلغ اربعين سنة من العمر رحمه الله تعالى .

سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد ابو الفضائل كمال الدين الاربلى الفقيه الشافعى كان من الائمة الفضلاء الخبيرين بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه و كان الشيخ نجم الدين البادرانى (١) رحمه الله قد جعله معيد مدرسته التى وقفها بدمشق لعلمه بغزارة علمه ولم يزل على ذلك الى حيث توفى لم يتريد منصب (٢) آخر و كان عليه مدار الفتوى فى وقته بدمشق و اشتغل عليه جماعة و انتفعوا به و من يجتمع به فى النادر يصفه بشراسة الاخلاق و توعرها فاذا اكثر الشخص من الاجتماع به وجد عنده فى الخلوة دماثة و حسن مباسطة و سعة صدر وكانت وفاته ليلة الخميس الخامس من جمادى الآخرة بدمشق و دفن من الغد بمقابر باب الصغير رحمه الله وهو فى عشر السبعين .

سنقر بن عبد الله الامير شمس الدين المعروف بالاقرع هو من مماليك الملك المظفر شهاب الدين غازى بن العادل وكان من اعيان الامراء بالديار المصرية و اكابرهم و تقدم فى الدول و كان الملك الظاهر رحمه الله نقم عليه لامر بلغه عنه فاعتقله و توفى فى الثامن و العشرين من ربيع الاول هذه السنة رحمه الله و قد نيف على الستين سنة من العمر .

عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن طاهر ابن محمد بن الحسين بن على ابوالحسين عماد الدين الحلبى الشافعى

(١) صوابه البادرائى وقد تقدم مرارا (٢) لعله يتزيد بمنصب .

المعروف: بابن العجمى تفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه وسمع وحدث ودرس وتولى الحكم بمدينة الفيوم وغيرها وناب فى الحكم بدمشق مدة وكان مشكور السيرة شديد (١) الاحكام عارفا بفصل الخصومات وتوفى بحلب فى رابع شهر (٢) رمضان هذه السنة مولده فى ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وستمائة بحلب رحمه الله وبيته مشهور بالعلم والحديث والرئاسة والسنة والجماعة .

١٧٩/ب على بن عبد الخالق بن على بن محمد بن الحسن ابوالحسن عزالدين الاسعردى الاصل البعلبكى المولد والدار والوفاة كان من الصدور الاماثل خبيرا بالكتابة وصناعة الحساب قيما بهما تولى عدة ولايات شهادة ديوان بعلبك ثم مشارفته ثم نظره وتولى نظر الاسرى بدمشق ثم ولى نظر حمص واعمالها ولم يزل على ذلك الى حين وفاته ببعلبك ليلة الاربعاء سابع عشر ذى القعدة وكان حسن العشرة كثير المداراة والمجاملة وجدّه القاضى مهذب الدين على بن محمد الاسعردى كان من العلماء الاعيان ولى القضاء ببعلبك مدة زمانية فى الايام الصلاحية ولم يزل متوليا الى حين وفاته وكان سديد الاحكام متحريا فعل الحق وتوفى عزالدين المذكور وهو فى عشر الستين ودفن بالقرب من دير الياس عليه السلام ظاهر بعلبك .

على بن عثمان بن على بن سليمان بن على بن سليمان بن على ابوالحسن امين الدين السليمانى الاربلى الصوفى مولده باربل سنة اثنتين وستمائة

(١) لعله سديد (٢) النجوم « رابع عشر » .

وقيل فى احد الربيعين سنة ثلاث وستمائة وتوفى الى رحمة الله تعالى بمدينة الفيوم من اعمال الديار المصرية فى العشر الأخر من جمادى الاولى كان فاضلا مقتدرا على النظم وهو من اعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله وكان فى اول عمره يخدم جنديا ثم ترك الجندية وتزهد وصار احد مشايخ الصوفية المشار اليهم ومن شعره وقد سير الى بعض الامراء هدية وكتب معها :

هدية عبد مخلص فى ولائه (١) لها شاهد منها على عدم المال
وليست على قدرى ولا قدر مالكى ولكنها جاءت على قدر الحال

وكتب الى شرف الدين أبى البركات بن المستوفى (٢) وزير إربل وقد طلبه علاء الدين بن صالح الاربلى وتحدث معه فى ان يلى البيمارستان :

يا ايها المولى الوزيـــر ذى الرعاية والعنايه
ان العلاء اضلنى بالقول عن طرق الهدايه
لألى لمارستانكم واقوم فيه بالكفايه ١٨٠/ الف
انى لمحتاج اليــه متى اجبت الى الولايه

وله :

تنال نوال الناس ثم تنيله فدهرك مطلوب بما انت طالبه
سخاؤك عما فى يد الناس فوق ما تنيل من المال الذى انت واهبه

وله :

قيل تهوى الجمال قلت لهم ما فيه عيب ان لم يكن فيه ريبه
كيف لا اعتنى بمن يعتنى اللــه به ان ذى عقول عجيبه

---

(١) الاصل « ولاية » خطأ (٢) هو المبارك بن احمد توفى سنة ٦٣٧ ـ ك .

و له فى الشربات :

عبد لكم فى داركم كالدرة البيضاء ان اهملتموه تبددا
عريان يقلقه الهواء فكلما مرض النسيم اتوا اليه عوّدا

و له :

انظر بعين عناية و اعطف فعطفك مستفاد
و اقل بحلمك عثرتى فلربما عثر الجواد

و له :

يقولون من تهواه زاد ملالة (١) و مال فلا وصل لديه و لا وعد
اذا ألف ذنب من حبيب تجمعت يقوم بها من حسنه شافع فرد

و له فى النرد :

رجال من بنى سام و حام لهم بالضرب و الايقاع رقص
قيام فى سماعهم عراة ليس (٢) عليهم فى ذاك نقص

و له :

ارض بما قدّر الاله و لا تحرص فما ذا يفيدك الحرص
قد قسم الرزق فى العباد فلا زيادة تبتغى و لا نقص

و له :

انى لا عرف فى الرجال مخادعا يبدى الصفاء و وده ممذوق
مثل الغدير يريك قرب قرارة(٣) لصفائه و القعر منه عميق

و له :

كل ما تبتغيه من هذه الدنيا يعنيك (٤) منه ما يغنيك (٤)

(١) لعله ملاله (٢) لعله و ليس بزيادة الواو (٣) لعله قراره (٤) لعله بالعكس .

و اذا

ولذا كانت الكفاية لا تكفيك لا شيء بعدها يكفيك

وله فى شربة الماء :

وخادم يخدم حتى اذا قصر صب الماء فى حلقه

ما فسح الشارع فى ضربه فما لكم تفتون فى شنقه ١٨٠/ب

وله :

واذا (١) ضاق قلب المرء عما يجنه تبين منه فى اتساع لسانه

وصمتُ الفتى عما يجن ضميره اثم (٢) ولو ان اللهى فى بيانه

وله :

عرفتكم بجهلت الناس عندكم فلم اعرج على اهل ولا وطن

وفزت منكم بما ابغى ولى أسف باق لسالف ما ضيعت من زمنى

وله :

كفّ عن الناس اذا شئت أن تسلم من قول جهول سفيه

من قذف الناس بما فيهم يقذفه الناس بما ليس فيه (٣)

وله فى الشربات :

وبيض الوجوه رقاق الشفاه تجمعن والحب فى داريه

يعن على الناس بيع الرقيق ولم ارفيهن من جاريه

وله من ابيات :

وسكنت قلبى يا محرك وجده فعجبت كيف سكنت وهو مقلقل

والقلب منزلة البدور وانما خالفتها فى كونها تتنقل

(١) لعله اذا بحذف الواو (٢) لعله اتم (٣) ونحوه ـ قول الآخر ـ : ومن دعا الناس الى ذمه ـ ذموه بالحق وبالباطل :

حل العزائم عقد بندك مثلما فتح الصبابة حاجب لك مقفل
فلان صبرت فما اصطباري عن رضا وجميل وجهك انني اتجمل

وله من ابيات:

لعبت خلفه الذؤابة فاستكبر تيها فقبلت اقدامه
جمع العاشقين بالواو والنو ن ولكن جمعا لغير السلامه

علي بن عمر بن نبا ابو الحسن نور الدولة اليونيني كان رجلا غزير المروءه كريم الاخلاق شجاعا بطلا مقداما على الا هوال كثير التعصب لمن يقصده يبذل في ذلك نفسه وماله وكان له اليد الطولى في قتل الوحوش الضارية تصدى لقتل الادباب فأفنى منهم شيئا كثيرا لا يحصر بحيث كان يقتل في الليلة الواحدة عدة ادباب وكان سبب تصديه ١٨١/الف لقتلهم دون غيرهم من الوحوش انه كان له اخ صغير وكان للملك الامجد مجد الدين بهرام شاه رحمه الله صاحب بعلبك دب في بيت بقلعة بعلبك فدخل اخو علي المذكور ليتفرج عليه وقرب منه فافترسه وقتله فكان نور الدولة المذكور يرى انه بقتلهم يستوفي ثأرا وكانت وفاته بمنزله بمدينة بعلبك ليلة الاربعاء خامس وعشرين جمادى الآخرة ودفن من الغد قريبا من تربة الشيخ عبد الله اليونيني الكبير قدس الله روحه وقد نيف على ستين سنة من العمر رحمه الله وهو بن عمتي وتزوج لي ثلاث اخوات كلما ماتت واحدة زوجه والدي رحمه الله بأختها وتوفي وعنده الاخيرة منهن وكان عند والدي في محل الولد وهو رباه واسمعه الحديث فسمع عليه وعلى الشيخ بهاء الدين المقدسي وابن

رواحة(١) رحمهما الله و غيرهم و حكى لى ناصر الدين على بن قرقين(٢) رحمه الله ما معناه ان الخوارزمية لما طرقوا البلاد استولوا على ضواحى بعلبك و لم تبق الا المدينة و القلعة و اما ظاهر البلد من القرايا (٣) فخرج عن الطاعة و اطاعهم فولوا على ضواحى بعلبك شخصا من اعيانهم و تركوا عنده جماعة يسيرة منهم فكان يتصرف فى البر و اهل البلاد فى طاعته وهو ينتقل من مكان الى مكان وكان متولى القلعة و المدينة اذ ذاك الامير سيف الدين المعروف بأبى الشامات (٤) رحمه الله .

قال ناصر الدين فقال لى و الله ان هذا غبن عظيم يستولى على بلاد بعلبك و اعما لها رجل واحد من الخوارزمية و نحن كالمحصورين معه فقلت له تشتهى ان احضره لك بنفسه و من معه قال و من لى بهذا قلت انا اسعى لك فيه ان شاء الله تعالى فسر بهذا القول و لم تطمئن نفسه الى و قوعه فاجتمعت بنور الدولة و حدثته فى ذلك و قلت له تقدر تحضره قال نعم ان شاء الله تعالى قلت متى قال الليلة امسكه و غدا احضره فقلت كم تختار من الخيالة و الرجالة قال سير لى خمس رجالة ١٨١ / ب يلقونى بعد المغرب الى تل بسق (٥) فجردت عشرين راجل (٦) على انهم يتوجهون (٧) الى حصن اللبوة فى شغل وكان لنا بحصن اللبوة وال لايتعدى امره باب الحصن وكتبت مع مقدم الرجالة ورقة وختمتها

---

(١) هو عز الدين عبد الله بن الحسن توفى سنة ٦٤٦ - ك (٢) هو ناصر الدين توفى سنة ٦٩٢ - ك (٣) لعله القرى (٤) الاصل بأبى سامات - ك (٥) بفتح الباء والسين وكسر القاف المشددة - ك (٦) لعله راجلا (٧) الاصل يتوجهو - ك .

مضمونها نورالدولة بن الحرامى مقدمكم فاذا وصلتم اليه افعلوا ما يقول لكم ولا تخالفوه وقلت للقدم اذا وصلت تل يسق افتح الورقة وافعل ما فيها فلما وصل التل قرأها ورأى نورالدولة هناك فجاء اليه وقال قد سيرونا اليك فقال مالى بكم كلكم حاجة يروح منكم عشرة ويبق عندى عشرة وكان قد اخذ خبر والى الخوارزمية انه فى قرية بنحة فتوجه بالعشرة اليها وتركهم خارج القرية ودخل بمفرده الى القرية قريب الثلث (١) الآخرمن الليل فوجد شخصا من اهل القرية قد خرج من بيت لقضاء حاجته فسأله عن الوالى فقال هو فى تلك العلية نائم سكران هو ومن معه فقصد نورالدولة العلية وفتح بابها ودخل ووجد الوالى نائما سكران فجذب سكينه وايقظه بهدوء ففتح عينيه فرأى السكين مشهورة على حلقه وقال له ان تكلمت ذبحتك فلم ينطق فأخذه واخرجه الى الرجالة وسلمه اليهم ثم عاد وفعل كذلك بمن معه من اصحابه وجاء بهم الى القلعة فاودعوا السجن وتصرف النواب فى البر على عادتهم بأيسر موؤنة وله امور كثيرة من هذا الجنس من الاقدام والشجاعة رحمه‌الله تعالى

محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد ابن الحسن [بن احمد بن الحسين] (٢) بن صصرى ابوعبد الله عمادالدين الربعى التغلبى البلدى الاصل الدمشقى المولد والدار والوفاة العدل الرئيس الصدرالكبير مولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة تخمينا سمع من الكندى

(١) الاصل « الثلاث » (٢) هامش النجوم « هذان الجدان غير موجودين فى احد الاصلين ولا فى المصادر التى تحت يدنا » .

وغيره وحدث وكان شيخا جليلا كريم الاخلاق لطيف الاوصاف حسن العشرة متفضلا على من يعرفه بارا بمن يقصده محتملا صبورا ١٨٢ / الف كثير الاغضاء والحياء من بيت العلم والحديث والرياسة والعدالة والتقدم وقد حدث هو وابوه وجده وجدايه وجد جده وغير واحد من اهل بيته وكانت وفاته فى العشرين من ذى القعدة ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

محمد بن على بن ابى طالب بن سويد التكريتى ابوعبد الله وجيه الدين التاجر المشهور بسعة المال والجاه ولم يبلغ احد من امثاله من الحرمة ونفاذ الكلمة ما بلغ بحيث كانت النجابين (١) ترد عليه من بغداد الى دمشق فى مهمات تتعلق بالخلافة فينجز ما قدموا لأجله ويسفّرهم وكانت متاجره لايتعرض لها متعرض وكتبه عند سائر ملوك الاطراف وملوك الفرنج بالساحل نافذة ومن ينتسب اليه مرعى الجانب وهومن خواص الملك الناصر رحمه الله واصحابـه ويده مبسوطة فى دولته وكلمته مسموعة ورسالته مقبولة عند ديوان الانشاء ومع هذا كلـه فانقضت الدولة ولا يكتب له سوى الصدر الاجل وما يناسب ذلك من الالقاب لاغير وفى آخر الايام الناصرية كانت عنده فضة كثيرة مُروك وخَشر (٢) فاستأذن الملك الناصر فى ضربها دراهم فأذن له وجعل دار الضرب بيده فضرب منها شىء كثير جدا وهذا النقد من الدراهم التى ضربها

---

(١) لعله النجابون (٢) كذا فى الاصل فلا ادرى ما معنى مروك بالراء واما خشر بفتح الخاء فلعله الرذل وما اشبهه ــ ك .

معروف ولما ملك التتار البلاد الشامية فى شهور سنة ثمان وخمسين
ذكر عنه انه وصله فرمان هولاكو يتضمن الامان له على نفسه وماله
واصحابه ولم يعرج على ذلك ولاوثق به ودخل الديار المصرية وغرم
فيها جملة طائلة تقارب الف الف درهم فلما عاد الشام الى المسلمين
وتملك الملك الظاهر ركن الدين رحمه الله قربه غاية التقريب وادناه
وعظم محله عنده بحيث اوصى اليه على اولاده وجعله ناظر اوقافه وما
يتعلق به واصغى الى اقواله وزاد فى حرمته فيما يكتب له وخوطب
١٨٢/ب بالمجلس السامى وكان له من التمكن مالا مزيد عليه غيرانه كان تمكنه
فى الايام الناصرية اكثر وحكى لى الحاج فخر الدين اياز رحمه الله
وكان رجلا صادقا قال حججت فى السنة التى حج فيها الملك الظاهر
فلما رأنى فراشينه (١) بمكة طلبوا منى ملازمتهم لمعرفة بينى وبينهم فلازمتهم
فلما كان يوم عرفة بسطت بسط كثيرة على الجبل للملك الظاهروحضراليه
امراء العرب وملوك الحجاز وغيرهم وقعدوا فى خدمته فحضر نصيرالدين
ولد وجيه الدين المذكور للسلام عليه فحين وطىء البساط قام له وبالغ
فى اكرامه والمساءلة له عن طريقه واستعراض حوائجه وتفخيمه فى
المخاطبة والنصير يتشكر ويدعو بما يناسب وهو يقول ابصر مهما كان
الك من حاجة حتى نقضيها ولا يقول لوجيه الدين ابصرونى (١) فى مكة
وما التفوا (٢) الى فقال ما للمملوك حاجة سوى ان هذا الركب لم
يكن له امير فتعبنا بهذا السبب والمملوك يسأل ان يعين مولانا السلطان

(١) كذا (٢) الاصل الفتوك .

للركب الشامى اميرا فقال هؤلاء المصريين و الشاميين من اخترت منهم يروح فى خدمتك قال اريد جمال الدين بن نهار (١) فطلبه السلطان وقال له هذا المولى نصير الدين قد اختارك على جميع من معى فتروح معه الى الشام وتخدمه مثل ما تخدمنى ولا تزال بين يديه حتى توصله الى والده فقال السمع و الطاعة و انفصل (٢) و الناس يستعظموا ذلك من مثل الملك الظاهر و انه لعظيم منه وكان وجيه الدين كثير المكارمة للامراء و الوزراء و ارباب الدولة يهاديهم و يقضى حوائجهم و يتجر لهم فكان مدار الامور او اكثرها عليه وعنده بر للفقراء وصدقة و يعمل فى كل سنة من الترايبق و المعاجين و الاكحال ما يغرم عليه جملة كبيرة و يفرقه للثواب وكان عنده دماثة اخلاق و رقة حاشية و ينظم المواليا على رأى البغاددة قال كان صبي من القيمرية حسن الصورة قد تزوج و زف ليلة عرسه بدمشق فنظمت :

لما جلو ذا الصبي كالبدر فى حالو سبى المواشط و قالو ما قالو
صبي و كردى و كردية من اشكالو لو لا نبات عذاره لالتبس الحالو

و انشدته للملك الناصر فاعجبه وكان اقارب ذلك الصبي اكابر امراء القيمرية فكانوا اذا حضروا يقول على سبيل المباسطة يا وجيه اولا يوهمنى انه ينشد البيتين قدامهم فاضع اصبعى على فمى اى اسكت عنى فيضحك وكانت وفاة الوجيه رحمه الله بدمشق فى العشر الآخر من شوال او الاول من ذى القعدة و دفن بسفح قاسيون و قد ناهز السبعين من العمر .

(١) الاصل نهار بلا نقط ـ ك (٢) الاصل « و انفضل » .

نصير بن تمام بن معالى ابو الذكر المقيسى المؤذن كان حسن الصوت مليح الشكل يطرب حسه السامع وهو رئيس المؤذنين فى وقته بدمشق و توفى بها فى ليلة التاسع عشر من المحرم و دفن فى غده بباب الفراديس و مولده سنة سبع و ثمانين و خمسمائة سمع من ابى المنجا عبدالله بن عمر ابن اللتى و غيره و حدث رحمه الله •

يعقوب بن ابراهيم بن موسى بن يعقوب بن يوسف ابو يوسف شرف الدين بن المعتمد العادلى الدمشقى الحنفى مولده فى رابع شهر رمضان المعظم سنة سبع وثمانين و خمسمائة بدمشق سمع من حنبل وحدث وتوفى فى ثالث عشر شهر رجب بجبل قاسيون و دفن به رحمه الله تعالى، و والده المبارز ابراهيم المعتمد متولى دمشق فى الايام العادلية و هو من اعيان الناس مشكور السيرة محمود الطريقة ينطوى على دين متين و بر كثير و حسن اعتقاد فى الفقراء و الصلحاء و محبة لهم، صحب الشيخ عبد الله اليونينى الكبير قدس الله روحه و انتفع به وكان الشيخ يثنى عليه رحمه الله تعالى •

تم المجلد الثانى

من

كتاب ذيل مرآة الزمان لليونينى و يتلوه المجلد الثالث

من حوادث السنة الحادية و السبعين و ستمائه

وقدوقع الفراغ من طبع هذا المجلد فى اوائل

شهر محرم الحرام سنة ١٣٧٥ هـ

بمطبعة دائرة المعارف العثمانية

بحيدرآباد الدكن (الهند)

QUTBU'D-DĪN MŪSA B. MUḤAMMAD AL-YŪNĪNĪ,
(d. 726 A. H. / 1326 A. D.)

DHAIL MIRĀTU'Z-ZAMĀN

OR

SUPPLEMENT TO THE MIRROR OF THE AGE

Vol. II

Years · 658 – 670 A. H. / 1260 – 1271 A. D.

Edited by the Bureau from the Oldest Extant Mss.

Under the auspices of the Ministry of Education

Government of India

* * * * *

Published
by
The Dairatu'l-Ma'arif-il-Osmania
(Osmania Oriental Publications Bureau)
Hyderabad - Deccan
INDIA

1955 A D. / 1375 A.H.